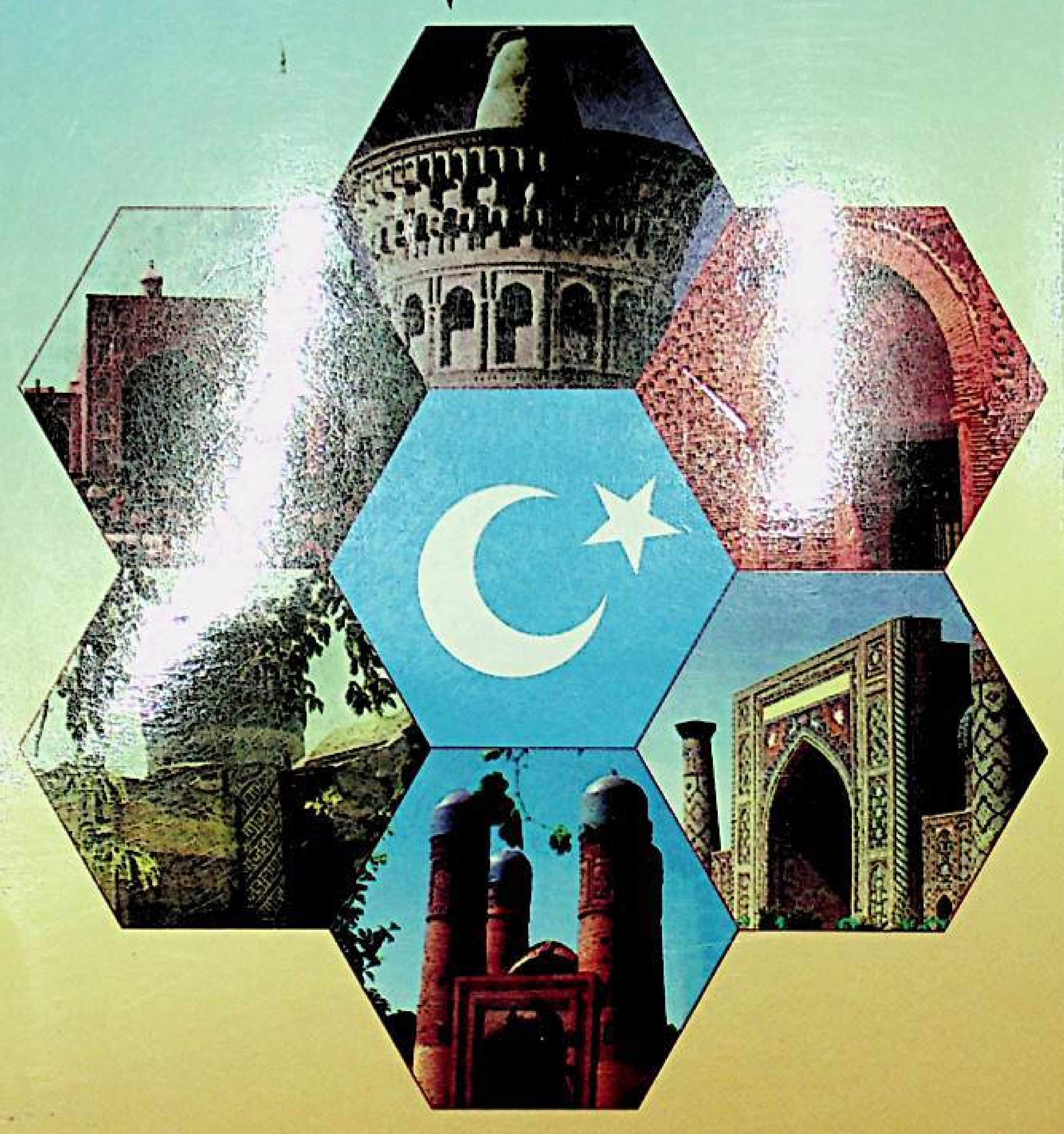
تركستان الشرقية

في عهد ملوك الطوائف وفي الوقت الحاضر

محمد قاسم أمين



دار تكلماكان الأيغوري



تركستان الشرقية

في عهد ملوك الطوائف وفي الوقت الحاضر

محمد قاسم أمين

دار تكلماكان الأيغوري

الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م

الناشر

دار تكلماكان الأيغوري

للنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبه عبدالجليل محمد عبدالله توران

استانبول ــ تركيا

هاتف / فاكس : ٦٧٩٨٦٨٨ (٠٠٩٠٢١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه بقوله : ((اقرأ بسم ربك الذي خلق)) وختمه بقوله : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) الآية ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهدى الذي أكد عليه رب العزة والجلال رسالته بقوله : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) رحمته علم وخلقه القرآن صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين .

أقول وبالله التوفيق :

في الوقت الذي وجدت الكليات للبلاهة والنكات القاذع والمعاهد للمجانين والسفلة ، نحن التركستانيون غارقون إلى فروة رؤوسنا في الجهل غاطسون في الوحل ومكبلون بالوهم ومؤمنون بالخرافات وملتاعون للحكايات ومتشبثون بالتنجيم وأساطير الأولين وموغلون في الخيالات والأوهام ، فعلى كذا نحن في الذروة في السلبيات متربعون على قمة العدم واللاوجود ، ويا للغرابة نحن موجودون ، وواقعنا المظلم ينبئنا بأننا كنا و لم نكن ووجدنا و لم نوجد ، وغرقنا في الأوهام والخيالات وعشنا على أديمها ولسان حالنا يقول وهما : لم يكن لنا كفوا أحد .

مثلنا كمثل الضفدع الذي وجد في قاع البئر يوما و لم يرض به بديلا قط ، ثم يغشى البئر سيل ويمتلئ ويطفح صاحبنا على السطح فيأبى أن يترل

فيه ، ليته لم يطفح ، وقد تنقصه الحاجات والحاجات ويعيش عرضة للضياع بل للهدر ، ما أثمن الضياع في مقابل الهدر ، وما أبشع الهلاك تحت أقدام الجناة ، الجناة العراة السفلة . فما قيمة حجم الضفدع بالنسبة لحجم وحركة النمل وقد شرفه الله بقوله حكاية عن مليكهم : ((يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده))

أما كان تحطيم سليمان أفضل للنمل وغير النمل من إمحاء الصين لشعبنا وتذويبها ؟ ولكننا نأسف كل الأسف لم نكن نملة يتحاشانا سليمان وجنوده .

والضفدع المسكين المهدور دمه لم يملك من مقومات الحياة شيئا ، ليته ملك جناحا يطير بها ، وليته يملك منقارا يبطش بعدوه ، أو مخلبا يغرسه في قلبه ويشرب دمه ، أو أنيابا يفترسه ، أو أظافر يفقع بها عينه ، أو سيقانا يذهب به إلى وكر يريحه من عناء الغربة وعذاب الحرمان ، فالضفدع حجم وهيكل ينقع بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، والحمد لله أن لم يكفر .

قارئي العزيز : قديما قال لنا أصدقاؤنا : تعلموا واقرؤوا وصابروا وجاهدوا ورابطوا فلم نسمع . وقرأنا ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وأبو زيد الهلالي وخرافات شاه مشرف وصرفونا علماؤنا إلى كتاب (بيدل) ومكتوبات للمدعو بالإمام الرباني ، ودفعوا بطلابنا وطالباتنا لشرح الكافية لملا جامي ، وللمثنوي لجلال الدين الرومي ولعيساغوجي والشمسية من كتب الفلاسفة اليونانيين ، بالإضافة لعنتر بن شداد وحمزة وبهلوان . قرأنا ما تيسر من القرآن ورتلناه ترتيلا وتلحينا ، ولم نعرف معنى لكلمة واحدة منه . وأبعدنا علماؤنا عن تفسيره ظانين أن تفسير القرآن لا يأتي إلا من نبي

مرسل ثم الخلفاء الراشدين والأئمة المشهورين . وكذلك السنة قالوا فيها يجب أن يكون المعلم بضم الميم متصلا سندا ودراية لأحد الحفاظ الكرام . حفظونا كتاب (فقه الكيداني) المعتزلي في الفقه الحنفي ، وكتاب الفقه الأكبر في العقيدة ونحن حافظون عليها ولا نعلم بما فيه. هذا من علوم الدين. وأما علوم وفنون الدنيا فبقينا منها صفرا على الشمال ، بل هاجمونا عليها وقالوا : إنما كفر أو على أكتافها طريق الكفر والزندقة مرصوفة ممهدة.

وقالوا في علوم المعيشة والحياة عموما ما قاله الشاعر الرصافي عندليب الرافدين في حماسيته :

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم

تأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا ودعوا التفهم جانبا فالخير أن لا تفهموا

وتشبثوا في جهلكم فالشر أن تتعلموا

فارضوا بحكم الدهر مهما كان فيه تحكم وإذا ظلمتم فاضحكوا طربا ولا تتظلموا

وإذا أهنتم فاشكروا وإذا لطمتم فابتسموا إن قيل هذا شهدكم مر فقولوا علقم

أو قيل إن نهاركم ليل فقولوا مظلم

وكأنهم ببلاهتهم اكتشفوا ما سيقوله الرصافي بعد قرون عدة .

هل نحن مغفلون ؟ (من إغفال) أو غفلنا نحن كما جهلنا قبله وبعده أي بعد إغفال. ولولا نصح من هو أعلم مني لسميت كتابي هذا بـ (المغفلون في الأرض) .

كانت ولم تزل الدول العربية والإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين مثالا لنا ونتمنى عشر سعادتها ورفاهية شعوبها ونرضى به فلم يتيسر لنا ذلك .

وفي الستينات اكتشفنا مواقع الضعف في مثلنا العليا ورأينا الشرق والغرب في الدرجات العلا وعلى أفلاكها الصهيونية والشيوعية (والكفر كله ملة واحدة) مستحوذين التقنيات والتكنولوجيا الحديثة . تملك حق العطاء والمنع ، يدنون عنان السماء وأخرى تحت أعالي البحار تسرح وتمرح.

كنت في أمريكا عام ١٩٨٥م حاولت قدر جهدي معرفة الأوضاع الاجتماعية من حيث العسر واليسر فقط ، فقلت : ينقصهم الإيمان . وكنا نتجاذب أطراف الحديث مع طالب عربي يحضر الدكتوراه طرحت له مرئياتي . قال : لهم الدنيا ولنا الآخرة . ليته ما قال . متى قال الإسلام للمسلمين : لكم الآخرة ولغيركم الدنيا ؟

هذامن حيث العلم والجهل وتركيب المجتمع التركستاني ، وأما من حيث الهيمنة الإدارية والحكم والهيمنة الأجنبية فحدث ولا حرج .

أما الاستيلاء الأول في التاريخ فكان سنة ١٢٧هـ الموافق سنة ٧٤٤م دام أكثر من سبع سنين فقط، وكانت الاستيلاء تحت قيادة (كاوسين جي) الصيني كوري الأصل. انهزم هذا القائد والحاكم المطلق الصيني في معركة (تالاس) التي وقعت بينه وبين المسلمين الترك والعرب الفاتحين تحت قيادة زياد ابن صالح. وأبيد جنود الصين عن بكرة أبيهم، وهرب (كاوسين جي) وخمسة من أعوانه إلى داخل الصين. ثم أعدمه ملك الصين لانهزامه في موقعة (تالاس). وكان أكثر أبطال المسلمين آنذاك من قبائل (قارلوق) الترك .

علما بأن زياد ابن صالح هذا كان من أشجع قواد أبي مسلم الخراساني . وكان تعيينه في القيادة بأمر منه .[1]

فحافظت تركستان عموما على استقلالها لأكثر من ألف سنة من هذا التاريخ أي من سنة ١٣٤هـ الموافق سنة ٧٥٢م إلى سنة ١١٧٢هـ الموافق سنة ١٧٥٨م .

وبدأ تدخل روسيا على أجزاء من تركستان الغربية سنة ١٠٥٦هـ الموافق سنة ١٦٤٥م . وتوقفت روسيا بالاستيلاء على مناطق قازاق في جنوب من سيبريا بإخضاع أبو الخير خان تحت سلطتها سنة ١١٤٢هـ الموافق سنة ١٧٣٠م . بينما حافظت سائر خانات وملوك الطوائف في بلدان وادي صغد : سمرقند وتاشكند حتى سنة ١٢١٢هـ الموافق سنة ١٧٩٧م . وخانية قوقند حتى سنة ١٨٦٦م . وخانيتي خيوه وبخارى حتى سنة ١٩١٧م وسنة ١٩٢٢م .[2]

وأما الاستيلاء الثاني فكان سنة ١١٧٢هـ الموافق سنة ١٧٥٨م حيث تدخلت الصين في عهد (كي آن لون) من سلالة (تشينج) سنة ١٦٤٤م ــ سنة ١٩١١م وذلك حينما اشتدت مظالم برهان خوجه من سلالة (آفاق خوجه) هداية الله إيشان على أهالي تركستان الشرقية بجانب كوادر وعسكريي (قالموق) البوذيين ، حيث يقف أهل تركستان ويفقد من يكون

---

[1] ــ انظر كتاب (شرقي تركستان تاريخي) لمحمد أمين بوغرا ص ١٣٦ ــ ١٣٧ و ٣٥٠ ــ ٣٥٢ طبعة كشمير ١٩٤٠ م

[2] ــ انظر كتاب الدكتور باي مرزا هيت (تركستان بين الروس والصين) طبعة اسطانبول سنة ١٩٧٥ م .

بجانبهم في خلاصهم من المهيمنين الظلمة. فذهب نفر منهم إلى بكين يشرح حالهم لـ (كى آن لون) ويطلبون مساعدته لهم. وكانت الصين تنتظر مبررا تستند عليه في تدخلها في تركستان الشرقية. وكان في الشمال من تركستان حركة أو حكومة (أمورسنابك) رئيس القالموق تحدث قلاقل ومتغيرات على مشارف حدودها في الغرب . فأرسل (كى آن لون) قائده (جاو خو لي) على جيش كبير سنة ١٧٥٨م فوقعت تركستان في قبضة الصين وللمرة الثانية في التاريخ، ودام هذا الاستيلاء ستة وخمسين عاما حيث انتهي بثورة الشعب سنة ١٨١٤م ولكن جهانكير خان بدد آمال الشعب وأمانيه .

وأما تدخل أو استيلاء الصين على التركستان الشرقية وللمرة الثالثة فكان ما بين عامي ١٨٤٦ــ ١٨٥٨م وذلك في عهد (تاو كوانغ) وبعده في عهد ابنه (هين فونغ) . وقد دفع (تاو كوانغ) مائة ألف جندي إلى تركستان الشرقية في شمال منها ودفع ابنه (هين فونغ) مثله سنة ١٨٥٨م . ويعتبر العلامة السيد محمد أمين بوغرا هذا الاستيلاء والثاني والثالث بعد سنة ١٧٥٨م . ووقعت في مقابل ذلك ثورات ثلاث في زمن أقل من خمسين عاما. وفي الوقت نفسه برزت في الصين حرب الأفيون[١] الأول والثاني سنة

---

[١] ــ حرب الأفيون في الصين ليست حربا بالمعنى المتعارف عليه بجنود وعتاد حربي. بل إنما حرب تصدير الأفيون ومشتقاته من قبل الدولة الأوربية منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر . وبالذات سنة ١٨٤٠م وفي ١٨٥٩م صدروا كمية كبير عن طريق كانتون . وقد اكتشفها شباب الصين المتيقظ فدمروا هذه الشحنة وأحرقوها . فقامت قيامة =

١٨٤٠م و سنة ١٨٥٨م ، وثورتا تاي بينغ و تترين ، وثورة إسلامية في شرق الصين تحت قيادة تاوون سو (سلطان سليمان) وأعلن استقلال بلاده في منازل مسلمي الصين . ومن جراء ذلك تقلص عدد الجنود الصينيين في كل من هضبة تبت وتركستان الشرقية . وقامت ثورات متعددة في تركستان تمخض عنها تكوين حكومات محلية (ملوك الطوائف) برئاسة عدد من الشخصيات . وقد قضي عليها كلها السلطان يعقوب بك الشهير بيدولت بعد سنة ١٨٦٣م . وكون دولة إسلامية ذات شأن وصيت وصدى اعترفت بها كل من الآستانة وأفغانستان ومصر ، لكنه تشاءم من بعض الشخصيات وغامر بقبضة يده هو . وسقطت تركستان الشرقية لقمة سائغة في فم الصين الغائر ، وتبدلت اسمها من تركستان الشرقية أو دولة السلطان يعقوب بك إلى سنكيانغ (تعني الأرض الجديدة) . وذلك سنة ١٨٧٧م الموافق سنة١٢٩٤ هـ . وذلك في أواخر أيام سلالة تشنغ (مانجو) .

وعاش هذا الدور الكئيب في تركستان على يد متصرفين عسكريين وملاك الأراضي البرجوازية الانتهازيين . ولأول مرة أسست الصين بعض المنشآت الحكومية اقتصرت على بنايات للمتصرفين والولاة الفسقة الوانكان من الإقطاعيين ومراكز الجمارك وعدة مدارس لتعليم اللغة الصينية ليس إلا. وأول بناية أقيمت من قبل الصين (قلعة كوره) سنة ١٧٥٨م البنتاجون الرهيب في السهل الشمالي لمنحدرات جبال (خان تنغرى) في الجنوب

- دول أوربا وفي مقدمتها أمريكا وبريطانيا. واستولوا على شانكهاي أكبر مدينة تجارية في الصين ومناطق أخرى . وقسموها فيما بينهم وحكموا حتى نهاية القرن التاسع عشر.

الغربي من ولاية إيلي . السهل هذا يشرف على جميع منـاطق تركستان ويسهل منه الوصول في أقرب وقت لأي منطقة تشاء .

وعاشت تركستان قبل سنة ١٩١١م وبعده حتى سنة ١٩٣٣م بـدون مدرسة حكومية واحدة لأبناء الشعب . ولا يوجد مستشفي واحد قط. و لم تمهد الصين كيلومترا واحدا من الطرق . و لم تكن هناك شرطة ولا شـوطي. وعاش الإقطاع حتى تشكلت حكومة الجنرال جانغ كي شنغ سنة ١٩٢٨م. وفي سنة ١٩٢٩م اتفقت حكومة الصين مع أمريكـا في توريـد أجـهزة الإرسال الإذاعية تزيد عن سبعين وحدة اثنتان منـهـا لإقليـم سـنكيانغ (تركستان الشرقية). وركبت هوائياتها وأسست الغرف المجهزة، واحـدة منها بالقرب من مدينة كاشغر وكادت أن تشتغل في عام ١٩٣١م. فـإذا بالشعب يقوم بثورة عارمة في طول البـلاد وعرضـها وكـون جمهوريـة تركستان الإسلامية في ٢٤ رجب سنة ١٣٥٢هـ. واتخذت كاشغر عاصمة لها بصفة مؤقتة حتى تتحرر (أوورومتشي). وبعد سنة ١٩١١م حمى وطيس الجنرالات المتناوئة بثورة الدكتور صن يات صن . حتى إن الأخير لم يصـل إلى بكين إلا في سنة ١٩٢٥م. دون تشكيل حكومة جمهورية تستطيع القيام بمهامها . وتوفي صن يات صن بعد دخوله بكين بستة أشهر أو أقل . وكـان هموم الصين من حيث النمو صفرا على الشمال . وقاومت حكومة الصـين المركزية ثورة تركستان على حفنة من الضباط منهم (شين سي سـاي). وأراد أن يحذو حذو من سبقوه في البلاد من البرجوازيين الصينيين الجشعين . واتفق مع روسيا لمساعدته مقابل تصدير المواد الخام من البلاد إلى روسـيا . وانشغلت حكومة الصين في حرب مع يابان عليها منذ ١٩٣٤م . وفعـل

(شين) ما فعل وقامت ثورة الولايات الثلاث الشمال تحت قيادة على خان توره سنة ١٩٤٤م . ثم تكونت حكومة الائتلاف (الصين والوطنيين الأحرار) سنة ١٩٤٦م . وفي عام ١٩٤٧م تشكلت حكومة محلية ذاتية الحكم برئاسة الدكتور مسعود صبري آياكوزى . وفي عضويتها كل من محمد أمين بوغرا وعيسى يوسف ألبتكين وبرهان شهيدي . ثم داهمتها جيوش ماو سنة ١٩٤٩م . وهاهي الاستيلاء الرابع والأخير للصين على التركستان الشرقية . ونحن نحاول في كتابنا هذا الإتيان بتفاصيل ما أجمل في المقدمة وزيادة . نسأل الله التوفيق والهداية وبه نستعين .

محمد قاسم أمين تركستاني
المكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال في محكم كتابه ((وتلك الأيام نداولها بين الناس))
والصلاة والسلام على رسوله سيد الثقلين وخاتم النبيين وإمام المجاهدين ،
بلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

الباب الأول

ملوك الطوائف في التركستان

ملوك الطوائف اصطلاح تاريخي اعتاد عليه المؤرخون في ذكر
حكومات محلية صغيرة مثل ملوك الطوائف من السلالة الأموية في إسبانيا
وهم الأمويون في الأندلس من سنة ٧٥٦م ـ سنة ١٠٣١م وهم ستة عشر
ملكا أولهم عبد الرحمان الداخل وآخرهم هشام المعتز بالله . ولعل المؤرخون
ولأول مرة استعملوا الكلمة في هذه الملوك المولعين في الكراسي واللعب
المترفين التصور الولعين في البساتين اليانعة والأنس مع الأدباء والباحثين
والمولعين في العلم والبيان ومن شعرائهم : ابن هانئ وابن شهيد وابن خيرون
وابن عباد وابن حميس الصقلي وابن خفاجة ومن في مرتبتهم منهم ابن

قزمانة وابن سهل ، ومن المولعين في العلوم : الإمام الشاطبي وابن طفيل وابن حزم وابن بشكوال وابن جبير وابن رشد وابن الخطيب وابن رشيق القيرواني وابن خلدون منهم حضرمي الأصل وغيرهم كثيرون جدا . وقد عقب الأمويين في الأندلس المرابطون ثم الموحدون حتى سنة ١٢١٢م ثم تعاقب بقاياهم من حكام العرب في غرناطة حتى سنة ١٤٩٢م .

ونحن في صدد تعريف ملوك الطوائف ، وليس بشرط أن تكون مجموعة من الحكومات بجانب بعضها بعضا وقد تكون هناك حكومة محلية صغيرة لا تملك من مقومات الدولة إلا شيئا يسيرا في بقعة صغيرة من الأرض وليس بجانبها حكومة مثلها .

بدأ عهد ملوك الطوائف في التركستان الشرقية بعيد وفاة السلطان عبد الله خان السعيدى في ولاية كشمير ١٠٨٠هـ الموافق سنة ١٦٦٩م . كما بدأ عهدهم في تركستان الغربية بعد وفاة أبي الفتح محمد شيباني خان سنة ١٥٦٠م. وأول من أحدث هذه الثغرة هداية الله إيشان الصوفي الانتهازي الذي عرف فيما بعد بآفاق خوجة وذلك في عهد إسماعيل خان السعيدى . ولم يكن هداية الله إيشان إلا ابن متطفل وجد في ولاية قومول [1] اسمه يوسف بن محمد أمين سمرقندي، كان الأخير صوفيا في سمرقند اضطهد من نظير منافس له ومات حنقا وكمدا وخائفا على نفسه، ووصى ابنه يوسف أن لا يبقى في سمرقند بعد وفاته وكان يلقب محمد أمين سمرقندى بإيشان كلان باد شاه . هاجر يوسف بعد وفاة أبيه إلى تركستان الشرقية واستقر به

---

[1] راجع هداية الله إيشان في كتاب (الأعلام) للمؤلف .

المقام في كهف في ولاية قومول الشرق المتاخمة للصين كشفه الرعاة وذاع صيته واستقدموه إلى مدينة قومول . وكان من جملة مريديه السيد مير جليل الكاشغري وكان الأخير ممن درس في الهند ثم رجع إلى بلده كاشغر في قصبة (بشكرم) ثم اشتغل بالتجارة، ثم هاجر إلى مدينة قومول، وكان له ابنة تسمى زليخا فيتزوج يوسف إيشان من ابنة التاجر الثري السيد مير جليل الكاشغري زليخا وتلد له هداية الله في ولاية قومول ثم تترك الأسرة مهجرها وترجع إلى مدينة كاشغر ويشتهر فيها يوسف إيشان ثم ابنه هداية الله ويكون أتباعا كثيرين ويتعرف لأمراء الدولة السعيدية وهم مغرمون بالتصرف . ولكن والده نصحه بأن يبتعد عن الأضواء الصاخبة في الوقت الحاضر (آنذاك) ويبتعد هداية الله ظاهر مدينة كاشغر في ضيعة ويكون ثروة وعقارا حتى سنة ١٦٣٨م. بينما يقوى يوسف إيشان نفوذه في مدينة ياركند عاصمة الدولة السعيدية. وفي سنة ١٦٧١م تصيبه نكبة من مثل نكبة البرامكة في العراق ويسمم على يد من ظلمهم ويرحل مسموما عن مدينة ياركند ولم يصل لمدينة كاشغر ويموت في مدينة ينكحصار بالقرب منها ويأتي ابنه هداية الله بجثة أبيه ويدفنه في ضيعة اغتصبها من الثري يار محمد باي بابا ويبني له ولنفسه ضريحا فخما. وإن هداية الله هذا يصاهر واحدا من أمراء البيت المالك . وقبل تقريبه من السلطان إسحاق خان والي مدينة كاشغر وفي إحدى المناوشات السلطوية هرب هداية الله مع الأمير محمود خان ثم عاد وطرد مرة ثانية من مدينة كاشغر فتشكل رأس حربة ضد السلطة السعيدية ، ونادم في زمن أبيه محمد يوسف إيشان رجلا اسمه باباخان وكان يهوديا متنكرا بالإسلام والعقيدة. وكان باباخان من قواد

السلطان إسماعيل خان فيما بعد . فهداية الله يقوم بانقلاب ضد السلطان إسماعيل خان في مدينة كاشغر وأخفق فيه وكاد أن ينجح ثم حال ما بين الصين وبلاد قالموق في شمال تركستان الشرقية ثم كشمير فتبت حتى حصل على تأييد من الصين ومن دالاي لاما في التبت ويشيرون إلى (كولدانك) زعيم قالموق البوذيين في الشمال . ففي سنة ١٦٧٦ م داهم قالموق في نصرة هداية الله إيشان مدينة كاشغر ثم ياركند في عهد إسماعيل خان السعيدى كما أسلفنا . وقيل إنهم حاصروا مدينة كاشغر وفتحوها لأنفسهم وأسروا إسماعيل خان السلطان السعيدى ، وأعلن هداية الله نفسه ملكا على البلاد وعاصمتها ياركند .وبعد ثلاثة أشهر تغلب عليه السلطان محمد أمين خان واستعاد ملك آبائه من هداية الله إيشان ، ولكن الأخير أخذ أسيره إسماعيل خان وانسحب إلى بلاد القالموق . ويقول العلامة محمد أمين بوغرا : إن هداية الله قام بانقلابه الأول واستيلائه على العاصمة ياركند بمساعدة أتباعه ومريديه وبعد طرده من قبل السلطان محمد أمين خان لجأ إلى كولدانك قونتاجى زعيم قالموق البوذيين . والأخير كان بالمرصاد للهيمنة على الدولة السعيدية فاستنجاد هداية الله صار سببا لمداهمة الدولة السعيدية.[1] وكانت كلمة (آباق) رتبة عالية في أقوام قالموق منحها (كولدانك) لهداية الله إيشان فلقب بآباق خوجة . ففي عام ١٠٩٠هـ الموافق عام ١٦٧٩م أتى كولدانك بصحبة هداية الله إيشان في ٤٠ ألف جندي إلى (آلته شهر) المدن الستة الجنوب من إقليم تركستان الشرقية وفيها ستة مدن رئيسية وهى

---

[1]ـ انظر :كتاب (شرقى تركستان تاريخى) للأستاذ محمد أمين بوغرا ص ٣٣٥ .

: كاشغر ، ويار كند ، وختن ، وأقسو ، وكوجار ، وطرفان . أطلق كلمة (آلته شهر) المدن الستة الشيبانيون على هذه البلاد وتعرف بهذا الآن إلى وقت الحاضر . ودافع محمد أمين خان عن المدن الستة في مدينة أقسو ، ولكن أقواما من مريدي آفاق خوجة أوجدوا قلاقل في البلاد فانسحب محمد أمين خان إلى مدينة ياركند ودخل قالموق ولاية أقسو دون مقاومة تذكر ، ثم داهموا مدينة كاشغر وسقطت بدون مقاومة ، وقتلوا من فيها من الأعيان ثم قدموا إلى عاصمة ياركند ودافع عنها محمد أمين خان دفاع الأبطال وحاصروها من كل جانب وكاد أن ييئس آفاق من فتح ياركند ، ولكن مريدي آفاق الجهل فتحوا باب السور بعد انتفاضات قاموا بها حبا في شخصية شيخهم آفاق خوجة وعاثوا سلبا ونهبا ، واستشهد السلطان محمد أمين خان في المعركة الفاصلة وسقطت الدولة السعيدية التي دامت مائة وسبعين عاما [1]. وبعد سقوط الدولة السعيدية واستشهاد محمد أمين خان صعب على (كولدانغ قونتاجى) إدارة البلاد التي لا تدين إلا بالإسلام برجاله البوذيين. فنصب آفاق خوجة سلطانا على البلاد ولكن (كولدانغ) أنشأ أدوارا خاصة لكوادر البوذيين المشرفين على إدارة الأعمال بجانب حكام البوذيين في كل مدينة وبلدة وقرية وزود كل وحدة من تلك الوحدات بجنود من البوذيين أيضا . وبدأ تذمر الناس من هذه الهيمنة البوذية والحكم البوذي والإدارة البوذية وشعروا أنهم واقعون تحت وطأة البوذيين وما آفاق وزمرته إلا هياكل وعلامات وعناوين لبلد إسلامي كبير مثل

---

[1] ــ انظر : المصدر السابق ص ٣٣٦ .

التركستان الشرقية في قسمها الجنوبي ، وقد هب كولدانغ إلى بلده في الشمال وبقيت الحال حتى وفات آفاق خوجة سنة ١١٠٢ هـ الموافق سنة ١٦٩٠ م[١] .

وكلمة (قالموق) اسم لقبيلة أويرات الترك وهم يقطنون في منحدرات جبال آلتاي في الشمال الشرقي من التركستان ويكتب الصينيون هكذا أيلوت ويكتب الأوربيون KALMUC وقالموق وقالماق وقالدور بمعنى : ترك ومتروك واترك أي بمعنى الترك . يقول العلامة محمد أمين بوغرا صاحب كتاب شرقي تركستان تأريخي : ولا أدرى لماذا سمى التركستانيون هذه الأقوام بقالموق . ويقول الأستاذ حاجى نور حاجى في كتابه الموجز في تاريخ القاراخانيين : إن يوسف قادر خان في القرن الحادي عشر من الميلاد حينما غزا أقوام البوذيين الترك في جبال خان تنغرى وما قبله وما بعده في الشمال وانتصر عليهم وأجبرهم للخضوع على سلطته ، اشترطوا أن يتركهم في ديانتهم البوذية وبالرغم أن خاقان الترك يوسف قادر خان من الدعاة الإسلاميين والفاتحين المسلمين قبل شرطهم هذا ويقول سبحانه وتعالى ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) فسمى بقالموق أي المتروك .

وبعد سنة ٨٠٠ هـ نشطت قبائل قالموق وكونوا هيئات سياسية (الحكومة) وكان لهم شأن أي شأن منذ عهد جنكيز خان وبعد عهد قوبلاى خان . وفي عام ١٤٤٩ م الموافق عام ٨٥٣ هـ استولوا على الصين ووصلوا إلى بكين العاصمة وأسروا ملك الصين آنذاك . ثم انسحبوا من

---

[١] ـ انظر : المصدر السابق ص ٣٤٢ .

الصين بعد أن فرضوا عليها إتاوات باهظة أطلقوا سراح ملك الصين سنة ٨٦٠هـ الموافق سنة ١٤٥٤م . كون قالموق إمبراطورية عظيمة في منغوليا وعلى مساحة تمتد بأكثر من أربعة ملايين كيلومترا مربعا تحت سيادة ملكهم (أيسن خان) . ولكن هذه الإمبراطورية لم تدم طويلا حيث تغلب عليهم المغول وطردهم إلى الجنوب والغرب من جبال آلتاي ، حتى إنهم وصلوا إلى طرفان في الجنوب من جبال (خان تنغرى) ، وكانوا يغيرون على مختلف مناطق الجنوب .

وفي سنة ٨٨٨ هـ الموافق سنة ١٤٨٣م أخضعهم آلاجه خان لسلطانه وفرض عليهم إتاوات . ولم يزل أكثرهم في الشمال من تركستان الشرقية حتى الآن.[1] ولم تسكن ثوراتهم وانتفاضاتهم المتلاحقة. وكان كولدانك في قومه قلموق من سلالة ملوكهم ارتقى في هذه المناسبة ـ أي مناسبة مد سلطته إلى القسم الجنوبي من تركستان الشرقية ـ ارتقى إلى مرتبة ما يشبه (لاما) أي المرشد الديني لقالموق . ثم أعلن نفسه ملكا على تلك الأقاليم الشاسعة . وبعد تقلص وجودهم بعد سنة ٨٨٨هـ الموافق سنة ١٤٨٣م انتهت نفوذهم كليا من جنوب تركستان سنة ٩٠٠هـ الموافق ١٤٩٤م .

(كالدانك) صفة ملوكهم مثل فرعون وكسرى وقيصر ولاما . ونحن نرى كلمة (رابدان) صفة لهم أيضا في كتب التاريخ . وكم من مرة هاجموا وداهموا الصين والتبت . وكانت لهم السيادة البوذية . وهم الذين منحوا لقب (دالاي لاما) للزعيم الروحي لأهل التبت . ولهذا السبب أيضا

---

[1] ـ انظر: المصدر السابق . ص ٣٤٣ -٣٤٤ .

كانت التبت تميل إلى قالموق المتمركزين في هضبة منغوليا ومنطقة كانسو ومرتفعات جبال آلتاي حتى الشمال والجنوب من خان تنغرى تيانشان وبالتالي إلى الصين حتى الآن . (إلى النصف الثاني من القرن العشرين). وبعد سنة ١٩٤٩م تغير الوضع في الصين عموما من حيث الدين والعقيدة السماوية التي لم ولن تتوافق مع أيدلوجيات الصين الحديثة .

ومنذ سنة ١٨٤٢م عانى البوذيون في الهند ومناطق الهند الصينية من بريطانيا وبلجيكا وفرنسا . فقبلت التبت هيمنة الصين عليها منذ القرن التاسع عشر الميلادي لاعتناق البوذية في الصين عموما. وقام دالاي لاما بثورته المشهورة سنة ١٩٥٨م ضد الصين وانسحب من بلاده سنة ١٩٥٩م إلى الهند لعدم تلاؤم البوذية في عهد ماو . وقد تغيرت أيدلوجية المغول في منغوليا الخارجية أيضا بالنسبة لكل الديانات السائدة في الصين ، ومنها الديانة البوذية التي كانت قبلة البوذيين في زمن ما .

وفي سنة ١١٢٠هـ الموافق ١٧٠٨م كان (رابدان قونتلحى) في أوج قوته السلطوية حيث استعاد الإقليم التي سيطرت عليها الصين وأهلها البوذيون في الشرق وفي مقدمتها هضبة التبت سنة ١١٣٠هـ الموافق ١٧١٧م. وكان زعماء البوذيين يلبسون ألبسة حمراء داكنة. ويقال لزعيمهم تاش لاما أسره رابدان وبسط نفوذه على هضبة التبت. وأقام زعيما آخر ومنحه لقب دالاي لاما. وألبسهم ألبسة صفراء كما هي الحال الآن. ثم زاحمت الصين بقوة تفوق قوته واحتلت هضبة التبت. ولكن رابدان استطاع أن يحافظ على تراب إقليمه الواسعة في الشرق. وتوفي رابدان سنة ١١٤٤هـ الموافق سنة ١٧٣١م. وخلفه ابنه وأعلن الأخير حربا على

الصين في عهد يونجينغ وتغلب عليها. ثم اتفق معها بإتاوات باهظة تدفعها الصين لابن رابدان... وبعد وفاة ابن رابدان وقعت تناوشات بين أمرائه منهم (دانسى بك) و (أمورسنا بك). وتغلب دانسى على أمورسنا. وأما الأخير فهرب إلى الصين، ثم استنجد ملك الصين آنذاك (كى آن لون) وزوده بجيش كبير. وقدم أمورسنا إلى جونغاريا الشمال من منطقة تركستان الآن. وتغلب على خصمه دانسى وأعلن نفسه ملكا على قالموق. ولكن الجنود الصينيين رفضوا الخروج من شمال تركستان. بل عملوا للاستيلاء على البلاد.[1] ولكن أمورسنا بك لم يرض بالوضع وكافح وجاهد بكل ما أوتي من قوة. وتغلب على الجنود الصينيين وأبادهم تماما. إلا أن قائدهم (جاو خوئى) استطاع أن يهرب ببعض رجاله إلى داخل الصين. فغضب (كى آن لون) لهذه الهزيمة النكراء وأرسله ثانيا بجيش كبير وزوده بأمر منه أنه في حالة انتصاره على أمورسنا أن لا يبقى حيا ولا جدارا قائما في البلاد. وفعلا انتصر (جاو خوئى) ونفذ أمر سيده بحذافيرها، فأصبحت كل من وادي إيلي وأيمول وآلتاي وبلاد المغول القريب منها قاعا صفصافا، وهرب أمورسينا إلى سيبريا وأسر بقية الباقية من قتل العام وأرسلهم إلى الصين .

وانتهت دولة قالموق سنة ١١٧٢هـ الموافق سنة ١٧٥٧م والبقية الباقية من شعب قالموق لا تزال أسيرة للصين ومنذ عهد كولدانك قونتاجى سنة ١١٠٠ ــ ١١٠٩هـ استوطنت قبائل قالموق في المناطق الجبلية من إقليم تركستان الشرقية وكانت حياتهم حياتا بدائية كأقوام رحل . وبجانب جبلل

---

[1] ــ انظر : نفس المصدر السابق. ص ٣٤٥ .

آلتاي وسهل أيمول استوطنوا في قارا شهر وباش بالق وتورفان وقومول وباركول ووادي إيلي . ولديهم منازل وضياع اغتصبوها من أصحابها القدامى ، بالإضافة لمساحات شاسعة من المراعى الخصب في الشمال وحتى الآن .

وأما عدد القالموق (المغول) كان قبل سنة ١٩٤٩ م أكثر من سبعين ألف نسمة . والآن في عام ١٩٨٩ يزيد عن مائتي ألف نسمة إلا أن اليوبيل الفضى لسنة ١٩٨٥ م يورد العدد ١١٧٤٦٠ كتعداد للمغول (القالموق) القاطنين في تركستان الشرقية (سينكيانغ) بما يساوى أو يوازي واحد في الألف ، واثنين من عشرين ألف من مجموع السكان البالغ عددهم حسب رواية اليوبيل ١٣٠٨١٦٣٣ في سبع عشرة قومية تعيش في تركستان الآن.[1] وقد فندنا ذلك في مقدمة كتابنا (الأعلام). ونقول إن عدد السكان لتركستان الشرقية الآن يزيد عن خمسة وعشرين مليون نسمة بالإضافة إلى ما بين ثلاثين وخمس وثلاثين مليون من الصينيين الذين هاجروا من داخل الصين إلى تركستان منذ سنة ١٩٤٩م. عدد السكان إجمالا ما يقارب من ستين مليونا من الأنفس، وإذا نظرنا إلى عدد قالموق المغول بنسبة للسكان الأصليين فإن نسبتهم تكون واحد من ألف على أقل تقدير، فيكون عدد القالموق (المغول) ما يقارب مائتين وخمسين ألف نسمة .

---

[1] ــ راجع اليوبيل الفضى المسمى ب (الحالة العامة في سينكيانغ ذاتية الحكم) قلنا يوبيل ولعله كذلك . ولكنه حسب تعريف مصدره (هيئة التخطيط العليا للحالة الإجتماعية لعموم سكان الصين شعبية) وكتاب هذا يتكلم عن تركستان (سينكيانغ) وهو أحد الكتب الخمسة التي صدرت في هذا الشأن في الصين كلها . راجع ص ٦٦١ .

ونحن في صدد ملوك الطوائف في تركستان الشرقية سنة ١٠٨٠هـ الموافق ١٦٦٩م لا ننفي وجود مثل هذه الظاهرة قبل هذا التاريخ أيضا.

وبعد وفاة آفاق خوجة سنة ١١٠٢هـ استمرت الأحوال في التركستان الشرقية كما كانت حتى في عهد أبنائه وبقيت حكام قالموق وكوادرهم وجنودهم في مراكزهم، غير أن خلفاء آفاق خوجة وبحكم مراكزهم الثانوية بنسبة لقالموق انغمسوا في غيهم وخرافاتهم وكراماتهم المزعومة الكاذبة والأوهام التي أفسدت عقولهم الأمر الذي أعطى فرصة كبيرة لحكام قالموق وكوادرهم للظلم والاستبداد والتعصب، وتبرم الناس من تدني حالتهم الاجتماعية والضيم الذي يلحقهم من القالموق. وكلما قام انتفاضة أو ثورة محلية أخمدت من قبل أبناء آفاق خوجة ومن قبل الحكام والإداريين القلموق وأبيد جمعهم وجرت القتل العام من جراء ذلك في البلاد .

وقد التجأ أرسلان خان بن إسماعيل خان إلى إمبراطورية الهند في عهد زيبب علم كير شاه واستنجده وكاد أن يجيب طلبه إلا أن وزراءه منعوه من ذلك بدعوا انعدام الطرق الممهدة بين الهند والتركستان الشرقية .

وبعد وفاة كولدانك سنة ١١٠٩هـ الموافق سنة ١٦٩٧م ضعفت هيمنة قالموق على التركستان الشرقية الجنوب منه واستقل بعض الحكام من أبناء آفاق خوجة وتعددت حكومات محلية، ولكنها غير قادرة على حماية نفسها بدون طرف آخر يحميها ويسندها . فانقسمت منطقة جنوب تركستان إلى قسمين: القسم الشمالي فيها ولاية أقسو، وكوجار وطرفان. والقسم الجنوبي: كاشغر وياركند وختن. وكان القسم الشمالي تحت حماية قالموق وعرف بآق تاغلق، والقسم الجنوبي يسانده أهالي (وادي كنجوت)

الفرع الجنوبي من منحدرات جبال بامير يحدها جنوبا لاهور وشرق ولاية كشمير وهي في باكستان الآن. وشمالا ولايتي ختن وياركند وعرف بقارا تاغلق. فأصبح ضدان لا يجتمعان رغم أنهما من وطنية واحدة. واتخذ كل طرف منها ضد الطرف الآخر فتاوى وافتراءات تقول بإهدار دم الطرف الآخر على أنه في رأيي عمل يثاب عليه، وقد يتغلب فريق منهم على الآخر فيبقى الأخير في ظلم ونكد العيش إن لم يكن في السلب والنهب والقتل. وفي بعض الأوقات تجد في كل مدينة حكومة بذاتها ويتبع حاكمها من أمراء آفاق خوجة إما لدولة قالموق ويستند إليها وإما لأقوام طاجيك الذين يقطنون في وادي كنجوت كما وضحنا. وكان القتال وسفك دماء الأبرياء سمة مميزة أو قاسما مشتركا بينهم حتى إن رواية تقول : إنه في ذلك الوقت اجتمع أميران في ولاية ختن وكان كل واحد منهما حاكما لمدينة ، وإنما مشاربهما يختلفان حيث كان أحدهما ينتمي لآق تاغلق والثاني لقارا تاغلق. فوقعت بينهما عدة مصادمات دموية وكلما انتصر واحد منهما على الآخر أجرى قتلا عاما في البلد المغلوب وتكررت هذه المجزرة الدموية .

وفي سنة ١١١٤هـ الموافق سنة ١٧٠٢م تغلب قارا تاغلقيون على غريمهم وأسرفوا في القتل وهرب قسم منهم إلى بلاد قالموق رابدان قونتلجي برئاسة دانيال خوجة وكان القارا تاغلقيون يستندون في حكمهم على أسيادهم طاجيك في وادي كنجوت وسكان جبال بامير نزح منهم (أي من أهل كنجوت) أفواج وأقوام إلى كل من سريغ قول وبوسكام ويلوكند وقارغلق حتى سانجو في الشرق التابعة لمنطقة ختن. وأكثر هؤلاء النازحين من وادي كنجوت أشغلوا الأراضي الخصبة والمراعي المعشوشبة ومساقط

المياه في المناطق الجبلية التي جاءوا إليها و لم يتورعوا من اغتصاب أراضي وسهول ومراعي المواطنين الأصليين في البلاد ثم بنوا أبراجا وقلاعا وخنادق هائلة حول منازلهم التي سكنوا فيها وكانوا يقومون بالغارات على السكان الأصليين من هذه القلاع. و لم تزل هذه القلاع موجودة حتى الآن أضف إلى ذلك أنهم كانوا يغيرون على أسواق المواطنين وينهبونهم في بيوتهم ويأخذون أغنامهم وأرزاقهم المخزونة من الحبوب. وقد وقعت مثل هذه النكبات في كل من ياركند وقوما وختن .

وبعد عشرين عاما من سحق آق تاغلقيين من قبل قارا تاغلقيين وعندما قويت حكومة رابدان قونتاجي ساعد الأخير الأمير برهان خوجة بن دنيال خوجة وجهزه بجيش لا بأس به وأغار دنيال مدينة كوجار وتغلب على حكومة قارا تاغلقيين من حكام مدينة كوجار واستطاع أن يشكل حكومة صغيرة لآق تاغلقيين فيها . وذلك سنة ١١٣٥ هـ الموافق سنة ١٧٢٢م . وكانت كاشغر وياركند وختن تحت إدارة حكومة قارا تاغلقيين ووقعت حروب بين الفريقين . وفي عام ١١٦٤هـ الموافق سنة ١٧٥٠م تغلب برهان الدين خوجة على جميع أعدائه حتى التي كانت في كاشغر وختن وكان برهان الدين خوجة لم يزل تحت هيمنة قالموق رابدان قونتاجي فتدخل ابن الأخير في الأمر طبعا ومنح ولاية كوجار للمدعو خوجة سي بك الكوجاري لسابق خدماته لأسياده قالموق. ودفع لبرهان الدين خوجة ولاية ختن ولأخيه ولاية كاشغر. وكان برهان الدين خوجة قد تربى في بلاد القالموق وفي كنفهم حيث كان أبوه لاجئا لديهم ولذا أخذ يقلد الصين الصينيين حتى في حياتهم الاجتماعية والبيئية . وقد أصدر فرمانا على أهل

ختن يقضي بأن يسجدوا له ولقي من لم يرض بذلك عقوبة الإعدام، ولـه نزعات غير فطرية تتسم بالجنون ولذلك سماه أهل ختن بمجنون خوجة .

ونحن في صدد ملوك الطوائف نستطيع أن نقول إن أبرز سمة فيها هـي تقبل هيمنة الغير على نفسها أو الانحياز لدولة يسـتطيع أن تسـاعدها في الملمات . ولم يستوف لديها كل مقومات الحياة كدولة ذات سيادة .

وأما ملوك الطوائف التي نحن في ذكرها الآن فيما بين سـنة ١٦٧٩م – ١٧٥٨م فلم تكن هيئات أو حكومات محلية مائة في المائـة. ولم يكـن في مقدور الحكام الصوفيين أن يحكموا الشعب بالعدل على القسطاس المستقيم. وذلك لوجوه :

الوجه الأول: أن الحكام الصوفيين بدئا من آفاق خوجه وانتهاء بأولاده ومن في فلكهم ممن انتسبوا إليه زورا وبهتانا كان ينقصهم الكفاءة اللازمـة للحكم والحكومة. حتى أن الإسلام الذي هم يدعون تمسكهم به هو بـريء منهم. ومن أعمالهم وتصرفاتهم بحكم انسياقهم وراء الخيـالات والأوهـام منغمسين في افتعال الكرامات الكاذبة موهمين الناس بأنهم إن لم يكونوا أنبياء لا يقلون درجة عن أئمة الدين، بل هم الخلاصة والزبدة منهم. ثم إن الذيـن ينحازون إليهم من القالموق البوذيين وطاجيك من أقوام كانجوت وأكـثرهم الشيعة الإسماعيلية يكرهون السنيين ويبغضونهم بغض الإسـلام لليهوديـة ناهيك عن البوذية. أضف إلى ذلك انسياق العوام من الجهلـة السـذج إلى التصوف والصوفيين. وإن الأخير يتملقون إما لقالموق أو لأقوام كـانجوت لحاجتهم إلى حمايتهم ومساعدتهم في احتفاظهم على الحكم وكراسيهم الـتي

ما فتئت تهتز بمن عليها وتهب عليها رياح الشمال وتقصفها رياح الغرب تارة أخرى .

والوجه الثاني: كراهية أسيادهم شعوب تركستان الشرقية المسلمة المتمسكة بالكتاب والسنة ولا تنفع معهم أي أيدلوجيا مقصودة ومحبكة مهما بلغت من قوة التأثير والحرب في الوقت الذي لم تكن الأيدلوجيات قد نضجت و لم تكن مدروسة بعد. غير أن الأسياد لم يكن في حسبانهم إعمال الأيدلوجيا و لم يكن أهلا لذلك . وفي المقابل كان شعب تركستان قد تخطى عهود التخلف وطلق الجفوة والجفاف والخشونة وترك البداوة والعيش لقوة العضلات والطعن بالخناجر والسيوف حيث إنه أخذ منه التمدن والرقي والحضارة كل مأخذ ، وشعب هذه مميزاته لم يكن من السهل انقياده للطفيليين والمتطفلين الغرباء.

والوجه الثالث: لم يكن في مقدور الخواجات الصوفيين ومن في فلكهم والمنتمين إليه والمنحازين لأسيادهم أن يحكموا الشعب التركستاني إلا بالنار والحديد ويكسر شوكتهم بالسلب والنهب والغصب، وبهذه المميزات السلبية لم تشبه ملوك طوائفنا بملوك الطوائف الأخرى في العالم حسب مرئياتي أنا في أقل التقدير ، فسنوات التسع والسبعون أي ما بين عامي ١٦٧٩ ــ ١٧٥٨م يعتبر من أحلك وأذل وأهون العهود التي عاشها الشعب التركستاني المسلم .

وشعب تركستان المسلم في عهد الدولة السعيدية التي عايش لأكثر من مائة وسبعين عاما قبل سنة ١٦٧٩م قد أحرز تقدما ملموسا في كل حقل من حقول الحياة العامة والخاصة ولاسيما في التعليم والتربية والبناء والتعمير

والتجارة والزراعة وشق القنوات ومد الجسور والكباري واستصلاح الأراضي البور وتمهيد الطرق وفي مختلف الصناعات المحلية والنقل والمواصلات والتسويق وتربية الأغنام، حتى في بناء القصور والقلاع والعقوم والسدود وتقنين المقتنيات الضرورية في السلم والحرب وصناعة الأسلحة وتقنين الري والصرف وقياس المياه الطبيعية وبناء المخازن للمياه الفائض وشق طرق لم تكن معروفا من قبل وتنويع الثمار من الفواكه وتجفيفها وتسويتها في غير موسمها وحفظها طازجا إلى أواخر فصل الشتاء ، ولم تكن هذه الإنجازات عبر قنوات العلم والمعرفة وعلى درجة عالية من التحضر والتقدم ، ففي عهود ملوك الطوائف الخواجات عندنا فيما بين عامي سنة ١٩٦٧م ـ ١٧٨٥م صار العلماء المفكرون والأدباء والشعراء هدفا للخواجات الصوفية آفاق خوجة وأولاده وقالموق البوذيين وأقوام وادي كنحوت على حد سواء ، لأن العوام مجبلون على ترشيد المرشد وتعليم المتعلم وتفهيم المفكر وتسطير الأديب وسرد الشعراء وحماسهم. وقضى الثالوث المشئوم على كل من له إلمام بالعلم والأدب والشعر والفلسفة وأثناهم أو كاد . ويقول العلامة محمد أمين بوغرا في كتابه القيم (شرقي تركستان تأريخي) في هذا الباب ما يلي : إن الجهالة والفقر قد عصفت بالناس قاصيهم ودانيهم وانعدم أهل العلم انعداما كليا . بحيث بلغ الأمر في العلم وأهله أن أي واحد يعلم أو يعلم كتاب (المبين) ويفك حروفه يعد عالما جليلا. و(المبين) كتاب للمبتدئين يشبه (القاعدة البغدادية) في عصرنا هذا. ويستطرد ويقول العلامة محمد أمين بوغرا ما معناه كما أن رفاهية الشعوب وسعادتها ينسيها السنون والشهور والأيام والعكس بالعكس

فكذا شعب التركستان المسلم في عهد آفاق خوجة وأولاده أحس أنه واقع في الحظ السيئ والبخت الملازم من الأزل إلى الأبد . اهـ

لعلنا نكرر الكلام الذي سبق في المقدمة إجمالا في الوقت الذي نخاف التطويل في كتابنا هذا ولكن بقدر من التفصيل الموجز ونقول وجاء سنة ١٧٥٨م الموافق ١١٧٢هـ ولم يكن أحسن عما قبله حيث إن تركستان وشعبها عاشت منذ ١٣٤هـ الموافق ٧٥٢م في مأمن من الصين وهيمنتها المشئومة وذلك بعد معركة سهل تالاس التي وقعت بين القائد الصيني (كلو سين جي) والفاتحين العرب تحت قيادة زياد بن صالح وبإشارة وتعيين أبو مسلم الخراساني، والتي منيت فيها الجيوش الصينية بالفشل الذريع وتعرض للإبادة التامة من قبل المسلمين والفاتحين العرب ، وهرب كاو سين جي بصحبة خمسة أو ستة من أعوانه إلى الصين والذي أعدم فيما بعد بسبب إخفاقه وهزيمته المنكرة .

كان الشعب التركستاني في حيرة من أمر نفسه المغلوبة على أمرها من جراء ظلم واستبداد الخواجات الصوفيين من أمثال آفاق خوجه وأولاده ومن القالموق البوذيين وأقوام كانجوت أسياد الخواجات الشيعة الإسماعيلية لعله يجد سبيلا للخلاص أو استخلاص نفسه من تلكم الطواغيت والكفرة البوذيين. والحال هذه فلا بد من وجود طرف آخر يساعدهم في استخلاص أنفسهم من هذه المحنة . ومن سوء الحظ فإذا بزمرة تعدادها أكثر من عشرة أشخاص وقد تخلصوا بسبب أو بآخر من قبضة برهان الدين خواجه ابن

ـ انظر كتاب شرقي تركستان تاريخي ص ٣٤٢ ـ ٣٥٠ .

دانيال خواجه أحد أحفاد آفاق خواجه هداية الله إيشان فهربوا إلى الصين.
وكان هؤلاء العشرة أو أكثر بقليل من مختلف مدن تركستان الشرقية
ووصلوا إلى بكين، واستطاعوا أن يقابلوا ملك الصين آنذاك (كى آن لون)
وشكوا عن حالة شعبهم المغلوب على أمره، وما وقع عليه من ظلم واستبداد
من قالموق وأقوام كانجوت ومن برهان الدين خواجه بالذات، وإن حالتهم
الاجتماعية والسياسية في البلاد إلى حافة الهلاك النهائي الميئوس. وأبلغوا
بأنهم أتوا إلى الصين وبكين بالذات من أجل طلب مساعدة عاجلة
لاستخلاص شعب تركستان من النكبة الواقعة على يد أعدائهم الخواجات
الصوفيين وقالموق وأقوام كانجوت. فوعدهم ملك الصين (كى آن لون)
بالمساعدة وأكرم وفادتهم وعين لهم نزلا مريحا، وصرف لهم معاشات
يعيشون بها ويقيموا في بكين ثلاث أو أربع سنوات. ففي سنة ١١٧١م
كانت الصين تفتح جبهة ضد أمورسنابك القالموق. وكانت الحملة جبارة
من حيث العدد والعتاد عن ذي قبل تحت قيادة (جاو خوني) وأرفق هؤلاء
التركستانيين بجاوخوني هذا على أن يكون الأخير في مساعدتهم في
تركستان. علما بأن منازل قالموق وعلى رأسها سلطانهم أو أميرهم
أمورسنابك الإقليم الشمالي من التركستان الشرقية بدءا من مدينة باركول
وجبال آلتاي وسهل أيميل ووادي إيلي. وكانت بشبالق وهي جمسا الآن
موالية لتورفان وأقسو وكاشغر وياركند وختن (الإقليم الجنوبي من
التركستان) وهؤلاء العشرة من الإقليم الجنوبي. وكان في حوزة (جاوخوني)
أمرا من (كى آن لون) وفيه ما يلي : " في حالة انتصارنا على أمورسنا
يجب عليك أن تجري قتلا عاما في كل مدينة وقرية وقصبة، فلا تبقى حيا

ولا جدارا قائما ". وبينما جاوخوني في حربه مع أمورسنا بك وانتصاره عليه وتنفيذ ما في الأمر نصا وروحا سعى هؤلاء العشرة في كل من تورفان وكوجار وسائر المدن في الجنوب عبر مراسيلهم ونشطوا في دعوتهم للالتفاف نحو مساعدة الصينيين بقيادة جاوخوني ، وقالوا فيه وفي جيشه : " إنهم أتوا من داخل الصين لمساعدتنا في استخلاص أنفسنا بأنفسنا بمساعدتهم ضد أعدائنا وأعداء ديننا الخواجات وكانجوت وقالموق، وإن الصينيون مسالمون ، وبهم العدل والإنصاف ". وأثرت دعوتهم على عامة الناس، وقد سبق أن قلنا بأن المدعو خوجاسى بك الكوجاري الذي حصل على منصب الحاكم الإداري لمدينة كوجار نتيجة خدماته لأقوام قالموق ، فقام الأخير في هذه المرحلة بإلقاء القبض على الخواجات والقالموق الموجودين في مدينة كوجار، ثم استقبل جاوخوني في ظاهر مدينة كوجار الأمر الذي سهل لجاوخوني الاستيلاء على مدينة كوجار وبدون مقاومة وحذت حذوها مدينة تورفان .

وفي سنة ١١٧٢هـ الموافق سنة ١٧٥٨م تقدم (جاوخوني) إلى ولاية كاشغر وقام الخواجات ومريدوهم بالمقاومة في ظاهر مدينة كاشغر، لكنهم انهزموا أمام القوة العسكرية لجاوخوني الذي أعدم أكثر المقاومين. وأن كثيرا من الخواجات (أمراء وملوك الطوائف) وبرهان الدين خوجة ملكهم وأتباعه من قارا تاغلقين هربوا إلي فرغانة، وقسم منهم يمموا جنوبا وعبور سهل ومراعي سريغ قول (تاشقورغان الآن) ومنحدرات جبال بامير ووصلوا إلى وادي بدخشان (الجنوب الشرقي من أفغانستان الآن). وبعد انهزام مقاومة مدينة كاشغر داهم جاوخوني كلا من ولايتي ياركند وختن

ودخل إليهما بدون مقاومة، وبعد استيلاء جاوخوني علــى كــل أقــاليم تركستان الشمالي والجنوبي أرسل خوجاسى بك الكوجاري وخوش كحك بك الختني إلى أمير بدخشان يطلب منه تسليم الهاربين إليه ، وبالتالي حشـد أكثر قوته إلى حدود بدخشان بتهديده فخاف أمير بدخشان من الحشـــود العسكرية الصينية بقيادة جاخوني وأجاب طلبه وسـلم الهـاربين إلى يـد خوجاسى بك وخوش كحك بك. وأن الآخرين قتلهم جميعا في بدخشـان. وحملا رؤوس قتلاهم إلى جاو خوني في مدينة كاشغر .

ثم عاد جاخوني إلى مدينة إيلي وجعلها عاصمة لنفسه وسماها إيليخــو (تعني إيلي الطيبة) أو وادي إيلي ، وبني في الجنوب الغربي منها بناء صينيـا (المعسكر الرهيب) في منطقة (كوره) ولم تزل هذه القلعة أو البنتـاجون الصيني تلعب دورها بشكل أو آخر وعليها سور وبوابات منيعة، وكانت في أول تأسيسها في مساحة تمتد بأقل من كيلومتر مربع وقـد جـري عليـها توسعات عديدة، وبلغت مساحتها بأكثر من عشر كيلومترات تشمل علـى منابع للمياه العذبة. وآخر توسعة لها كانت سـنة ١٩٥٧م وقـد بنيت سراديب ومرابض للطائرات المروحية الحربية تحت الأرض وملاجئ في عمق ثمانية أمتار مزود بالمرافق الضرورية اللازمة، وفيها سجن رهيب ومســاكن عسكرية عامة ونزلا للعائلات الصينية ، ويطلــق عليـها التركسـتانيون ويسمونها قديما بمدينة جنفن . وكان بجانبها طريق قديم للقوافل التجارية عبر عقبات جليدية أغلقته حكومة (ماو) في وجه جمهور الشعب منـذ سـنة ١٩٥٥م باعتبارها منطقة عسكرية. ويقع هذا المعسكر وسط سهول منبسطة

خضراء معشوشبة، ودام هذا الاحتلال الصيني قرابة ٥٦ عاما من سنة ١٧٥٨م ــ ١٨١٤م تأتي تفصيل ذلك فيما بعد .

المظالم الصينية في هذه الفترة من سنة ١٧٥٨ م ــ ١٨١٤ م

نستطيع أن نقول : إن مثل الشعب التركستاني كمثل الهارب من السجن ليتلقفه قاتله أو كأنهم هربوا من البلاء أو الابتلاء إلى الفتك والبطش والوباء. وذلك أن جاوخوني حصل من ملك الصين آنذاك على الحاكمية المطلقة للتركستان الشرقية. وكان الصينيون يطلقون على تركستان كلمة الأقاليم الغربية. ولقب بجانج كونج المتصرف العام. وجاوخوني بدوره قسم إقليم تركستان على ست وثلاثين منطقة وعين في كل منطقة حاكما إداريا باسم آمبال أي الحاكم. وبهذه الصورة والشكل ارتبطت كل مناطق تركستان الشرقية في كل شؤونها وأقل حرياتها للإدارة الصينية. وجعل في كل منطقة قدرا كافيا من الجنود الصينيين. وكانت تركستان الشرقية في ذلك الوقت أكثر مساحة منه في الوقت الحاضر. حيث كانت كل من منطقو إسسيق كول وبحيرة بالقاش ومنطقة يته سو تابعة لتركستان الشرقية. نأتي في تفصيل الموضوع واختزالها فيما بعد إنشاء الله .

ثم عمد الاحتلال الصيني في بناء مرافق إدارية وعسكرية تحضيرا في بناء قلاع للإدارة الصينية ومراكز للحمارك ومعابد للديانة البوذية فقط. وأزاح الصينيون الأبنية التاريخية من جوامع ومساجد ومدارس دينية، وحمامات

شعبية تقليدية من حيث مواد البناء ، فهدموها وأخذوا موادهـــا الصالحـة والطالحة للأبنية التي تقام في عهدهم .

وكثير من مساجد المسلمين تحولت أو تبدلـت إلى معـابد للبوذيـين الصينيين ، ثم اغتصبوا دور المواطنين من حيث الوسع والفخامــة لجعلـها معسكرات للجيش الصيني ونزلا للنازحين الصينيين. وبنوا بجانب كل مدينة في تركستان مدينة جديدة تكون غالبية سكانها من الصينيـين أو محظـورة للوطنيين أصلا .

ثم عمد جاوخونى إلى الأعيان والأثرياء من الموطنين بـالتلفيق عليـهم مختلف التهم الباطلة. وأعدم جلهم وغيب بعضهم في السجون. وكان ذلـك بالنسبة لجاوخونى نغمة مسلية أو غريزة جبل عليها . ولذا هرب كثير منـهم إلى الهند وفرغانة ووادي بدخشان في أفغانستان ووادي كشمير .

وكانت إتاواته باهظة لا تحتمل. حتى أنه فرض على كل إنسان صغـيرا أو كبيرا ذكرا أو أنثى رسوما يجنيها في رأس كل سنة ، وسماهـا الأهـالي بضريبة الرأس .

ومن حيث الأراضى الزراعية زرعت أو أهملت يتقاضى عنها جاوخونى رسوما مختلفة من نقود وغلة وعشب وحطب. ومن الحيوانات الأليفة أيـا كانت نوعها يأخذ رسوما على كل رأس في السنة، وبالتالي فرض رسومات باهظة للمراعى العامة.

أما المقتنيات التي لدى المواطنين منقولة أو غير منقولـة يـأخذ عليـها رسوما لدى تنقلها من شخص لآخر. وكذا العروض التجارية تبـدأ مـن خمسين في المائة إلى ثلاثين في المائة.

ثم عمد جاوخون للتجارة والتجار، فمنع الأهالي من التجارة وخصها للصينيين فقط. ثم عمد جاوخون إلى السفر والمسافرين، ففرض على كل مسافر تزيد مدة ومسافة سفره إلى أكثر من يوم واحد رسوما. ويحصل المواطن بموجبها على إذن السفر من وإلى جهة سفره. وكانت هذه المظالم في بداية عهد الصينيين في ذلك الوقت، أو أنها تعتبر بداية لمظالم أبشع منها وأكثر تأثيرا على الحياة العامة فيما بعد عهد الإجرام والعبودية الجائرة .

عندما أكمل الصينيون استيلاءهم وضبطهم على مجريات الأمور وتركيز حوائجهم وتثبيت رسوماتهم على الأهالي استدعى ملك الصين كي أن لون م هؤلاء النفر العشرة أو يزيد قليلا الذين أتوا إلى بكين وقابلوه وطلبوا منه ساعدته لهم في تخليص أنفسهم وشعبهم من أعدائهم الخواجات والقالموق وأقوام كانجوت، واستقبلهم بنفسه ورحب بهم أحسن ترحيب وأكرم وفادتهم وقال: إني أكافئكم حسب خدماتكم لنا، حسب مكانتكم بين أهلكم وشعبكم، فمنح لهم أربعة ألقاب متفاوتة أولها: (إر وانغ). وثانيها: (جنك وانغ). وثالثها: (وانغ) . ورابعها: (جونغ). وزودهم بأختام تومئ إلى مناصبهم. وكانت هذه الألقاب في عهد سلالة مانجو أعلى المراتب السلطوية تمنح عادة للأمراء من سلالة الأسرة المالكة، تقابلها في أوربا قديما ألقاب الدوك ودوكة أو دوق أو دوقة أمثال كرن دوك وآرس دوك .

وإن الامتيازات التي تتبع تلك الألقاب إن أصحابها ترتبط رأسا إلى إمبراطور الصين وبدون واسطة. ولا يخضعون لحاكم أو وال على الإطلاق، وليس لغير الإمبراطور سلطان عليهم أبدا. على أن يبقى اللقب إرثا لذرياتهم جيلا بعد جيل، وعلى أن يحصلوا هم وزوجاتهم وأولادهم على معاشات

بجزية من خزانة الدولة، وعلى أن يملك الأبناء حتى تعيين ولي عهد له من بين أبنائه، وعلى أن تكون لكل واحد منهم بلدة بأكملها أو عدة محافظات أو قصبات ملكا خاصا لهم دون غيرهم، وعلى أن يكون سكانها عبيدا أو إماء لهم. أو أجراء بدون التزام، وعلى أن يجري السكان إجراءات العبيد الصرف في الدعاوى والشكايات إذا وجدت، وعلى أن يتشرفوا بالسلام على إمبراطور الصين في بكين في كل ثلاث سنوات. وطبعا لا تكون الزيارة هذه إلا بهدايا تليق بمقام الإمبراطور. ويقال لهذه الألقاب (جلدو) .

ثم أصدر الإمبراطور (كي آن لون) أمره ببناء متحف أو معبد في قصبة أوشتاق تال على الحدود الصينية التركستانية شرقا. وجعل فيه تمثال هؤلاء أصحاب الألقاب، وفرض على كل مسافر أو عابر سبيل أن يدخل المعبد ويسلم على التماثيل، و لم تكن تلك الامتيازات قاصرة للمنافع الشخصية لأصحابها بل كانت تعاضدها المنافع المزدوجة أو المتبادلة. وعلى غرار (امسك لي أقطع لك) أو (ادفع وخذ). وذلك أن إمبراطور الصين كي آن لون أراد بمنح هذه الألقاب لهؤلاء النفر المقاصد التالية: أولا أنها مكافأة لهم مقابل خدماتهم السابقة. ثانيا: أن يصنف الناس والأهالي عامة للطبقة الأرستقراطية وطبقة العبيد. ثالثا: وهو الأهم أن يرسخ قدم الصين وحكوماتها في رقاب التركستانيين المسلمين الترك .

ومن هذه اللعبة القذرة كثر المتملقون لحكومة الصين المركزية بأساليب مختلفة. وكل يعمل على شاكلته. وبالتالي كثرت الألقاب التي تمنح لهم، فلم تعد الألقاب قاصرة على مرتبة (جلدو) فوجدت هناك (أولوغلار)، و(أوشاخلار) و (قارابجوقلار). أي النبلاء، ودونهم، وما دونهم، فعكرت

مياه الأحواض وسهل الاصطياد. ومنحت الصين الألقاب الثلاثة آنفة الذكر لأشخاص تملقوا للصين وحكومتها في كل مدينة أو بلدة أو قرية حتى فشت هذه الألقاب بين ملاك المواشي وأصحاب الأراضي والغابات وبين سكان الجبال الوعرة والرعاة. وكل من حصل على واحدة من تلك الألقاب تخلص من العوائد والرسوم والإتاوات. وتضخمت بالتالي إتاوات الفقراء والمساكين المستضعفين في الأرض حيث إن الحكام الصينيين والجباة معفوون من الخصم عليهم عما يستحصلونه سنويا من العائدات. وبالتالي لا يمكنهم أن يحصلوها من أصحاب الألقاب . وهم أي حاصلون على الألقاب مستحوذون جل الخيرات ويهيمنون عليها بحكم ألقابهم. بينما أصحاب الألقاب العالية الأربعة الأولى معفوون من الضرائب والإتاوات بل هم كانوا يأخذون من الدولة. وكان الصنف الثاني الثلاث أولوغلار، ودونهم، وما دونهم، كانوا خاضعين لإتاوات أقل بكثير من عامة الشعب المستضعفين في الأرض. وإذا أراد واحد من أولى الألقاب بيع ممتلكاته كان يبيعه على الذي يسكن من ضمن الذين يسكنون في هذه الضيع والممتلكات كعبيد وإماء. وكانوا يتصرفون في مصير مواطنهم كيفما يشاءون كقطيع الغنم. وما عدا أصحاب الألقاب من كافة شعوب تركستان المسلمة لم يكن لهم أي حق قانوني أو عرفي في حياتهم كبشر. وكان متسلسل الألقاب فيمن حظوا بها يجعل الأعلى يحكم الأدنى منه بشيء معقول وقدر معلوم دون العكس إلى آخر فرد في الأمة، وأنهم مجبورون على أن يحافظوا على حياتهم بقوت لا يموت تحت رحمة وشفقة أسيادهم المفروض عليهم ما أنزل الله من سلطان. وقلوبهم تذرف دما

ويشكون إلى خالقهم وبارئهم رب العزة والجلال. وكـــانوا يقولــون أي الأسياد: نحن نرزقكم وإياهم. حاشا لله من ذلك .

ونعود إلى أصحاب الألقاب والصين التي منحت لهم هذه الامتيـــازات. ونقول: لم تكن ذلك إلا بوادر تكتيكات لتثبيت قدم الصين في تركســـتان الشرقية وذلك في منتصف القرن الثامن عشر .

ثم عمدت الصين لتهجير أعداد هائلة من أقوام جنفـــــن القـالموق إلى تركستان الشرقية (الأقاليم الغربية) وجنفن كلمة صينية تقابلـــها قـــالموق عندنا في تركستان. وأصلهم من الأيغور الترك (أيغور الشـــرق) وعندمـــا تفككت دولتهم التي أسسوها في منغوليا الخارجية الغرب منها في حـــوالي القرن الثالث الميلادي. نزحوا إلى الجنوب عبر حائط الصين العظيم. ولايـــة (كانسو) الوادي الفسيح وعلى المناطق الشمالية من الحائط. وبمرور الوقت تركوا أقوامهم الأويغورية وتخلفوا عند حضارتهم السابقة من جراء شـــظف العيش وخشونة الحياة. ومن ثمة اعتبروا أنفسهم قوما من أقوام الصين. وهـــم بوذيون حتى الآن كأمثالهم المغول والصينيين. ولكنهم مقـــاتلون بـــالفطرة. ولذلك سماهم الصينيون باسم جي‌آنغ فان (أي الأويغـــور الوحـــش) ثم اقتصرت الكلمة إلى (جنفن). يقول الأستاذ العلامة محمد أمين بوغـــرا في كتابه القيم شرقي تركستان تأريخي: " إن الصين أتت بمائة ألف عائلة منـــهم إلى التركستان، وأسكنتهم في المناطق التي أبيد أهلها على يـــد جـــاوخوي. وهي وادي إيلي وباش بالق الشمال من تركستان الشرقية الآن. وكانت لهم امتيازات لا متناهية من حيث موارد الأرزاق ومصادر المياه. وكـــانوا زودوا بحصانة عالية من قبل حكومة الصين المركزية . وأي عمل إجرامي يصـــدر

منهم ضد المواطنين الأصليين لم تكن هناك أي مساءلة عنه إطلاقا . وبينما كانوا قاطنين الصين في مناطق قاحلة جرداء منذ مئات السنين تريشوا في تركستان المعطاة الخيرة. ثم تعاقبت أفواج وأفواج منهم ومن الصينيين إلى التركستان الشرقية واستوطنوها، فقويت شوكة الصين في تركستان وعلا شأنها. ولما لم تكن لهذه الأقوام المهاجرة أية طموحات مستقبلية نحو حياة أفضل ، عمد جاوخونى إلى تهجير مائة ألف عائلة من ولاية طرفان وما حولها ليكونوا قوة للمهاجرين الصينيين وجنفن لاستغلال البلاد في الري والزراعة وتربية الأغنام والمواشي وجني خيرات الأرض. وفرقتهم إلى وحدات، وفي كل وحدة مائة عائلة. وسمتهم أو سموا باسم (ترانجى) أي دهقان المزارع. وكلمة ترانجى لغة قديمة اتخذت اسما للمزارعين حسب رواية ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغرى. وكانوا يعرفون بآبائهم حتى الآن بإضافة كلمة (يوز) التي تعنى مائة إلى أسمائهم حيث نقول: جليل يوز، ترفان يوز، عبدالرحمن يوز. وقد وفقت الصين فيما رمت إليه من مقاصد وأحلام. إلا أنها أخفقت في أمور شتى منها: أن الصين قديما منذ أكثر من مائتي سنة وفي هذا الدور بالذات عمدت إلى تصيين أهل تركستان وإرغامهم على السير على النمط الصيني من حيث الحياة الاجتماعية والسلوك واللباس. فكلفت أصحاب الألقاب بارتداء ألبسة صينية سوداء فضفاضة ذات الأكمام الطوية العريضة، وإسبال شعورهم بشكل ملفت للنظر . وقبل هؤلاء ذلك تقربا ، ثم منعت الصين ذوى الألقاب وعامة الناس من أداء فريضة الجمعة والجماعة وسائر شعائر الدين الإسلامي والفروض الخمسة وصلاة العيدين ، وعدم تعليم الدين الإسلامى للأحداث من بنين

وبنات ، بل تكليفهم الأحداث بتعلم اللغة الصينية وأكل لحم الخنزير وتعويدهم على الأفيون والشراب . وسلكت مسالك شتى في تكليفهم هذا . ولكن الشعب التركستاني وفي مقدمتهم ذووا الألقاب العالية رفضوا هذه التكاليف جملة وتفصيلا ، وصمدوا في إسلامهم وإيمانهم وعقيدتهم صمود الأبطال ، وتحملوا من جراء رفضهم هذا ألوانا من الحرمان والعذاب . وأخيرا أخفقت الصين في مسعاها هذه وإلى الأبد . كما هو الحال الآن بعد أن ذاقوا الأمرين أكثر من ثلاثة وثلاثين عاما من عهد ماو الشيوعية الطاغية. ولذلك قد نرى دورهم عامرة وقلوبهم مفعمة بالإيمان ، وقد رفعوا منارات الإسلام وبنوا أكثر من سبعة آلاف مسجد وجامع خلال أقل من ثمان سنوات في عهد الانفتاح بجهودهم الشخصية وأنشأ بعضهم جامعا كبيرا ذي ثلاث طوابق الدور الأول يشمل مائة وثمانين محلا تجاريا يعود ريعها للجامع. والدور الثالث مدرسة تحفيظ القرآن ومكتبة وصالات الدرس .

ونود إلى موضوعنا كانت الصين في عهد كى آن لون في ذروة قوتها العسكرية والسياسية وطال عهده ولم يتقاعس عن مقاصده ومراميه نحو التركستان الشرقية مقابل صمود شعب تركستان بتمسكه بدينه وعقيدته ، حتى إن بعض الشخصيات الإسلامية الغيورين لدينهم وعقيدتهم قاموا بانتفاضات في عهد كى آن لون .

وفي عام ١٢١٢هـ الموافق ١٧٩٦م تنازل كى آن لون عن العرش لابنه (كيا كينغ)، ثم توفي بعد عام واحد . وفي عهد كيا كينغ وفي أولى مراحله قام ثورة قبائل تيانلى في منطقة (جن هاي) في داخل الصين ضد الإمبراطورية الصينية . وسرعان ما اتسعت رقعة الثورة والثوريين في الصين

إلى كل من منطقة شانتونغ وخونن وكانسو وتقلصت قوة الصين في تركستان الشرقية وانتهى مطالب أو تكاليف الصين بما ينافي الديانة الإسلامية في تركستان إلى غير رجعة . غير أن التركستانيين لم يستفيدوا من هذه الفرصة فرصة ضعف الصين ، وذلك أن الشخصيات البارزة في المجتمع التركستاني ما زالوا يوالون الصين ويبدون إخلاصهم لها وتفانيهم في إرضائها والحفاظ على مكاسبهم وامتيازاتهم الممنوحة . وكلما تنبهوا لعمل أو فكر ثوري عملوا بدورهم الاحتياطات اللازمة لإحباط وقمع أي فكر ثوري في البلد .

وحيال قمع الثورات التي حصلت في داخل الصين صرف كيا كنج كل مدخرات الخزانة الإمبراطورية ونفدت ما فيها كمصارف عسكرية باهظة التكاليف ، فأصدر أمره ببيع جميع ممتلكات وحجوزات الدولة في عموم الصين بما فيها التركستان الشرقية ، وبيعت كل الجوامع والمساجد والمدارس والحمامات الأهلية التي احتجزتها في السابق حسب تخطيط سياستها لمحو الهوية الإسلامية من البلاد والعياذ بالله من ذلك ، فبعض ذوي الألقاب العالية والشخصيات الثرية اشتروا بعض هذه المباني الأثرية والدينية من حر مالهم وحولوا صكوكها باسمهم ثم أرجعوها كما كانت أوقافا إسلامية ولكن بأسمائهم وأسماء أولادهم . وكان بعض أفراد جنفن اشتروا بعض هذه المباني بأسمائهم أيضا ورجعوها كما كانت وقفا إسلاميا و لم تزل تلك المباني بأسماء واقفيها جنفن .

وعلى الرغم من حالة الصين المتهالكة وعدم استطاعة كيا كنج قمع كل الثورات في الداخل كان يخفيها عن تركستان والتركستانيين ولا سيما

من ذوي الألقاب العالية . غير أن عامة الشعب المغلوب على أمره كان على علم بالأمر وبدؤوا يعدون العدة ويحسبون الأيام لساعة الصفر بالقيام بثورة عارمة لاستخلاص أنفسهم من الظلم والاستعباد والاستبداد من جهة، ومن جهة ثانية أحس شعب تركستان الشرقية بهيمنة روسيا القيصرية لإقليم قازاقستان الشمالية الجنوب من سيبريا منذ سنة ١٠٥٤هـ الموافق ١٦٤٥م. وكان التركستانيون متخوفين من اقتراب روسيا إلى مناطقهم. وكانت روسيا في سعي حثيث لضم خانيات القازاق المتاخمة بسيبريا لإمبراطوريتها في أوربا مارا بأوكرانيا وقافقازيا وإيديل أورال وقرم وقازان وتتاريا . ولو كان هذا الضم في مرحلتها الأولى اسما وانتماءا فقط .

وفي سنة ١١٤٥هـ الموافق ١٧٣٠م نجحت روسيا في تقبل أمير منطقة أورال وتوبول أبو الخير خان حماية روسيا . وفي سنة ١٢١٢هـ الموافق ١٧٩٦م قبلت عدة خانيات القازاق في الشرق والجنوب حماية روسيا وهيمنتها على تلك البلاد . غير أن هذه الخانيات حافظت على الحكم الذاتي ولم تتدخل روسيا القيصرية في شوون هذه الأقاليم الداخلية فضلا عن قلاقل وثورات تقوم وتتكرر منها ضد روسيا القيصرية ، وبقيت منها هذه الحالة لأكثر من ٦٦ عاما أي من ١٧٣٠م إلى من ١٧٩٦م ولم تكن لروسيا نفوذ سياسي في هذه الأقاليم بتاتا ، غير أن مؤرخي روسيا وأوربا عموما يوردون في مولفاتهم تاريخ ١٧٩٦م عام استيلاء روسيا على أقاليم شرق منها إيديل أورال ومناطق أقوام قازاق في جنوب وشرق مرتفعات سيبريا .

فنعود لتركستان الشرقية أقاليم الغرب على حد تسمية الصين آنذاك ، كما سمتها في عهد الجمهورية بمناطق الحدود الغربية .

ثورة التركستان الشرقية ضد الصين ولأول مرة

وفي سنة ١٢٣٠هـ الموافق ١٨١٤م قامت الشعوب المستضعفة في التركستان الشرقية وعصفت ذوي الألقاب العليا والشخصية البارزة التي تميل إلى الصين ، وقامت على إثرها عدة حكومات محلية مستقلة . وكان الصينيون وحنفن وبعض ذوي الألقاب هدفا للثوار و لم يتحدوا في وحدة سياسية واحدة . وكانت بعض تلك الحكومات مستمرة في حربها ضد الصين ، والبعض الآخر يقومون بغارات على جارتها وحينما تكون البلاد في أتون الحرب الأهلية وغير الأهلية . فاستفاد من هذا الوضع الغير المستقر ملك فرغانة السلطان عمر خان حيث إنه في طمع الاستيلاء على بعض أجزاء تركستان الشرقية . واتخذ جهانكير خوجة أحد أحفاد آفاق خوجة رأس حربة لقصده هذا وسيره بجيش كبير ، ووصل جهانكير خوجة مدينة كاشغر ودخلها سلما وفي صورة مساعدة . واتفق ملوك الطوائف المستقلة حديثا واستحوذ على قوة لا باس بها ، وبمرور الوقت قضى علي تلك الملوك واحدا بعد الآخر في كل من مدينة كاشغر وياركند ، وأعلن نفسه ملكا على البلاد سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٧م ، ثم استولى على ولاية أقسو . وبقيت باقي الولايات في يد أهاليها لحكومات مستقلة ، ولكن ولاية إيلي وبشبالق جمسا أو أورومجي الآن مليئة بالصينيين وحنفن . وقد تمركزت قبائل قالموق في ولاية قاراشهر . ولهذا استطاعت الصين قمع الحركات الثورية في أقرب فرصة ممكنة . غير أن أهاليها من المسلمين الأتراك أبدت

بتصفيات جسدية من جراء تعصب الصين البغيضة . ولم تبق منهم زمرا وأقل من قليل .

وفي سنة ١٢٣٦هـ توفي كيا كنج وخلف ابنه (تاو كوانج)، أرسل الأخير جيشا كبيرا إلى التركستان الشرقية ووصل جيش الصين إلى مدينة كوجار ووقعت مصادمات عنيفة بين الصينيين والملك جهانكير خوجة ، وانهزم الأخير وأسر في يد الصينيين أرسل إلى بكين في قفص حديدي ، وبقي جهانكير خوجة في أسره بمدينة بكين إلى سنة ١٢٤١هـ الموافق سنة ١٨٢٥م حيث قتله تاو كوانج الإمبراطور الصيني وخلف ابنه ، ولكن الصين لم تتمكن من اكتساح جميع أقاليم تركستان الشرقية رغم أسر وقتل جهانكير خوجة . ولم تتقدم جيوشها إلى أبعد من مدينة كوجار وحافظ ملوك الطوائف وابن جهانكير خوجة على استقلالهم في الأقاليم المحررة . وكانت كاشغر وياركند في يد ابن جهانكير خوجة ، وكانت ولاية خوتن تحت إدارة الفاضل شيخ عبدالرحمن آخونوم .

في سنة ١٢٥٥هـ الموافق سنة ١٨٣٩م وقعت حرب الأفيون بين الصين والإنجليز مع وجود قلاقل والثورات الداخلية في الصين ، فتقلصت القوات الصينية في تركستان الشرقية لهذه الأسباب وحصلت فرصة سانحة لتركستانيين لتحرير الأقاليم التي بقيت في يد الصين ، وقاموا بثورات وحروب ضد الصينيين في البلاد وحرروها ما عدا مدينتي أوروبجي وإيلي في الشمال . غير أن المحاربين والثوريين التركستانيين لم يتحدوا تحت راية واحدة .

وانتهت الجفوة والحروب بين الصين والإنكليز باتفاقهما وتصالحهما في سنة ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م وفي سنة ١٢٦٤هـ الموافق سنة ١٨٤٧م أرسل إمبراطور الصين تاو كوانج مائة ألف جندي إلى التركستان الشرقية وداهموا كلا من ولايتي تورفان وقاراشهر ثم عمدوا إلى التجنيد من جنفن وقالموق القاطنين في مدينة أوروبجي وقارا شهر . وبتجهيزات مسبقة متكاملة هاجموا سائر أقاليم تركستان الشرقية واستعادوها ، فحصلت للصين السيطرة الكاملة للتركستان وللمرة الثانية .

استيلاء الصين على التركستان الشرقية سنة ١٨٤٧م وللمرة الثانية

عندما دخلت الجيوش الصينية على مشارف ولاية أقسو هرب ملك كاشغر ابن جهانكير خان إلى فرغانة، وأخذ معه الخزانة السلطانية وسائر العتاد الحربي ومعه كثير من أعوانه وأركان دولته. وحرض الناس للهروب ووعدهم بمساعدتهم في فرغانة وكانت الوقت شتاء وهناك عقبة (ترك دوان) وقد دفنت سالكها بالثلوج المتراكمة عليها فيصعب العبور من جهة ، ومن جهة ثانية هبت عليهم أي على الهاربين المهاجرين عاصفة هوجاء عاتية فمات أكثرهم ونفقت حيواهم ودواهم فضلا على أهم ما كانوا على استعداد تام لهذه الهجرة المفاجئة .

ويحكى آ.ن. كورباتكين الجنرال الروسي المنتدب إلى دولة يعقوب بك[1] سنة ١٨٧٦م يحكي عن مشاهداته الأليمة فوق وتحت هذه العقبة أن بقايا أناس متراكمة فوق بعضها تنبئنا أن مئات من الأسر ماتوا وقد تعانقت أفرادها بعضهم بعضا وتناثرت بقايا أمتعتهم البالية عرضة للصقيع والعواصف . وقد هرب بعض الأهالي من مدينتي كاشغر وياركند بدون مقاومة لأن الأهالي بقوا معزولين عن السلاح . ثم داهمت الجيوش النازية ولاية ختن وقاومها الشيخ عبد الرحمن آخون وأبنائه ببسالة واستماتة حتى هزموا واستشهد رحمه الله في المعركة بعد أن استشهد نفر من أبنائه أمام عينيه . واستولى الصين على ولاية ختن أيضا وسقطت التركستان الشرقية في يد الصين مرة ثانية بعد استقلال دام قرابة ٣٦ عاما عاشتها تحت حكم ملوك الطوائف المحلية . منهم جهانكير خوجة وأولاده . وكانت لجهانكير خوجة زوجة حسناء جميلة تفوح منها شذي عطر كعبير وردة الريحان كسمة فطرية حسب الروايات . وقيل كانت بها شذى المسك والعنابر عرفت بعفار هانم . وأسرت الأميرة العطرة كما يسميها الصينيون ، ولما بلغ إمبراطور الصين كياكنج خبر الأميرة طلب من قائده أن يرسلها إليه في بكين

---

[1] ـ انظر كتاب (قاشكاريكا) GashKarika للروسي آ ، ن ، كورباتكين باللغة الانكليزية طبعة بمي عام ١٨٨٤م . وله ترجمة تركستانية وصينية ، وقيل ترجم إلى الفرنسية أيضا . وأصل الكتاب باللغة الروسية بصورة بيانات أو دراسات سياسية مهيمنة لروسيا ، وله ثمان ملحقات تخص الانكليز ، ولذا حذفتها في نسختها الانكليزية ، ولم نعثر عليها حتى الآن .

محاطة بكل عز واحترام وفي حراسة جيشه وتم ذلك للقائد أثناء فرار جهانكير خان وأخيه برهان الدين خوجة إلى بدخشان .

ونحن أخذنا روايتين : الأولى ما أخرجه العلامة محمد أمين بوغرا في كتابه (شرقي تركستان تأريخي) حيث تقول الرواية : إن جهانكير خان أو خوجة وقع أسيرا في يد الصينيين وأرسل إلى بكين . و لم يتكلم العلامة عن أخيه برهان الدين خوجة ، ولكن الروايات المتواردة تقول : إن جهانكير خوجة وأخيه برهان الدين خوجة هربا إلى بدخشان وتعاقبهما الجنود الصينيون وعندما وصلا إلى بدخشان طلب القائد الصيني من أمير بدخشان تسليمهما له ، وأرفق طلبه بتهديد عسكري فأجيب إلى طلبه . وقتل القائد الصيني جهانكير خوجة وأخاه برهان الدين خوجة . ثم أرسل رأس جهانكير خوجة في قفص من حديد إلى بكين .. يقول الأستاذ حافظ عبد الكريم في مقال له في الموضوع في مجلة صوت التركستان التي كانت تصدر في القاهرة في الخمسينيات أن رأس جهانكير خان أستخلص من قبل المسلمين التركستانيين و لم يصل إلى بكين .

ونعود إلى الأمير العطرة أنها قوبلت في بكين بكل مظاهر الحفاوة والتكريم ، ويخيم على وجه الأميرة السكون تخفي وراءه حقدا مريرا وشوقا إلى درجة الجنون والانتقام . وبالغ إمبراطور الصين في تعظيمها وكان به هيام لها . وحول مرة الدنو منها ، فوثبت الأميرة على الإمبراطور وبيدها خنجر مسموم أخفتها تحت أكمامها ، ولولا حيلولة الوصيفات لجرحته أو قتلته . وانتزع منها الخنجر فقالت : " لئن أخذتم من يدي هذا الخنجر لن

تستطيعوا انتزاع الخناجر والسيوف من قلوب أهل تركستان مهما طالت الأيام .

وتاقت الأميرة يوما لمشاهدة تراب وطنها فأجيب طلبها ، وكانت تزرع فيها الورود والرياحين وبنيت باسمها المساجد وعلى الأقل مسجد واحد. وكان الإمبراطور يكرم بني جلدتها إذا وجدوا في بكين . وفي غياب الإمبراطور في القصر قتلتها ملكة الصين ودفنت بالقرب من مسجدها في بكين .[1]

وعندما أتم الصينيون الاستيلاء على عموم تركستان في هذه المرة كما أسلفنا عادت الصين لعادتها القديمة وشومها الأول وبحثت عن ذوى الألقاب الأولى وأولادهم . ومنحت أو أعادت تلك الرتب والنياشين فوجدت الألقاب (جلدو) . وفيها أربعة ألقاب أو رتب ، (جنج وانك)، (وانك جونج) ثم (أوشاقلار) دونهم وما دونهم ، وسلبت عقارات المواطنين المناسبة واللائقة وجعلتها ثكنات عسكرية ونزلا لعائلات الجنود والقواد الصينية وصرفت النظر عن اضطهاد المسلمين الترك في سلوكهم الاجتماعي وأداء شعائر الدين الإسلامي من صلاة وصيام وتعليم إلى غير ذلك من العبادات وتركت لهم حريتهم التامة في هذا الشأن ، وسمحت للمحاكم الشرعية استعادة نشاطها وتعين فيها رجال أكفاء من القضاء الشرعيين ومفتي وشيخ الإسلام واستعادت المدارس والمعاهد الدينية نشاطها السابق . وعينت الصين خمسة ولاة في عموم تركستان الشرقية أحدهم هو

---

[1] ـ راجع مجلة صوت التركستان القاهرية في عددها الأول عام ١٩٥٣م .

(جانغ جونج) القائد العام العسكري والمدني . وأربعة ولاة كلهم من الصينيين . ومقارهم مدينة إيلي وقمول وختن وكاشغر . وكان بجانب هؤلاء الولاة عدد لا بأس به من الحاشية ولديهم بعض الجنود الصينيين . وأما باقي مدن التركستان الشرقية فعينوا فيها ولاة من دون الألقاب العليا أو من أقربائهم . وأما الحكام الإداريون فتعينوا من الأعيان من أهل البلاد . ولكن الصين احتفظت في تركستان بعدد هائل من الجنود الصينيين لتمنع بها الثورات التي قد تنجم في البلاد ضد الصينيين . وبهذا الصدد زود أقوام قالموق الصين بعدد وافر من أبنائهم كجنود رسميين للصين ، ولذلك كافأتهم دولة الصين المركزية بألقاب (وانج) لكثير من رؤساء عشائرهم حتى بلغ عدد الذين حصلوا على مرتبة (وانج) من رؤساء قالموق إلى عشرين شخصا ، فاستحوذت الصين على رضا النبلاء ذوي المناصب العالية في تركستان ، فأصبحوا عيونا فاحصة كل حركة مشوبة قد تكون وتتبلور ضد الصين . وفي سنة ١٢٦٨هـ الموافق سنة ١٨٥٠م توفي إمبراطور الصين كياكنج وخلفه ابنه (بي جوباك هين فونج) وفي سنة ١٢٦٩هـ الموافق سنة ١٨٥٢م نشبت ثورة عارمة في مناطق خونن وخوفة وآنخوي تحت اسم (ثورة تايبنج) . فتقلصت قوة الصين في التركستان الشرقية ، ثم تفاقمت حركات الثورة التي قامت في داخل الصين من كل جانب وانتهى استيلاء الصين على تركستان الشرقية الذي دام ستة سنوات فقط ، وفيما يلي تفصيل ذلك .

ثورة تركستان الشرقية ضد الصين للمرة الثانية

ففي سنة ١٢٧٨هـ الموافق ١٨٥٣م قامت ثورة عارمة في كل أقاليم تركستان الشرقية ودامت أربعة سنوات . وفي النهاية تغلب التركستانيون على الصين المحتل وطهروا كل أقاليم الجنوب من تركستان بدءا من ولاية ختن إلى ولاية تورفان . وعلى الرغم ذلك أيضا لم يتحدوا في حكومة موحدة بين الأطراف وبقيت زمرة المسلمة من الصين في المدينة الجديدة في ولاية كاشغر وكانت محاصرة . فطمع ملك فرغانة السلطان شير علي خان في الاستفادة من هذا الوضع في ولاية كاشغر أرسل المدعو ولى خان توره من سلالة جهانكير خوجة إلى ولاية كاشغر في نفر صغير من الجنود ثم أعقبه نفسه في سبعة آلاف مقاتل بدعوى مساعدة إخوانه المسلمين في التركستان الشرقية ومنذ وصوله إلى ولاية كاشغر عمد إلى تفتيش بيوت الأثرياء والأعيان باتهامه إياهم بأنهم عملاء للصين وصادر ممتلكاتهم وسجن وحجز على ممتلكاتهم ، ثم بحث عن غنائم الحروب التي وقعت بين التركستانيين والصينيين خلال أربع سنوات وصادرها هي الأخرى وقتل بعضهم ، ولذلك كثر أعدائه في ولاية كاشغر وكرهوا حتى اضطر شير علي خان لمغادرة ولاية كاشغر وبقي ولى خان توره كما كان ، ثم أعلن نفسه ملكا للبلاد . وشدد الثوريون التركستانيون على المدينة الجديدة المحاصرة بالصينيين حتى أن الأخير اضطرت للاستسلام بشرط الأمان على أنفسهم ، فقبل ولى خان توره هذا الشرط واستسلم الصينيون للحكومة المحلية التي يرأسها ، ولكنه في النهاية خان عهده وأجري فيهم مع عائلاتهم

وأولادهم الصغار قتلا عاما وبدون شفقة أو رحمة ، غير أن تحرر جنـوب تركستان في هذه المرة من ربقة الصين لم يدم إلا خمسة سنوات فقط بسبب انعدام الشرعية وفساد الإدارة أو فقدانها وعدم الاتفـاق بـين الثوريـين الوطنيين حتى سمي هذا التحرير أسوأ تحرير في تاريخ تركستان الشرقية .

استيلاء الصينيين على تركستان وللمرة الثالثة

وفي سنة ١٢٧٥هـ الموافق ١٨٥٨م أرسل إمبراطور الصـين هـين فونج قوة كبيرة من الجنود الصينيين لاستيلائها ولتثبيت أقدامها ، فزحفت الجيوش إلى التركستان الشرقية مدينة بعد مدينة حتى وصلت إلى مشـارق ولاية كاشغر ، وهرب وليخان توره بأطنان من الذهب الذي جمعه خـلال سنوات عدة وأخذ أعوانه معه إلى فرغانة . ودخلت الجيوش الغازيـة إلى مدينة كاشغر وأجروا فيها قتلا عاما ولمدة يومين ثم اعتقلوا ألوفا من الأسرى وأرسلوهم إلى داخل الصين أي أبعدوهم من أوطانهم . ثم زحفت إلى ولاية ياركند واستولوا عليها ثم تقدمت صوب ولاية ختن . وكان الثوريـون في ولاية ختن قد عاملوا أسراهم الصينيين والحكام معاملة حسنة بل حـافظوا على أرواحهم ، لأجل هذا لم تتعرض ولاية ختن للسلب ولا للنهب مـن قبل القوات الغازية الصينية . فتم للصين الاسـتيلاء علـى كـل أقـاليم تركستان وبدون استثناء ، واتخذت الصين عادتها وأساليبها المسـتحدثة في إدارة البلاد بأن تركت لهم حرية الدين والعبادة وشـئون الحيـاة العامـة حسب ما تعودوا على الطريقة الإسلامية ومن ذلك التربية والتعليم وفتـح

المدارس والمحاكم الشرعية والأحوال الشخصية من ميراث وعقود النكاح والإرث والوصية والوكالة كما رسمته الشرعي الإسلامية ، غير أن الحكام في المدن والمقاطعات عينوا من الذين أخلصوا بل خدموا الصين والصينيين .

وسبق أن قلنا أن آلافا من الأسر من النساء والأطفال قبضوا في ولاية كاشغر أرسلهم الصينيون إلى داخل الصين ، وكان السبب في ذلك طمع وتصرفات ملك فرغانة شير على خان وعامله وليخان توره وعدم تمسك شير على خان بعهده في شرط الصينيين الذين استسلموا له وأن تلك الأسر من الكاشغريين قد يضيعون في الصين وربما يفقدون ديانتهم الإسلامية ويذوبون في مجتمع الكفر والإلحاد . وأقض الأمر مضجع شير على خان فأرسل وفدا رفيع المستوي ومعه هدايا ثمينة لإمبراطور الصين هين فونج يطلب السماح لهم بإعادتهم إلى ديارهم الأصلية فقبل الإمبراطور طلب شير على خان وأعادهم إلى ولاية كاشغر وطنهم الأصلي وإلى ذويهم .

وفي سنة ١٢٧٧هـ الموافق ١٨٥٩م وقعت حرب الأفيون الثاني بين الصين وبين كل من الإنجليز وفرنسا في ولاية كانتون جنوب غرب الصين حيث إن دول أوربا أدخلت كمية كبيرة من الأفيون عن طريق البحر غربا ولما بلغ خبر هذه الشحنة للشباب المتيقظ الصيني قاموا بإحراق الشحنة عن بكرة أبيها ، ووقعت بسببها حرب بشكل تهديدات مركزة من قبل دول أوربا ، وتأثرت بذلك التركستان الشرقية إيجابيا حيث إن حكومة الصين المركزية انشغلت بالحرب الغير المتكافئة من جهة ، ومن جهة ثانية قامت ثورة شرسة باسم (تايبنج) وتقلصت قوة الصين في التركستان الشرقية حتى أن مدينة تزين بالغرب من بكين وقعت في قبضة الثوار ، وبالتالي قلم

مسلم صيني (تاوون سو) بثورة إسلامية في مناطق مسلم الصين المتاخمة لتركستان شرقا ، ونجح تاوون سو في ثورته هذه حتى أنه أعلن نفسه ملكا لمسلمي الصين باسم سلطان سليمان . ومن جراء هذه المتغيرات السلبية بالنسبة لحكومة الصين المركزية لم يبق في التركستان الشرقية عدد يذكر من جنود الصين وبقيت إدارة البلاد في يد كل من جنفن والمستوطنين الصينيين وشخصيات مخلصة للصين من الأهالي . واجتهدوا بدورهم بتكوين جيش محلي من أبناء جنفن والمستوطنين ، ولكنها لم تجد نفعا حيث إن المواطنين كانوا على علم تام بأن دولة الصين لن تتمكن من إمدادهم بالمساعدة الكافية لصد هجمات الثوار الوطنيين إذا ثاروا . ولذا تأهبت أوساط وطنية لجولة ثالثة من الانقلاب على إدارة الصين وبشكل عام .

خمسون عاما عبر ثلاث ثورات في التركستان الشرقية

سبق أن قلنا أن التركستانيين قاموا بثورتهم العارمة الأولى ضد الصين في العهد الثاني من القرن التاسع عشرمن الميلاد ، وقد أمضى التركستانيون خمسين عاما في محن وظلم واستبداد واستيلاء غاشم وتحرير متكرر وكل قصدهم من هذه الثورات والتضحية والفداء وبذل النفس والنفيس تحرير أرضهم وتأمين استقلالهم على تراب وطنهم وطرد الغاصبين الصينيين .

ولكن برزت هناك قصور ونكسات أدت إلى عدم اتفاقهم فيما بينهم ناهيك عن إقليم شاسع مثل التركستان الشرقية بما يقارب مليوني كيلومترا

مربعا وقعت ــ ولكن ما العمل وهذا قدرها ــ بين فكي كماشة : الروس والصين منذ قرون ثلاث وتبقى تركستان اسيرة كسيرة حتى الأن.

ونحن مع تركستان في عام ١٨٥٩م في مرثياتنا المؤلمة في الحال التي وصلت أو تدنت إليها التركستان المسلمة نوجزها ببعض التفصيل حتى نأتي على نتيجة واحدة وعلى أقل قدر من الاهمية .

منذ سنة ١٨١٤م عمدت حكومة الصين المركزية في حكم تركستان إلى سياسة (فرق تسد) بل إلى حمل أهالي تركستان وتصنيفهم إلى نبلاء وسلاطين الرقاب المستبدة في قلة قليلة منهم وإلى أمرائهم وعبيد وأقل درجة من البهائم السائبة الأليفة . ومن جراء تسلط تلكم القلة على رقاب عبادالله في بلادالله أهملت مدن كثيرة وبلدان راقية نسبيا فانعدمت فيها الصلاحيات التي تواكب تطور الأمم والشعوب في سائر أقطار الأرض . وانحسرت التجارة في يد الصينيين وبشكل عام والمحظور لغيرهم فأصبحت التركستان سوقا رائجا لجميع مصنوعات الصين غالية الثمن مثل مصنوعات الخزف ومنسوجات الحرير وأدوات الزينة بما تشبه الكماليات وهي من ضروريات أمة مغلوبة مثل شعب تركستان المحروم من خيرات أرضه وانعدام الصناعة المحلية فيها . وكانت هذه المصنوعات المحلية تتبادل أو تباع بالذهب والفضة وسائر المجوهرات والأحجار الثمينة ، وبهذا الطرق المبيتة استولت الصين على جميع ثروة تركستان القومية ، فغدا أهل تركستان أفقر شعب في العالم يسكن أغنى أرض وأخصب تراب .

فتحت الصين وعلى يد مستوطنيها الربا الفاحش بالآلاف المؤلفة في المدن والقري والأرياف بالإضافة إلى أوكار البار والقمار ، وأن أفراد

الشعب المكبل بقيود الضرائب الباهظة والإتاوات برهن المحتاج لدي أصحاب محلات الربا حاجياته واحدة بعد أخري في سبيل الحصول على ديون يسد بها رمقه ، وتتضاعف حصص الزيادة الربوية كلما تأخر السداد شهرا بشهر أسبوعا بأسبوع حتى يوم بيوم ، وأن أكثر من سبعين في المائة من هذه العملاء (التركستانيين المغلوب على أمرهم) ليعجزون طبعا عن سداد هذه الديون المتراكمة ، وبالتالى يضطر إضافة حاجيات أخري . وأخيرا تبقى هذه الحاجيات والسلع ملكا خالصا لأصحاب هذه المحلات الربوية ، وتزيد الحالة سوءا عندما يضطر المواطن لبيع أرضه وضيعته لسداد ديونه لتلك المحلات .

واذا نظرنا إلى التهجير الصيني منذ سنة ١٨١٤م امتلئت كل من ولايات قومول وباركول وجمسا وأورومجي وتورفان بالمهاجرين الصينيين ومسلمي الصين (تونكان) . وعمدت حكومة الصين المحلية والمركزية إلى اغتصاب الأراضي الخصبة من الأهالي ومنحها للمهاجرين الصينيين . وكانت تلك المدن أقل كثافة بالسكان المحليين سابقا . ولمتاخمتها للصين أصبحت هذه المدن تشكل أكثرية صينية ، ولم تكتف الصين بهذه الإجراءات الجائرة بل عمدت إلى تصيين السكان المحليين حتى بحد السيف والضرب المبرح أو الجلاء من أوطانهم . وتدنت كثافة سكان المحليين (التركستانيين) في كل من باركول وقومول وتورفان إلى أقل من أربعين في المائة . وأما الآن سنة ١٩٨٩م فتدنت هذه النسبة بين عشرة وخمسة عشر في المائة ، أضف إلى ذلك أن نسبة الصينيين وخنفن بعد عام ١٨١٤م

زادت بشكل ملفت للنظر ، واستمرت الصين في سياسة التصيين بشكل أو بآخر في كل أقاليم تركستان .

من مآثر ثورة الشعب الأولى سنة ١٨١٤م

ومنذ ثورة الشعب الأولى انتهت الفروقات المستحدثة المبيتة من قبل الصين أو كادت . حيث عمد الثوريون منذ أول شرارة للثورة إلى الحد أو إقصاء أولى الألقاب من الدرجة الأولى والثانية ، بقتلهم أو نفيهم أو تهريبهم إلى الصين وإلى جهات شتى . فاقتسم الشعب التركستاني ممتلكاتهم التي جمعوها بالسلب والنهب والسطو والجبروت من أراضي وعقارات ومواشي ، وتحررت الجموع المستعبدة فصاروا ملاكا لأراضى وعقارات ومواشي وأسياد أنفسهم بالذي يرضى الجميع ويرتاح إليه وتستكين نفسه. ونال الشعب التركستاني حق مزاولة التجارة بأنواعها وانتزعوها من الصين ، وهدم الثوريون أوكار القمار وبؤر الربا الفاسدة وكسروا محلات الربا في عرض البلاد وطولها حتى سلمت سلع الشعب وحاجياتهم الضرورية وأراضيهم وبيوتهم من الضياع .

وأما الصينيون المستوطنون وحنفن فقتل بعضهم وطرد البعض الآخر وهربوا إلى داخل الصين ، وتقلصت تلك الأعداء الهائلة من على تراب تركستان أو اقتربت إلى نهايتها . وانتهت سياسة الصين إلى غير رجعة ولم تعد لها أثر قط . وبهذه النتائج السارة عاش الإنسان التركستاني في أرضه سالما غانما ، وجد واجتهد في إنماء مهارته بكده وجهده وهو سيد نفسه

ومالك لعائدات وطنه المعطاءة. وازدهرت اقتصاديات البلاد كما وكيفا في الشرق وفي الغرب، وبالتالي وهو الأهم تخلصت تركستان المسلمة من مغبة الإمحاء الصيني وتذويب شخصيتها الإسلامية وحافظ الشعب على عقيدته وإيمانه بالله عز وجل. وكل هذه المكاسب نعتبرها مكاسب مادية محسوسة.

وأما المكاسب المعنوية من هذه الثورة المباركة : فبينما امحت في عهد الصين العلوم الدينية والأدبية وسائر الفنون من ساحة الشعب التركستاني المسلم وكذلك التعلم والتربية لم يعد لها وجود . فأعادتها الثورة الإسلامية المظفرة كما كانت ظاهرة صافية نقية . وفتحت المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم والتربية وسائر الفنون حيث اهتمت الثورة ورجالها الأشاوس اهتماما بالغا بالتعليم والتربية ، فعمدت إلى استقدام العلماء والمعلمين من الهند وأفغانستان ومن فرغانة وبخارى . وللمثال : ومنهم الشيخ ملا عبد الله آخون الكلابي . الذي وضع المنهج التعليمي في البلاد بشكل لم يسبقه من قبل ، وزميله المقرئ الحافظ قاري عبد الله الذي أسس كثيرا من المدارس لحفظ القرآن وتلاوته وتجويده في عرض البلاد وطولها ، وألف كتابا موجزا في علم التجويد. ولم تزل آثارهم النيرة باقية حتى الآن. وفي وقت وجيز للغاية وجدت في البلاد نخبة ممتازة من المعلمين والأساتذة في كل علم وفن في الدين والتاريخ والأدب والفلسفة واللغة العربية والفارسية والتركية . حتى أن مدينتي ياركند وكاشغر بالإضافة إلى ختن أصبحت مراكز متقدمة للعلوم والآداب .

(وتقول بعض الروايات القديمة) : إنه كانت نسبة الأمية في تركستان الشرقية في القرن الثامن عشر الميلادي تسعة وتسعين في المائة ،

وفي القرن الذي قبله واحد من كل ألف . كان يفك الحروف ويكتب بإملاء ركيك للغاية ، والذي يحتاج إلى قراءة رسائله من أقربائه البعيدين يسافر إلى مسافات بعيدة ليحصل على قارئ يقرؤها له .

ومن ثمرات هذه الثورة المباركة أن بلغ رجال تركستان شأوا كبيرا في العلم والمعرفة والأدب ، ومنهم الأديب الفاضل ترسون بك وله مؤلفات عديدة وهي تتداول حتى الآن . والملالي نياز الثلاثة من قارقاش وجبل وختن ، ولهم السبق المحلى في العلم والأدب ، ومؤلفاتهم تعتبر من روائع الأدب التركستاني القديم . ومن النساء أمثال أخون أغاجة وزيبو نساء خان وغيرهن . ونحن لا نتصور أن الثورة المباركة قصدت تلك المنجزات العلمية الأدبية ، وإنما هي من مكتسبات الثورة ومن أولى مقاصدها النيرة التي حصلت لنا بسبب هذه الثورة وجلبت لنا بعضا من السعادة .

وفي مقابل ذلك استولت الصين على تركستان الشرقية للمرات الثانية والثالثة ، ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلا و لم تستطع اقتلاع جذور منجزاتنا التاريخية في هذه المدة الوجيزة من استيلائها ، ولو أن استيلاء الصين دام مدة أطول لما تورعت الصين من هدم كل إنجاز يعود بالنفع لتركستان وللتركستانيين وبدون ريب أو شك .

وعقب استيلاء الصين للمرة الثالثة لم يهدأ التركستانيون ، بل عملوا في الخفاء للتخطيط لثورة ثالثة مكملة لا تبقى ولا تذر أثرا للصينيين في هذه المرة . ولكن الخونة المخلصين للصين كانوا بالمرصاد لأي حركة يرونها ثورية من قبل المواطنين الأحرار ويخدمون أسيادهم الصين لتبقى الصين وليذهب أهل تركستان إلى الجحيم . غير أن القوات الصينية بنارها

وحديدها قد تقلصت عن ذي قبل واقتلعت بعض جذورها من تخوم الأرض الطيبة واجتثت وأصبحت ما لها من قرار . من أجل ذلك لم يزل الشعب التركستاني في ترقب حذر لفرصة قادمة على الرغم من أن المسلمين الصينيين يفوقونهم عددا ويبقوا حذرين في كل موقع .

ثورة الشعب التركستاني ضد الصين وللمرة الثالثة

ففي سنة ١٢٧٨هـ الموافق ١٨٦١م قامت ثورة عارمة في خمس مناطق من تركستان دفعة واحدة. حيث إن الصين وعلى رأسها إمبراطورها قد ضعفت وتدهورت اقتصادها من جراء ثورة ما يسمى بـ (تايبينج) وكذلك في منطقة يونن في جنوب شرق الصين . وكانت هاتان الثورتان في داخل الصين ذات فعاليات عالية . وأما الثورات الخمس في تركستان فأولها في منطقة إيلي سنة ١٢٧٩هـ اتفق فيها المزارعون الترانجي ومسلمو الصين (تونكان) ونجحوا في ثورتهم وقتلوا من في منطقة إيلي من الصينيين وحنفن وأبادوهم عن بكرة أبيهم وأعلنوا استقلال البلاد.

الثانية: قامت في مدينة كوجار. وكانت أيضا بالاتفاق مع مسلمي الصين (تونكان) المستوطنين فيها وفي البلدان المجاورة تحت قيادة راشدالدين خان تورة ، ونجحوا في ثورتهم المباركة وأعلنوا استقلالهم . ثم تعاقبوا بفتح جبهات عدة نحو الشمال والجنوب والشرق حتى استولت حكومة الثورة بقيادة راشد الدين خان على كل من ولاية أقسو وترفان وكورلا وأروجى

وقومول وباركول حتى وصلوا إلى الحدود الدولية بين تركستان وبين الصين في الشرق .

الثالثة : قامت في ولاية ختن بقيادة المرشد الديني الفاضل حبيب الله حاجم وأبنائه عبد الرحمن خان وإبراهيم خان . وبعد مصادمات دامية بين الصين المحتل وبين المواطنين الأحرار استطاع المواطنون الثائرون أن يوقع الصينيين في حصار محكم في مدينة ختن ، وعلى أثره أعلن الصينيون الاستسلام وبدون قيد أو شرط بعد تسليم أسلحتهم وعتادهم الحربي إلى ثوار المواطنين . وأجيب من قبل المواطنين طلبهم هذا ، ثم نصب الثوار الشيخ حبيب الله حاكما ملكا على البلاد وأجلسوه على لباد أبيض على طريقة المغول الترك والقاراخانيين وبايعوه على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإقامة الحدود الشرعية من جلد وقصاص ورجم ونفي لمفسدين في الأرض .

ووقعت في قبضة حكومة ختن كل من مدن قوما في الغرب ومدينة جرجن في الشرق ، وتشمل ولاية ختن على خمس مساحة التركستان الشرقية .

الرابعة : ثورة كاشغر بقيادة صديق بك ، ونجح ثورة الأحرار في مدينة كاشغر وينكحصار وفيض آباد ، وقتل رجال الثورة كل الصينيين المسلمين في البلد . وأما الصينيون المستوطنون وبعض الهاربين من القتل والقتال فتحصنوا في قلعة المدينة الجديدة بالقرب من مدينة كاشغر الأم .

الخامسة : قامت في ولاية ياركند . (وقد تقلبت ياركند عبر تاريخها الطويل وحتى الآن من حيث الإدارة ما بين ولاية ومحافظة ولعدة مرات

وسبب تشكيلات إدارية ، وحق أن ياركند تستحق أن تكون ولاية لأنها ذات حجم كبير وكثافة سكانية أكثر من مدينة كاشغر ، وكيف لا وقد كانت عاصمة الدولة السعيدية خلال قرني السادس والسابع عشر من الميلاد) وكانت الثورة تحت قيادة نخبة من مستوطني مسلمي الصين (تونكان) حيث إن الثورات الأربع الإسلامية في عموم الأقاليم في البلاد أخجلتهم على أنفسهم فشقوا العصا على الصينيين الكفرة فقاموا بثورتهم هذه وتشرفوا بها . وكانت مدينة ياركند مليئة بالصينيين لأجل مركزها الوسط في إقليم جنوب تركستان ، وكان يقيم بها واحد من الخمسة المتصرفين الصينيين بصفة (خان آمبال) وله رجال مسلحون وجنود وحامية منيعة . حاصرهم الثوريون ولمدة خمسة وأربعين يوما ثم داهموها بهجوم شرس للغاية وقتلوا من فيها بدءا من آمبال إلى آخر جندي صيني . وبعد تحرير مدينة ياركند فتحوا كلا من مدينتي قوسكام وقارغليق ونصبوا المرشد الديني الفاضل الشيخ عبد الرحمن حضرت ملكا على البلاد .

وإن هذه الثورات الخمس قامت في وقت واحد وعلى وتيرة واحدة في خمسة مدن أو ولايات كبيرة ، وشملت عموم أقاليم تركستان الشرقية وتمخضت عنها : خمسة حكومات محلية مستقلة وعلى نمط إسلامي صرف ، إلا أنها لم تتحد في وحدة متماسكة حتى أنها لم تكن هناك علاقة بين بعضها إطلاقا .

ونحن إذا نتكلم عن ملوك الطوائف لا بد أن نتكلم عن التفصيلات الباعثة لوجودها ، وكيف ولماذا كونت ثوار تركستانيون خمس حكومات

مستقلة وعلى نمط إسلامي ، ثم لم يتحدوا ليتقوا ويوحدوا صفوفهم أمام الأعداء المتربصين عليهم . وهنا سؤالات أخرى .

نقول وباختصار : إن الثوريين التركستانيين قاموا بثوراتهم تلك على وحدات منفصلة متباعدة تحت قيادات مختلفة ، وكل وحدة منها تكونت من شخصيات قيادية لا يجمعهم جمع . وأهم من هذا أن الأفراد المتشاركة في صف المجاهدين الثوريين لا تجتمع في أيدلوجية واحدة ، لأنها خليطة من أجناس مختلفة وقوميات مختلفة . وعلى الرغم من أنها أي الوحدات الثورية لم تحاول قط ولا مرة واحدة في وحدة متكاملة ، كانوا على نقيض بعضهم بعضا حتى في التشكيلات الإدارية بل من البداية ، ولو أنها أي الوحدات يجمعها قاسم مشترك ألا وهو الحرية والاستقلال ، وهذا مقصد الجميع وأية الكل من القاعدة إلى القمة . وذلك لاختلاف البواعث والحوافز والأهداف والغايات لكل فرد منهم والاختلاف في المبادئ بين شخص وآخر . ولذا نضطر إلى أن نتكلم في تفصيل ذلك ونأتي في آخر كل فصل ما وصلته إليه عواقبهم فردا فردا .

كان تركيب السكان في هذه المناطق غير متجانسة حيث إنها تكونت من أقوام عدة منها : (ترانجى) الذين جري عليهم التهجير من ولاية (تورفان) كما أسلفنا بالإضافة إلى حنفن (الأويغور الترك المتصينين) المهاجرين من داخل الصين ومسلمي الصين الذين طردوا وأبعدوا من الصين إلى تركستان (توبجان). وكانت نسبة ترانجي ٧٠ في المائة، وعشرون في المائة حنفن وعشرة في المائة (توبجان) مسلمو الصين. وكانت أقوام حنفن أصحاب امتيازات عالية من قبل الصين المركزية منذ وجدوا في تركستان وكانوا مسلحين وهم يشكلون الجيش الاحتياطي لحكومة الصين المركزية مخلصين لها بدون تحفظ، وكان فيهم صينيون مستوطنون، وبالمقابل كانت حكومة الصين المركزية في بكين تعتمد عليهم اعتمادا كليا.

على الرغم من كون أقوام ترانجي من أهل الوطن ، ينظر إليهم الصينيون وحنفن وكأنهم أجراء وخدم ليس إلا . وكان عليهم أداء أشق وأرذل الخدمات ويقع الظلم والحرمان عليهم هم دون غيرهم ولأنهم مسلمون . وكذلك مسلمو الصين المهاجرون ولأنهم مسلمون أيضا ولسوابقهم السياسية وثوراتهم المتكررة في داخل الصين قديما كانوا غير مرغوبين لدي الصين والصينيين وحنفن ويعيشون تحت رقابة الأخيرة باستخفاف وإهانة ويصيبهم الضيم والظلم أيضا ، ولأن نسبة الترانجي وتوبجان معا تشكل ٨٠ في المائة من عدد السكان كان مسلمو الصين في

كراهيتهم للصينيين وجنفن يتفقون مع إخوانهم المسلمين أقوام ترانجي ، ولذا قاموا معا بثورتهم الباسلة بدؤوها في شكل حرب العصابات في المرتفعات الجبلية ثم الأرياف والبوادي ، واستولى على أسلحة كثيرة من الصينيين وجنفن واستمروا في حربهم هذه سنة كاملة من عام ١٢٧٩هـ الموافق ١٨٦١م ثم بدؤوا هجومهم إلى المدن الرئيسية وتغلبوا على خصومهم الصينيين وجنفن وأبادوهم عن بكرة أبيهم حتى إن مدينة عسكرية جستابو الصيني الرهيب المقامة في سهل كورة التي كانت مركزا للحاكم العام العسكري والمدني الصيني لم تسلم من هجماتهم ، وقتلوا (جانغ جونج) ومن في القلعة ودمروها تدميرا كاملا وقد نري أطلالها .

قلت : إن الصينيين أعادوا بنائها بعد سنة ١٨٧٩م في الجانب الآخر ، وفي التوسعة الأخيرة سنة ١٩٥٧م أدخلوا تلك الأطلال وأعادوا تعميرها من جديد . انتهى . وتقع قلعة القهر والاستبداد في منطقة (كوره) بين ولايتي أقسو في الجنوب وإيلي في الشمال وعلى سهل شمالي غربي من جبال خان تنغرى تيانشان . وتقول رواية موثوقة : إن عدد القتلى من الصينيين وجنفن في قلعة القهر والظلم ٨٠ الفا .

واستولى الثوريون على وادى إيلي ومنطقة إسق كول (الأخيرة في جمهورية قازاقستان الآن). وكان ثورة إيلي في غاية الأهمية من حيث كثرة السلاح والعتاد الحربي التي غنموها من الصينيين وجنفن ، ولكون المنطقة مركزا هاما يقيم فيها الحاكم العام (جونغ جانغ) وتحت يده كل الإمكانيات المتاحة في زمانه. واختلف الثوريون فيما بعد من حيث الغنائم والأسلحة التي حصلوا عليها في ثورتهم هذه. لأن مسلمو الصين (تونكان)

وهم حنفاء الوطنيين ترانجى أرادوا أن يستحوذوا علـــى جميع الغنائم والأسلحة دون غيرهم . وبالتالي وبدون مشورة من حلفائـــهم الوطنيين عينوا أحدهم حاكما عاما على البلاد وشكلوا الحكومة على نمط صيـــني . أرادوا بذلك حرمان المواطنين الأصليين الترانجى الذين يشكلون الأكثريـــة المطلقة من أي مكاسب ثورية ومناصب حكومية ، بالرغم أن الوطنيين هـم الذين بدؤوا بالثورة وشاركوا تونكان في ثورتهم المظفرة. وأهم من هـذا أن مسلم الصين أرادوا أن يقيموا حكومة صينية . بجعل هذه البـلاد وأهلـها المسلمون الأتراك مقاطعة من مقاطعات الصين المركزية وطمـس معالمـها القومية وسمتها الإسلامية المميزة . وفي المقابل قـام الوطنيـون بتشـكيل حكومة إسلامية ونصبوا أحدهم ملكا على البلاد وقالوا : نحن أصحـــاب الوطن، ونحن الذين قمنا بالثورة منذ البداية ونحن نشكل الأكثرية المطلقـة في البلاد، شاركنا إخواننا تونجان في الثورة، فالغنائم لنا والمكاسب لنــا، ونحن أحق بالملك منهم ونرفض هيمنتهم علينا واستحواذهم على مكاسبنا الثورية ، وأجدر بنا أن نشكل حكومة إسلامية .وأما إخواننـــا تونجـان فنكافئهم مكافئة بجزية مقابل جهادهم وبسالتهم وإقدامهم مـــع الشـكر الجزيل. فانفصل الوطنيون من التونجان في حكومتهم المستقلة الإســلامية ، ثم وقعت مصادمات دموية بين الفريقين ولمدة طويلة حتى استقر تونجـان في مدينة غولجا حاضرة وادي إيلي ، واستقر المواطنون الترانجي في وادي إيلي العليا ومنطقة إسسيق كول في حكومتين منفصلتين ، وضعفــت بالتـالي إمكانياتهما وقوتهما القتالية فلم يستطيعوا أن يتطلعوا إلى توسعات أخـرى بالفتح والإقدام حتى سنة ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م حيث هاجم يعقـوب

بك بدولت على مدينة غولجا وبمساعدة الوطنيين الترانجي استولى على مدينة غولجا وسقطت حكومة تونجان وانتهت سلطتهم في البلاد . وأعلنت حكومة الترانجي الصلح مع يعقوب بك وقبلت حمايته بشرط دفع إتاوات سنوية لدولة يعقوب بك وسلمت حكومة المواطنين الترانجي في وادي إيلي وإسسيق كول. وفي ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م استعاد (تونجان) مدينة غولجا من دولة يعقوب بك ، وبالتالي أعلنت حكومة المواطنين في الشمال الغربي استقلالها عن يعقوب بك ، ولكن حكومة الترانجي في مدينة غولجا عجزت عن تأمين احتياجاتها اللازمة فأعلنت انضمامها لحكومة المواطنين . وفي ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٧٩م داهمتها قوة صينية غاشمة ، ولكن حكومة ترانجي دافعت عن استقلالها دفاع المستميت حتى نجحوا في المحافظة عليها واندحر الصينيون .وقد سقطت دولة يعقوب بك في ١٨٧٧م بموت يعقوب بك . وفي ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٧٩م استولى الروس القيصرية على وادي إيلي وإسسيق كول وانتهى دولة ترانجي الوطنيين . (وبعد حين من الزمن وعبر وساطة دبلوماسية انسحب روسيا من وادي إيلي ، وبقيت منطقة اسسيق كول تحت احتلال الروس وحتى الآن) .

ثورة مدينة كوجار ٢

في سنة ١٢٨٠هـ الموافق ١٨٦٣م تكونت جمعية سرية تضم في تركيبها نخبة من نبلاء والمثقفين، وكانوا ينتمون إلى سلالة راشد الدين خان توره المرشد الديني المتصوف الفاضل الكريم الذي برزت شخصيته في

عهد توغلوق تيمور خان الجنكيزي في القرن الرابع عشر من الميلاد . وكان في منطقة كوجار آلاف العوائل من مسلمي الصين ، وكانوا مسلحين ومخلصين لحكومة الصين المركزية من جهة ، ومن جهة ثانية كانت لهم بيعة لتلك النخبة الممتازة من المرشدين والمثقفين . وفكرت التشكيل السري في السلاح ووجد بغيته لدي المريدين من مسلمي الصين فرويدا رويدا أجلبهم إلى صفه .

وفي ساعة الصفر هاجم المواطنون وتونجان المركز الصيني وأماكن تواجدهم في مدينة كوجار ، وكان الوقت ليلا ، وقضوا على كل أفراد الصين عسكريا أو مدنيا ما عدا المتواجدين منهم في المدينة الحديثة ، وفي الصباح الباكر نصبوا كبير المرشدين السيد راشد الدين خوجة ملكا على البلاد ، وأجلسوه في لباد أبيض على الطريقة المغولية القديمة ومنحوه لقب خان خوجة . غير أن المذكور قد أفنى حياته في خلوته بين عبادته وذكر الله وتلاوة القرآن كمرشد ديني وشيخ من شيوخ الصوفية لا يعرف عن الحكم والسياسة شيئا ، بل هو رجل عادي ليس له تجارب الحياة وخبرة الإدارة قط . ولكن لكبر سنه ومنزلته في المدينة نصبوه ملكا على البلاد . وهذا ما أخطأ فيه الثوار المجاهدون . وبعد مراسم البيعة هاجم المجاهدون على القلعة الصينية على عدة دفعات حتى اقتحموها وقتلوا من فيها من الصينيين واستولوا عليها . ثم عمد الشيخ راشد الدين خوجة الملك إلى فتح سائر المدن والأقاليم المجاورة لمدينة كوجار وكون جيشا كبيرا وأرسله تحت قيادة أخيه جمال الدين خوجة إلى ولاية أقسو وفتحها بالإضافة إلى مدينة (أوج ترفان). ثم جهز جيشا قرابة ألفين وخمسمائة رجل وأرسله إلى

المناطق الشرقية من مدينة كوجار وتحت قيادة ابن أخيه إسحاق خوجـة ، فتح الأخير كلا من ولاية كورلا وقارا شهر غير أنه لقي صعوبات جمة في مهمته هذه ، حيث إن الصينيين قد تقاطروا إلى مدينة كورلا من جانب حتى تكونت لديهم قوة لا يستهان بها قوامها أكثر من خمسة آلاف رجل بأسلحة حديثة . بينما إسحاق خوجة بالمقابل أقل عددا وأهون سلاحا وأضعف عدة وعتادا . وإن الصينيين أتوا من قارا شهر غربا ولوب شرقا ومن أطراف وادي تاريم . ولكن تغلبت على إسحاق خوجة حميته الدينية واستمد بطاقة إيمانه وعقيدته وشن هجوما كاسحا شرسا على مدينة كورلا واستطاع أن يحاصر الصيـ ـ في داخل سور المدينة ، ثم وصلت إليه إمدادات من نفس كورلا وبجور وينكى حصار تقدر بأكثر من ثلاثة آلاف رجل فقط . ثم برز من جهة لوب نور ستمائة رجل من رجال الصين والبعض المحترفين للانضمام إلى صفوف المجاهدين لمدينة كورلا ، ووصلت قوات إسحاق خوجة وهي أكثر من ستة آلاف رجل وبعض الأسلحة الحديثة . وبعد عدة هجمات فتح مدينة كورلا وخلصها من الصينيين الدخلاء . ثم توالت قوافل الثوار من كل جانب حتى اكتمل لدي إسحاق خوجة عشرة آلاف مقاتل وتوجه إلى مدينة قارا شهر ، وكانت فيها قوة صينية تقدر بستة آلاف جندي وفي حوزتهم عشرات من مدافع الهاون ، ومن جهة ثانية كانت نهر قاراشهر العظيم عائقا لتقدم الثوار نحو المدينة كمانع طبيعي . وبدأت معركة التراشق بين الطرفين وحاول إسحاق خوجة العبور بجنوده إلى ضفة الشمالية من النهر بتكثيف التراشق وجر جنود الصين إلى استهلاك مكثف للذخيرة ، ولكن الصينيين استعملوا

مدافع الماون في صد هذه المحاولة وجاءت إمدادات صينية من مدينة تورفان وأورومجي بأعداد هائلة ، ففكر إسحاق خوجة في طريقة قطع طرق الإمدادات إلى الصين في قاراشهر فنقل أكثر من ألف مجاهد إلى الشرق من ولاية قاراشهر ليقطعوا الطرق على إمدادات تورفان ، وبالتالي وبانتشار المجاهدين إلى مناطق الشمال يمكنهم من خلالها صد طريق أورومجي وقاراشهر وتوفق بذلك . وقيل إن إسحاق خوجة أبقى ألفا من جنوده على ضفاف قاراشهر وأخذ معه المجاهدين واتجه نحو الجنوب واستدار شرقا من منطقة بحيرة باغراش ، فشمالا حتى وصل إلى مشارف قصبة أوششاق تال على بعد أربعين ميلا في الشمال الشرقي من مدينة قاراشهر حيث بلغه وجود جيش صيني قادم من أورومجي قوامه عشرة آلاف جندي ، وأنهم في استراحة تامة في طريقهم إلى قراشهر ، فشن إسحاق خوجة هجوما مباغتا على القوات الصينية وشتت شملهم وكسر شوكتهم وأباد أكثرهم ، حتى أن قائد القوات الصينية قتل في المعركة وسقطت إدارة المهمة والخرائط العسكرية وطرق الإمدادات الصينية في يد إسحاق خوجة. وغنم إسحاق خوجة جميع أسلحة الصينيين وعتادهم الحربي وسائر اللوازم العسكرية والميدانية ، ونجا من القوات الصينية مفرزة صغيرة هربت إلى قراشهر ، ولدي تصفح الإدارة العسكرية وجد بيانات مستفيضة عن تحركات قوات الإمداد الصينية وعددها وأوقات وصولهم إلى مناطق ساخنة، وأنه تتوالى إمدادات مكثفة. وجدت هذه البيانات من جيب سترة القائد العام الصيني المقتول. وكان من الإمدادات مفرزة قادمة إلى قصبة أوششاق تال في يوم وساعة معلومة، فأخلى إسحاق خوجة القصبة إلا من

بعض المجاهدين وأخذ جموع المجاهدين إلى المعابر المهمة في الطريق إليها وعلى جنبات منحدرات الجبال الشاهقة ، ودقت ساعة الصفر وقدمت القوات الصينية . وبينما كانت تسير عن آخرهم في عرض الوادي أمطر المجاهدون النار عليهم وأبادوهم إبادة تامة ولم ينج منهم أحد ، واستولى المجاهدون على الأسلحة الحربية الشيء الكثير . ثم اتجه إسحاق بالمجاهدين إلى قراشهر وعلم أن الصينيين تمركزوا في منخفض (جوقور) تبعد عن قراشهر بعشرة أميال ، وأن الصينيين أقاموا استحكامات هائلة وعلى أطراف المنخفض ومعابرها الوعرة ووصل إسحاق خوجة بالمجاهدين إلى المنخفض بعد أن اطمئن من قطع طرق الإمدادات الصينية إلى الأعداء . ووقعت معارك طاحنة ومريرة ودموية للغاية واستشهد من المجاهدين أكثر من ألف رجل . وبدأ المجاهدون بالاندحار وأحس إسحاق بفداحة الهزيمة وكانت لديه مئات من الرماة المهرة وهم فرسان شجعان اختار منهم مائة فارس وأمرهم بالهجوم الانتحاري على مرابض المدافع وفرقة المدفعية الصينية ، وسقط من الفرسان من سقط ووصل الباقون إلى مرابض المدافع وأسكتوها وقتلوا من فيها من الجنود الصينيين ، فإذا بجانبها من المخازن للذخائر الحية والأسلحة الاحتياطية ، استطاعوا أن يضرموا النار فيها فقامت قيامة الأعداء وأصبحت مدائن المعركة قطعة من الجحيم فحلصرهم شهب ولهب حارقة حتى تطاير أشلاء بعض أفراد فرقة المدفعية في الهواء وأجزاء من المدافع تناثرت . ووقعت في صفوف الأعداء هرج ومرج واضطرابات مفجعة ، وكانت الصواعق عندما رأي جموع المنسحبين من المجاهدين تبدل حالهم وعادوا إلى أدراجهم في أرض المعركة .

وعجز الصينيون في تدبير ملجأ لهم وهربوا صوب مدينة قراشهر وتركوا كل ما تمت لهم في أرض المعركة و لم يستطع أي أحد أخذ شيء من الأسلحة والعتاد الحربي ومدافع الهاون والعربات والأحصنة والإبل وسائر حاجياتهم الضرورية بل تركوها ورائهم . و لم يتوقف إسحاق خوجة بل لم يزل يطاردهم إلى مدينة قراشهر واحتمى الصينيون إلى داخل سور المدينة وحاصرها إسحاق خوجة . وقد وصلت ألوف من المجاهدين من مدينة كوجار ونزلوا إلى ضفاف نهر قراشهر في ذلك الوقت لمساعدة إسحاق خوجة الذي أعطى أمره بالاقتراب من سور المدينة المحاصرة ، ودام حصار المدينة ١٢ يوما حيث أحرق المجاهدون وأضرموا النار في بيوت المدينة وفتحوها عنوة . بينما هدموا أجزاء من سور المدينة وقتلوا من فيها من الصينيين وأسروا الباقي . وقد حصل المجاهدون على غنائم طائلة في مدينة قراشهر . وقد أسهب المؤلف القدير ملا موسى سايرامي في كتابه: (تاريخ أمينية) في وصف تعداد هذه الغنائم الكثيرة . نقول : إن موقع مدينة قراشهر فريد في نوعه وعلى مستوي تركستان الشرقية وحتى أنه موقع استراتيجي حربي هام عبر التاريخ . ولذلك كنا نقول : إن فتح مدينة قراشهر يسهل ويساعد كثيرا في عملية فتح كل من تورفان وأورومجى فيما بعد . وفعلا فتح إسحاق خوجة هاتين المدينتين في أقرب وقت وأقل حصار وتعب . غير أن فتح أورومجي استهلك وقتا أكثر امتد إلى أكثر من شهرين حيث إنه في عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٤م فتح مدينة تورفان وبسهولة وبمعاونة أهاليها الوطنيين . ثم مدينة أورومجي ، وتتبع لمدينة أورومجي كل من المحافظات الشرقية والشمالية والغربية منها : جمسا ،

وقطي ، وماناس ، وشيخو . فتحت هذه المحافظات بكثير من الجهد والكفاح المستميت لكثافة السكان الصينيين فيها . وبالمقابل ساعده إخواننا مسلمي الصين (تونجان). ولذا عين إسحاق خوجة في ولاية أورومجي العالم الفاضل المسلم الصيني الشيخ يوسف لورينجا . وبالتالي عين حكام المقاطعات والمحافظات من مسلمي الصين (تونجان) مكافئة لهم في جهادهم الإسلامي . فبقيت أمام إسحاق خوجة ولايتان مهمتان في الشرق لمتاخمتهما لحدود الصين وهما : ولايتا قومول وباركول . فقسم إسحاق خوجة جنوده إلى قسمين : قسم أخذه معه إلى ولاية قومول ، وقسم أرسله إلى ولاية باركول . وباركول مدينة أقيمت على منحدرات جبال آلتاي شرقا ، ولكنها وعرة ووديها خصبة معطاءة خيرة . وفتح باركول بعد عدة أيام من حصارها المحكم . وكذلك مدينة قومول وطهرها من رجز الصينيين وأقدامهم النجسة ما عدا قلعة الصين (المدينة الجديدة) . وانتشرت قوات إسحاق خوجة إلى حدود كانسو . ومن جهة ثانية كانت القوات الصينية المحاصرة في قلعة الصين حائزة على كثير من الأرزاق والحاجيات الضرورية ، وكان لهم استحكامات قوية على أطراف القلعة . ومن جهة أخرى تقول بعض الروايات : إن شخصيات تركستانية من ذوي الألقاب العليا (جنغ) ، و(وانج) أبدوا في الظاهر الترحيب نحو إسحاق خوجة وأعلنوا طاعتهم إياه ، وإنما في السر كانوا يمدون الصينيين بالمؤن وضروريات الحياة . وامتدت محاصرة القلعة الصينية في مدينة قومول لشهور عدة . بينما استلم إسحاق بك دعوة لقدومه إلى كوجار مركز حكومة سلطان راشد الدين خان ، ورجع إسحاق خوجة

إلى كوجار وأبقى جنود المجاهدين جنود الإسلام في مدينة قومول و لم يستطيعوا فتح القلعة الصينية ، وبعد رجوع إسحاق خوجة إلى مدينة كوجار سقطت قومول مرة أخرى في يد الصينيين بمعاونة الخونة (جنغ) و (وانج) .

حكومة كوجار والمجاهدون في درجة عالية

المجاهدون في مدينة كوجار ممثلة في حكومتها الفتية أحرزوا نجاحا باهرا في الاستيلاء على القسم الأكبر من التركستان الشرقية يمتد من غربها إلى حدودها الشرقية المتاخمة للصين (مدينة قومول) . وبحكم اتساع الرقعة ازداد حجم القوات العسكرية وحصلوا على إمكانيات ومكاسب هائلة وعظيمة .وأصبحت لحكومة كوجار الوطنية السبق والعظمة والأولوية في نظر كل من ينظر إليها ولأول وهلة ، وكان هذا هو الحقيقة كذلك في عين كل منصف وغيور لوطنه واستقلال أمته وبني جلدته . ولذلك ما كان أحد يشك في أن كل الحكومات الثورية المستقلة ستتحد تحت لواء حكومة كوجار غير ، أن الأخير زادت في غرورها في سياستها تجاه الآخرين وأخطأت في تقديراتها تجاهها ، فنتج عكس ما يتوقعه الجميع وواجهت عاقبة وخيمة .

وذلك أن خان خوجة (راشد الدين خان) أرسل إلى جميع الحكومات الثورية المستقلة في كل من كاشغر وختن وياركند كتابا يدعوها فيه لطاعة حكومة كوجار بدون قيد أوشرط ، وأن تسلم تلك

الحكومات لها الخزينة والأسلحة وإلا لتكونن عرضة للجزاء ، وهددها بالهجوم الكاسح والقوة العسكرية . ومن البداهة بمكان أن مثل هذا الكتاب تجاه شخصيات ضحوا بحياتهم وبأنفسهم وبأموالهم وبذلوا كل رخيص وغال في سبيل تحرير وطنهم الإسلامي وجاهدوا جهاد الأبطال وبالفعل نجحوا وأسسوا حكومات محلية إسلامية في ديارهم يعتبر إهانة وعدم تقدير وهدم لحرماتهم ومكانتهم في المجتمع والأتباع الميامين . وأن مضمون الكتاب يجعلهم بغاة وعصاة أو يصورهم هكذا .

وكان من واجب خان خوجة أن يبدأ بمبدأ التعارف وتقدير بعضهم بعضا عن طريق الدبلوماسية الماهرة وبدون تجريح أحد أن يتم كل شيء . وكيف لا وزملائه أرباب الحكومات المستقلة مقدرون ومعترفون بالفضل لخان خوجة منذ البداية وان لم تكن بينه وبينهم علاقة من قبل . وحصل ما حصل من خان خوجة فإنه أخطأ في حق الآخرين خطأ لا يغتفر .

وإذا تأملنا ردود صاحب ختن شيخ حبيب الله حاجم وأبنائه ، ورئيس مجاهدي وثوار ولاية كاشغر صديق بك لكتاب خان خوجة نراهم يقولون فيها : " إننا مستعدون لطاعة حكومة كوجار بشرط أن يجرد راشد الدين خان كل الصينيين المستوطنين ومسلمي الصين عن مناصبهم التي عينوا فيها من قبلكم ، وكذلك العسكريين الصينيين وشخصيات خدموا في السابق لحكومة الصين المركزية وأخلصوا فيها ، وأن يعترف خان خوجة بالحكم المحلي لكل مدينة وإقليم وقعت تحت استيلائه ، ونكرر استعدادنا الكاملة للبيعة له في حالة الالتزام بشروطنا السابقة " . ولا نعلم ماذا كان رد حاكم

ولاية ياركند الشيخ عبد الرحمن حضرت ، ولكن المؤكد أنه رفض طاعة السلطان راشد الدين خان .

وبهذا الخطأ السياسي الفادح التي صدرت من شخصيات برزت في أرض تركستان الفتية برز اختلاف ساءت عواقبها وجلبت على الجميع خسارة لا تعوض .

السلطان راشد الدين خان (خان خوجة) يعلن حربا على ولايات كاشغر وياركند وختن

ارتكب راشد الدين خان خطأ جسيما إضافة إلى تهوره وأخطائه السابقة ، حيث إنه حينما استلم الردود من كل من حكام ولاية كاشغر وختن وبتحريض من حلفائه والأمراء الفاسدين أعلن حربا شعواء على الولايات الثلاث ، بل على الحكومات المحلية في كاشغر وختن وياركند . فأرسل أخاه جمال الدين خوجة على رأس جيش كبير إلى ولاية كاشغر ، وحينما علم صديق بك صاحب كاشغر بتوجه جمال الدين خوجة إلى ولاية كاشغر طلب مساعدة عاجلة من حاكم فرغانة سعيد سلطان ، وفي رواية خدايار خان آنذاك . وقبل أن يصل مساعدة فرغانة إلى ولاية كاشغر قدم إليها جمال الدين خوجة . وكان طبيعيا أن لا تكفي قوة صديق بك لصد هجوم جمال الدين خان ، فانسحب صديق بك ورجاله إلى قصبة أو بلدة (تاشملق) ودخل جمال الدين خان إلى كاشغر بدون مقاومة . ثم بلغه اقتراب مساعدة فرغانة بحجم كبير إلى ولاية كاشغر ،

ولم يتحقق جمال الدين خوجة من حجم قوة فرغانة والمساعدة القادمة وتخوف منها ورجع إلى مدينة كوجار . فقدم صديق بك من قصبة تاشملق إلى مدينة كاشغر . وبعد أيام وصلت مفرزة صغيرة من قوة فرغانة لا تتعدى أربعمائة رجل . وكان على رأسهم بزركخان توره رجل صوفي لا يعرف عن السياسة شيئا . فأرفقه خدايار خان سلطان قوقند برجل عسكري محنك وعليه سوابق سياسية لدي السلطان وكان مسجونا. وقيل: أهدر دمه . ولم يكن هذا الرجل إلا يعقوب بك الشهير بـ بدولت .

ونحن على مقربة من نهاية عهود ملوك الطوائف في تركستان ، وسوف نأتي بذكر مفصل لعهد يعقوب بك ونهايته المؤلمة .

توجه بزركخان من قوقند بهذه المفرزة الصغيرة يرافقه يعقوب بك . وكان رتبة الأخير تساوي رتبة ملازم أول ، وفي الطريق إلى مدينة كاشغر أعاد يعقوب بك ذكرياته وتجاربه السابقة في الخدمة العسكرية والإدارية على مسامع سيده بزركخان توره ، ثم قدم له بعض النصائح في شؤون الحكم والإدارة فراعه ذلك ووضع ثقته فيه . وعند اقترابهما لولاية كاشغر عينه بزركخان قائدا للمفرزة الصغيرة ومنحه الصلاحيات المطلقة أو كاد .
ووصل بزركخان مدينة كاشغر استقبل من حاكمها صديق بك وكذلك استقبله الأهالي استقبال الفاتحين العظام ، وكذلك الصبية والأحداث بأناشيد الترحيب والحماس المتوقد .

وأما خان خوجة سلطان كوجار فجهز جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل وأرسله بقيادة أخويه جمال الدين خوجة وحامد الدين خوجة إلى ولاية ياركند ، وأعطى أمره الذي يقضي إذا انتصر على ولاية ياركند

فلتكن المرحلة التالية إلى ولاية كاشغر وبعدها إلى ولاية ختن . فلما وصل جمال الدين خوجة برحاله إلى ولاية ياركند وجد هناك في ظاهر المدينة يعقوب بك ومعه أربعمائة رجل وكان الأخير مشغول بتدبير حيلة للدخول إلى مدينة ياركند ولما أحس بقدوم جيش كوجار بقيادة جمال الدين خان رجع يعقوب بك إلى مدينة كاشغر على انتظار فرصة قادمة . وفي رواية طلب صاحب ياركند عبد الرحمن حضرت مساعدة يعقوب بك أو جيش فرغانة في مهمته ، وأتى يعقوب بك حسب طلبه . ولكن الأخير عرف فيما بعد عدم كفاءته لمقابلة جيش كوجار بقيادة جمال الدين خان وأخيه وتعداده أكثر من عشرة آلاف رجل فرجع إلى مدينة كاشغر .

ورواية ثانية تقول : إن يعقوب بك أتى إلى ياركند لمساعدة الشيخ عبد الرحمن حضرت ، ولكنه اضطر إلى الرجوع إلى ولاية كاشغر لأن جمال الدين خان أرسل بعضا من جنوده إلى مشارف مدينة كاشغر للاستعداد لشن هجوما عليها بعد احتلاله مدينة ياركند .

ولعل الرواية الأخيرة هي الأصح حيث إن جمال الدين خان حينما استولى على مدينة ياركند قبض على الشيخ عبد الرحمن حضرت وأرسله مكبلا إلى كوجار . وبعد وساطة مسلمي الصين في مدينة ياركند رجعه من طريق كوجار وفك أسره . وكان برفقة الشيخ عبد الرحمن في أثناء القبض عليه وإرساله إلى كوجار عدد من أبنائه ، وقد سهل لجمال الدين خان الاستيلاء على مدينة ياركند بسبب مساعدة مسلمي الصين الذين كانوا مستوطنين فيها ، وكذلك بمساعدة بعض ضعفاء النفوس من الأمراء أمثال نياز بك وبعض أهل النفاق . ولكن جمال الدين خان جعل الشيخ

عبد الرحمن حضرت في إقامة جبرية في مدينة ياركند ، ثم سير جمال الدين خان قسما من جنوده إلى ولاية ختن بقيادة واحد من عملاء الصين في أربعة آلاف مقاتل . وقد شكل هذا الجيش في معظمه من المستوطنين المسلمين الصينيين التونجان .

وعندما بلغ حبيب الله حاجم ملك ولاية ختن خبر توجه جيش كوجار صوب ولاية ختن أرسل ابنه صدر الصدور عبد الرحمن باشا إلى قصبة (بيالما) على بعد ٤٤ ميلا من مدينة ختن غربا ، ووصل جيش حكومة كوجار ودارت معركة طاحنة استمرت يوما واحدا وجزءا من الليل ، واستشهد صدر الصدور عبد الرحمن باشا في هذه المعركة . وبالرغم ذلك وبزيادة حماس المقاتلين من أهل ختن لقصد الانتقام لقائلهم حمي وطيس الكر والفر وانقض أهل ختن على أعدائهم انتفاضة الصقور على الفريسة وفتكوا بأكثر من نصف عدد الجيش حتى أرغموا الباقي على الفرار وولوا هاربين يتعقبهم مجاهدو ختن حتى طردوهم إلى أبعد من مدينة جوما غربا. ووصل الهاربون المنهزمون إلى مدينة ياركند فانكسرت شوكة جمال الدين الكوجاري و لم يتمكن من غزو مدينة كاشغر . وبعد إجراءات التعيين في مدينة ياركند رجع جمال الدين خان إلى مدينة كوجار.

ولكن هذه العودة لم ترض خان خوجة راشد الدين خان وغضب على إخوانه جمال الدين خوجة وحامد الدين خان ومن معهما من جراء هزيمة ختن . وبالتالي حزن في نفسه وتخوف من حركة القوقنديين في ولاية كاشغر ، حيث إن يعقوب بك يزيد من قوته العسكرية يوما بيوم ويركز ذهنه في النواحي السياسية والعسكرية معا ويوطن نفسه إلى التعمق في

ولاية كاشغر وعلى أمل المستقبل الباهر لنفسه . وكان إسحاق خوجة القائد الشجاع والحكيم الأوحد لحكومة كوجار في الناحية العسكرية والإدارية ، فاستقدمه خان خوجة من ولاية قومول وأبدي إسحاق خوجة رأيه في موضوع ولاية قومول وموقعها الاستراتيجي الهام وأخطر أخاه الملك سلطان كوجار خان خوجة راشد الدين خان على خطورة الموقف إذا عاد إسحاق خوجة إلى مدينة كوجار من دون فتح قلعة الصين التي تشكل مسامر الجحا ، بل علة العلل بل إنها أي القلعة ووجود الصينيين بها ذريعة لاستعادة الصين ولاية قومول مرة أخرى لجعلها رأس حربة وموقع قدم هام للقضاء على مكتسبات أمة تركستان المستقبلية . ثم قال : إن القوقنديين في ولاية كاشغر وموضوع فتح ياركند ومستقبل ولاية ختن لم تشكل قط عقبة في مسيرتنا وأنها أقل ضررا وأهون شرا من الصين واستيلائها مرة أخري على البلاد ، فهنا شر مستطير يجب اتقائه ، فلا يمكنني أن آتي إليكم قبل فتح قلعة الصين في مدينة قومول الباسلة والقضاء على الصينيين والزمرة الفاسدة . ولكن خان خوجة من فرط خوفه من حركة يعقوب بك أصر على رأيه وقال بوجوب عودة إسحاق خوجة إلى كوجار وعندها أبقى إسحاق خوجة قسما من جنوده تحت قيادة أخيه الأصغر ورجع إلى كوجار امتثالا لأمر أخيه الكبير راشد الدين خان خوجة . ثم توجه إسحاق خوجة إلى ولاية كاشغر في جيش قوامه عشرة آلاف رجل ، ولما بلغ خبر قدوم إسحاق خان في عشرة آلاف فارس إلى بزركخان توره قرر أن يعود إلى قوقند ويهرب وينسحب من ولاية كاشغر ، ولكن قائده العسكري يعقوب بك اعترض لهذا القرار وقال : لدينا الآن

أربعة آلاف فارس فلنقاتل ، فإذا انهزمنا فسهل فرغانة ليست ببعيد عنا ، وإذا انتصرنا عليهم لنا السعد وهو غاية المرام ، فخرج يعقوب بك بجنوده إلى قصبة خان إريق على بعد ٣٧ ميلا في الشرق من مدينة كاشغر . ووصل إسحاق خوجة بجنوده وجرت معارك دامية ، وانهزم يعقوب بك وهرب رجاله من أهل فرغانة وكان الوقت مساء ، ولكن يعقوب بك وبصحبة نخبة من أعوانه سلك طريقا فرعيا ونزل خلف ربوة وبها منارات صغيرة . وسهر هو يراقب تحركات جنود إسحاق بك في طريقهم إلى مدينة كاشغر وأبصر نزولهم واستسلامهم للنوم . فشن يعقوب بك هجوما مباغتا شرسا على جموع النائمين من جنود إسحاق خوجة . وما هي إلا ساعات قليلة فتك بهم فتكا ذريعا وسقط آلاف من جنود كوجار وتشتت شملهم وأصابهم الذعر والهلع ووقع خلق كثير منهم في أسر يعقوب بك وولى الباقون هاربين ، ولم يستطع إسحاق خان جمعهم وانسحب إلى مدينة مارالبشي بعيدا عن ولاية كاشغر . وهذه أولى المعارك الفاصلة لصالح يعقوب بك وأول عمل عسكري يقوم به القوقنديون في تاريخ يعقوب بك . وذلك في سنة ١٨٦٣م الموافق ١٢٨٠هـ .

ولم يتمكن إسحاق البقاء في مرالبشى فعاد إلى مدينة كوجار مهزوما . ومعركة (خان إريق) أذهب عن دولة أو سلطنة كوجار هيبتها وكادت تعصف بتفوقها العسكري. وبالتالي أعاد مجاهدو ياركند ملكهم عبدالرحمن حضرت وطردوا الولاة والأمراء الذين تعينوا من قبل سلطنة كوجار وكذلك الكوادر العسكرية والعسكريين من ياركند وأعلنوا استقلالهم .

سبق أن اشتهر إسحاق خوجة ببسالته وإقدامه عبر الفتوحات النيرة وحاز على محبة أمته في شرق البلاد وغربها وجنوبها وشمالها ، إلا أنه لم يسلم من الحساد والواشين المغرضين من سائر إخوان خان خوجة وأولاده، وبعد هزيمة خان إريق قامت ألسنتهم عليه وكثرت الوشايات ضده، وكان خان خوجة رجلا بسيطا يأخذ الكلام على علاته . واستمع لمقولات الواشين والحاسدين وأبعد إسحاق خوجة إلى مدينة أقسو وجرده من صلاحياته .

انزوى إسحاق خوجة في قرية نائية ،وعاش فيها عيش الذل والمهانة ، ولم يكتف الحاسدون ولم يكفوا عنه أذاهم بل هددوه بالتصفية الجسدية ، وبلغ خبر إسحاق خان ليعقوب بك في مدينة كاشغر وفهم بأن هذه هي فرصته المواتية التي لا تتكرر ، فأراد بذلك أن يحرم خان خوجة من مثل إسحاق خوجة الفاتح العظيم والقائد المحنك والسياسي اللبق والرجل الأوحد المدرك في سلطنة كوجار . وأرسل إليه رسولا وكتب إليه يطلب قدومه إلى ولاية كاشغر بسرية تامة .

ولأجل أن ينجو بجلده من تهديد أعدائه الحاسدين الفسدة قبل إسحاق خان عرض يعقوب بك ، فقدم إلى مدينة كاشغر ، واستقبله يعقوب استقبال الأخ لأخيه وزيادة . وهيأ له دارا تليق به ذات بساتين يانعة ورتب له معاشا وأكرم وفادته . وأما الحسدة وزمرة الفسق وعشاق الترف والطرب من أعوان خان خوجة فركنوا إلى ملذاتهم وتهربوا من واجباتهم والتمسوا الأعذار فضلا عن أنهم كانوا جبناء مارقين منغمسين في ملذاتهم

غير مبالين بما ستعود عليهم وعلى سلطتهم من ضياع . وما كانوا يفلحون في عشر معشار ما أنجزه إسحاق خان في زمانه ، حقا إنهم كانوا مغفلين .

وبما أنهم لاذوا إلى الراحة والاستكانة والكسل زالت عنهم وعن سلطانهم فكرة إخضاع ولايات الجنوب كاشغر وياركند وختن ، وبالتالي وقفوا في تخوف ما سيجيء إليهم من تلك الولايات من هجمات تقوض أركان دولتهم الفتية . وبالرغم من ذلك كانت سلطنة كوجار على أهبة الاستعداد اللازم تحسبا لأية احتمالات قد تقع . غير أنه تزامنت زوال هيبة سلطنة كوجار عسكريا وسياسيا باستعادة الصين لمنطقة قومول الباسلة إقامة معسكر قوي ذي شان . وبالتالي أعلن مسلمو الصين في منطقة أورومجى استقلالهم . وعاد أخو إسحاق خوجة من ولاية قومول خائبا بائسا إلى مدينة كوجار .

عاقبة سلطنة ومجاهدي كوجار

ووقعت سلطنة كوجار في يد إدارة سيئة وضعفت معنوياتها في الداخل والخارج ولم تزل تتدهور حتى تم استيلاء يعقوب بك عليها سنة ١٢٨٤هـ الموافق ١٨٦٧م حيث توجه يعقوب بك صوب ولاية أو سلطنة كوجار واستعمل يعقوب قوته العسكرية بجانب حيل ومكر ودهاء واستولى على مدينة كوجار . واستشهد خان خوجة ونفر من أبنائه في ظاهر مدينة كوجار ووقع باقي إخوانه وأعوانه في أسر يعقوب بك وأرسلهم مكبلين إلى كاشغر وياركند ، وفيما بعد قتلهم واحدا بعد الآخر

بعد تعذيب وحشي وإهانة نفسية وذل ومهانة لا مثيل لها . وامتد حكم وسلطان يعقوب بك جنوبا إلى مدينة كورلا . بينما استولى مسلمو الصين المستوطنين في أوروبجي على كل من تورفان وقراشهر .

أهم أسباب عدم اتفاق حكومة كوجار مع سائر المجاهدين

كان راشد الدين خوجة شيخا للطريقة الصوفية في مدينة كوجار وما جاورها من البلدان . وكان الأتراك وهم أهل البلاد ومسلمو الصين تونجان المستوطنون مريدين ومخلصين له . وكانت تونجان حائزين على أسلحة فردية وهم اعتادوا عليها بل استحصلوا عليها من الصينيين . وفي الثورة المباركة اعتبر راشد الدين خان كون جماعة تونجان مسلمين فقط وأن لديهم أسلحة نستفيد منها ، ولم يلاحظ راشد الدين خان كونهم من أصل الصين وأنهم بالنسبة لنا أجانب وأغراب ، وبالتالي كان راشد الدين خان يعتقد أن فيهم أي في تونجان الذكاء والفطنة والدراية في الأمور الإدارية والعسكرية . ولذا وثق بنجاح الثورة . وشكل المواطنون المجاهدون أكثرية في العدد والسلاح والإقدامات الحربية . غير أن راشد الدين خان - ويعد هذا أخطائه - يعين تونجان في المهام الإدارية والعسكرية ذات القيادة ومنهم بعض الحكام وولاة المقاطعات ويأخذ مشورتهم ويميل إلى رأيهم . وبالتالي قبل راشد الدين خان تملق المنافقين الونكات وأمراء المناطق في عهد الصين البائد الذين حازوا على لعنة الشعب ونفرتهم ، وعينهم في مناصب عليا من عسكرية ومدنية وشاركهم في استشارات سياسية وقرارات هامة

في إدارة الدولة يشاركهم في ذلك مسلمو الصين (التونكـــان) . وأمـــا الإدارة والإجراءات الحكومية كانت على نمط صيني بحت بحيـــث تنـــافي الروحانيات الإسلامية ، بل كانت سماتها سمة التنفر والاستبداد . ولم يكـــن لحكومة كوجار قانونا معلنا اعتمدوا عليه . ولم يكن راشد الديـــن خـــان رجل سياسة وبه سذاجة مطلقة يأخذ أي كلام من أي كان . وكان مـــن السهل عليه رجوعه عن فكرة أو قول قالها أو تفوه بها ولا يعـــرف شـــيئا خارج قصره وأما سائر الإجراءات كانت تتم وتبت فيها عبر آراء أبنائـــه وأعوانه التونكان ومستشاريهم من الأمراء ووانكات العهد البائد .

وفي السنة الأولى من الثورة المباركة كان التركستانيون في كل مكـــان يرون أحقية سلطنة كوجار أن تأخذ تحت رايتها كل المماليك والأقـــاليم التركستانية وبدون استثناء ، لأنها كانت تملك قوة واقتدار عسكرية كانت أو إدارية أو سياسية . وبعد مدة وجيزة غيروا رأيـــهم وذلـــك حســـب مرئياتهم في سلطنة كوجار وترددوا في الانضمام إليها .

ولو أن راشد الدين خوجة (خان خوجة) تعقل وتبصر وقلب الأمـــور والأوضاع بالرشد والعقلانية واتحد مع الآخرين في الولايات المحررة وهـــم المجاهدون البررة ومد إليهم جسور التعارف والتودد والبحـــث والنقـــاش الهادف الرصين ونظر إليهم بعين الإنصاف واحترمهم وجهادهم وكســـب ودهم وطرح مشاكل الأمة على بساط التداول حسب مساعيهم الخيرة لمـــا وقع ما وقع من خسران بين ، ولكانت هذه السياسة نبراسا وسراجا منـــيرا تشع منها حكمة ما بعدها حكمة . وبالتالي كان في إمكانـــه أن يجعـــل الباقين تحت طاعته وينضوون تحت رأيته لتصبح دولة تركستانية إســـلامية

ذات سيادة تسلم من همجيات يعقوب بك وسطوته ومن هيمنة الصين واستيلائها علينا وعلى مقدراتنا وخيرات أرضنا وبدون شك . كان ذلك ما يقصده المجاهدون الأطهار والباذلون أرواحهم في سبيل الله .

ولكن هذا الرجل الغير كفء بدد آمالنا وأمانينا باتخاذه الأجانب التونجان حليفا ووليا له وباستماعه إلى آراء ومخططات الخونة المأجورين من الوانكات السابقة عملاء الصين وأمراء المناطق الإقطاعيين الفسدة ، وزد على ذلك تكليفه اللاعقلاني بدعوة أرباب الحكومات المجاهدين في الولايات الثلاث كاشغر وياركند وختن إلى طاعته بدون قيد ولا شرط . بينما كانوا مترددين غير رافضين الانضمام إليه جعلهم رافضين ومقاطعين محل الخصام بدلا من الود والوئام . ووقعت صدامات دموية بين الأشقاء ثم وقعت هي وهم لقمة سائغة ليعقوب بك ثم للصين مرة أخرى ، وانتهت حكومات محلية وطنية إسلامية بنهاية راشد الدين خان سنة ١٢٨٤هـ ويقول الشاعر التركستانى فيما معناه :

أبغي أكون أنا وأنت في آن وأرفض أن تكون أنت أنا
وإلا كيف هذا الأمر بلا تبديل ولا أبغاك أن تنجح ولا أنجح أنا

ثورة ختن ساحة الشهداء الباسلة

كان الشيخ مفتي حبيب الله حاجم سليل الخيرين في ولاية ختن ، وقد تولى الإفتاء ومشيخة الإسلام كما كان من الأعلام الإجلاء في زمانه . وقد تولى القضاء أيضا ، وكان يعتبر المرجع الديني والقضائي في ولاية ختن

وعلى مستوى أقاليمها ومحافظاتها المتعددة . وكان في السبعين من عمره حينما أسر إليه أبناؤه البررة فكرة الجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن العزيز من ربقة الاستعمار الصيني البغيض . وهم عبد الرحمن خان وإبراهيم خان ورحب الوالد الكريم بالفكرة وشجع أبنائه على الجهاد الإسلامي .

فاتخذوا قصبة (يولان) التابعة إداريا لمدينة قارقاش مركزا لحركتهم الفتية وأخفوا أمرهم . وكانت القصبة تبعد عن مدينة قاراقاش ١٧ ميلا في الغرب منها . وشكلوا فيها خلية فعالة مكونة من مائتين رجل من خلص أصدقائهم ومعارفهم . وفي ساعة مباركة أغاروا على مركز جنود الصينيين في بلدة (زاوا) وقتلوا من فيه واستولوا على أسلحتهم ثم شنوا هجومهم الثاني على مدينة (إيلجا) وهي مدينة كبيرة في ولاية ختن . ومدينة ختن أكبر منها . وقد التف عليهم خلق كثير من عامة الشعب تقدر بأكثر من ثلاثين أو أربعين ألفا وقد تسلحوا بعصا وفؤوس وقدوم وهراوات والسكاكين وغيرها من أدوات الحرث ، وقتلوا من صادفهم من جنود العدو الصيني وأخذوا أسلحتهم أو جردوهم منها ، واستولوا على مدينة في نفس اليوم بعد القضاء على الحامية الصينية وحاكمها الإداري والعسكري معا . ولكن كثيرا من الصينيين اجتمعوا داخل سور المدينة فحاصروها ولعدة أيام حتى أعلن الصينيون الاستسلام للمجاهدين ، حتى أنهم استعدوا لقبول الإسلام . وقيل : إنه أسلم في ذلك اليوم أربعة آلاف صيني دفعة واحدة ثم نصب المجاهدون الشيخ حبيب الله حاجم ملكا على البلاد ، وأجلسوه على لباد أبيض فبايعوه على الطريقة الإسلامية ومنحوه لقب (حاجى بادي شاه). وكان في حوزته كلا من (قوما) غربا

و (جارقلق) شرقا الأقاليم الممتدة في الجنوب الغربي من تركستان العزيزة. وعين حاجي بادي شاه ابنه عبد الرحمن وزيرا لدولته ولقبه بـ (صدر الصدور) . غير أن بعض النبلاء عارضوا تنصيب المفتي حبيب الله حاجم ملكا على البلاد ، ولكن صدر الصدور قضى على زمرة المعارضة بهجوم كاسح قتل بعضهم وهرب البعض الآخر إلى ولاية يارکند وانتهى أمرهم .

وفي عام ١٢٨١هـ استلم حاجي بادي شاه كتاب تكليف الطاعة من راشد الدين خان ملك حكومة كوجار على يد مرسل أميري وكان به تهديد عسكري . فرد عليه حاجي بادشاه بمكتوب قال فيه : نحن مستعدون للطاعة لكم بشرط إبعادكم الوانكات عملاء الصين الإقطاع ومسلمي تونجان من المهام الإدارية العسكرية وشئون الأمة . وبالتالي أن تعترفوا بحكومة ختن بصفة ذاتية الحكم . فقام خان خوجة ردا على جواب حاجي بادشاه بمسيرة عسكرية إلى ولاية ختن في السنة التالية . ووقعت معركة بيالما نتج عنها استشهاد صدر الصدور وغلبة مجاهدي ختن على المهاجين من جنود خان خوجة الكوجاري ، وسقط منهم أكثر من أربعة آلاف رجل وهرب الباقون إلى مدينة ياركند . وقد أعقبهم مجاهدو ختن إلى أبعد من مدينة قوما غربا وبنوا استحكامات وأقاموا مراكز حدود ، وعين ابنه الثاني إبراهيم خان في منصب صدر الصدور . وفي أواخر ١٢٨١هـ أرسل حاج بادشاه بعثة رفيع المستوي إلى ملك قوقند السلطان خدايار خان يطلب منه إقامة علاقة صداقة والاحترام المتبادل بين حكومة ختن وحكومة قوقند . وكتب خدايار خان إلى واليه بزركخان في مدينة

كاشغر خطابا توصيه بعدم الاعتداء على حكومة ختن ، بل إقامة علاقــة صداقة بين كاشغر وختن .

وفي نفس الموقف أرسل حاج بادشاه رسوله بكتاب إلى خان خوجــة راشد الدين خوجة قال فيه بعد الديباجة والألقاب اللائقة : إن القصد من جهادنا المقدس تحرير أرضنا الطاهر وأمتنا المسلمة من قبضة الكفــار وإلى الأبد . فلزام علينا أن نطرح النفاق والشقاق والاختلاف فيما بيننا جانبـا وأن ننهي العناصر الدخيلة . لا سيما وأنتم فوضتم الشـئون العسكرية والإدارية لمسلمي الصين المستوطنين توبجان وكذلك أمراء العهد الصيــني البائد وانكات ، وأن هؤلاء منافقون ، وإذا تعرضنا يوما لخلفيات الأعـداء ليكونن هم أعدائنا في الداخل . لقد سبق أن أنذرتكم بالأمر ، ولكنكـم وجهتم علينا جيشا قوامه أكثر من خمسة آلاف رجل بقيادة ربيب صيني . وقد سقط في تلك المعركة المشئومة أكثر من أربعة آلاف مسلم ودمــاؤهم في ذمتكم ، والآن قد مات ما فات ونحن أبناء اليوم ، وإني لأسعى جـاهدا توحيد الصيف ليقوي الإسلام والمسلمون ويعلـو شـأنهم . وإذا أردتم أن تملكوا تركستان كلها فما عليكم إلا أن تجنبوا هاتين الطائفتين من الشـئون العسكرية والإدارية ، وأن تحكموا شرع الله في شؤون الأمة ، وعلى هــذا الشرط أبدي استعدادي لبيعتكم الميمون وفرحنا . ولو ما قبلتم شرطنا هـذا لأمد يد الصداقة إليكم لأن مصيرنا مشترك ، فأرجو أن أكون معكم يـدا واحدة أمام أعدائنا والسلام عليكم ورحمة الله .

ولكن خان خوجة عندما تسلم الكتاب فضلا عن الاتعاظ بما فيـه وأن يتدبر ما ضمنه وأن يجعل نصب عينه على سوء العواقب الوخيمـة الـتي

أنذرهم بها ، قبض على أفراد البعثة وسجنهم في قصبة سايرام بعد تحقير وإهانة وكان الحكم عليهم سجنا مؤبدا .

وبعد استشهاد راشد الدين خوجة (خان خوجة) أطلق سراحهم وعادوا إلى ختن . وفي سنة ١٢٨٢ هـ قامت جماعة من سلالة حاكم ياركند وعبد الرحمن حضرت بحركة مشبوهة ضد حكومة ختن بقصد الاستيلاء عليها وإسقاط حكومة ختن لصالح حكومة ياركند . وكان منهم عبد الله حضرت وقدرت الله حضرت . وعندما تنبهت لها حكومة ختن وقبضت على الجماعة وحجزت أملاكهم وعقاراتهم .

نهاية مجاهدي ختن العزيزة

وفي أواخر سنة ١٢٨٢هـ أقصى يعقوب بك سيده وولي نعمته بزركخان توره بحيلة مدبرة حيث رغبه لأداء فريضة الحج وجهز له التجهيزات اللازمة وودعه . ثم أعلن نفسه سلطانا على البلاد ، ومنح نفسه لقب (آتالق غازي) ثم بعث إلى ولاية ختن بعثة رسمية يطلب فيها إبرام اتفاقية صداقة وعدم الاعتداء والاحترام المتبادل بين البلدين ، وأن يعترف كل بلد بموجبها باستقلال البلد الآخر . وسر بذلك حاج بادشاه وتم إبرام الاتفاقية بما ذكر أعلاه . وقد حام طيف الاتفاق بسماء البلدين بعضا من الوقت حيث اعتبره حاج بادشاه وحدة إسلامية أو هكذا تلقله . ولكن الأمر لم يكن كذلك بل كانت الاتفاق خطوة وبداية لمكر وحيل يعقوب بك الذي يعرف تمام المعرفة أن الاستيلاء على ولاية ختن بالقوة

العسكرية كان من المستحيل آنذاك بوجود حاج بادشاه الذي يكن له أهل ختن كل حب واحترام ، وأنهم يفدون هذا الشيخ الجليل ملك البلاد بأرواحهم وأبنائهم وأموالهم . ولذا فكر وخطط يعقوب بك للاستيلاء على الختن بمكر وحيل ، بل بخيانة عظمى خلافا للعهد الذي بينه وبين حاج بادشاه . وبعد إبرام الاتفاقية كثرت المراسيل والزيارات لعدد من الشخصيات البارزة من كلا الطرفين للطرف الآخر .

وفي سنة ١٢٨٣هـ الموافق ١٨٦٦م بدأ يعقوب بك في تنفيذ خطته الجهنمية خطة المكر والحيل وخيانة العهد فأذيع عنه قصده لزيارة مزارات ختن التي اشتهرت بساحة الشهداء ، وفي مقدمتها زيارة الشيخ الجليل المهيب حاج بادشاه . وتوجه إليها في حوالي ألف رجل من أخلص رجاله ، ووصل إلى مشارف ختن يتبعه اثنتا عشرة ألف جندي متفرقين وعلى مختلف المحاور والطرق الملتوية على الجبل والأرياف وبمختلف الأعذار والأسباب . وقد سبق أن وصل للحاج بادشاه مكتوب يعقوب بك يخبره بقدومه للزيارة ، فوقع الشك في قلب الشيخ الجليل وجهز جيشا كبيرا وسيره بقيادة صدر الصدور إبراهيم خان لاستقبال يعقوب بك في قصبة بيالما على بعد ٤٤ ميلا من مدينة ختن ، على أن ينظر في أمر يعقوب بك هل هو أتى للزيارة وبنية حسنة أم بقصد آخر؟ وعلى كل يريد حاج بادشاه أن لا يتعدي يعقوب بك من بيالما . وإذا تنبه إبراهيم خان لأي بادرة مشبوهة من قبل يعقوب بك ليأخذ وجنود ختن خط الدفاع الأول في بيالما . ووصل يعقوب بك إلى قصبة بيالما واستقبله إبراهيم خان . وفعلا تنبه يعقوب بك على الجنود المرافقين لإبراهيم خان، فقال له يعقوب خان:

إني أتيت لزيارة الوالد الشيخ حبيب الله حاج بادشاه وأقبل أياديه وأتشرف بلقائه الكريم الميمون ، وكم هو رجل دين وتقوى وجهاد في سبيل الله قلما يجود الزمان بمثله . وإذا رأى الوالد الكريم أن لا أدخل مدينة ختن يكفيني أن أرى طلعته البهية في هذا المكان وأسلم عليه وأعود إلى مدينة كاشغر وقد سعدت بلقائه وحزت رضاه . وكل قصدي من زيارتي هذه أن أوطد عرى الصداقة والمحبة بيني وبينكم . ثم تناول يعقوب بك المصحف الشريف وحلف بأغلظ الأيمان على أنه سليم النية ونقى السرية تجاه حاج بادشاه . فاقتنع إبراهيم خان بسلامة قصد يعقوب بك وصدق إخلاصه في الوالد الكريم . وقدم يعقوب هدايا ثمينة وطقوما من الألبسة الغالية الثمن هدية منه للوالد حاجى بادشاه . ورجع إبراهيم خان بتلك الهدايا ومعه جنوده ليبلغ الوالد العزيز خلو نية يعقوب بك وصفاء قصده ولا يشوبه شيء يوحي بالغدر والخيانة . ولكن الوالد الكريم لم يقتنع أو لم يزل في قلبه ريب وشك ولم يأمن جانبه أو جوانحه من غدر وخيانة يعقوب بك . وتردد في لقائه حتى في بيالمه ، غير أن بعض وزرائه وجمع من أعوانه وابنه إبراهيم خان رغبه في لقاء يعقوب بك في بيالمه ، وأخيرا قرر ذلك . وفي الغد أبقى ابنه إبراهيم خان مع بعض الجنود في مدينة ختن واصطحب معه عددا كافيا من الجيش وتوجه إلى بيالمه لمقابلة يعقوب بك. وعندما بلغ يعقوب بك مقدم حاجى بادشاه امتطى يعقوب بك جواده ونفر من أعوانه وتقدم وقطع مسافة لا بأس بها لاستقبال الملك حاجى بادشاه ، وما أن رآه ترجل يعقوب بك من جواده وأسرع في تقبيل ركاب الملك حاجى بادشاه ، فترجل الأخير أسرع منه وحصل اللقاء في جو

رسمي وبمراسم معتادة في منطقة زاوا أقرب منطقة إلى مدينة ختن، حيث إن يعقوب بك تقدم إليها ونصب خيامه لاستقبال الملك جبيب الله حاجي بادشاه . وبعد مراسم اللقاء اقتنع حاجي بادشاه بسلامة نية يعقوب بك وعاد إلى معسكره . وبعد استراحة قصيرة توجه حاجي بادشاه في مائتين من رجاله إلى مخيم يعقوب بك ولحضور المأدبة المعدة من قبل يعقوب بك بشرف الملك. ونزل حاجي بادشاه في خيمة يعقوب بك المعدة لاستقباله. ولصغر حجم الخيام قسم رجال يعقوب بك مرافقي حاجي بادشاه إلى عدة خيام في حدود عشرة أشخاص في خيمة واحدة . وسبق أن قال لهم حاجي بادشاه أن يكونوا حذرين لأي بادرة سوء من قبل يعقوب بك ورجاله . ومدت الموائد الملكية وعندما كان الجميع منهمكين في تناول الطعام باغت رجال يعقوب بك بالانقضاض على الملك حاجي بادشاه ومن معه في خيمة يعقوب بك واعتقلوهم وشدوا وثاقهم وأسروهم من دون ضجة وقد ساد الخيمة السكوت والهدوء كالعادة . وبعد الانتهاء من تناول الطعام وصل كتاب من حاجي بادشاه على يد رجال يعقوب بك مختوما بختم الملك حاجي بادشاه يقول فيه انصرفوا بسلامة الله إلى ختن ، وأنا أبقى مع آخي يعقوب بك هنا إلى يوم غد حيث نتوجه بمعيته إلى ختن. أنتم استعدوا فيها لاستقبالنا واحرصوا للنظافة في الشوارع والطرقات وزينوها بمظاهر تليق بمقام الضيف العزيز .

فرجع رجال حاج بادشاه مطمئنين عليه ورجع الجيش معهم إلى مدينة ختن. وفي تلك الليلة سكب يعقوب بك جام غضبه وحقده وكراهيته على الملك حاج بادشاه واستحقره وأهانه وشد وثاقه وكبل أطرافه وفعل بجميع

المرافقين معه ، وحملهم في عربة عسكرية وأرسله مقـــهورا ومظلومـــا إلى مدينة كاشغر . وفي الصباح الباكر استعد يعقوب بك للقدوم لمدينة خـــتن وفعلا توجه موكبه ووصل إلى مشارف مدينة ختن . وكان في اســـتقباله إبراهيم خان والوزراء وأعيان البلاد والجنود وجمع حاشد من أهالي خـــتن . فلم يرو ملكهم في عربة يعقوب بك فقال لهم الأخير : الوالد في الموكـــب الثاني على بعد الميلين ونحن أسرعنا لنكون في استقباله معكم ، هيا نـــأخذ أماكننا على بوابة القصر . فأسرعوا إلى داخل المدينة فأخذ رجال يعقـــوب بك أماكنهم حول القصر. واستقر يعقوب بك على بوابة القصر وتملكـــها. فإذا رجاله وجنوده يضربون يمينا وشمالا ويهاجمون هجمة شرســـة علـــى جنود وأهالي ختن ، وأخذ الهرج والمرج في أهالي ختن فقاموا باحتجاجـــات صاخبة ومظاهرات شعبية واسعة ويقولون : اخرج يا خائن ، يا نذل ، أين ملكنا ووالدنا يا سفاك ! اخرجوا يا أنجاس من بلدنا الطاهر إلى الجحيم يـــا يعقوب يا ويل الويل عليك وعلى رجالك .

وعندما قال يعقوب بك في ظهر المدينة أن الوالد في الموكب الثاني على بعد ميلين وأضاف تفضلوا بالتشرف إليه عسى أن يكون لديه تعليمـــات وأوامر ، فأسرع إبراهيم خان إلى طريق زاوا ليمسكه رجال يعقوب بـــك ويأسروه ، وفتك يعقوب بك بجنود ختن وبأهاليها وأجري نهبا وســـلبا في البلد . وكانوا مطمئنين على الملك وعلى أنفسهم بحيث إن يعقوب بـــك حلف بالله بأيمان غليظة وعلى المصحف الشريف وكيف بمسلم يحلف بـــالله على شيء ثم يفعل نقيضه ويسفك الدماء ويقتل الأبرياء ويسلب وينـــهب في بلد إسلامي وهو مسلم وأهلها مسلمون؟ وليس هم علم عمـــا جـــري

للملك الوالد حاج بادشاه وعلى ابنه إبراهيم خان ومجريات الأمور بين الأمس واليوم . امتدت تلك المظاهرات الصاخبة والدموية لعدة أيام وقتل المتظاهرون كل من هو فرغاني دخيل في بلدهم ، وهاجموا على مقر يعقوب بك وسقط من الطرفين خلق كثير نأتي بتفاصيله في باب وقائع يعقوب بك .

واستولى يعقوب بك على ولاية ختن باسم الدين وتحت مظلة الحلف بالله وبرفع القرآن حيلة وغدرا وخيانة ، وعندما استتب الأمر إلى ولاية ختن رجع يعقوب بك إلى مدينة كاشغر وقتل حاج بادشاه ومرافقيه ، وبلغ عدد القتلى بدءا من حاج بادشاه وأولاده وأهل ختن العزيز إلى أكثر من أربعين ألف نسمة على يد يعقوب بك وجنوده . يالها من مجزرة رهيبة ! ثم أصبحت ولاية ختن ولاية من ولايات التابعة لحكم يعقوب بك .

حاجي بادشاه و تشكيله الإداري والإجراءات

نحن إلى الآن في ذكر ملوك الطوائف ، وحاج بادشاه منهم . كان تشكيله الوظيفي حسب ما نصت عليه الشريعة أو وفق ما خططه السلف الصالح من أئمة الإسلام . وكذلك الإجراءات الإدارية والحكم والقضاء . وفي السياسة كان تحت شعار (تركستان للتركستانين) ، و (تركستان الشرقية) . ولذا لم يقبل جلالته تعيين الأجانب في الوظائف الحكومية إدارية كانت أو عسكرية ، منهم أهل فرغانة وتونجان وكذلك الخونة المأجورون عملاء الصين قديما (الوانكات) من أهل البلاد. وكان يقول:

إن إدخال هؤلاء خطر علينا وعلى بلادنا في استقلالها التام. وعلى هذا المبدأ وقع ما وقع بينه وبين راشد الدين خان (خان خوجة) ملك أقاليم كوجار كما أسلفنا . وكان يرفض فكرة طلب مساعدة صديق بك حاكم ولاية كاشغر من أهل وخانية فرغانة وقوقند ويصرح بذلك . وقد ابتلي أهل تركستان الشرقية ووقع المحذور ورأوا مصداقية قول حاج بادشاه في يعقوب بك وغيره فيما بعد .

وقد رأي حاج بادشاه إيجاد قانون وأنظمة ثابتة في إدارة شؤون البلاد الداخلية . وتكون من مبادئ هذا النظام مكافحة جرائم السرقة والإرهاب والظلم ومكافحة الرشوة والفساد الإداري ، وكل من يحيد عن القانون والنظام من إداريين وعسكريين يكون عرضة للجزاء الصارم حسب مسئوليته أمام الملك مباشرة . وكان رحمه الله ملما بكل صغيرة وكبيرة وعالما ببواطن الأمور ، ولا يمكن لكائن من كان عمل شيء أو إجراء برأيه الخاص . وكانت مالية الحكومة المحلية عاجزة وضعيفة من جراء ضعف وقلة الواردات والرسوم والإتاوات ، فعمدت حكومة جلالته إلى محصول الذهب من المعادن المحلية ، لأن ولاية ختن تعتبر من مهد الذهب في التركستان الشرقية ، ويصرف غلتها لشؤون الدولة حيث حجزتها الحكومة أي المعادن تحت إدارتها الخاصة . وكانت الجباية من عشر المحصول الزراعي والزكاة من عروض التجارة ، وكذلك زكاة الأنعام في المراعي حسب ما قررته الشريعة الإسلامية ، وما عدا ذلك لم تكن للرعية مسؤولية عن شيء تجاه حكومتها إطلاقا . وكان يصرف الذكوات لفقراء الأمة والمساكين وابن السبيل حسب ما قرر الشرع الشريف . أسس رحمه الله دارا

للمتسولين جمع فيها كل من يتسول وجعله مهنة لنفسه . وكذلك دارا للعجزة والأيتام . وكذلك أسس دارا للعاطلين مفقودي الدخل ومقطوعي الشجرة ، وصرف لكل هؤلاء من بيت مال المسلمين من غلة الزكوات وأجري لهم صرف ملابس شتوية وصيفية مرتين في السنة . وكان من يغذيهم في أيام الشتاء القارس بوجبة دسمة ساخنة . ولقلة موارد الحكومة اتخذ رحمه الله طريقة (العمل على قدر الإمكانية) باقتصار وقت الدوام الرسمي . وصرف مكافأة تكفي للموظف قرشا له ولعياله أو كاد . واتخذ رحمه الله تدبير تقليل على الجنود الرسميين ويصرف لهم المأكل والملبس ومكافأة قليلة لا تذكر .

وكان رحمه الله متشددا في أمور الدين وشؤون القضاء الشرعي والحرص عليها ، وفي قمع البدع والخرافات منها التصوف والطرق الصوفية ويسمونهم الغوغائيين، وكل أمر يمس أمن الحكومة وشؤون الرعية يجازي صاحبها بحكم المفسدين في الأرض وبالتعرض للإعدام . وكانت جزاءات المخالفين ومنهم الصوفية مربوطة بالنظم ونصوص قانونية. وقد ذاق شعب تركستان العزيزة في عهود الصين الأمرين من سطوة الإرهاب وعصابات السرقة . وقد استحكمت هذه المظاهر المشينة في بعض الفئات اكتسبا من العصابات الصينية المحترفة ، فاتخذ حاج بادشاه حيالهم جزاءات صارمة منها : أن يجعل بعضهم هدفا في المناورات العسكرية بالذخيرة الحية ، وقتل بعضهم عن طريقة الشنق . وكانت النتيجة أن أصبحت ولاية ختن في مأمن من تلك الجرائم الخبيثة واستتب الأمن في ربوع البلاد بشكل لم يسبق من قبل. ثم عمد حاج بادشاه إلى التصنيع الحربي ، فأسس مصنعا أو

ورشة كبيرة جمع فيها الصناع المهرة من ذوي الاختصاصات في صناعة الحديد والصلب، فصنعوا في وقت وجيز أو استطاعوا أن يصنعوا أكثر من ثمان مدافع هاون وأربعين مدفعا متوسط الحجم (تيو) وآلافا من البنادق، غير أن هذه الأسلحة لم يكن كافية لاتساع رقعة البلاد حيث إن ولاية ختن تشكل خمس مساحة تركستان الشرقية بما يقارب ٤٠٠ ألف كيلومترا مربعا تحيطها جبال وصحاري قاحلة ، وفي الشمال منها صحراء تكلى ماكان عائمة في بحر لجي من الرمال المتحركة مثلها مثل منطقة الربع الخالي في المملكة العربية السعودية وأكبر منها مساحة .

وقد استحكمت في السابق المعاملات الربوية واشتهر فيها مرابون حصلوا على أموال طائلة في العهود الصينية ، فأعلن حاج بادشاه حربا شعواء على المتعاملين بالربا وحذرهم وفرض على المرابين رسومات باهظة ليقضي عليهم قضاء تاما في ظرف سنوات قليلة .

وعلى غرار لكل جواد كبوة لم يسلم حاج بادشاه من مآخذ منها : عدم اكتراثه بالجنود وتنظيماته العسكرية . ويعمد لعدم الإكثار منهم اعتمادا على إخلاص وحمية الشعب حيث يقول : إن المبدأ الأساسي للحكومات المحلية حتى الدول الكبرى إسعاد الشعب وتأمين متطلباتهم الأساسية لإيصالهم إلى مستقبل أفضل . ونحن إذا أمنا هذا المطلب لشعبنا ويكون هم عدتنا وعتادنا في المصادمات الحربية إذا وقعت . أضف إلى ذلك النظرية الاجتماعية والاقتصادية في حياة الشعب ألا وهى أن الإكثار من الجنود النظاميين تتطلب مبالغ طائلة ، فلا يكون تأمينها إلا عن طريق الضرائب والإتاوات تجبى من الشعب فيذهب جل اقتصاد الشعب للجيش

الذي ربما نحتاج إليه . ويقول : إن فرض الضرائب على الشعب ومن غير ضرورة ملحة لا يقرها الإسلام ، ولم يثبت ذلك في العهود الإسلامية التي سبقتنا ، وأرى جمع المال والضرائب لأجل الجيش في الإسلام عملا غير مشروع ، فهو ظلم بعينه .

ولذلك عمد رحمه الله إلى تسجيل أسماء وعناوين الشباب في كل مدينة وبلدة وقرية ، وأمرهم بأن يحتفظوا في منازلهم بآلة حربية ولو كانت هراوة أو قضيبا من حديد . ومع ذلك كان يحتفظ بأكثر من أربعة آلاف جندي مسلح تحت الطلب في بلد مثل ختن شاسعة الأطراف .

ومن عيوب حاج بادشاه : سرعة غضبه وتوتر أعصابه لأتفه الأسباب قد يصدر من أقرب المقربين إليه من بعض الأعوان الميامين . وكان متسرعا في أحكام دون روية أو تحقيق أو قبل اكتمال إجراءات التحقيق في شخص قد يكون بريئا ويسرف في القتل . الأمر الذي تسبب في انفضاض المخلصين من حوله وبقائه في عزلة من رجال أكفاء وذوي الخبرات العالية، لأنهم خافوا على حياتهم بقرب جلالته رحمه الله وغفر له .

ثورة ولاية كاشغر وعاقبتها

قام بثورة ولاية كاشغر رجل الأعمال الثري صديق بك من أهالي بلدة أو محافظة ينكحصار من قصبة آقتو . كان من الأعيان وله نفوذ عالية في الأوساط الشعبية . وقيل : أصله من قبجاق (قيرغيز) . وفي سنة ١٢٨٠هـ قام بثورة عامة بولاية كاشغر باستقطابه جمعا من الصيادين

ورجال القنص من محافظة آقتو وتاشملق وينكحصار ، وهم بضع مئات من القناصين المهرة . وكانت الهجمة الأولى على حامية مدينة كاشغر ولعدة مرات حتى فتحها عنوة . ثم مدينة أو محافظة ينكحصار وبلدة فيض آباد بهجوم شرسة متكررة . والتف إليه رجال كثيرون من كل مدينة وبلدة وتكونت عنده قوة عسكرية لا بأس بها . ولكن الصينيين احتموا في قلعة الصين (المدينة الجديدة) بالقرب من مدينة كاشغر وعلى الجنوب منها تبعد عنها بسبعة أميال ولديهم أسلحتهم الكاملة وعتادهم الحربي والأرزاق التي تكفي لسنة وزيادة. وحاصرها صديق بك وطال الحصار لأكثر من سنة، وعندما قدم جيش حكومة كوجار إلى مدينة كاشغر لم يكن في إمكان صديق بك الدفاع عنها ، فانسحب بجنوده إلى محافظة تاشملق ودخل جيوش كوجار إلى مدينة كاشغر وبدون مقاومة . ولم يزل صديق بك مهتما لتكثيف جيشه واكتساب قوة ضاربة لها من جهة ، ومن جهة ثانية أرسل صديق بك بعثة خاصة لملك فرغانة سعيد خان أو خدايار خان ملك خانية قوقند يطلب مساعدته في جهاده هذا. وقيل: إن صديق بك أرسله بيعة لقاء مساعدته في إنجاح ثورته وتثبيت حكومته في ولاية كاشغر. وكان ملك قوقند في طمع لاتساع بلاده إلى الشرق من ولاية كاشغر آنذاك ، فوقع اختياره على بزركخان توره من سلالة آفاق خوجة (هداية الله إيشان القوقندي) وأرسل معه أربعمائة جندي . وكان بزركخان رجلا ساذجا لا يعلم شيئا عن الإدارة والحكم وكذلك في شئون الجند والحرب والسلم ، فطفق يبحث عن رجل مناسب لرفقة بزركخان ، فكان ذلك الرفيق يعقوب بك كان في رتبة ملازم من أصل

قازاقي تغرب أبوه في المدينة الصاحبة طاشكند ، وولد يعقوب فيها وكان في شبابه من الصعاليك واشتغل خادما في بعض البيوت الثرية . ثم عمل في سلك الجندية حتى ارتقى إلى رتبة ملازم حينما تولى قيادة الحامية في منطقة بحيرة أورال شمالا . ومن جراءته أو شفوته سمح لمجموعة من الروس العسكريين للاصطياد في جزيرة من البحيرة . وقيل : أجره لهم . وعندما بلغ الأمر لخدايار خان عزله من منصبه واستقدمه إليه فهرب يعقوب . وكان في بعض المدن متنكرا فأهدر خدايار خان دمه . وقيل : قبض عليه وكان في السجن . وكان ليعقوب بك معرفة قديمة لبزركخان توره ويتودد إليه ، فطلب بزركخان من خدايار خان الملك العفو عنه والسماح له برفقته فأجيب طلبه .[1]

وكان يعقوب بك خائفا على نفسه من سطوة خديارخان ، وعندما بلغه أمر بزركخان أرسل إليه يعقوب بك طلبا لشفاعته ففعل بزركخان ذلك . وحينما كان بزركخان في طريقه إلى مدينة كاشغر شاعت وأذيعت دعاية في ولاية كاشغر مفادها أن بزركخان قادم إلى مدينة كاشغر في سيل عرم من جيوش فرغانة ، فاندهشت جنود وقيادة كوجار المتمركزين في ولاية كاشغر وخافوا على أنفسهم من بزركخان من جهة ، ومن صديق خان من جهة أخرى . فانسحبوا من مدينة كاشغر وعادوا إلى مدينة كوجار . وعاد صديق بك إلى مدينة كاشغر برجاله واستعد لاستقبال بزركخان ورجاله ، وفعلا استقبل بزركخان بحفاوة بالغة وسرور متناهية

---

[1] ــ انظر : كتاب الأعلام للمؤلف في مادة ياء .

من صديق بك ورجاله من أهل كاشغر ، حتى الأطفال استقبلوه بأناشيد حماسية وترنيمات قومية كأحد الفاتحين العظام .

وقبل ما يصل بزرك خان إلى ولاية كاشغر وضع كل ثقته في يعقوب بك وعينه قائدا لجنوده الأربعمائة . وبحثا معا أمر صديق بك وكيفية التخلص منه ، وكان قرارهم إيعاز الجند على شخص ورجال صديق بك ولأي سبب وبأي وسيلة منذ وصولهم إلى مدينة كاشغر . وبعد وصول بزرك خان وقائده يعقوب بك برجاله إلى مدينة كاشغر عمد رجال فرغانة إلى تنفيذ الخطة وتناوشوا على شخص وجنود صديق بك يسألون بل يؤاخذون على مصادرة أسلحتهم وعن الغنائم ، فعلم صديق بك بفطنته وذكائه أن بزرك خان ورجاله لم يأتوا لمساعدته ، بل للاستيلاء على ولاية كاشغر . فانسحب من مدينة كاشغر مع رجاله ليلا إلى مسقط رأسه آقتو. وأعلن منها حربا على بزرك خان وأهل فرغانة وأخذ بالأساليب المتاحة لإجبارهم إلى الانسحاب إلى فرغانة ، ولكن يعقوب بك استمال بعض رجاله بالمال وأمرهم باغتيال صديق بك ففعلوا . واغتيل صديق بك على أيدي بعض رجاله الخونة المأجورين فتفرق رجال صديق بك ، وسقطت ينكصار وفيض آباد بالإضافة إلى مدينة كاشغر في يد بزرك خان ، فأعلن الأخير نفسه ملكا على البلاد باسم خانية قوقند خدايار خان . هذه بداية عهد يعقوب بك في أواخر سنة ١٨٦٣م .

ثورة ياركند وعاقبتها

كانت ولاية ياركند غاصة بالمهاجرين الصينيين المسلمين (تونكان) منذ عهود الصين . وفيها عدة آلاف من العوائل من مسلمي الصين ، وكان هؤلاء مخلصين لحكومة الصين المركزية ، ولذا زودتهم الصين بالأسلحة الشخصية ولكل فرد منهم بينما كانت محظورة للمواطنين الأصليين . فمنذ سنة ١٨٥٩م قامت ثورات محلية في عموم أقاليم التركستان الشرقية فتخوفت جماعة تونكان أن تشملهم ثورة الأهالي وتمتد إلى ولاية ياركند فيبقون تحت رحمة المواطنين . ففكروا في حيلة للتخلص من هذه الورطة التي لا مناص منها ، فقاموا بثورة إسلامية ضد الحكومة الصينية مثلهم مثل سائر الأهالي والمواطنين الأتراك وفي كل أقاليم تركستان الشرقية . وقد اشترك معهم المواطنون في هذه الثورة ، وقالوا : إن ثورتنا إسلامية ! وكانت ياركند المدينة مركز (الخان آمبان) المتصرف الصيني أو الحاكم المطلق ، وهو واحد من الخمسة المتصرفين في عموم تركستان الشرقية . وكانت ولايتا ختن وكاشغر تحت تصرف هذا (الآمبان) الصيني ، فاحتمى الأخير ومعه آلاف من الصينيين في المدينة الجديدة (القلعة الصينية) وشكلوا جبهة للدفاع عن القلعة الجديدة . وحاصرها الثوريون وطالت محاصرتهم لمدة شهرين وزيادة ، فعمد الثوريون إلى النقب تحت سور القلعة وكذلك تحت بنايات حكومية داخل القلعة ، وهدموا أجزاء من السور وفجروا في النقب عبوات ناسفة ودمروا البنايات على من

فيها ، فتطايرت أشلاء آمبان وأسرته وكذلك ألوفا من الصينيين دفنوا تحت الأنقاض ، وفتحوها عنوة . وقد فتح الثوريون مدينتنا فوسكام وقـارغليق قبل فتح القلعة الصينية . ومع أن لجماعة تونكان أسلحة شخصية وبسـالة وإقدام في هذه الثورة إلا أنهم كانوا قلة بالنسبة لأهل البـلاد الأصليـين . فاقتنعوا بأن تكون إدارة البلاد بيد الأتراك المحليين . وكانوا مريدين للشـيخ عبدالرحمن حضرت المجددي وهو شيخ الطريقة الصوفية في مدينة يـلوكند . فكان اختيار الجميع على الشيخ عبد الرحمن حضرت المجددي فنصبوه ملكا على البلاد . وبايعوه بيعة الإسلام . بينما اختص جماعة التونكان في الأمور العسكرية استقل الشيخ عبدالرحمن حضرت المجـددي في كـل الأمـور الإدارية بصلاحية تامة. ودامت حكومة ياركند لأقل من سنة واحدة حيث سقطت بهجوم رجالات خان خوجه رشيدالدين خان الكوجاري كمـا أسلفنا . ومن أهم أسباب سقوط حكومة ياركند علـى يـد رجـالات كوجار : أن الأخيرة تشكل الأكثرية التونكانية . والذين قـاموا بثـورة ياركند والمسلون فيها هم الآخر من جماعتـهم تونكـان أيضـا . ولهـم عصبيتهم القومية التي هي فوق كل اعتبار بما فيه الدين ، حيث إن الديانـة عندهم شيء ثانوي بالنسبة لعصبيتهم القومية والعرقية .

وعندما قدم رجال كوجار العسكريون على مدينة ياركند قامت حمية الشيخ عبدالرحمن المجددي واستعد للدفاع عنها وعن مكتسبات ثورة أهل ياركند . وبعد حين وقفت جماعة التونكان في صف جماعتهم القادمة من كوجار ، بل اتفقوا معهم على حقن الدماء بين الإخوة ، فاضطر الشيخ عبدالرحمن إلى التسليم . وبالرغم ذلك ألقى قائد ثورة كوجار جمال الدين

خوجة القبض على الشيخ عبد الرحمن حضرت وأولاده وعلى بعض أقاربه أيضا ، وأرسلوهم إلى مدينة كوجار . غير أن الشيخ عبد الرحمن حضرت انفك من أسره ورجع من الطريق نفسه إلى مدينة ياركند بفعل وساطات جماعة تونكان . ثم جعله جمال الدين خان في الإقامة الجبرية في منزله منزل الشيخ في مدينة ياركند .

ثم ضعفت شوكة وصلافة رجال كوجار إثر انهزامهم في معركتي بيالمه في ولاية ختن ، وخان إريق في ولاية كاشغر . وسرى تأثير ذلك في مدينة ياركند . فاستطاع أهل ياركند طرد جنود وإداريي كوجار من ياركند وإعادة الشيخ عبد الرحمن حضرت ملكا كما كان . وأعلنوا استقلالهم الذي دام لمدة ثمانية أشهر فقط . وفي منتصف سنة ١٢٨٢هـ الموافق سنة ١٨٦٥م غزا يعقوب بك مدينة ياركند وكان معه كل قوته العسكرية . ولكن أهل ياركند المجاهدون وتونكان تحصنوا في المدينين القديمة والحديثة وقاوموا مقاومة الأبطال الميامين ، وبفضل قنص مستهدف قضى المجاهدون وقتلوا كثيرا من أهل فرغانة رجال يعقوب بك الغازية . حتى يئس يعقوب بك من فتح مدينة ياركند وكاد أن يرحل إلى مدينة كاشغر . غير أنه عمد على مكر وحيلة في فتحها ونجحت الحيلة على أهالي ياركند فسقطت في يد يعقوب بك . وذلك كما يلي :

كان هناك في مدينة ياركند نياز بك الياركندي الذي تولى في عهد الصين رئاسة التشريفات في بناية الحاكم الصيني المتصرف (خان آمبال) وزميله عاشور بك تولى هو الآخر منصبا إداريا . يعرفان لغة الصين ورطانتهم . إذ عملوا في عهد الثورة الحكومة المحلية مترجمين . وكانا

داهيتين من الدواهي صاحبي اللباقة والفصاحة ، وتقربا إلى الشخصيات المرموقة للحكومة المحلية ، واستحوذا على احترام الشيخ عبد الرحمن حضرت وجماعة التونكان معا . وبحكم عملهم ومنزلتهم عرفا أسرار الحكومة المحلية واطلعا على مقاصدها ومراميها . وكانا يظهران إخلاصهما في خدمة ملكهما وحكومتهما الفتية المحلية . ويظهران انتمائهما إلى يعقوب بك وزمرته لقصد نيلهما في المستقبل لمناصب مالية في دولة يعقوب بك .

ومن ضمن اطلاعاتهما اطلعا على قرار المجاهدين وتونكان والحكومة المحلية وعلى رأسها الشيخ عبد الرحمن حضرت المجاهد ، وكان خطة القرار أن يهاجم المجاهدون وتونكان معسكر يعقوب بك في ليلة معينة ويقضوا عليها قضاء تاما لا تبقي ولا تذر . فبلغا القرار ومحتوياته إلى يعقوب بك، فعمد يعقوب بك إلى إخلاء المعسكر في تلك الليلة مع إبقاء كل ما هو عليها من خيام وأدوات الإنارة والضوء . وكمن يعقوب بك وجنوده في أطراف المعسكر ويحيطوها إحاطة الأسوار بالمعصم . وفي ساعة الصفر يتقدم المجاهدون بالهجوم على المعسكر ويجدوها خالية ويهجم عليهم يعقوب بك وجنوده بوابل من الرصاص وقطعوا عليهم خط الرجعة إلى مدينة ياركند . وأبيد المجاهدون وتونجان إبادة و لم ينج أحد منهم . فدخل يعقوب بك إلى مدينة ياركند سالما غانما وأجري يعقوب بك قتلا عاما في المدينة بالنسبة للمجاهدين وجماعة تونجان . وجعل الشيخ عبد الرحمن حضرت في إقامة جبرية في منزله و لم يمسه بسوء وأفراد أسرته وأقربائه .

وبهذه الصورة سقط الحكومة المحلية بمدينة ياركند في يد أهل فرغانة ويعقوب بك وجنوده .

استيلاء الروس (القياصرة) على أقاليم الأتراك المتاخمة لتركستان الشرقية

سبق أن ذكرنا بعضا من تحركات الروس العدائية ضد الأتراك مسلمي آسيا الوسطي سنة ١٧٩٧م. وإليكم هذه التحركات بالتفصيل: في سنة ١٢١٢هـ الموافق ١٧٩٧م تحرشت جنود الروس القيصرية على أقاليم أقوام قازاق القاطنين في المرتفعات الجنوبية من سيبريا . الشمال من قازاقستان الآن. ونجحت بعض الشيء إثر تحرشها هذا. وذلك هيمنتها على عدة خانيات (الحكومات) من أقاليم قازاق. ولكنها أي الهيمة كانت بالاسم فقط حيث نري حرب عصابات متعددة من قبل رجال قازاق ضد استيلاء روسيا على بلادهم ، الأمر الذي لم يمكن روسيا من الاستفادة من تلك الأقاليم . وبالرغم ذلك لم تغمض عينا أو عيون روسيا القيصرية المتحملقة مبهورة إلى جهة تركستان الغربية وعلى الدوام وتسعى جاهدة للاستيلاء عليها . فاهتدي روسيا إلى خطة جهنمية تنفذ على مراحل متعددة :

أولا : عزل أقوام قازاق عن بني عمومتهم في آسيا الوسطي (ما وراء النهر) وقطع خط المساعدات ولقاء الأسر التقليدي بين الأشقاء الأتراك .

ثانيا : عزل الخانيات الثلاث المحلية عن بعضها البعض بكثير من الحيل والأساليب الملتوية من مد جسور المساعدات والتبادل التجاري والحصول على امتياز فتح البنوك المحلية والتجارية ، والتكنيك الزراعي وفتح الأسواق الأوربية عبر موسكو للحاصلات الزراعية ، وتدريب الأيدي العاملة وتوريد المكنات الموجودة في زمانه وجلب العملاء المأجورين . وهي خانيات خيوية وإمارة بخاري ، وخانية فرغانة .

ثالثا وأخيرا: الانقضاض عليها واحدة بعد الآخر، وبمرور فترة زمنية للاطمئنان وتطييب الخواطر وكسب الثقة المحلية الوقتية وشراء الضمائر المريضة .

وتنفيذا للخطة الأولى أعلنت روسيا القيصرية حربا على الأقاليم (آق ملا) وإقليم (تركستان) المراد بها منطقة معلومة في شمال خوارزم سميت قديما بتركستان . وكانت حكومتها برياسة كينه ساريخان ، وذلك سنة ١٢٧٣هـ الموافق ١٨٥٥م . وهذه المناطق تمتد شرقا إلى بحيرة بالقاش وإلى نهر سيحون في الجنوب الغربي ، وتحدها مدينة كاسان جنوبا وشمالا مرتفعات سيبريا . ودامت الحرب بين تلك الأقوام وروسيا القيصرية تسع سنوات وتوفي كينه ساريخان في هذه الفترة وخلفه أبناؤه : تاجاق توره وصديق توره وجعفر توره . وقاوموا روسيا ببسالة وإقدام . وفي مصادمات حربية أخيرة في سنة ١٢٨١هـ استشهد تاجاق توره ووقع أخوه جعفر في أسر الروس وتغلبت روسيا على صديق توره واستولت على تلك الأقاليم . ولكن صديق توره استمر في شن حرب عصابات دامية ضد روسيا وتمركز في مدينة جميكنت في الشرق من مدينة كاسان

وعلى الطريق إلى طاشقند لأكثر من سنة . ثم انهزم أمام غارات مضادة من روسيا وهرب إلى تركستان الغربية ثم دخل إلى تركستان الشرقية وانضم إلى يعقوب بك سنة ١٢٨٢هـ .

وبهذه الكيفية استولت روسيا القيصرية على كامل السهل الممتد بين نهر سيبريا جنوبا ونهر جيحون شمالا الأقاليم الشمالية من تركستان الغربية ما عدا منطقة تالاس الشهيرة ومنطقة طاشقند . ثم زحفت روسيا رويدا رويدا إلى ضفاف بحيرة إسسق كول شمالا وغربا وجنوبا ووصلت حدود روسيا شرقا إلى جبال خان تنغري (تيانشان الآن) وعلى كامل منطقة الحدود الشمال الغربي بينها وبين تركستان الشرقية . ثم فتحت روسيا جبهة على حكومة فرغانة واستولت على تالاس وطاشقند أو سلختها من حكومة فرغانة وذلك سنة١٢٨٣هـ الموافق ١٨٦٦م . ثم أعلنت حربا على إمارة بخارى وسلخت منها مدينة سمرقند وذلك في سنة ١٢٨٤هـ الموافق ١٨٦٧م . ولم تزل إمارة بخارى في بخارى وخانية فرغانة موجودة حتى سنة ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م حيث هاجمت على حكومة فرغانة وتغلبت عليها وجعلتها من ضمن ممتلكاتها في ما وراء النهر ولأول مرة . وانتهت حكومة أو خانية فرغانة بنهاية خدايارخان العظيم .

ثم استولت روسيا على مناطق شاسعة من الشمال الغربي من تركستان الشرقية منها وادي إيلي وسهل تكس وبحيرة آلما آتا . ثم وبعد وساطات دبلوماسية انسحبت روسيا من وادي إيلي وسهل تكس وأبقت لنفسها كلا من بحيرة بالقاش ومنطقة آلما آتـا ، وهي الآن برونزة عاصمة قرغيزستان . وبنهاية فرغانة ومتاخمة روسيا لتركستان الشرقية ننتهي من

ذكر ملوك الطوائف ، ولو أن إمارة بخارى وخانية خيوة باقيتان في ذلك الوقت إلا أنهما سقطتا في يد روسيا البلشوية بعد ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م ، وكانت نهاية إمارة بخارى سنة ١٩٢٢م . ونبدأ الآن بيعقوب بك وعهده .

الباب الثاني :

يعقوب بك ووقائعه الثابتة

لم يكن يعقوب بك رجلا عاديا ، بل كان بطلا من الأبطال ورجل دولة من الطراز الأول . وكان يعقوب بك داهية من الدواهي وسيفا قاطعا أسيء استعماله في وقت كان شعب تركستان المسلم في حاجة ماسة إلى حسن استعماله .

و لم يكن يعقوب بك عاملا أو عميلا أو واليا أو قائدا من قبل أحد من السلاطين أو الملوك أو هيئة ودولة مثل روسيا القيصرية أو الإنجليز، ناهيك عن الصين والصينيين. و لم يداهن يعقوب بك أحدا أو هيئة أو دولة من الدول قط. وكان يعقوب بك رجل دين يؤمن بالقومية ذا شجاعة بالغة ينقصه الأمل .

غير أن يعقوب بك هذا ولد بعد أوانه بقرن أو أقل ، وبالتحديد بعد عقدين من الزمن حيث إنه ذو طموحات بالغة يريد أن يكون فاتحا إسلاميا كبيرا مثل تيمورلنك الفاتح العظيم . والحق يقال إن منطقة آسيا الوسطى وبلاد الترك الشرق لم تحظ بشخصية فذة ذو غيرة إسلامية وحمية قومية مثل يعقوب بك بعد وفاة تيمور عام ٨٠٧ هـ الموافق ١٤٠٥م . ولكن هذا التوقيت أقصد الزمن الذي وجد وولد فيه يعقوب بك لم يخل من حكمة بالغة. وبصفة مشتركة بين شطري تركستان من جهة وبين الأعداء المتربصين بنا من روسيا والصين والإنجليز معا. ورابع هذا الثالوث:

الظروف والموقع الذي وجد فيه يعقوب بك مع خلفياتها لتبرهن للعالم أجمع وعلى الأعداء قاطبة أن تركستان كانت للتركستانيين وإلى الأبد . ولولا ظاهرة وجود يعقوب بك ودولته المستقلة المعترف بها من قبل الهند ممثلة في هيئة شركة الهند الشرقية حكومة الإنجليز وروسيا القيصرية وتركيا الخلافة العثمانية وحكومة مصر الكنانة وأفغانستان ، لولا ذلك لما قامت حجتنا إلى الآن بهذه القوة وما برز ملاحمنا نحن التركستانيين شرقا وغربا. وبالتالي تسرح وتمرح النعرة القبلية والتفرقة المغرضة الاستعمارية من قبل روسيا والصين على حد سواء . ولا ضير ولا ضرر من حكم يعقوب بك والقوقنديين لبلاد تركستان الشرقية مثله مثل حكم إيلك خانيين في سمرقند أو بخارى ولأكثر من أربعة قرون ما بين القرن التاسع إلى عهد جنكيز خان في مشارف قرن الثالث عشر من الميلاد . ولم يكن إيلك خانيون إلا رجال حكم وسلطة من تركستان الشرقية ولم يتذمر السمرقنديون وأهل بخارى وقوقند من إيلك خانيين وزمرته الحكام ، فلم يتذمر أهالي تركستان الشرقية من يعقوب بك . ولم يكن حكم القوقنديين علينا بجديد حيث إن هداية الله إيشان آفاق خوجة وأولاده ومن يمت إليه بصلة أو قرابة أو غير قرابة حكموا تركستان الشرقية بعد إسقاط الدولة السعيدية المحلية وعاصمتها ياركند سنة ١٠٩٠هـ الموافق ١٦٧٩م ولأكثر من تسعين عاما أو حتى ١١٧٢هـ الموافق ١٧٥٨م . الذي وقعت فيه تركستان الشرقية في قبضة الصين ولأول مرة ، بعد أن عاشت ألفا وستة أعواما حرة مستقلة ذات سيادة فيما بين عام٧٥٢م ــ ١٧٥٨م . هذا من حكم القوقنديين لتركستان الشرقية .

ثم نأتي لتجاوزات يعقوب بك :

أولا : إن يعقوب بك لم يكن صاحب حكومة وسلطة في قوقند عند مرافقته لبزركخان توره عندما توجه الأخير إلى ولاية كاشغر ، ولم تكن مرافقته إلا من أجل الابتعاد عن سيده خدايارخان . وسبق أن جنى عليه يعقوب بك وكما قيل لكل جواد كبوة . هرب يعقوب بك من وجه المساءلة فأهدر خدايار خان دمه ، فالتجأ يعقوب بك إلى صديقه بزرك خان ليأخذه إلى كاشغر ليبقى في مأمن من بطش خدايار خان . ولم يكن لهؤلاء الثلاثة خدايار خان حاكم أو سلطان فرغانة ، وبزرك خان الشيخ الصوفي ، ويعقوب خان الشريد لم يكن لهؤلاء قصد للاستيلاء على بلاد تركستان الشرقية وذلك لوجوه :

أولا : أن القوقنديين كانوا على علم بالثورات المحلية التي قامت في كل أقاليم وولايات تركستان الشرقية ضد احتلال الصين منذ سنة ١٨٥٨م ، ولماذا لم يتدخلوا وقد مضت أكثر من خمس سنوات على تلك الثورة المحلية وأقام الثوريون حكوماتهم المحلية وفي كل إقليم منها على حدة؟ وكان القوقنديون يعرفون أن حكام تلك الحكومات المحلية لم يكن على وفاق فيما بينهم . حيث إن صديق بك حاكم ولاية كاشغر خاف على نفسه وحكومته من راشد الدين خان حاكم ولاية كوجار المستأسد ، فطلب مساعدة من خدايار خان ، فكان بزرك خان ورجاله الأربعمائة تلك المساعدة والسبب ذكرناه . كان يعقوب بك من جملة رجال بزرك خان .

الوجه الثاني : ما كان من وسع خدايارخان وغيره من أمراء فرغانة أن يتدخلوا في شؤون تركستان الشرقية بعد ما فعل القوقنديون من الولاة في

التركستان الشرقية من سلب ونهب في أعقاب هجمات الصين على التركستان الشرقية أبان حركة امور سينا القالموق سنة ١٧٥٧م ، أمثال برهان خوجة ، وأنهم يعرفون عدم صلاحيتهم للتصدى على هجمات الصين إذا تكررت .

الوجه الثالث : كانت حكومة فرغانة في عهد خدايارخان وسابقه سعيد سلطان قد وقعت في كماشة روسيا القيصرية التي التفت حول أعناقهم وطوقتهم من الشرق والشمال والغرب ، حيث إن حكومة فرغانة سقطت في يد روسيا القيصرية سنة ١٨٧٦م على ما أذكر . فكاد إمداد خدايارخان لصديق بك بأربعمائة رجل . وذلك جهد المقل وأضعف الأيمان ، ومن باب فاقد الشيء لا يعطيه . وزد على ذلك أن خدايار خان يعرف من هو بزرك خان ولو لا صفة الأخير في المشيخة الصرفية ما كان رجاله الأربعمائة يتبعه إلى ولاية كاشغر . وما كان يعقوب بك في نظر خدايار خان إلا مذنبا عفا عنه بشفاعة بزرك خان وللموقف بالذات . فلم يكن هناك تجاوزا أصلا من قبل يعقوب بك بقليل ولا بكثير . و لم يكن يعقوب بك يعرف الإنكليز وهم لا يعرفونه في فرغانة . و لم يكن عميلا روسيا بل كان هو المتضرر من بعض تساهله معهم في أورال . وكان يعقوب بك غيورا لدينه وعقيدته السمحاء ، وقوميا من الدرجة الأولى وبدون تمييز ، كما سنبينه فيما بعد .

وكل ما في الأمر أن يعقوب بك وجد في مدينة كاشغر حروفا بدون نقاط وحكومات محلية بدون وحدة وشعوبا تتجاذبها الأهواء . يكاد أن يستجدى ويصعق ويستجير . وحكاما قد تملكتهم الغرور قد يكسحون

الضعيف ويناصرون القوى في حيرة قاتلة وبدون أهداف . فتملك ليعقوب بك حب السيطرة الكاملة لأرض تركستان الشرقية . ولعله بعد ذلك يحذو حذو تيمورلنك [1] إذا نصره الله حتى لا يستقر القرار لروسيا القيصرية في تركستان الغربية ولو بعد حين . غير أن يعقوب بك اتخذ طريق المكر والحيل حقنا للدماء . وكان يرفع راية الحذق والذكاء واصطياد غرمائه كما فعل بحاجى بادشاه في ولاية ختن ، وراشد الدين خان في ولاية كوجار . وتردد كثيرا في اقتحام مدينة ياركند . قدم إليها ورجع منها ولمرات عديدة . وحينما فتحت مدينة ياركند لم يقتل حاكمها عبد الرحمن حضرت ، بل جعله تحت المراقبة فقط .

يقول العلامة محمد أمين بوغرا في كتابه (شرقى تركستان تلويخي) في باب ختن انقلابي : إن يعقوب بك قدم إلى ولاية ختن وبرفقته ألفين من رجاله . على أن يلحقه اثنا عشر ألفا من جنوده في مختلف المحاور عبر الجبال والقرى للتعتيم عليه وحلف بالله بالأيمان الغليظة أمام الأمير برهان خان بأنه قدم إلى ختن لملاقاة الرجل الجليل الفاضل حبيب الله حاجم ملك ختن . وقد سبق أن قبلا العلاقات الدبلوماسية في شكل بروتوكولات وزيارات متبادلة بينهما ، وأنه لا يقصد أي إساءات للملك حبيب الله حاجم ، ولو أن الأخير لا يحبذ دخوله إلى مدينة ختن ويقابله في مخيمه في منطقة زاوا على بعد ٤٤ ميلا من مدينة ختن لقبله واعتبره شرفا وغنيمة . إلا أن يعقوب بك خان عهده واستخف بيمينه بالله . واعتدي عليه حيث

---

[1] ـــ تقول رواية إن يعقوب بك من سلالة تيمورلنك .

اعتقله في ضيافته في مخيمه وشد وثاقه وأرسله إلى ياركند محقورا مذلـولا ثم قضي عليه ومن معه في مدينة ياركند . واقتحم مدينة ختن واعتقـل ابنـه إبراهيم خان وقتله . وقام شعب ختن بانتفاضات جماهيرية ضد يعقـوب بك وزبانيته فأجري بينهم قتلا وسلبا .وقد سقط أربعون ألفا من أنصـار الملك حبيب الله حاجم في هذه الانتفاضة ... الخ .

وأنا بدوري أستكثر هذا العدد أربعين ألفا ، وراجعت نسخ الكتـاب فإذا بالرقم ثابت . وهذا في إقامة دولة موحدة في القرن الماضي ، ونحـن الآن في شهر ديسمبر ١٩٨٩م . وقد سقط دكتـاتور رومانيـا الفريـق نيكولاي شاوشسكو في يوم الاثنين الموافق ٢٤ منه بعد أن سقط لأجـل نهايه أكثر من سبعين ألف قتيل روماني في ظرف أسبوع فقط . يالها مـن رخص الدماء وغلاء النفوس الشريرة في عالمنا اليوم وبالأمس وغدا .

مهما يكن من أمر فإن يعقوب بك فعل ما فعل وأقام دولة إسـلامية موحدة في أرض تركستان المسلمة ، في وقت قد أصبحت تركستان أشبه ما تكون إلى قصعة كبيره مليئة بأطايب الطعام وتكالبت عليـها وحـوش كاسرة . كانت القصعة قد اهتزت من جراء الجذب والتهجم وكـادت أن تنكسر (وقد انكسرت فعلا) . وفي هذا الجو المشحون بالوحشية القاسية الدامية أسس يعقوب بك حكومته وأقام دولته الحالمة في طرف من هـذه القصعة المغلوبة على أمرها ، تصوروا ذلك .

ولعلى التمس عذرا ليعقوب بك في مقتل وخيانته لعهده مع ملك ختن حبيب الله حاجم وكذلك راشد الدين خان (خان خوجة) حاكم ولايـة كوجار وأولاده . لم يكن يعقوب بك يقتلهم لولا كثافة الجمهور المتهافت

المتفاني عليهما في كل من ختن وكوجار وليقطع يعقوب بك دابر فتنة قد تقع في دولته الفتية إذا أبقاهما على قيد الحياة ، وكان هذا واردا مائة في المائة .

وعندما شن يعقوب بك هجومه أو بدأ مسيرته إلى ولاية إيلي وإسسق كول في الشمال الغربي من تركستان الشرقية ، كانت هناك حكومتان محليتان : تولى الأولى مسلمو الصين المستوطنون تونجان / والثانية تحت رئاسة محلية من المواطنين . وعاملهم يعقوب بك معاملة سيد لمسوده ، وطلب انقيادهم وطاعتهم له بقصد الوحدة الوطنية ، ولو أنه هددهم بالقوة بمحض الشيء ، وذلك أمر حتمي يفرضه الموقف . فأعلنوا طاعتهم وبيعتهم له . فأقر يعقوب بك برعايتهم دون المساس بالأمور الداخلية .

ولم يكن ولايتي آلتاي وجوجك ضمن الأقاليم الثورية ، بل أنهما كانتا تابعتان إداريا لمنغوليا الخارجية . وبحكم أنهما ولايتان من ولايات تركستان الشرقية (الأقاليم الغربية) حسب تسمية الصين ، ثم عادتا إلى الإدارية المحلية بعد ١٨٧٧م أي بعد سقوط يعقوب بك وانهيار دولته المستقلة .

وللتوضيح نقول : إن منطقة تركستان الشرقية عرفت بالأقاليم الغربية من قبل المستعمرين الصينيين منذ استيلائهم الأول ١٨٥٧م . بينما عرفت محليا ولدى إخواننا في الغرب (تركستان الغربية) بـ آلته شهر أو يته شهر . أي (البلدان الستة أو السبعة) يقصدون بها كلا من ولايات كاشغر وياركند وختن وترفان وقراشهر وآقسو بقولهم ستة ، ويضيفون إليها مدينة قومول أو الأورومجي فيقولون السبعة . فهناك ولايتا آلتاي

وحوحك . تركستان الشرقية تنقسم إلى منطقتين رئيسيتين تفصلهما جبال خان تنغري من الغرب إلى الشرق تعرف الشمال بمنخفض جونغاريا وتشمل الولايات الخمسة الأخيرة ، والجنوب منطقة تارم تشمل خمسة ولايات وهي كاشغر وختن وآقسو وترفان وقراشهر . فتكون ولاية ياركند محافظة تابعة لولاية كاشغر إداريا . وفي تركستان ثلاث وثمانون محافظة وأكثر . من أربع آلاف بلدة وقرية . في مساحة تقدر بمليون وثمانمائة وسبعين ألف كيلومتر مربع . وكانت منطقة إسسق كول في الغرب من وادي إيلي من ضمن أقاليم تركستان الشرقية استولت عليها وعلى منطقة إيلي روسيا القيصرية في السبعينيات من القرن الماضي وفي عهد يعقوب بك . بينما بسط يعقوب بك نفوذه إلى مشارف مدينة أوش من سهل فرغانة جنوبا وأقام عليها مراكز حدودية ، الأمر الذي يتهم به المؤرخون الروس يعقوب بك بالتحرش على روسيا عند انشغال الأخير بإقليم بخارى في ذلك الوقت . وبعد مساع دبلوماسية بينه وبين روسيا أعادت الأخير منطقة إيلي واحتفظت بإسسق كول مقابل انسحاب يعقوب بك إلى حدود ولاية كاشغر المتعارف عليها إقليميا . ويقول الصينيون إن إعادة وادي إيلي إلى تركستان الشرقية لم يتم إلا عن طريق الدبلوماسية الصينية .

وكان يعقوب بك حريصا على كيانه المستقل ، ولم يتعرض لأحد خارج حدود تركستان الشرقية . بل إنه تحاشى حدوث مصادمات دموية في بعض الأقاليم الداخلية مثل ولاية قومول .

ولم تكن مدينة أوروبجي تعرف بالعاصمة ، ولكنها كانت مجمعا لكثير من مسلمي الصين والصينيين . وكانت نسبة الأخيرة قليلة بالرغم من أن غالبية السكان من المواطنين الترك . أصبحت مدينة أوروبجي المحور والمحك لدولة يعقوب بك الإسلامية وقامت فيها معارك دامية بين التونجان مسلمي الصين ويعقوب بك . وانتصر يعقوب بك عليهم في معركة فاصلة التي وقعت في أواخر شهر نوفمبر من ١٨٦٩م وقيل في يناير ١٨٧٠م . ولكن الأول أصح . وكان في حوزة يعقوب بك ما يقارب أربعين ألف جندي من مختلف جنسيات المسلمة بالإضافة إلى أفراد أو جماعات صغيرة من الصينيين ومنهم الأفغان .

وكانت المعركة الفاصلة في سهل أوروبجي في أكثر من خمسة عشر ألفا من جنود يعقوب بك الباسلة ، ثم دخل يعقوب بك مدينة أوروبجي بعد أن استغرقت مسودة الاتفاق مع تونجان في تسليمهم المدينة بعد يومين أو ثلاث بعد هزيمتهم النكراء . وكانت هناك أسرة قديمة قد تولى بعض أفرادها ولاية أوروبجي قديما ، فعين يعقوب بك المدعو سليمان بك واليا لولاية أوروبجي . ثم أقام يعقوب بك عشرين يوما في مخيمه ظاهر المدينة أو طرف منها وقال عن إقامته هذه : إنها سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم عاد إلى طرفان ومنها إلى مدينة كاشغر .[٢] كما تناوله أول بيلان

---

[٢] ـــ راجع كتاب (قاشكاريكا) ، للروسي آ ، ن ،كوروباتكين عضو الهيئة العسكرية والسياسية العليا لروسيا القيصرية لأمم آسيا الوسطى آنذاك ، المترجم إلى اللغة التركستانية .

مكتوب لعهد يعقوب بك في حياته ل . آ. ن كوزباتكين الروسي السياسي المخضرم .

استعمل يعقوب بك نفس أسلوبه السابق في ختن وملكها حبيب الله حاجم في مدينة كوجار مع راشد الدين خان (خان خوجة) واعتقله أيضا في خيمته وقتله . ثم عين أخاه أي أخو خان خوجة إسحاق بك في ولاية كوجار . بينما قتل حبيب الله حاجم وابنه إبراهيم خان في مدينة ختن ولم يبق في أسرة حبيب الله شخصا راشدا . السبب في ذلك واضح جدا ألا وهو أن أهل ختن كانوا يفدون بالنفس والأرواح ملكهم وأسرته الأطهار . وكان الأمر أهون منها في مدينة كوجار وأهلها . ولذا أبقى يعقوب بك إسحاق بك من أسرة خان خوجة ثم عينه واليا على مدينة كوجار .

وفي مدينة أوروجي وبعد تغلبه على المقاتلين التونكان أرسل شخصيات من محارمه إلى داخل المدينة بكتابه الذي يقول فيه : " ما كنت أتوقع أن تقوم حرب بيننا ونحن أمة مسلمة . وقد ذهب هدرا دماء موتانك فهذا قضاء الله وقدره . وكل ما أتوخاه أولا وآخرا أن نكون أمة موحدة تحت راية القرآن نحكم بكتاب الله وسنة رسوله . طبتم في وحدتكم معنا ، فأنا الوالد وأنتم أبنائي البررة الكرام " اهـ .

وقد اشتهر تيمورلنك وطغت شهرته الآفاق بكثرة فتوحاته وعظيم سلطته في أواخر القرن الرابع عشر من الميلاد . وبعد خمسة قرون طلع نجم يعقوب بك الساطع في سماء تركستان حجة لنا وحجة على أعدائنا ، وأخذت شهرته الآفاق بتأسيس دولة إسلامية فتية في قصعة اسمها تركستان

وعلى مفترق هيم وقاتم في أواخر القرن المنصرم ليتجاذب تأريخه القاصي والداني العدو قبل الصديق ليساعدوا من حيث يدرون أو لا يدرون حركة تعويم تركستان من قاع ظلمات المستعمرين الغاصبين ، ولتقوم حجة أصحاب الحق واليقين وليقوى قضيتهم العادلة . وها أمامكم كتاب (قاشقاريكا) لـ آ، ن ، كورباتكين المخطط للاستعمار الروسي على أراضي تركستان الغربية في النصف الأخير من القرن المنصرم . والذي حظي بمقابلة يعقوب بك في كل من مدينتي آقسو وكورلا. وقد أقام آ، ن، كورباتكين ستة أشهر ابتداء من يوم ستة عشر مايو سنة ١٨٧٦م .

وكان المذكور رئيسا لهيئة مؤلفة من سبعة أعضاء رئيسين وحاشية تضم أكثر من خمسة عشر رجلا وأكثر من ثلاثين محافظين عسكرين كلهم ٦٤ رجلا ومعهم ١٠٤ أحصنة لركوبهم ولأمتعتهم . يقول ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ في مقدمة بيانه هذا بالحرف الواحد : "في سنة ١٨٧٦م دمرت أقدم خانية مستقلة في آسيا الوسطى خانية قوقند". وفي موضع آخر يقول: "لم يكن دولة يعقوب بك الفتية إلا واحدة من عدة دول إسلامية عريقة في آسيا الوسطى وما حولها من ديار الإسلام". وفي موضع آخر يقول: "إن دولا إسلامية وإمبراطوريات قامت على أرض تركستان منذ بداية القرن الثاني من الهجرة". ولعل دولة يعقوب بك تكون إحدى هذه القلاع المنيعة . وقد سبقته وفود كثيرة وعلى مستوى رفيع من كل من روسيا وبريطانيا من قبل حكومة الهند المركزية آنذاك منذ سنة ١٨٥٧م حتى سنة ١٨٧٦م ، أربعة منها من روسيا وأربعة من بريطانيا . كما بعثت بعوث من قبل يعقوب بك إلى تلك الحكومات

وعددها أربعة، أثنتان برياسة مرزا شادي بك إلى روسيا و بريطانيا (الهند)، وبعثة برياسة سعيد يعقوب بك إلى الخليفة العثمانية ، وبعثة برياسة تراب حاجي إلى سانت بترسبورغ .

وعدد آ، ن ، كورباتكين الجنود والمدافع والأسلحة الحربية الأخرى والثكنات العسكرية ومصانع الذخيرة ومصانع المدافع التي صنعت محليا في عهد يعقوب بك ، والأحصنة التي في حوزة جنود يعقوب بك ، حتى مقدار ونوع أعلافها ، وألوان البدلة العسكرية . وسبر أغوار نفوس العسكريين والكوادر الإداريين ، ووصف وصفا دقيقا . أهرته يعقوب بك وأولاده بجزئياته إيجابا ودون سلب . ولو أنه تكلم عن ثغرات طفيفة لا تجدي نفعا لهيمنة روسيا القيصرية ، ولكنه تكلم عن الأسلحة صغيرها وكبيرها وكصدرها ومصنعها وكيفية دخولها البلاد وماركتها ومدى قدرتها ، وعدد مصانع يعقوب بك الحربية التي أقيمت في البلاد وقوة إنتاجها وقدرتها ومداها . وكيف أن يعقوب بك يستطيع أن يجعل مائتين ألف جندي تحت السلاح في ظرف سنتين أو ثلاثة . وأن يعقوب بك في سنة ١٨٧٦م يملك قوة عسكرية متقدمة في زمانه يبلغ تعدادها ثمانين ألف جندي . وتكلم آ، ن ، كورباتكين عن مخازن الحبوب ووقود التدفئة ومخازن الأسلحة والعتاد الحربي . وتكلم أيضا عن مدخرات يعقوب بك من الذهب والفضة وتكلم عن مكانها والمحافظة عليها .

وتكلم آ، ن ، كورباتكين عن تركستان وكتبها مئات المرات في بيانه (كتابه) هذا حسب السياق وفي مناسبات شتى .

وفي كلامه عن الوفود الأجنبية من أوروبا والهند الذين قدموا إلى تركستان الشرقية ما بين عامي ١٨٥٧م ــ ١٨٧٧م يذكر ما يلي :

١ ــ قدم إلى مدينة كاشغر عام ١٨٥٧م آدلوب سلاكنيتويير Adolp . Sehlagin Tweir ، ولكنه اغتيل بأمر من أميرها حاجى ولى خان توره (وهو من أواخر أمراء ملوك الطوائف الصوفية) .

٢ ــ قدم إلى ولاية كاشغر في عام ١٨٥٩ لبنتانت جوقان ولى خانوف تركستاني الأصل في صورة تاجر وكان عميلا روسيا يعمل في السلك العسكري لروسيا القيصرية .

٣ ــ قدم مستر جونسن M r : Johnson الإنكليزي إلى مدينة ختن بدعوى الوقوف على الطبيعة على الحدود الواقعة بيننا وبين كشمير ، وحظي باستقبال وترحيب ملك ختن حبيب الله حاجم وذلك سنة ١٨٦٥م .

٤ ــ قدم مستر شاو M r : Shaw بصحبة سلع تجارية من الهند ، ووصل إلى ولاية كاشغر في عهد يعقوب بك ألقى ترحيبا منه وذلك سنة ١٨٦٨م .

٥ ــ قدم مستر هايوارد الإنكليزي إلى ولاية كاشغر في سنة ١٨٦٨م، ولكنه اغتيل في ظروف غامضة في منطقة ياسين .

٦ ــ قدمت بعثة روسيا برياسة كابيتان رينيتال K aptain Reintal ولكنهم لم تحظ باستقبال يليق بها . وذلك سنة ١٨٦٨م .

٧ _ قدمت بعثة بريطانيا رفيعة المستوى برياسة مستر فورسيس Forsyth وكان مستر هانرسون ومستر شاو من أعضاء هذه البعثة ووصلت البعثة إلى مدينة ياركند وذلك سنة ١٨٧٠م .

٨ _ قدمت بعثة روسيا رفيع المستوى برياسة سكرتير العام بارون كالبارس Baron Kahlbars وبعضوية كل من كابيتان شارين كورست ولفتنانت ستارتسيو ولفتنانت كولوك لتسيوف وشانويشيف وقد استقبلت هذه البعثة بحفاوة بالغة وذلك سنة ١٨٧٢م .

٩ _ قدمت بعثة إنكليزية برياسة فورسيس F orsyth سنة ١٨٧٣م وسنة ١٨٧٤م . وكانت برفقتها فرقة الرياضة البدنية وعرضوا فنونهم في أكثر من مدينة في تركستان الشرقية حتى وصلت الفرقة إلى مدينة آقسو .

١٠ _ قدم كابيتان رنيتال للمرة الثانية سنة ١٨٧٥م . وقد وصلت رتبته إلى رتبة أركان حرب . وكان في عضوية هذه البعثة من أمثال كابيتان رنيتال وقد استقبل في هذه المرة استقبالا حارا .

وقد حظي يعقوب بك بكثير من اهتمامات الكتاب والمؤرخين والسياسين والعسكرين خلال قرن وزيادة . غير أن آ.ن. كورباتكين الروسي المخطط العسكري المنصرم أول من كتب بيانات مفصلة (قاشقاريكا) . ولم يكن هذا كتابا بمعنى الكلمة وإنما كانت بيانات رسمية رفعها أ.ن. كورباتكين في أواخر سنة ١٨٧٦ م إلى قيصر روسيا الكسندر نكيولاى باللغة الروسية . وكانت مهمة بعثته هذه تحت قناع التثبت من رسم الحدود بين روسيا حديثة العهد بالشرق وبين تركستان الشرقية دولة يعقوب بك الإسلامية . ولكن البعثة في الحقيقة تعمل للتخطيط من تمكين

روسيا القيصرية اكتساح تركستان الشرقية ومحو دولة يعقوب بك إذا أمكن ، حيث إن البعثة تضم في عضويتها متخصصين في الجغرافيا ورسم الخرائط وجيلوجيين يدرسون في التربة وما تحتها من معادن وتحديد مكامنها . والمتخصصين في لغات الشرق الترك العارفين باللهجات وأخصائيين وخبراء أسلحة ومتخصصين في علم النفس . ولعل مرئيات ومدونات آ.ن. كوباتكين في خلال ستة أشهر قضاها في البلاد فاقت تخمينات روسيا لمقدرات يعقوب بك ومكاسبه السياسة والعسكرية ودهاءه الوقاد . (ولي ملاحظة بسيطة على آ.ن. كوباتكين يأتي بيانها فيما بعد) وكانت مع البيانات هذا ثمان كراسات صغيرة ملحقة بها تتكلم في الأدوار التي لعبتها الإنكليز . ولعل دبلوماسيا إنكليزيا في موسكو حصل على نسخة من هذه البيانات وأتى بها إلى الهند وترجمت إلى اللغة الإنكليزية وطبعت في نقاط ضيق بعد حذف الملحقات الثمانية . ثم حصل عليها الصينيون في الهند . وترجموها إلى اللغة الصينية في الصين ثم ترجمتها السيدة حكيمة أرشد الدين خانم التركستانية من نسخة الإنكليزية وطبعتها في أورومجي سنة ١٩٨٢م .

وبعيد هذه البيانات من عهد يعقوب بك مباشرة ألف المؤرخ القدير ملا موسى السيرامي كتابه القيم (تأريخ أمينية) ثم طوره بشكل أفضل فسماه (تأريخ حميدية) . ولم يكن هذان الكتابان خاصا بعهد يعقوب بك ولكنها يشمل جل الواقعات في عهد يعقوب بك . ويتميز المؤلف بميزة المعاصرة ليعقوب بك بجانب كونه من المثقفين في ذلك الوقت ، وكان يعمل كاتبا في أحد المراكز الجمركية في ولاية أقسو في عهد يعقوب

بك . ثم صدر كتاب قيم في آستانة في أواخر سنة ١٨٨٢م للأديب والكاتب المعروف محمد عاطف بك تحت عنوان (كاشغر تاريخي) .

ولم يكن هذا الكتاب أيضا تاريخا لعهد يعقوب بك ١٨٦٢م — ١٨٧٧م وإنما عمل مؤلفه مجهودا جبارا في استقصاء معلومات ضافية عن طريق الضباط الأتراك الذين عملوا تحت إمرة يعقوب بك في ذلك الوقت . ومما يذكر أن كتاب محمد عاطف بك هذا تاريخ موجز وشامل لجميع أدوار تركستان الشرقية منذ ما قبل التاريخ حتى آخر عهد يعقوب بك ، ووقائع يعقوب بك أخذت من الكتاب ما يقارب الثلث الأخير أو ثلاثين في المائة من صفحات الكتاب .

وفي ١٨٧٨م أصدر الصحفي الإنجليزي شارليز بولكير كتابه المسمى بـ (ترجمة يعقوب بك) باللغة الإنجليزية . ولعل هذا الكتاب ترجم إلى لغات أخرى ، ولكن المعلوم أن الكتاب ترجم إلى اللغة الصينية . وفي الآونة الأخيرة ترجم إلى اللغة التركستانية في ٤٦٩ صفحة من الحجم المتوسط في أربعة عشر بابا تلحقها ستة فصول تتكلم في بعض المعاهدات المبرمة بين بلاد كاشغر (تركستان) وبين كل من روسيا والإنكليز ووادي كشمير وشؤونه الإدارية ويختمه بحكاية عن كاشغر .

وأما الأبواب الخمسة الأولى في مائة وثمانية صفحات فتتكلم في جغرافية كاشغر (تركستان) وفي القبائل التي تعيش فيها واستيلاء الصين عليها وعهود حكم الصين فيها . ومن الباب السادس يبدأ بحياة يعقوب بك في مدينة قوقند في تسعة أبواب متواصلة . ولكن المترجم الصيني أجرى تحريفا في نهج وأسلوب الكاتب الإنكليزي وكأن المترجم الصيني هو

المؤلف نفسه . وفي الثمانينيات في هذا العصر نال الأستاذ أحمد رضا بكين تركي الجنسية ختني الأصل من جامعة أنقرة درجة الدكتوراه على رسالته المسمى بـ (حياة يعقوب بك) . ولم يتيسر لي الحصول على نسخة منها حتى الآن .

ولعل يعقوب بك أصبح مادة ثرية لعدد كبير من الكتاب والمؤلفين في الشرق والغرب تبلغ مؤلفاتهم للعشرات وان لم يكن بالمئات حتى الآن . حيث إن بحثا مؤلفا من ٤٢ صفحة من الحجم المتوسط للباحث (بان جو نيك) وهو أكاديمي صيني معاصر تحت عنوان (بيانات مستجدة في ثلاثين سنة الأخيرة لمتخصصي التاريخ في روسيا بخصوص يعقوب بك) يشير الباحث في آخر بحثه إلى ٧٤ مرجعا لبحثه مع بعض التكرار للإشارة بقوله (المصدر السابق) من صينية وروسية وهندية . ويصب الباحث جام غضبه على السيد خوجة أيوب رئيس مركز الأكاديمية للفنون في أوزبكستان الآن على مقاله القيم في تقييم نهج وسلوك يعقوب بك ، المتمثلة في إقامة دولة إسلامية مستقلة في تركستان الشرقية وأحقيته في ذلك لاستخلاص شعبها من هيمنة الأجنبي والاستعمار الصيني .

ولم يثبت حتى الآن تاريخيا وسياسيا وأكاديميا أن يعقوب بك كان يعادي روسيا ويميل لإنكليز ولا العكس ، بل كان يعقوب بك حكيما في تصرفاته مع الصين ، حيث إنه طلب من إمبراطور الصين الاعتراف بدولته الفتية الإسلامية ، وإبرام اتفاقية عدم الاعتداء بين الطرفين . وذلك عن

طريق القائد الصيني زو زونغ تانج ١٨٧٥م ،[٣] ولم يكن في نية يعقوب بك نبذ أي قومية موجودة آنذاك فوق تراب تركستان الشرقية منهم الصينيون وتونكان مسلمي الصين المستوطنون . واعتمد يعقوب بك في الشؤون العسكرية والإدارية لبعض الشخصيات منهم التونكان والصينيين كاعتماده على القوقنديين وقشقريين .

ويقول الباحث (بان حز نيك) : " اختلف أسلوب ومنهج الأكاديميين وخاصة المؤرخين الروس عن ذي قبل في الآونة الأخيرة وخلال ثلاثين سنة الأخيرة فيما يكتبونه عن يعقوب بك ودولته فيما بين ١٨٦٢م ــ ١٨٧٧م وأنهم (زمرة الترويس)[٤] يتمايلون حسب سياسة روسيا تجاه الصين بل يتبدلون من شخصية أكاديمية إلى شخصية سياسية ، الأمر الذي يوقعهم في حرج وتناقض فيما يكتبون وينشرون ويقولونه سابقا ولاحقا .

نقول : يا مستر بان حزنيك ! لماذا لا تقول هذا الكلام في نفسك أنت وزمرتك الذين تدعون أنكم من رجال الصين الأكاديمية . فأنتم في أمثال بحثكم هذا (زمرة التصيين) . ويذكر الباحث من الكتاب والمؤرخين الروس أمثال أيسوؤنين وبيوتو مكنين ، وتشخودنسكي ، وتيخووين ، ورادكوويسكي ، ونارودويسكي ، وبروخورويب ، وشاحماتوف ، وكولبورج ، وتيخينوف ، وخوجايوب الأزبكي . ويصنف مستر بان حزنيك صاحب البحث هؤلاء المؤرخين الروس إلى المعتدلين منهم بيوتو مكنين ، وكولبورج ، وبروخورويب ، وناردويسكي . وأما الباقون

---

[٣] ــ انظر : كتاب (شرقي تركستان تاريخي) للأستاذ محمد أمين بوغرا طبعة كشمير .

[٤] ــ يعبر عنهم بشيوتيزم ،ولا ينسى صينيوتيزم ، ويأتي بذكرهم لماما خوفا من الالتباس.

السبعة برأسهم أيسوؤين فيصنفهم إلى المتشددين في إبراز شخصية يعقوب بك ودولته المستقلة الإسلامية في تركستان الشرقية آنذاك ، على أنها ظاهرة طبيعية وحق من حقوق الشعب التركستاني المسلم ، وأن يعقوب بك منهم وإليهم . وبالتالي أنها حقيقة تاريخية لا غبار عليها ، وأن يعقوب بك وشعبه الترك ليسو من الصينيين بشيء . ولم يكن الصينيون إلا أجانب غاصبون للحق والحقوق إلخ . فيتهجم مستر بان جزنيك في بحثه وبشدة على هؤلاء الأكاديميين والمؤرخين الروس في الوقت الحاضر . ويستند الأخير في تهجماته على لفظته (زمرة التصيين) من قومه وملته . وبأقوال برهان الدين شهيدي . وبرهان شهيدي هذا عليه كلمة خاصة في كتابنا هذا وبهذه المناسبة .

وزمرة التصيين الذين يسمون أنفسهم الأكاديميون الصينيين الذين يعيبون زملائهم الروس بأنهم حادو عن جادة الأكاديمية هم : وانك بي، جين جيجو ، شوي تيونشن ، جي داجون ، برهان شهيدي ، جونكخو دونك مترجم كتاب (ترجمة يعقوب بك) لشارليز بولكير الإنكليزي بعد أن أجري المترجم إلى التركستانية أو النسخة الصينية تحريفات لصالح الصين .

ويدخل ضمن الكتاب والمؤلفين الروس الذين أخذ منهم أو أشار إليهم مستر بان : ليو سون كوان ، شاو لينوب ، خو وستوود ، ترينيتو ، زوكوب ، كابرو بنغ ، دوبرووين في ترجمته إيروزوالسكي

ونحن لا نري فرقا بين تطرف مستر بان جز نيك وتطرف المتطرفين الروس من القدامى ، حيث إن الطرفين بان جز نيك والمؤرخين الروس

القدماء يطبلون في شأن لا يمت إليهم بصلة ، وإنما تملى عليهم السياسات الصينية والروسية نحو تقسيم وابتلاع تركستان بلاد الترك المسلمة بين بعضهم .

وأما ما استحدثه الأكاديميون الروس حديثا في الثلاثين سنة الأخيرة فنري فيه إعادة الحق إلى نصابه ، والاعتراف بالحق فضيلة . ولا يكره الشمس ولا يهربون من ضوئه إلا الخفافيش الذين يحبون العيش في الظلام . ويضربون بأنفسهم بكل وكر أسود أمثال برهان الدين شهيدي . ويتشبث بهذا الطفيلي الخبيث وقد اجتثت من أرضه وما له من قرار وبئس المصير .

وإذا نظرنا إلى سحنة وجه مستر بان حز نيك يصفر غضبا من رسالة الأستاذ خوجايوب المسمي بـ (إمبراطورية الصين وجنغار وتركستان الشرقية) لما بها من حقائق ثابتة ثبوت الشمس في كبد السماء . وينثر مستر بان حزنيك غبار التفرقة بين شعوبنا المتضامنة ويقول : إن أهل تركستان الشرقية كانوا يكرهون القوقنديين ، ويقولون بإخراج أنديجانيين وأنهم أسباب نحس وباعث نكبة علينا . . إلخ من الخزعبلات المنكرة . أفنسيت جراح أمتك يا مستر بان ؟ وكان أولى بك أن توفر بحثك هذا ما بين هونان وكانتون . فخوجايوف وغير خوجايوف من أقوام أوزبك وتاجيك وتركمان وقرغز وقازاق وأيغور ومغول في أي أرض وتحت أي سماء لهم الحق كل الحق في أن يتكلموا في بني جلدتهم وأبناء عمومتهم . فلا أقول لك : دعهم . لأنك لا تملك . بل أقول لك : إذهب إلى الجحيم يا مستر (بان) . ونحن بكل قومياتنا وفئاتنا نتكلم ونكتب ونبرهن لتعويم

حقنا المغتصب سواء كان في روسيا أو في الصين . وإن مياه بحيراتنا أورال ، وباغراش ، وبالقاش ، وبوغدا ، ولوب نور صافية لا تعكر صفوها حجارتك القذرة ، وإن غدا لناظره قريب .

وأنا شاكر لك باعترافك على إمبراطوريتنا اللامعة القاراخانيين ، حيث قلت مستنكرا لكلمة الهيمنة الصينية ، و صدقت وأنت كذوب (هل دولة بوغرا كانت صينية ؟) . وكان لزاما عليك أن تسرد دولة المغول جنكيز خان وأولاده ، وتيمور لنك ، والدولة السعيدية ، وملوك الطوائف في عهد آفاق وأولاده ، وحكومات محلية في تركستان كلها التي سقطت أو توحدت في دولة يعقوب بك ، وتختمها بقولك هل هؤلاء كانوا حكومات ودولا صينية ؟ ولكنك لم تملك الشجاعة الكافية لتختمها وتقف عند بوغرا . تقصد ستوق بوغرا خان في القرن التاسع الميلادي . أما سمعت أوغوز خان وآتيلا وأفراسياب ؟ لتواصل التاريخ إن كنت حقا تنتسب إلى زمرة الأكاديمية الصينية في مادة التاريخ !!

برهان شهيدي ، هذا الطفيلي الطريد من دياره تتاريا قدم إلى تركستان في العقد الثاني من هذا القرن . ولد في تتاريا في قصبة يقال لها (أقسو) ، فيدعي أمام الجمهور أنه من ولاية أقسو عندنا . لا ينتمي لدين ولا ملة . ولد مرتزقا وعاش مرتزقا ومات مرتزقا ذليلا في بكين يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٨٩م .

وبرهان مثل ذلك الحيوان الذي نسميه (الحرباء) وله ميزة التلون ليعيش فقط ، فهو وطني ، وهو ثوري ، وهو روسي ، وهو صيني . هو من تتار ، من قازاق ، من قرغز ، من أوزبك ، من أيغور ، من مغول .

هو إمبريالي ، وهو راديكالي ، وهو مؤمن وهو كافر ، وهو سياسي ، وهو بلطجي ، وهو طالب علم ، وهو تاجر ، وهو أستاذ ومعلم وأديب كاتب . وكل هذا برهان شهيدي ليعيش فقط . وخير دليل على أنه مرتزق كتابه المسمى (خمسون عاما لسينكيانغ) أي خمسون عاما لأعيش . أمضى برهان شهيدي أربعة عشر عهدا من عهود التركستان والصين خلال سبعة وثلاثين عاما من سنة ١٩١٤م حتى ١٩٤٩م ، حيث سلم تركستان الشرقية إلى ماو زي دونغ في طبق من ذهب وفي عهد رئاسته . وعاش في كنف ماو زي دونغ سبعة وثلاثين عاما حتى سنة ١٩٧٦م حيث مات سيده ماو زي دونغ ، وعاش يتيما من بعده حتى عام ١٩٨٩م حيث توفي في بكين . وإليكم تعداد عهوده السابقة : عاش عهد الصحوة التعليمية والقومية في تركستان وزاول مهنة التجارة الخارجية مديرا للاستيراد والتصدير ورئيسا لنقابة سيارات النقل العامة . واشترك في الصحوة التعليمية الأهلية في منطقة ترفان وأقسو وأورومجى حتى سنة ١٩٢٧م وقد انقضى عهد الجنرالات في داخل الصين . وتكونت حكومة جمهورية الصين برياسة شانك كاي شيك في عام ١٩٢٨م . وقد أمضى برهان شهيدي عهد الحاكم الصيني في البلاد يانغ زينغ شين . وسقطت يانغ في عام ١٩٢٨م . وجاء عهد جين شورين ، وفي سنة ١٩٣١م قامت ثورة تركستان الإسلامية في ولاية قمول وترفان وكاشغر وآلتاي ووادي إيلي وختن . وتكونت جمهورية تركستان الإسلامية سنة ١٩٣٢م . وسقطت هذه الجمهورية الفتية من جراء دسائس روسيا . وجاء عهد شينغ سي ساي في أبريل سنة ١٩٣٣م . وعزل شينغ نفسه وحكومته من حكومة

الصين المركزية . وتقرب إلى روسيا حتى عام ١٩٣٨م . ثم أخذ عهد شينغ بعدا آخر بإخراج الكوادر الروسية من البلاد والتملق إلى حكومة الصين المركزية منذ سنة ١٩٣٩م حتى أغسطس سنة ١٩٤٣م ، حيث هرب إلى داخل الصين . فجاء عهد (أوجوشى) ألعن من سابقه وتزامنت معه ثورة الولايات الثلاث في الشمال إيلي جوجك وآلتاي . وكونت هذه الثلاثة حكومة إسلامية برياسة الشيخ على خان توره . وجاء عهد الائتلاف الحكومي في عهد جانج جي جونغ يرافقه الزعماء الثلاثة محمد أمين بوغرا والدكتور مسعود صبري وعيسى يوسف ألبتيكين . وقامت حكومة الائتلاف في أعقاب سنة ١٩٤٥م . وفي أواخر سنة ١٩٤٦م قامت حكومة محلية ذاتية الحكم برياسة الدكتور مسعود صبري أيلكوزى. وعضوية السيدين : عيسى يوسف ومحمد أمين بوغرا . وفي أبريل سنة ١٩٤٩م استلم برهان شهيدي الحكومة بإيعاز من الصين جانج كاي شنج وسلمها لماو زى دونغ في أكتوبر من نفس العام . وبقى في رئاسة الحكومة في سنة ١٩٥٢م ، حيث تولاها السيد سيف الدين عزيزي إلى سنة ١٩٧٨م . واستدعى الأخير إلى بكين ، وتولى الحكومة السيد إسماعيل أحمد الذي قدم إلى المملكة تلبية لدعوة رابطة العالم الإسلامية سنة ١٩٨٥م في أواخر شهر أكتوبر . وكل هذا العهود المتباينة أمضاها برهان شهيدي . وكان برهان في بكين من سنة ١٩٧٧م . ومات فيها في شهر أغسطس سنة ١٩٨٩م ولم يمسسه سوء ، وقد طبل لماو زى دونغ وزبانية أربعين عاما ليعيش ولكنه ميت !

وكل هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من الكتاب والمؤرخين والأكـاديميين الروس والصينيين والإنكليز أمثال جارلز بوليكر وغيره من المترجمين للآثار والكتب التي ألفت في يعقوب بك كتبوا إضافات وافية ضافية بكل ما يمت بصلة ليعقوب بك . ويقول الباحث الصيني المتعصب مستر بان حز نيك : " إنه جمع أكثر من ستة آلاف سطر من الكتابات في مختلف اللغات في يعقوب بك وعهده " . هذه هي شخصية يعقوب بك مؤسس الدولة الإسلامية في تركستان الشرقية فيما بين عام ١٨٦٣م حتى عام ١٨٧٧م . والآن تأتي معكم إلى علاقات يعقوب بك مع كل من روسيا القيصرية والإنكليز (الهند) والخلافة العثمانية ، وأخيرا علاقته بالصين والصينيين .

يعقوب بك وروسيا القيصرية

كان يعقوب بك خاليا من أي ارتباط سياسي وعسكري وهيمنة سلطوية لأي جهة أجنبية قبل سنة ١٨٦٣م حتى عند قدومه لولاية كاشغر بصحبة بزرك خان توره . ولم يكن الأخير ورجاله الأربع مائة إلا رمزا لمساعدة حاكم ولاية كاشغر صديق بك وأرسلها سلطان فرغانة خدايارخان استجابة لطلب صديق بك كجهد المقل وهي أضعف الإيمان ، حيث إن خدايارخان كان في شغل شاغل في بلده فرغانة أمام تهديدات جيوش روسيا القيصرية المداهمة على فرغانة التي سقطت في يد روسيا سنة ١٨٧٦م . وقد وقعت سهل فرغانة في الكماشة من الشرق والغرب والشمال . وكان يعقوب بك طموحا مقداما ذو بصيرة نجيش من جنباته الحمية الإسلامية

وحب الخير والعز والمنعة لبني جلدته ، عارفا بألاعيب هيمنة روسيا القيصرية على عموم تراب تركستان الكبرى . وعندما وطئت قدماه أرض ولاية كاشغر قابل يعقوب بك الضوء الأخضر لمسيرة إسلامية وعلى أرض صلبة أو خصبة لتنمية طموحاته المستأصلة في نفسه ، فقام ببطولاته بحنكة وذكاء وفطنة . وكان يعقوب بك يعرف عدوه قبل صديقه ويمهد خط الرجعة قبل الإقدام لمعركة حربية مهما بلغت قوته من عظمة ومضاء . وكان يعقوب بك يحس بهذا الفراغ الواقع بين روسيا في حداثة عهدها بسهل فرغانة أو هيمنتها عليها ، وبين الصين العدو التقليدي المهيمنة على جزء عزيز من تركستان الكبرى . ولم يكن هذا الفراغ إلا منطقة تركستان الشرقية أو (قشقرية) في اصطلاحهم في ذلك الوقت . ومن حيث الفراغ أيضا بسط يعقوب بك سلطته إلى مشارف مدينة أوش الجنوب من سهل فرغانة . وأقام فيها النقاط والمراكز الحدودية . في حين داهمت روسيا القيصرية الأجزاء الشمالية الغربية من إقليم تركستان الشرقية وادي إيلي ومنطقة إسق كول بما فيها مدينة آلماآتا عاصمة قازاقستان الآن . وبعد مساع دبلوماسية بينه وبين روسيا القيصرية انسحب يعقوب بك من منطقة أوش، وانسحبت روسيا من منطقة وادي إيلي واحتفظت لنفسها منطقة إسق كول.

قيل : إن يعقوب بك منع القوافل التجارية والحركة التجارية التقليدية بين شطري تركستان الشرقي والغربي . نقول : إن يعقوب بك لم يمنع حركة التجارة المتبادلة بين الشطرين إلا لوقت معين ، وفي الوقت الذي شرع يعقوب بك ببناء مراكز الحدود في منطقة أوش ضد أي حركة استفزازية تؤدى إلى توقف البناء والتمركز فيها . هذا من جهة ، ومن جهة

ثانية كان يعقوب بك حذرا من دخول عناصر مشبوهة إلى ولاية كاشغر ، فلذا قنن يعقوب بك الدخول والخروج وحدد نماذج معينة من رجال المال والاقتصاد في عبورهم إلى ولاية كاشغر والعكس كذلك . ولا تنس أن حركة نقل البضائع والسلع التجارية كانت في يد الأهالي التركستانية وهم أصحاب قوافل تجارية على الدواب والإبل والبغال والحمير ، فكان جانب يعقوب بك في مأمن من هذا الوضع ، ناهيك عن احتياجات كاشغرية لسلع مصنعة ترد إليه من أوربا وروسيا عبر تركستان الغربية . ومنذ ما أسس يعقوب بك ودولته الفتية ما فتئت تأتي وفود وبعثات من قبل روسيا كما أسلفنا . وبعث يعقوب بك وفوده وعلى مستويات متفاوتة لاستقطاب ود روسيا أكثر منه للوقاية عن عدائها له . ولأجل أن يربط دولته بدولة عظمى في ذلك الوقت اختار يعقوب بك الدولة العلية العثمانية للارتباط بها وديا وليست حماية أو هيمنة . ونحن نري ألواحا من المرمر كتب عليها العبارات التالية : ((وقف سلطان كاشغر يعقوب بك التابع للدولة العلية العثمانية)) على أوقافه الخيرية التي أوقفها في الحرمين الشريفين . وأمدته الدولة العثمانية بضباط عثمانيين للتعليم والتدريب العسكري . ويقول آ .ن. كوربلتكن في بياناته في هذا الباب : نري جنودا وضباطا عثمانيين ، وتقابلنا مع اثنين منهم في مدينة كاشغر . بينما جلس مع عجوز صيني كان نائبا لمحافظ مدينة كاشغر الجديدة (القلعة الصينية) وقد ارتدى بعض الملابس المحلية يدرب جنودا خليطا من التونجان وأفغان وأفراد صينيين في تلك المدينة ، قال له الصيني : إني أسلمت وزوجت يعقوب بك من ابنتي . . . وأقوم بتدريب جنوده حسب تجاربي السابقة في أوقات الأصيل والصباح الباكر ولمدة ساعة

أو ساعة ونصف. وأنا وأفراد أسرتي بخير ونعمة في ظل الشريعة الإسلامية.

وفي ظرف عشرين عاما من سنة ١٨٥٨م حتى ١٨٧٧م أتت عدة وفود روسية فرادي وجماعات رسمية وغير رسمية . وكان يعقوب بك فطنا ويقظا لا يغيب عنه شاردة ولا واردة . حتى أن بعض غير الرسميين منهم قتل أو اغتيل أسباب غامضة . وكذلك الذين وفدوا من قبل بريطانيا (الهند) وبعضهم قتل أيضا قبل عهود يعقوب بك بقليل وكانت بعثة آ.ن. كورباتكن أكبر البعثات الروسية شأنا وأخطرها حذاقة وإحاطة وأكثرها عددا وأطولها وقتا . تشكل بأمر المقيم الروسي والحاكم العسكري والإداري لآسيا الوسطى الجنرال فون كافمان. واختار فون الجنرال آ.ن كورباتكن رئيسا لهذه البعثة وقال : إن مهمة البعثة تثبيت معالم الحدود بين إقليم آسيا الوسطى ودولة يعقوب بك وعلى الطبيعة . وكان في عضوية البعثة ليفتنانت. ن . ستانتسف ، و آ . سونارجولووف وكان في حراسة البعثة خمسة عشر جندا من أقوام قازاق . ويقول آ.ن . كورباتكن : بالرغم أننا لا نعلم شيئا عن المناطق الجبلية ومعابرها كانت هناك من مهمتنا تحديد موقع الحدود من جبال بامير الفرع الممتد من الجنوب إلى الشمال . وقد أزالها يعقوب بك في تقدمها نحو الغرب أبان تقهقر وضعف حاكم سهل فرغانة خودايارخان قبل عشرة أعوام من تاريخ بعثتنا . وها قد أعيدت تلك المناطق لإداراتنا (السهل الجنوبي من فرغانة) فلا بد أن نعيد معالم الحدود القديمة وفي حسباننا المعابر الجبلية التقليدية . ويقول : وإن من مهماتنا أن نقيس الأحوال العامة في كاشغرية يقصد دولة يعقوب بك ولا سيما الاقتصاد والتجارة والقوة العسكرية ليعقوب بك ، وكيف أنها تتصدى لهجمات

عسكرية مضادة ، وإلى أي مدي تصل هذه القوات ومقدرتها القتالية ؟ بالرغم أننا لم نكن على علم تام بالأحوال الداخلية لدولة يعقوب بك . وبالمقابل كانت تردنا إخباريات بأن دولة يعقوب بك وصلت إلى مرحلة متقدمة جدا ، فكنا نعتقد أن دولة يعقوب بك التي أسسها دولة إسلامية قوية وقادرة . وبالرغم أن هذه الدولة الفتية قامت على أكتاف شعوب مغلوب على أمرها وأن أجزاء منها أخضعت إليها بقوة السلاح ، غير أن عناصر دينية متفاوتة ساعدتها والتفت حولها وقوت من عزيمتها . ومن جانب آخر كنا على حذر من هيمنة بريطانيا ممثلة في شركة الهند الشرقية ، وأن تجعلها دولة تفصل بيننا وبين الهند وتحوز على صادراتنا وتفتحها سوقا رائجا لتجارتها. وبالتالي نحرم نحن روسيا من صادرات تركستان الشرقية من المواد الخام الثرية. ولذا فاقت لدينا أهمية تركستان الشرقية ممثلة في دولة يعقوب بك.

ويقول: أضف إلى ذلك أن غلاما ولد في قوقند وقيل في طاشقند في أسرة يوسف بك الكادر الإداري الصغير قد أسس دولة فتية إسلامية ذات شان بين عشية وضحاها وعلى مساحة كبيرة من الأراضي الخصبة والمعطاءة، وحصل على منعة وعزة ونفوذ بلا حدود . وإن شأن دولة يعقوب بك وشأنه هو لأمر عظيم وواقعة جليلة، حتى إن بعضهم قالوا: إن يعقوب بك (تيمورلنك الثاني العظيم).

ويقول: ثم إن يعقوب بك حصل على عتاد حربي متقدم من الدولة العثمانية ، وجلبها عن طريق الهند . وحقا إنها أسلحة متطورة في ذلك الوقت أخذت صيتها الآفاق فلدهشنا ، ولو أن في بعضها مبالغة ، ولكن

المهم عندنا أن نري لأي مدي وصل يعقوب بك بقواته العسكرية وعتاده الحربي المتقدم؟ وهل هي تشكل خطرا علينا في إقليم آسيا الوسطى ؟

وكانت الخطة المرسومة لنا من البداية أن نأتي من الشمال الغربي عن طريق وادي إيلي ، فإلى مدينة آقسو معقل يعقوب بك ، ولكننا تعرضنا لهجمات قبائل القيرغيز في منطقة يته سو . ووقعت بيننا وبينهم معركة بسيطة ، ولكن آخي قتل كبيرهم إشيم بك ، وأصبت أنا في يدي اليمنى فرجعنا إلى مدينة أوش لعملية جراحية ليدي المصابة . وكنا قد تحركنا في شهر مايو من سنة ١٨٧٦م من مدينة طاشكند وكانت في طريقنا كل من مدن خوجند ومرغولان وقوقند . ووصلنا لمدينة أوش في ١٦ سبتمبر . و (أوش) مدينة قريبة بيننا وبين (الكاشغاريا) تركستان الشرقية . وبعد إصابتي في تلك المعركة المفاجئة رجعنا إلى مدينة أوش للتداوي. ففي السابع من أكتوبر عاودنا سفرنا وإلى الأمام. ولكن في هذه المرة زاد عدد البعثة على ما يقارب ١٥ خبيرا وأكثر من ٢٥ خدما ومرافقين ٣٦ رجلا من الحرس ، ومعنا ١٠٤ أحصنة لأمتعتنا وركوبنا ، ونحن ٦٤ رجلا . وغيرنا مسارنا من منطقة غولجا إلى ولاية كاشغر مباشرة حيث وصلنا إليها وبدون عناء في ٦ نوفمبر . علما أن المسافة بين مدينة أوش ومدينة كاشغر ٧٩٨ كيلومتر قطعناها في ١٨ يوما . ووجدنا الأمير بك قولى بك بن يعقوب بك بصفته نائبا عن والده في ولاية كاشغر . غير أنه حدد تحركاتنا ولمدة ثلاثة أيام ، ودعانا لمباحثات أمر بعثتنا فرفضت العرض وأصررت على منحنا حرية التحرك لأننا وفود رسمية ذات مقاصد محدودة ، فمنحت لنا حريتنا وتحركنا إلى مدينة توقسون بعد أن تم الفسح لنا من قبل الأمير بك قولى

بك. وكان ذلك ١٩ نوفمبر . وأثناء إقامتنا بمدينة كاشغر تجولنا الأسواق والتقينا بجنود المشاة وفرقة المدافع ، ورأينا جنودا في زي صيني وأسلحة صينية. وقد تلقوا تدريبات صينية ، وكان الأهالي يطلقون كلمة (بدولت) ليعقوب بك .

وبعد عشرة أيام كنا في مدينة مارالبشي وتحركنا إلى آقسو ووصلنا إليها في اثنتا عشرة يوما وقطعنا مسافة تقدر بـ ١٣٥٥ كيلومترا . وتجولنا في مدينة آقسو وصححنا بعضا من مفاهيمنا السابقة على الطبيعة . ثم تحركنا قاصدين مدينة كورلا العاصمة المؤقتة عرين يعقوب بك عن طريق مدن كوجار وباي . وكنا في يوم ٢٢ يناير ١٩٧٧م في مدينة كورلا وقد قطعنا مسافة ١٥١٥ كيلومترا فيما بين مدينة أوش حتى وصلنا مدينة كورلا عرين يعقوب بك . وفي اليوم الثاني ٢٣ يناير استقبلنا يعقوب بك في بلاطه المنيف، وقدمت له تحيات والي تركستان العام وسلمته له مكتوبا وهدايا ثمينة.

ويقول : تكلمت ونحن على مائدة السلطان بدولت وقلت : " إننا قطعنا آلاف الأميال لنتشرف بمقابلتكم الكريمة وقد حصلت . ورأينا بلدكم عامرة وشعبكم مطيعا مطمئنا حتى أننا توسمنا على محيا سكان القرى والأرياف وأماكن نائية رضائهم منكم ، وأنهم يحسون أن يعقوب بك معهم وبجانبهم دائما وأبدا . وبهذه المناسبة الكريمة نطلب من جلالتكم السماح لنا بحرية التجوال في مدن وقرى وأرياف هذه البلاد العزيزة بقصد الاطلاع التام على طبيعة هذا البلد المضياف ". فما كان من جلالته الإجابة وتأمين ما قد نحتاجه من المؤن والأغذية والمرافقين من أهل البلاد . وإلى أخر هذا البيان من

آ.ن كورباتكن ثم أصبح كتابا الآن في ٤١٢ صفحة من الحجم المتوسط باللغة التركستانية والله نسأل أن يوفقنا لترجمته كاملا فيما بعد لأهميته في شوون يعقوب بك وعلاقته الطيبة مع روسيا القيصرية . حقا إن آ.ن. كورباتكن هذا رجل علم ودراية وأكاديمي قبل أن يكون رجلا عسكريا وسياسيا . حيث إنه ترجم انطباعاته بكل دقة وروية. وبالأحرى كان الموقف موقفه هو يتطلب منه ذلك . وتفهم من هذا أن روسيا القيصرية كانت معترفة بدولة يعقوب بك الإسلامية ، حيث أنها لم تقم بأي عداء ضده في أرض دولته الفتية . وكانت تجارة روسيا مع تركستان الشرقية والعكس باقية كما كانت مثلها مثل تجارة الهند (الإنجليز) عبر جبال بامير ووادي كشمير سواء بسواء ، حيث أن آ.ن كورباتكن قال بوجود سلع مستوردة من الأسواق وبأسعار زهيدة . وكما قامت دولة يعقوب بك الإسلامية بجهود ذاتية وبدون تدخل خارجي لم تكن في البلاد زمرة تنتمي سياسيا وعقائديا لدولة أخرى أجنبية بما فيها روسيا القيصرية . ونكرر القول إن هذه الدولة الفتية قامت بيد يعقوب بك وانتهت على يده دون غيره كما نأتي بذكر ذلك تفسيرا مفصلا في آخر الباب . وإذا لم يحظ يعقوب بك بعطف روسيا القيصرية فإنه في الوقت ذاته لم يصب بأذاها أبدا. وكانت حكومة روسيا القيصرية على حذر من هيمنة الإنجليز على دولة يعقوب بك الفتية الإسلامية إلا أنها وجدت يعقوب بك أحرص منها في هذا الأمر . واتهم يعقوب بك في انهزامه أمام هجمات روسيا بفيلقها العسكري على مركز حدود خانية قوقند في بلدة آق مسجد ، ثم في عدم انتصار يعقوب بك في شن هجومه عليها فيما بعد . بأن يعقوب بك باع بلدة آق

مسجد أو أنه استلم نقودا منها في مقابل تنحيته عنها بأسلوب أو بصورة انهزام عسكري . ولكن يعقوب بك لم يرتكب مثل هذه الأخطاء في حق بلده وأمته ، ولو أنه فعل لفضحته روسيا القيصرية أمام العالم وأمام شهرة ونماء وشوكة دولة يعقوب بك في قشقرية أو تسلطت عليه وامتحنته وذهبت بشرفه وشرف قيادته وتأسيس دولته الإسلامية في الكاشغرية كدولة ذات سيادة . ولم يكن لها أي لروسيا حاجة أن تدرس أسباب عظمة دولة يعقوب بك وتلاحقه بوفود وبعثات ، ولكانت في يد روسيا الورقة الرابحة ولم يحصل ذلك[1].

يعقوب بك والإنجليز (الهند)

حقا إن الإنجليز حاولت مرارا وتكرارا الاستحواذ على خيرات (قشقرية) تركستان الشرقية في عهد يعقوب بك ، وباعت له أسلحة وعتادا حربين وسمحت بعبور أسلحة من دول أخرى إلى يعقوب بك عن الهند وعن طريق وادي كشمير. وعرضت ليعقوب بك فكرة بناء طرق عصرية عبر جبال كيونلون في محاذاة كشمير شرقا ، وتزويد تركستان الشرقية بتراموای وأوتوبيسات نقل ومكنات وآلات الزراعة وكل حديث من مستلزمات الحياة العامة ، وتسويق الخامات الموجودة في البلاد في الهند وغيرها من دول

---

[1]ـ راجع كتاب (ترجمة يعقوب بك) لجارليز بوليكو الإنجليزي الذي صدر عام ١٨٧٨م .

العالم ، في مقابل امتيازات في البحث وتخريج الثروة المعدنية بالمناصفة باتفاقات ترضى الطرفين . ولكن يعقوب بك لم يقبل هذا الأرض واكتفي منها بشراء ما يلزمه من السلاح وحسن الجوار والعلاقات التجارية المعتادة وتبادل السلع المحلية إذا وجدت . حيث أن يعقوب بك على علم بنوايا الإنجليز ومقاصدها الاستعمارية ، ولم يغب عن الأذهان بعد مكايد وحيل (شركة هند الشرقية) ممثلة في بريطانيا في القضاء على إمبراطورية مغول الهند سنة ١٨٤٠م ، فكانت يد بريطانيا ملوثة بالدماء في البلدان الكثيرة في الشرق من جنوب آسيا آنذاك . ناهيك عن دسائسها الشيطانية ضد الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية) في تحريض يهود العالم عليها . ولكن تكونت بينها صداقة وحسن الجوار . أضف إلى ذلك أن يعقوب بك ما كان يعتمد على صداقة بريطانيا وعلى المدى البعيد من حيث تأمين الطرق للأسلحة التي ترد إلى يعقوب بك عن طريق الهند . فعمد يعقوب بك إلى تأسيس مصانع حربية تقلد ما عنده من أسلحة مستوردة . وذلك في كل من مدينة كاشغر وياركند وآقسو منها البنادق ومدافع الهاون والذخيرة الحية ومتفجرات أخرى منوعة . ونشط بعض الشيء تجارة الهند مع دولة يعقوب بك ، وكانت الأسواق التجارية غاصة ببضائع هندية وبريطانية .

بينما عرض بريطانيا ليعقوب بك بناء طريق يربط الهند بتركستان الشرقية عبر جبال قراقورم أو كيونلون شرقا ، عرضت روسيا شق طريق من قازاقستان إلى ولاية آقسو مرصوفا بالأحجار أي تبنيها بالحجارة ، وتمهيد بعض العقبات الجبلية، ولكن يعقوب بك رفض كل العرضين جملة وتفصيلا.

ويقول جارليز بولكير صاحب كتاب (ترجمة يعقوب بك) في المقدمة: " لا تقل إن يعقوب بك هو الشخص الوحيد القادر على تذليل صعوبات آسيا الوسطي وتركستان ويمكن له التصدي على مداهمة روسيا القيصرية وتجاوزات الصين الغائرة ، ولكنه كان الوحيد في الساحة آنذاك ". وقبل هذه الفقرة يقول : " لم يكن يعقوب بك تيمورا ولا بابورخان المغولي مؤسس إمبراطورية مغول الهند، ولكن لا يقل أهمية من هؤلاء الرجال". ويقول: "وكل ما في الأمر وهو المهم والبارز والمشرف أن يعقوب بك أوجد أو خلق في تاريخ تركستان الشرقية (القشقرية) ما لم يكن بغيره من مميزات ومعالم بارزة وباهرة". ويقول: "لولا يعقوب بك لما انكشفت ألاعيب الصين واستيلائها الجائر على مناطق جونغاريا وتركستان الشرقية ، وهذا الذي حفز الكتاب والمؤرخين السياسيين للانشغال بأمر تاريخ تركستان وبخطي حثيثة ". ويقول: بقدر ما كان سقوط يعقوب بك سعدا للصين كان خيبة للإنجليز".[1]

وإذا راجعنا وضع روسيا القيصرية في تركستان الغربية في عام ١٨٧٦م لم تكمل روسيا مؤسستها الإدارية في سهل فرغانة إلا هذا العام فقط ، مع أن روسيا القيصرية سيطرت أو تغلبت على إمارة فرغانة باستسلام خودايارخان عام ١٨٧٠م ، ولكن روسيا أشغلت نفسها لتصفية كاملة لإمارتي خيوة (خوارزم) وبخارى ولمدة ست سنوات كاملة و لم توفق في ذلك ، حتى أنها اكتفت بما حققته من استيلائها على إمارة فرغانة وقد

---

[1] ــ راجع كتاب (ترجمة يعقوب بك) لجارليز بولكير ، المقدمة .

مضت خمسة سنوات لمداهمتها منطقة وادي إيلي وإسسيق كول في الشمال الغربي من تركستان الشرقية سنة ١٨٦٥م . وذلك أن أ.ن . كوربـاتكن عضو الهيئة العليا العسكرية والمدنية لآسيا الوسطى يبـدأ مقدمـة بياناتـه السياسية عن تركستان الشرقية قاشقاريكا بقوله : "سنة ١٨٧٦م انتـهت أقدم دولة إسلامية مستقلة (إمارة فرغانة) ، ودمرت عن آخرها في آسـيا الوسطي خانية قوقند".

ولم تكن للإنجليز يد في داخل وخارج سياسة يعقوب بك وإقامة دولتـه المستقلة ، وإلا لما تأخر وفود الإنجليز إلى ١٨٦٨م ، ولمـا تـردد أمثـال موركروفيت بالقدوم إلى تركستان الشرقية ، بالرغم أنه كان يأمل أن يكون هو أول إنجليزي الذي يدخل القشقرية (تركستان الشرقية) ومنذ مـدة . لأنه كان يرغب الإنجليز من أمثاله على اقتحام الجبال الوعرة للوصـول إلى منخفضة تارم بشتى وسائل التهديد والتخويف ، حتى أنه قال مـرة : "إن تلك الأقوام يضعون دائما رؤوسهم في أكفهم أو راحة يدهم بالنسبة للتهجم على أي أجنبي يطأ تراب أرضهم".

وأول إنجليزي وطئت أقدامه أرض الصين عن طريق ختن قادمـا مـن لاهاسا ومن الهند هو : وارك هاستيكن وزميله توماس مانى في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي . وفي سنة ١٨٥٧م وصل آدولوف شلاكن وات إلى تركستان الشرقية عن طريق لاداخ فولاية ختن أو ياركند . وكـان ذلك في عهد وال كاشغري ولى خان توره . وفي ظاهر مدينة يـاركند تم القبض عليه من قبل الكوادر العسكرية التابعة لولي خان توره ، واقتادوه إلى ولاية كاشغر ، ثم أصدر ولى خان توره أمره بإعدامه فلقي مصرعه .

وفي سنة ١٨٦٨م أرسل يعقوب بك بعثة استطلاعية لولاية بنجاب ، وكان في عضوية مبعوثيه محمود نظر بك ، فاتصل به المستر روبرت شاو الأديب والسياسي المعروف ، وأبدي رغبة في زيارة هذا السلطان المسلم مؤسس الدولة الإسلامية في تركستان الشرقية يعقوب بك بدولت ، فوعد محمود نظر بك بإبلاغ رغبته إلى جلالة السلطان يعقوب بك ، فلا بد من إذنه الخاصة في مثل هذه الزيارة لرحل إنجليزي مثل روبرت شاو ، وتم له ما أراد في شهر ديسمبر من عام نفسه ، وقد مضت خمسة أعوام من إقامة دولة يعقوب بك في البلاد. وأعقبه مستر هيوارت الذي قتل في منطقة كيلكت من قبل عناصر مجهولة بعد أربعة سنوات من زيارته ليعقوب بك . وكانت إقامة روبرت شاو ثلاث أشهر وزيادة ، وقد تشرف بمقابلة يعقوب بك ثلاث مرات إبان زيارته هذه. ومستر روبرت شاو أحسن[١] من كتب عن دولة يعقوب بك وعن تركستان الشرقية بصفة عامة من الكتاب والأدباء والساسة الإنجليز. وصدر خاطرة مستر روبرت شاو في إنجلترا سنة ١٨٧١م.

وفي سنة ١٨٦٩م بعث يعقوب بك مبعوثه إمدادخان خوجة إلى الهند في طلب إقامة علاقة دبلوماسية ، وكذلك يطلب بعثة خاصة لزيارته في مدينة كاشغر من قبل بريطانيا العظمي ، فاختارت بريطانيا مستر فورسيت سفيرا لبلادها لدي بلاط يعقوب بك في مدينة كاشغر . وقدم مستر فورسيت بمعية روبرت شاو والدكتور هندرسون عن طريق كشمير .وكان وصولهم إلى

١ــ انظر كتاب ترجمة يعقوب بك لشارلز بوليكو ، باب يعقوب بك وإنكليز .

مدينة ياركند مباشرة. ومن سوء حظ الإنجليز كان يعقوب بك مشغولا في شمال شرق البلاد في فتنة تونجان المستوطنين ، ولم يكن هناك ما يشير بعودة يعقوب بك في وقت معلوم . ومكثت البعثة الإنجليزية تسعة أشهر في البلاد دون أن تتقابل مع السلطان يعقوب بك ، فعادت البعثة إلى الهند بخفي حنين. ومضت سنة كاملة وفي أثناء ذلك أرسل يعقوب بك ابن أخته السيد يعقوب خان بصفة سفير مؤقت إلى موسكو . وأرسل كذلك إمداد خان خوجة إلى بريطانيا (الهند) لنفس الغرض السابق . ولكن وقد فلت الأوان في غير صالح الإنجليز حيث سبقت اتفاقية التجارية المتبادلة بين موسكو ودولة يعقوب بك للتصديق عليها ٨-٦ - ١٨٧٢م .

وقد كتب هندرسون مرئياته في شكل خاطرة تحت عنوان (ما بين لاهور وياركند) . وكان مستر بارون كولبارس صاحب صياغة الاتفاقية التجارية بين بريطانيا (الهند) ودولة يعقوب بك . غير أنها فقدت قيمتها من جراء تأخير التصديق عليها بسبب مشغولية يعقوب بك ، واحتلال مكانها الاتفاقية الروسية القشقرية آنذاك كما أسلفنا .

وصلت أول بعثة معتمدة إنجليزية مكونة من ثلاثمائة رجل ، ومعهم أربعمائة من الخيل والبغال منها مائة بغلة من أجود بغال الهند آنذاك . ووصلت بتاريخ ٤ ديسمبر ١٨٧٣م إلى مدينة كاشغر . وكان كل من مستر بارون كولبارس ، ومستر بورت بورسنت ، وكابتن بيديلوب ، وكابتن تروتيترو ، والدكتور ستوليزكا ، وكوماندر بود بولكوونك ، والدكتور بيللو ، والكابتن جابمان ، والدكتور كور بورالى . وقد ألف الطبيب الدكتور بيللو كتابه المسمي (كشمير وكاشغر) في هذه الرحلة .

وقد سبق لكوماندور بودبولكوونك أن أصدر كتابه المسمى بـ (سقف العالم) نتيجة رحلته الاستطلاعية على مختلف فروع ومنحدرات ووديان جبال بامير الشرق مما يلي التبت . وكان أعضاء الوفد ومحافظوهم مسلحين بأسلحة جيدة . ومنذ استقبال يعقوب بك للوفد البريطاني الضخم أصدر فرمانا بأن تكون كل مصاريف الوفد منذ وقوعها البلاد إلى يوم مغادرته من خزانة دولته السنية .

وزار الوفد البريطاني مصانع الأسلحة المتطورة المصنوعة محليا في مدينة كاشغر، منها مدافع هاون يبلغ مداها ٢٥٠ ياردة أي ٢٢٥ مترا . وأن الصناع المهرة المحلين أفادوا أنهم صمموا مدفعا يبلغ مداه ٥٠٠ ياردة أي ٤٥٠ مترا وسوف يكون جاهزا للعمل خلال ستة أشهر من تاريخه .[١]

وكانت زيارة الوفد الإنجليزي في عهد ملكة بريطانيا ، وأن ملكة بريطانيا آنذاك أرسلت كتابا بخط يدها مغلفا في علبة صنعت من فضة أو ذهب مطعمة بالعقيق أو بحبات العقيق وللعلبة محفظة محلاة بماء الذهب ، وقالت في نصها ليعقوب بك : " إن جلالة سلطان يعقوب بك من أعظم ملوك آسيا " . وغير ذلك من الصفات والنعوت . وفي تاريخ ٢ فبراير ١٨٧٧م صدقت الاتفاقية التجارية والتعاون والصداقة الكاشغرية البريطانية من قبل السلطان يعقوب بك . وفي ١٦ من مارس ١٨٧٤م بدأت رحلة العودة إلى الهند .

ويقول تشارلز بوليكر في كتابه هذا وفي آخر كلمة له فيما بين

---

[١] ـ انظر المصدر السابق .

الكاشغرية والإنجليز : " إن بريطانيا العظمى ودولة يعقوب بك تزامنتا وبدون مقدمات في تموين علاقاتهما فيما بينهما بشكل أو آخر . ولو أننا أخلصنا أم لم نخلص وكنا صحيحين أو غير صحيحين ، وتعاطفنا مع الكاشغرية أم لم نتعاطف ، لم يكن يعقوب بك يملك قشة واحدة وقت عداله على روسيا . وقد تكاملت قواه البشرية والعسكرية وبشكل مدهش وبصورة جيدة وسريعا للغاية . وكل ما في الأمر نحن تمسكنا بسياستنا تجاه آسيا الوسطي الخط الحذر بأن لا نكون بادئين في أمر لم يتهيأ له غيرنا ، وربما أجيالنا القادمة يعيب علينا في موقفنا هذا ".

يعقوب بك ومسلمي الصين المستوطنون

لم يكن يعقوب بك يواجه التونجان في الساحة العامة في تأسيس دولته الفتية فقط ، وإنما كان يواجه عددا من القوميات والتجمعات القومية والعرقية والإقليمية على حد سواء . وفي البداية كانت هناك أقاليم محررة كليا من ربقة الإستعمار الصيني منذ سنة ١٨٥٨م وفي عموم مناطق تركستان الشرقية ما عدا ولاتي جوجك وإيلي اللتان كانتا تابعتان إداريا لمنغوليا الخارجية (في إدارية الصين) آنذاك ، إلا أنهما إقليميا جزء مهم من إقليم تركستان الشرقية كما أسلفنا القول في ذلك . فكانت هناك خانية ختن ، وخانية كوجار ، وإمارة إيلي ، وخانية إسسيق كول وإمارة ياركند، وإمارة ولاية كاشغر . ومن القوميات الأويغور الترك ، ومنهم القازاق ، والقيرغز ، وأوزبك ، وتونجان مسلمي الصين المستوطنون ، وبعض من

الصينيين ، وقالموق ، والأخير في ديانتهم البوذية . منتشرين هنا وهنـــاك . بالإضافة إلى قوقنديين الذين تولوا بعض الأفراد من سلالتهم حكم البلاد في عهد ملوك الطوائف آفاق خوجة وأولاده وأتباعه . وزد على ذلك الزمـــرة المرافقة لبزركخان توره وليعقوب بك نفسه ، منهم من أهل قوقند ورحـال فرغانة وعددهم أربعة مائة رجل .

ونحن نأتي الآن بالتونجان مسلمي الصين المستوطنون : وهم أصلا شرذمة هاربة من داخل الصين موطنهم الأصلي إلى تركستان الشرقية إثر انقلابـات وثورات قاموا بها ضد سيادة الصين عليهم . وكانت منازلهم التي اسـتقروا فيها كل من مدينة تورفان ، وكوجار ، وآقسو ، وجمســا ، وأوروميجى . البيتهم العظمى في وادي إيلي وأطراف مدينة غولجا حاضرة وادي إيلـي بنة ياركند . بالإضافة إلى ولاية قومول الواقعة في أقصى الشرق المتاخمـة لحدود الصين . والثورة العارمة التي قامت في أقاليم تركستان الشرقية منـذ عام ١٨٥٨م واحدة تلو الأخرى قامت في بعض المناطق مثل إيلي وكوجـار بمساعدة ومؤازرة هذه الفئة ، لأنها كانت تحتفظ ببعض الأسلحة في منازلهم في السابق ، ولان الصينيين المحتلين تغض النظر عن تلكم الأسـلحة لأنهـا مباحة بالنسبة لهم محرمة لغيرهم ، ولأن تونجان عنصر وجزء منهم . وعلـى الرغم من أنهم عصاه وثوريون وهاربون منهم إلى بلاد تركستان الشـرقية ، وكذلك الحال في مدينة ياركند .

في عام ١٨٦٣م قدم بوزركخان توره لمساعدة الحاكم الثوري صديـق بك إلى ولاية كاشغر ، وفي معيته أربعة مائة رجل يرفقه يعقوب بك الـذي عمد منذ قدومه إلى ولاية كاشغر بتنحية سيده بوزر كخان ، وتخلص منـه

بعد فترة بتجهيزه للسفر إلى الحج ، وتصفية صديق بك الذي انسحب من مدينة كاشغر ، وبإيعاز يعقوب بك قضى عليه أفراد من حرسه الخاص .

وبعد عدة محاولات متكررة استولى يعقوب بك على مدينة ياركند عام ١٨٦٥م ، كما استولى قبل ذلك على قلعة الصينيين (ينكي شهر) في مدينة كاشغر . فاجتمع تونجان الماردون من ياركند وكاشغر ومعهم بعض أفراد الصينيين في مدينة (ينكي حصار) محافظة كبيرة تابعة لمدينة كاشغر تبعد عنها ثمانين ميلا في الجنوب الغربي . ثم استولى يعقوب بك على مدينة (أوج تورفان) في الشرق من ولاية كاشغر تبعد عنها بحوالي مائتين ميلا . وكانت تشكل خط الإمدادات بين الشمال والجنوب ، ولا سيما أنها كانت تشكل خط الاتصال بين تونجان الذين تمركزوا في مدينة كوجار ومشاركون في حكومات الثورية المحلية ، وبين أفرادهم في مدينة ينكي حصار هذا من جهة تونجان ويعقوب بك . ومن جهة خانية ختن وحكومة كوجار المحلية الثورية . قطع يعقوب بك اتصالهما أيضا باستيلائه على مدينة أوجتورفان وبنى فيها استحكامات حربية عالية المستوي وردم الموجودة منها بشكل منتظم استعدادا للاستيلاء على خانيتي ختن في الجنوب الشرقي ، وكوجار في الشرق من أوجتورفان . ثم رجع يعقوب بك إلى مدينة كاشغر بعد أن اطمئن لوضع مدينة أوجتورفان الاستراتيجية ولأن يأخذ جولة مع تجمعات تونجان في مدينة ينكي حصار وانتصر عليهم . ولكن يعقوب بك جاء إليهم بموعظة دينية بحتة ، وعرض عليهم وحدة الصف بين المسلمين أيا كان عرقه وجنسيته ، فاستطاع أن يأخذ جلهم في صفه سلما وخدمة للدين كوحدة متماسكة ، فانخرط التونجان في الخدمة العسكرية ليعقوب بك .

وهناك حقيقة واقعة ثابتة وهو أن منطقة فرغانة ، وخانية خيوة وخوارزم، وإمارة بخارى إلى الخمسينيات من القرن المنصرم كانت تتمتع بالاستقلال والسيادة الإقليمية حيث بدأت مداهمات الروس القيصرية . ولم يكن بين تلك الحكومات التضامن والتعاون وبجانبها في الجنوب أفغانستان لم تشعر تجاه جيرانها بحمية الجيرة والصلات العرقية وأواصر الدين والعقيدة . وكلما داهمت بعضها خطوب ونحن وقفت متفرجة وكأن الأمر لا يعنيها بشيء . وزد علي ذلك كلما رأت جارة من جاراتها نموا وازدهارا سعت في تفتيت ذلك وبعثرت تلك المكاسب بشتى الوسائل . وكان سلطان فرغانة آنذاك خودايار خان وغيره من تلاميذ هذه المدرسة (مدرسة اللامبالاة) ، وكان في شغل شاغل من أمر بلاده فرغانة حتى في السبعينيات . وهؤلاء التلاميذ من قوقندين وأهل فرغانة موجودين في التركستان الشرقية حتى في عهد يعقوب بك بجانب تونجان وقوميات أخرى. فالمسألة في طبيعتها سيان، وليدة جهل وأنانية (ونحن أمة واحدة أمة الأتراك في آسيا عموما بسلبياتنا وإيجابياتنا القوقندي والكاشغري والأندجاني والياركندي والبخاري والكوجاري والسمرقندي وختنى والقازاقي والقيرغزي وتتري وتركماني وطاجيكي متساوون . وما الفرق بين يعقوب بك وإيليك خانيين ، ومنا الخوارزميون ، والقاراخانيون ، والسلجوقيون ، والغزنويون ، والمماليك ، والتيموريون رغم أنف الأعداء الروس والصين) .

واتخذ يعقوب بك الأيدلولوجية المتقدمة في القوميات الموجودة في دولته .

فلم يكن القوقندي أوفر حظا من الياركندي أمثال نياز بك [1]. ولم يكن الأندجاني أكثر حظا من مستشاره الخاص عبدالله بك الكاشغري الذي تولى قيادة القوات العسكرية لجيوش يعقوب بك . ويقول شارلز بولكير في كتابه (ترجمة يعقوب بك) : "إن عبد الله خان لم يكن أقل حنكة ودراية وسياسة من يعقوب بك " .

وكان يعقوب بك فوق مستوي القوميات (القومية الإسلامية) ، لأن شارلز بولكير يقول : كان في نفوس يعقوب بك الذكاء المفرط . وروحانية عاتية جبارة لا تنثني ولا تلين قناته . وعبر هذه الإيجابيات الذاتية يفكر في الزعامة الإسلامية في آسيا الإسلامية كلها . وكانت هذه الصفات مجتمعة السر والسمة البارزة وقوة المضاء في قهره العسكري الوثاب " .

ويقول : " الفرق بين حكام آسيا الإسلامية آنذاك مثل أفغانستان ، وإمارتي خيوة (خوارزم) وبخاري ، وخانية قوقند : أنهم ضحوا بمكاسبهم الدينية في سبيل مكاسبهم الدنيوية . بينما يعقوب بك لا يمكنه أن ينزل نفسه في هذا الدرك السافل". [2]

ويقول : " إذا نظرنا في خصوصيات يعقوب بك نراه يحلق في سماء كل آسيا الإسلامية ، ولأجل هذه القدرة كان يعقوب بك في حاجة لمساعدة جبارة ودفعة قوية . ولم يكن ليعقوب بك من الأساس أسبابها ، غير أنه أعمل جهده وجهاده للوصول إلى هذه الدرجة من التفوق يجعل نفسه يوما

---

[1] ـــ انظر : المصدر السابق ص ١٧١ .

[2] ـــ انظر : المصدر السابق ص ١٩٧ .

ما قادرا على تصدي أي قوة وبأي مستوى من قبل روسيا القيصرية ".[1]

ويقول : " قيل وأذيع في الأوساط الشعبية أن روسيا القيصرية تعد القشقرية الواقعة في منطقة آسيا الإسلامية من البلاد التي تقع في دائرة هيمنتها ولكن الحقيقة لم تكن كذلك ".

ويقول : " لو أن دوكلاس فورستن لم يوضح الناحية الدينية يعطينا كركرين الكاتب الروسي إيضاحا وإثباتا بأن يعقوب بك كان الزعيم الأوحد الديني في أقاليم آسيا كلها . (شارلز بولكير) .

ومن أيدلوجية يعقوب بك في القوميات التي وقعت تحت سلطانه : أنه ينتقي منهم العسكريين ، والإداريين ، والاقتصاديين ، والنبلاء المحظوظين بالعقلانية والذكاء والمحربين ، ويعينهم في المناصب العليا كقواد عسكريين ء الدوائر ، ومدراء جمارك وجباية ، ويحملهم فوق طاقتهم من الأعباء يجمعهم تحت مسئوليته المباشرة. منهم أهل البلاد، والقوقنديون، ما التونجان مسلمو الصين المستوطنون وقالموق (المغول) فراد من الصين وأفغان وطاجيك فكانت درجاتهم دون درجات أضف إلى ذلك كابوس القهر والانضباط العملي ، كل في حقل خدماته. وجلهم عسكريون مشغولون بشق الخنادق ومد الجسور وبناء الاستحكامات العسكرية ، وصناعة الأسلحة ، وتربية الخيول ، وصناعة أطقم السرج ، وخدمات المعسكرات . بجانب التزامهم الاجتماعية والأسرية. ولم يأمن يعقوب بك لجماعة التونجان وعلى طول الخط ، برغم

---

[1] ــ انظر : المصدر السابق .

الألوف المؤلفة منهم في جيش يعقوب بك . وأما مثل الأفغـــان في خدمـة يعقوب بك فمثل الإسلاميين المحاربين بجانب مجاهدي أفغان في أفغانســـتان اليوم .

وأما أهل بدخشان الفرع الشمالي من جبال ومنحدرات بامـير فـإنهم تصدوا لهجمات يعقوب بك . وعندما تغلب عليهم نقلهم إلى ولاية باركند، ونقل قسما كبيرا من باركنديين إلى تلك الأقاليم بدءا من مدينـة (طـاش قورغان) حتى سهل بدخشان الغرب .

وفيما بين عامي ١٨٦٥م و ١٨٦٦م استولى يعقوب بك على كل مـن ولايتي ختن وكوجار . و في واقعة كوجار والقضاء على خانية راشد الديـن خان في مدينة كوجار كانت هناك حروب دائرة بين يعقوب بك وجماعـة التونجان في كل من مدينتي كوجار وتورفان وتغلب عليها . ثم إن جماعة من التونجان تمركزوا في مدينة كورلا فشن يعقوب بك هجوما كاسحا وشـتت شملهم . وكان يقول ويردد دائما : " ما كان هذا قصدنا ، لو أن إخوانـنـا جماعة تونجان أخلصوا إيمانهم وعقيدتهم الإسلامية ، وقبلت وحدة الصـف تحت راية الإسلام ". ولم يكن أعداؤه في مدينة أوروبجي إلا تونجان الذيـن تمركزوا فيها وأعلنوا الحرب عليه . وفيما بـين عـامي ١٨٦٧م و١٨٦٨م دارت معارك طاحنة بين الطرفين في مشارف أوروبجي. وكان يعقوب بـك يمشي الهوينا نحوهم وبكل حكمة وسياسة ، حتى أنه حينما تغلب عليـهم في شهر نوفمبر ١٨٦٩م وإبان مسودة التسليم من جانب التونجان أبدي أسـفه عبر مبعوثه إلى داخل المدينة أوروبجي ، وبرر هجومه بأسلوب إسلامي بحت كما أسلفنا القول بذلك .

وقد درس يعقوب بك مكامن الغلبة المؤقتة في جماعة التونجان ، فبصر ناحيتين مهمتين : بسالتهم في الحرب ، واختيارهم صلابة المكان المتمثل في القلاع والحصون . فأراد جلبهما إلى طرفه باستمالتهم إلى جانبه بحجة أن الأمر لا يعدو عن كونه إقامة كيان إسلامي قومي موحد بعد التغلب عليهم في الحرب إن لم يكن بالسلم ، وببناء أسوار وقلاع حصينة في عرض البلاد وطولها وبترميم الموجودة منها وتحسينها وتوسيعها ، وإضافة عناصر جديدة فيها . فأخذ هذا الأمر من جهود يعقوب بك حيزا كبيرا . ولم يكن هذا البناء إلا امتدادا لبناء مؤسسات إسلامية من جوامع ، ومساجد ، ومدارس ، وشق الطرق وقنوات الري ، ومد الجسور ، ومراكز استراحة المسافرين ، وأحواض المياه العذبة ، وبناء استحكامات في الثغور ، وإيجاد أو بناء نزل نوافل في مداخل ومخارج المدن والقرى ، وبناء منائر ومواقد النار للمخابرة الطوارئ ، ونزل خاصة بالمشتغلين بالبريد الرسمي والعام ، وبناء معالم الإرشاد في الفيافي والقفار من طرق القوافل البرية . وبنى يعقوب بك المثلث من مؤسسات حكومية مختلفة في كل مدينة وبلدة . وكان يعقوب بك يعطي اهتماما زائدا لضخامة البناء وفخامته واتساعه ، وحتى إن دولة يعقوب بك كانت في طور البناء الكامل ، وقد تكاملت أجزاؤها أو كادت بعد ١٨٧٣م .

وقد قلنا وكتبنا في أكثر من مناسبة أن المنشآت التي قامت بها الصين المحتل منذ ١٧٥٨م حتى ١٨٦٢م مائة وخمس سنوات التي عاصرت ثلاثة من الاحتلال الصيني مدة الأولى ستون عاما من ١٧٥٨م حتى ١٨١٨م ، والثاني من ١٨٥٢حتى ١٨٥٨م ستة أعوام ، والثالثة ثلاثة أعوام من

١٨٥٨م حتى١٨٦١م تخللتها ثورة عارمة . فمن عام ١٨٦١م حتى ١٨٦٢م و١٨٦٥م حكومات الطوائف حيث وحدها يعقوب بك . ولنا منها (أي من مائة وخمسة أعوام) ستة وثلاثون عاما في فترتين اثنتين أخذنا فيها استقلالنا : الأولى ١٨١٨م حتى ١٨٥٢م ، والثانية من ١٨٦١م حتى ١٨٦٥م أو ١٨٦٣م حيث وصل يعقوب بك بصحبة بزركخان توره إلى مدينة كاشغر قادما من قوقند .

في هذه الفترات الثلاث من احتلال الصين تسعة وسبعين عاما لم تقم الصين بأي منشآت عامة سوي المعسكر الصيني الرهيب قلعة (سانغون) في منطقة كورة في الجنوب الغربي من ولاية إيلي في الطريق النازل إلى ولاية آقسو جنوبا ، ومحكمة آمبان الأربع في كل مدينة ياركند ، وأقسو ، وكورلا ، وجمسا . بالإضافة إلى قلعة (وانك) في مدينة قومول ، وقلعة بجانب كل مدينة قديمة آهلة بالسكان المحليين ، بحيث تكون القلعة الجديدة مقرا للصينين فقط دون غيرهم ، ومراكز الجمارك في مداخل البلاد تقوم أيضا بمثابة السكن للحرس الحدودي . وأما المنشآت العامة للخدمات الشعبية فلن تجد لها أثرا قط من أمثال المستشفيات، ومراكز الشرطة ، والمحاكم وخدمة البريد ، والمعاهد والمدارس . ولها فيها عذرها إن قلنا إن مثل هذه الخدمات كانت معدومة في داخل الصين نفسها آنذاك وسلوتنا فيه: (فاقد الشيء لا يعطيه) .

قام يعقوب بك ببناء كل هذه المرافق العامة في مدة حكمه العادل وعهده الذهبي فيما بين عامي ١٨٦٢م حتى ١٨٧٧م . فالصين التي استولت على البلاد بعد وفاته يعقوب بك حصلت على كل هذه المرافق جاهزة

عاملة . وإلى عام ١٩٤٩م كانت في أقاليم تركستان شرقها وغربها وجنوبها وشمالها مآثر خالدة : عشرات من المدن العامرة ومئات من القلاع الحصينة ، وطرق ممهدة وبعضها مرصوفة بالحجارة ، وقد دمرتها زبانية ماو زي تونك ولا سيما بعد عام ١٩٥٨م وفي إبان حركته المشئومة المسماة زورا وبهتانا بالثورة الثقافية ، ثورة تهديم الثقافة والمثل والتراث . ومن أهم التراث الإسلامي الذي بقي حتى الآن جامع عيدكاه أكبر جامع إسلامي يرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن الحادي عشر الهجري ، وكذلك ما يسمى بمرقد آفاق خوجا في ولاية كاشغر ولو كان مرقدا مشؤوما .

وأما أسباب وجود جماعة كبيرة من التونكان (المسلمون الصينيون) في تركستان الشرقية ، فكانت من جراء عدة ثورات قامت داخل الصين ؟ وللمثال ثورتا (تاي بين) و (تيان كو) . ولم تكن هذه الثورات ثورات خاصة لجماعة تونجان في منازلهم داخل الصين ، حيث إن لهم ثورات وثورات خاصة بهم . ولكن التونجان (يسميهم الصينيون بقومية خوي) أي المسلمين الصينيين مهيمنون على كل منطقة تقوم فيها ثورة ويمدونها بالرجال والمؤن لأجل السيطرة على مكتسبات تلك الثورة أيا كانت ، بفضل بسالتهم في الحروب وبطشهم وجبروتهم وإقداماتهم ، وإنهم مقاتلون مجبرون على القتال في أي أرض وتحت أي سماء في داخل الصين موطنهم . وعندما تفاقمت الحركات المضادة والانقلابات الثورية ضد الدين كانت حكومة الصين تعلم مصادر قلقهم الأصلي ومنابع مؤن الأعداء الثوريين . وكانت جماعة تونجان قديما تقض مضاجع الصين ، وأن أكثر تجمعاتهم الولايات الثلاث المتاخمة لتركستان الشرقية وهي جنهاي وكانسو وننكشيا . ولو أن

جماعات لا يستهان بها كانت منتشرة في داخل أقاليم الصين بحكم أنهم صينيون يعيشون في أوطانهم أيا كانت . ففي الخمسينيات من القرن المنصرم شنت الصين هجوما كاسحا على تجمعات التونجان المشبوهة في عدة ولايات داخل الصين على أنهم أعداء فسدة تجاه أرض وحدة الصين ، فاضطر التونجان إلى ترك ديارهم ويهاجروا إلى تركستان الشرقية ، ولم تكن هجرتهم هذه النواة الأولى لجماعة التونجان في تركستان الشرقية ، بل أن قسما كبيرا منهم أتوا إلى البلاد منذ سنة ١٧٥٨م الاستيلاء الأول للصين على تركستان الشرقية بشن هجومها الكاسح بقيادة جاو خو ني بدعوى مساعدتها لأمورسنا رئيس قبائل قالموق في سهل جونغاريا ووادي إيلي . وإليكم تفاصيل تجمعاتهم وأسبابها :

أولاً : إن تجمعاتهم كانت في وادي إيلي ، لأن (جاو خو ني) هذا قدم إلى البلاد عن طريق منغوليا ،[1] وكان بين جنوده جمع غفير من جماعة التونجان . وكان (جاو خو ني) حمل أمرا من إمبراطور الصين (كى آن لونك) أن يجري قتلا عاما في الأهالي في حالة انتصاره عليهم . ونتيجة لإبادة الأهالي إبادة تامة على يد (جاو خوني) في جونغاريا ووادي إيلي ، ولم تكف لإعادة إعمار البلاد جماعة تونجان والصينيون وجماعة جنفن من صعاليك المغول ، فعمد (جاو خوني) إلى تهجير مائة ألف أسرة من مدن الجنوب كاشغر وختن وياركند ، وكان أكثرهم من المهاجرين من مدينة تورفان وأجبرهم على الاستيطان في وادي إيلي ، فسميت هذه الأسر

---

[1] ـ راجع كتاب (تركستان بين روسيا والصين) للدكتور باي مرزا هيت باللغة التركية .

المهاجرة[1] باسم ترانجي (أي المزارع) . ولم تزل هذه الجماعة تشكل الأكثرية اللهم إلا الآن قد تغير هذا الوضع في عهد الصين الشيوعية من جراء تهجير الصينيين كالسيل العرم إلى تركستان الشرقية بوجه عام . وتشير الأرقام في عهد يعقوب بك أن المزارعين ترانجي وبحكم أنهم أهل البلاد في منطقة وادي إيلي يشكلون أكثر من ستين في المائة من عدد السكان ، وعشرون في المائة من تونجان ، وخمسة عشر في المائة جماعة أو قبائل قازاق ، ومنهم قالموق البوذيون وجماعة حنفن يشكل خمسة في المائة ، وأفراد قليلون من أجناس أخري . هذا بالنسبة إلى تجمعات تونجان في وادي إيلي .

والمرتبة الثانية لتجمعاتهم منطقة تورفان معقل هذه الجماعة . ومنطقة قومول المدخل الرئيسي والوحيد للصينيين إلى البلاد وهم فيها تجمعات كبيرة مختلطة مع الصينيين الغير مسلمين . غير أن جماعة التونجان يتسربون إلى داخل بلاد تركستان عبر محورين رئيسيين : الأول منطقة تورفان من حيث الوازع الديني المزدهر في منطقة تورفان ومن حيث العمل والاستيطان في أطراف الحقول الزراعية . والثاني الشمال من سلسلة جبال تيانشان (خان تنغري) لمدينتي جمسا وأوروجي من حيث الهيمنة والقفز على السلطة وتكوين جماعة مقاتلة سرية . ومن جماعة التونكان المستوطنون في منطقة تورفان ينحدر بعضهم إلى ولايتي ياركند وكاشغر، ويقل فيهم الوازع الديني وينضمون إلى صعاليك الصين ، ويشاركونهم في أوكار القمار وأكواخ الأفيون والحشيش ، والسرقة ، ومحلات الرهان (الربا) . وكل

---

[1] ـ انظر كتاب (شرقي تركستان تاريخي) لمحمد أمين بوغرا ص ٣٥٦ .

هذه السلبيات كانت تهون لولا أنهم مسلحون ، حيث إنهم يحتفظون بقدر المستطاع بالأسلحة ويحافظون عليها في السر أيضا وليوم يترقبونها سلبا وإيجابا . ولا يقل عددهم في عموم المناطق المفتوحة في عهد يعقوب بك عن ثلاثين ألفا أو ما بين ثلاثين أو أربعين ألفا ، منهم النصف في منطقتي تورفان وكوجار ، والنصف الآخر في جمسا وأوروجي ، وما يزيد عن عشرين ألفا في وادي إيلي ومثله في مدينة قمول . ولو أن أكثر هؤلاء صينيون ، وفي عهد يعقوب بك لا يقل عدد السكان في تركستان الشرقية عن خمسة ملايين نسمة . وقيل أقل من أربعة ملايين حيث إن تعدادنا بعد خمسين عاما من وفاة يعقوب بك وفي الثلاثينات من هذا القرن أكثر من ثماني ملايين نسمة ، وكنا في عام ١٩٤٩م اثنتا عشر مليونا . وأما الآن ونحن في عام١٩٩٠م فأكثر من خمسة وعشرين مليون نسمة ، وقيل سبعة وعشرون. وأما تعداد الصين المهاجرة فأكثر من خمس وثلاثين مليونا منهم ١١ ألوية (ديوزية) من العسكريين ، وربع هذا العدد في أقل تقدير تحت السلاح ، ولكنهم في الظاهر مزارعون وعمال مسالمون . وقد مضى علينا مائة وثلاثة وعشرون عاما من وفاة يعقوب بك في ١٧ مايو ١٨٧٧م وقس على ذلك تزايد أعدادنا بالنسبة لتزايد شعوب العالم .

وقعت حروب كثيرة بين يعقوب بك وجماعة التونجان منها ما وقعت في مدينة ينكحصار ، ومدينة كوجار ، وكورلا . ومدينة أوروجي وقعت فيها ثلاث معارك حربية انهزمت فيها جماعة تونجان واستسلمت ليعقوب بك بالطاعة والانتماء الإسلامي .

أصبحت مدينة أوروجي عام ١٨٦٨م تحت يد يعقوب بك ، وعين فيها

أحد نبلائها سليمان خان واليا باسم يعقوب بك . وكانت مداهمة يعقوب بك على مدينة أوروبجي بثمانين ألف جندي أتى بها يعقوب بك في سهل تورفان وتوخسون وللمرة الأخيرة ، الأمر الذي يبرهن على عظمة وشدة بأس جماعة التونجان في منطقة أوروبجي آنذاك . وكان هجوم يعقوب بك الأخير على مدينة أوروبجي في خمسة عشر ألف مقاتل .

ومن جراء مداهمة روسيا القيصرية على تركستان الغربية منذ الخمسينيات من القرن المنصرم وسقوط خانية قوقند لدى روسيا عام ١٨٧٦م باستسلام خدايارخان ، تدفقت إلى تركستان الشرقية جمع غفير مهاجرة من قوقند وأندجان وطاشقند ، وإلى آخر تلك المدن من نمنكان ،و خوجند ، وبخارى . واستقبلهم يعقوب بك وأكرم وفادتهم واستفاد منهم في تعيينهم في الوظائف الإدارية والدينية والعسكرية . وليس هذا غريبا علينا ، لأننا أمة واحدة وشعب واحد ، وديننا واحد هو الإسلام وتجمعنا العقيدة الإسلامية . وهذه هي صفة مسلمي آسيا الأتراك في ما وراء النهر رغم أنف الأعداء .

ومن سياسة يعقوب الأيدلوجية : أنه كان يسعى دائما في الصلح بين جماعة التونجان والقوقنديين ، وبينهم وبين أهل البلاد الأويغور ، حتى بينهم وبين الصينيين المهاجرين ولا سيما المسالمين منهم [١]. وكان أبناء يعقوب بك الثلاثة مقاتلون من الدرجة الأولى شجعان فوارس . وقد وصفهم بعضهم أنهم لا يقلون شجاعة وإقداما عن أبيهم . وقد اشتهر غير واحد من

---

[١] ـــ انظر كتاب (ترجمة يعقوب بك) لشارلز بولكر باللغة الإنكليزية والصينية والتركستانية الحديثة .

الشخصيات البارزة في عهد يعقوب بك أمثال نيازبك الياركندي وعبد الله بك الكاشغري القائد العسكري والمستشار الخاص ليعقوب بك ، وحاجي توره ، وتراب حاجي ، وأمين بك ، وآخون نيازبك ، وصابر آخون أمين الخزينة العامة ، وعاشور توبجان ، وزمان خان أفندي ، وكمال خان الكاتب الخاص ، وكل هؤلاء وغيرهم كثيرون لم يكونوا من القوقنديين . والحق يقال إن يعقوب بك عين كثيرا من أهل فرغانة في مناصب كبيرة مثل القضاء والإفتاء وولاية الأقاليم وإمارة المحافظات وضباط مراكز الحدود وكوادر الجمارك والجباية . وبالمقابل كان يعقوب بك أعلى مرجع في الدولة وبصفة أن حكومته أو قل دولته الفتية مبنية على المركزية وحكم الفرد المطلق . وزد على ذلك أن يعقوب بك كان يضغط عليهم ويحملهم فوق طاقتهم بحيث لا تبقى نسمة من وقتهم ولا راحة من جهدهم وجهودهم . وكانوا ملزمين بأن يأتوا بأنفسهم إلى بلاط يعقوب بك ويقدموا بيانات ضافية عن إنجازاتهم حسب تعليماته الخاصة . ولا تنس أن يعقوب بك من الجبابرة الحكم حكمه والأمر أمره ، ثم إن يعقوب بك أمضى عشرين عاما في خدمة حكومة قوقند قبل نبذه من خدايارخان بتهمة خيانة أو التقاعس استعادة آق شهر من قبضة شرذمة ، وربما كان إخفاقا في التخطيط إداريا أو كان انهزاما حتميا في موقف لم يكن فيه تكافؤ بين يعقوب بك وخصمه . ونحن لسنا في الناحية العسكرية ليعقوب بك الآن ، وإنما في معرفته لبنى جلدته من القوقنديين المهاجرين إلى قشقرية وعلى غرار (أن أهل مكة أدري بشعابها) . والخلاصة أن يعقوب بك لم يكن منحازا للقوقنديين ضد مصالح دولته وأهل البلاد . حتى أن يعقوب بك لم يكن ضد التوبجان ، وإنما كان

شديدا أو قاسيا في الحفاظ على مبادئه ومثله العليا، ألا وهي إقامة دولة إسلامية فتية قادرة تعيش في ظلها كل من آمن بالله ورسوله واهتدي بهديه واتبع لسنته . بجانب هذا كان يعقوب بك معاديا لمبدأ جماعة التونجان الوصولية ، ضد إدارة وحدة الصف الإسلامي البحت .

ونحن لا نشك في ديانة جماعة تونجان وعقيدتهم الإسلامية ، وإنما هم كانوا عدم الانتماء للبلد المضياف (تركستان الشرقية) تتحاذبهم أهواء السلطة لأنهم وصوليون هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كانوا يعتمدون على بني جلدتهم الصينيين أكثر من اعتمادهم لأي فئة أخرى ، ولو كانت هذه الفئة أهالي تركستان الشرقية أو أية شخصية ولو كانت هذه الشخصية يعقوب بك ، برغم هجرتهم من الصين ومطاردتهم من قبلها وعدائهم لها من حيث الدين والعقيدة . ولذلك لم يستتب الأمر ليعقوب بك في كل من نورفان وكوجار لوجود فلولهم المشاكسة رغم وجود ألوف منهم في الخدمة العسكرية ليعقوب بك وتفصيل ذلك كما يلي :

منذ ١٨٥١م حيث مات الإمبراطور الصيني (تاوكوانك) وخلفه ابنه (يي جو يانغ هين فونك) قامت عدة ثورات شرسة في داخل البلاد ، منها ثورة خونن وخوبي وآنخوي ، وسماها الثوار ثورة (تاي بنك) كوحدة ثورية مشتركة. وضعفت قوة الصين العسكرية في تركستان الشرقية ، فقامت في البلاد ثورة عارمة عام ١٨٥٣م ، وتكللت ثورة الصين ببسالة جماعة التونجان في عام ١٨٨٩م . وكون المدعو (تاوون سو) من زعماء مسلمي الصين دولة إسلامية ثورية ونصب نفسه ملكا عليها ولقب بسلطان سليمان .

وذلك في عهد (هيين فونك) . ولم تكتف ثورات الصين هـذا بل تعدتها إلى ثورات أخرى ، حيث تفوت ثورة تايبنك وثورة أخرى في منطقة (يوننان) وتوفي (هين فونك) سنة ١٨٧١م وخلفه ابنه (تونك شـي) ولم يبلغ الرشد بعد، وكانت إدارة الدولة في يد الأوصياء . وقيل : في يد الملكة ، في الوقت الذي يغلي فيه داخل الصين في أتون الثورة المتنامية ، وقد أعلن (تاوون سو) نفسه ملكا لمناطق من البر الصيني باسم الإسلام ولقب نفسه بسلطان سليمان .

فعدمت حكومة الصين بالوصاية إلى ضرب حكومة (تاوون سـو) في منطقة يوننان وتغلبت عليها وقتلت زعيمها سلطان سليمان ، فهرب قائده (داخو) من يونان إلى ولاية (كانسو) المتاخمة لتركستان الشرقية ، وبصحبته خمسة آلاف جندي من التونجان . وأخذ تحت رايته كثيرا من التونجانيين في منطقة (كانسو)، ثم قام بثورة دموية دامت لأكثر من سنتين.

وفي عام ١٨٧٢م تولى (تونك شي) سلطته على البلاد وجهز جيشا قوامه أربعون ألف جندي وسيره إلى منطقة كانسو بقيادة القائد الصيني (زو زونك تانغ) لإخماد ثورة داخو في منطقة كانسو ، فانهزم الأخير وهرب إلى داخل تركستان الشرقية منطقة قمول. ودخل (زو زونغ تـانغ) هو الآخر بجنوده يطارد داخو وزمرته. (انتبهوا لسير الأحداث من جراء عدم انتماء تونجان لغير جنسهم !!!) وقدم داخو وزمرته إلى أوروبجي هاربين . فعلمت جماعة التونجان أن قائدا صينيا هو زوزونغ تانك قدم بجنوده إلى منطقة قمول، فأعلنوا نبذ سلطان يعقوب بك عليهم في منطقة أوروبجي، واستقدموا زوزونغ تانك إلى أوروبجي . وكان يعقوب بك في شغل شاغل

بالمعارك التي وقعت بينه وبين التونجان في منطقة تورفان وما حولها لأسباب ذكرناها .

فهرب داخو من أوروبجي بعد أن خابر يعقوب بك وأخذ منه وعدا بحمايته . وكان يعقوب بك في مدينة كورلا قدم داخو إليها وتشرف بمقابلة يعقوب بك ، وكان مع داخو ستمائة من جنوده . فأشار يعقوب بك بإقامته في مدينة أقسو هو ورجاله . فبعث زوزوغ تانك مبعوثه الخاص من مدينة أوروبجي إلى يعقوب بك يقول : بعد واجب التحية نطلب منكم تسليم شريدنا داخو ورجاله إلينا ، علما بأن لدينا أمر من إمبراطور الصين (تونكشي) بعدم التعرض لشؤون بلادكم بشرط إجابتكم لطلبنا هذا . فكان رد يعقوب بك الرفض لمبدأ تسليم الملتجئ داخو وجماعته ، اللهم إلا إذا حصل عنه اعتراف رسمي لدولته على تراب تركستان الشرقية من إمبراطور الصين (تونكشي) . وقد سبق أن حصل يعقوب بك على اعتراف كل من بريطانيا والخلافة العثمانية وروسيا القيصرية بالإضافة إلى تعهد وصى العرش الصيني كونك لعدم إرسال جيش إلى تركستان الشرقية ، وذلك إرضاء لتلك الدول الثلاث الكبرى في ذلك الوقت ، وكان يعقوب بك يعتمد بعد الله على تلك الاعترافات الثلاثة ، وعلى أثر رد يعقوب بك أعلن زو زونغ تانك الحرب عليه . ونحن إذ نتكلم عن يعقوب بك في كتابنا هذا لا يمكنكم أن تعتبروا كلامنا له إبراز محاسن يعقوب بك فقط . وقد سبق التاريخ وقال قوله الحق في هذا الرجل . وبالمناسبة نورد هنا ما قاله العلامة المجاهد القطب السيد محمد أمين بوغرا في يعقوب بك في كتابه (شرق تركستان تاريخي) انطلاقا من منصة ميزانه المنصوب ليعقوب بك

وجهاده أو عليه ، حيث يقول العلامة محمد أمين بوغرا : " إن حسنات يعقوب بك كادت أن تغطي على سيئاته ، فنطلع بنتيجة الصفر حيال يعقوب بك " . وهذا بوجه عام . غير أنه يقول ويفند قول المنكرين لشجاعة يعقوب بك بأن يعقوب بك قد أصدر أوامره لابنه بكقولي بك بالمرابطة العسكرية التامة واليقظة في عقبة (داوانجن) الممر الرئيسي بين الجنوب والشمال ، وعندما أعلن (زوزونغ تانغ) الحرب على يعقوب بك وبدأ يتحرك نحو الجنوب ، أمر يعقوب بك بإخلاء عقبة (داوانجن) والانسحاب إلى مدينة تورفان . وكان يعقوب بك في بلاطه المؤقت في مدينة كورلا . وحينما عبر زوزون تانك تلك العقبة قاصدا مدينة تورفان أصدر أوامره إلى ابنه القائد العسكري بك قولي بك بالانسحاب من مدينة تورفان أيضا إلى أقسو أو إلى مدينة كورلا . ويستطرد العلامة محمد أمين بوغرا ويقول : " السبب في الانسحاب هذه لم يكن من خوف يعقوب بك من جيش الصين الزاحف ، لأن يعقوب بك لم يكن ولا يمكن أن يخاف من الجيش الصيني ، وبإمكانه قهره والتغلب عليه ، ولكنه خاف من مغبة الزحف والتوسع الروسي المتربص في وادي إيلي القريبة من ساحة الأحداث ، ولذا عمد يعقوب بك إلى إيجاد مصالحة مع الصين بحيث أرسل يعقوب بك رسوله إلى زوزونتانج يطلب منه إبرام اتفاقية الصداقة والتعاون مع إمبراطور الصين ضد هيمنة روسيا القيصرية ، وفي حالة عدم الاستجابة لهذا أبدى استعداده للحرب . فقبل زوزونتانج طلب يعقوب بك هذا وقال : أرسل إلى إمبراطور الصين (تونكشى) ونحن معكم في هدنة مؤقتة ريثما يرجع مبعوثكم من عند إمبراطور الصين . فأرسل يعقوب بك مبعوثه إلى

الصين . وهاهنا برز المنعطف الخطير في دولة يعقوب بك وضد سلامته ، فيقول العلامة محمد أمين بوغرا : "والحال هذه وقد ترجمها حاكم ولاية ختن نياز حكيم بك وعاشور تونجان ربيبة يعقوب بك وأمين سر خزينته على أن الأمر ضعف والهزام من قبل يعقوب بك ، فاستحثوا زوزوتانغ للتقدم نحو تورفان وبصرف النظر عن المبعوث السلطاني ليعقوب بك إلى بكين ". ونحن نتمسك بكلام العلامة محمد أمين بوغرا حيث يقول : " لم يكن ليعقوب بك أن يخاف من جيش الصين وبإمكانه قهره والتغلب عليه " . في الوقت الذي نجحت بعثة يعقوب بك إلى إمبراطور الصين بإجابة طلبه ، ولم يكن إتمام إبرام اتفاقية الصداقة والتعاون بين البلدين (دولة يعقوب بك والصين) إلا مسألة وقت فقط . بينما أحس يعقوب بك بخيانة نياز حكيم بك وعاشور تونجان الذين خافا على أنفسهما في حالة إبرام اتفاقية حقيقية واقعة ، فعمدوا إلى دفع مبالغ طائلة لبعض المأجورين في خدمة يعقوب بك الشخصية ليسمموه .

يعقوب بك والشريعة الإسلامية

لم يكن يعقوب بك فاتحا وقاهرا وباني دولة بقدر ما هو حاكم مسلم مؤمن يسعى ويجاهد لإعلاء كلمة الله ونشر الدعوة الإسلامية وترسيخ العقيدة السمية ، وإرساء قواعد الشرع الشريف وتربية الأجيال والأشبال المؤمنة ، وبناء دولة إسلامية فتية تحكم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحمي شريعة الله في الأرض المؤمنة ، وتعلي الراية الإسلامية في ربوع

تلك الأقاليم الإسلامية في الشرق . فهنا يختلف يعقوب بك عن جده تيمورلنك إذا صح دعواه أنه من سلالته ، حيث إن الأخير كان فاتحا قاهرا كاسرا كاسحا لا يلقى شيئا إلا داسه، ولا يلتفت لأمر إلا قاسه بميزانه فتحه وقهره وإخضاعه لسلطانه ، لأنه حذا حذو جده جنكيزخان ، وأراد أن يسترد مجد وعز وصلابة جنكيزخان ، وأن لا يفرط في شبر واحد من أراضي أقاليم قد استولى عليها جنكيزخان سابقا ، وإلا لما عاش تيمورلنك ولا تسمى باسمه تيمور . فكانت تلك النظريات أو المنظور السابق دينه وديدنه وغاية مبتغاه ، ثم تأتي مرتبة الدين والشريعة الإسلامية والهيمنة والحمية الدينية في ساحة تيمور الطموح والشامخ . وكان تيمور عظيما من عظماء التاريخ الإسلامي في الشرق لن يجود الزمان بمثله من حيث الأبهة والعظمة والقهر والصلابة ، وكان داهية من دواهي آسيا الوسطى وفارسها المجلى . ولذا لم تنعم آسيا الوسطي إعمارا أو اتساعا وغنى وشهرة وعظمة وافتخارا أعظم من سمرقند . وبهذا القدر لم تنعم شعوب آسيا الإسلام (تركستان) بمثل تيمور على مر العصور وعبر التاريخ . ولكن يعقوب بك كان نمطا آخر وشخصية غير شخصية تيمور . كان يعقوب بك مفعما بالإيمان والإسلام ، من أجله جاهد وكافح ، ومن أجله سابق أجله ومات في سبيله و لم تقر عينه ولا تربت يداه ، ولكنه خلد محجة ومآثر خالدة للإسلام والمسلمين في آسيا جميعها وفي العالم أجمع . وكان يعقوب بك حريصا على إقامة الحدود والقصاص والجلد والرجم حسب ما قررته الشريعة الإسلامية . وكانت المحاكم الشرعية مفتحة أبوابها للعدل والإنصاف حرة مستقلة عن بلاط يعقوب بك في الحكم . وجعل يعقوب بك القضاء

ورجال الشرع على مراتب ثلاثة : القضاة الشرعيون من ذوى الكفاءات ، وهيئة الإفتاء والمفتون ، ثم شيخ الإسلام (الأعلم آخون) . وكانت أحكام الحدود الشرعية كحد القصاص والحرابة والرجم وجلد الزاني ترفع لبلاط يعقوب بك للاطلاع عليه من حيث التنفيذ لا الحكم . وما عدا ذلك يتم وينفذ من لدن القضاة الشرعيين . وكل قضية ما عدا الأحوال الشخصية من حقوق وتعويض وتفويض وإجارة ورهن وأمانات وديات يجب أن ترفع لشيخ الإسلام للاطلاع عليها . وكان في كل محكمة شرعية مراقبون إداريون مرتبطون ببلاط يعقوب بك ، ومن إحدى سمات الأحكام الشرعية التي أهملت في تركستان آنذاك مبدأ (لا وصية لوارث) اكتشفها يعقوب بك وأعادها إلى نصابها . وأقام يعقوب بك دائرة خاصة للحسبة وأناط إليها مراقبة الأسواق والسلع التجارية بجانب الرقابة الأخلاقية . وكان رجال الأمر بالمعروف منتشرين في الأسواق والأحياء السكنية تحث الناس للصلاة مع الجماعة ، ويضربون أو يجلدون جلدا خفيفا النساء المتبرجات كاشفات الوجه والصدر . واختفت السرقة في المجتمع وفي المدن والإداريات أو كادت أن تختفي في عهد يعقوب بك ، واعتنى يعقوب بك بعلوم الدين والشريعة في كل أقاليم البلاد في البدو والحضر . وكان يعقوب بك يحترم العلماء وتعليم القواعد للأحداث وحفظه وتجويده ، وكان ورعا تقيا . وعندما أراد يعقوب بك إعادة بناء وتوسعة جامع عيدكاه في ١٨٧٩م في مدينة كاشغر دعا لحفلة كريمة لوضع حجر الأساس في البناء الجديد ، وكان جل المدعوين من العلماء الأكارم ، وبدأ الحفل بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، ثم خطب يعقوب بك خطبة وجيزة ولم يجعل هذا الشرف لنفسه ولو أنه بغيته ورضاه.

بل قال: إني لا أفضل نفسي بشرف وضع حجر الأساس، وأنا أشترط أن يضعه من لم يترك سنة العصر منذ بلوغه حتى الآن . وكان من علماء كاشغر الشيخ ملا محمد يار خلفتم أشجعهم وألسنهم وأكبرهم سنا يرى لنفسه الأحقية لهذه الخدمة في الوقت الذي يبدو فيه يعقوب بك متحمسا لهذا الشرف ، فأخذ الشيخ ملا محمد يار زمام المبادرة وتقدم نحو الموقع ووضع الطين بيده الطاهر الميمون ، ثم وضع حجر الأساس قائلا : " باسم الله بدأنا وبه ننتهي " . فقال له يعقوب بك : " بارك الله فيكم وأطال عمركم في طاعة الله ورضاه " . وبيت القصيد في كلامنا هذا أن يعقوب بك لما اشترط في واضع حجر الأساس عدم تركه سنة العصر منذ بلوغه حتى الآن وأنه متحمس لهذا الشرف ، نقول : إن يعقوب بك كان مواظبا لسنة العصر منذ بلوغه حتى ذلك الوقت ، فضلا عن مواظبته لخمس صلوات في أوقاتها برغم أنه أمضى جل عمره في الجندية لا يفارقه سلاحه .

يقول آ.ن .كورباتكين المخطط العسكري والسياسي الروسي للشرق وأواسط آسيا آنذاك الذي كان هو وبعثته التابعة له في دولة يعقوب بك ولمدة ستة أشهر ، يقول في حياة يعقوب بك في بلاطه : " إنه كان يسهر الليل مشغولا في بعض عباداته على طريقته الإسلامية ، ولا ينام إلا أربع ساعات فقط خلال يوم وليلة ، وبرغم ضخامة البناء الذي هو بلاطه الخاص يفتقد الواحد منا كل مظاهر الأبهة . وما يشير إلى الزينة اللهم إلا من بعض المعدات الحربية ومن طقوم المدافع الهوائية والتي صنعت محليا في مدينة كاشغر. وكان صالونه العام المعد للاستقبال بسيطا للغاية ، وكان يعقوب بك قليل الكلام يستمع كثيرا يتفحص الحضور واحدا بعد واحد من قمة

رأسه إلى أخمص قدميه وكان ذو ذاكرة قوية جدا ، وإذا تكلم أو ذكر شخصا أتى بنحته وأوصافه حتى هندامه وألقابه وميوله بعبارة موجزة جدا .
وبرغم أن وزراءه ومستشاريه يجلسونه على بعد مترين من مجلسه ، كان يعقوب بك يجلس بكل تواضع وأدب جم . وإذا كان لديه شخص أو شخصيات من العلماء الأفاضل يقوم من مجلسه ويحاول أن يجلسهم بالقرب منه، ويستمع إليهم استماع التلميذ لأساتذته . وإذا تكلم يستشهد ببعض الآيات القرآنية ، وكان يحفظ بعضا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يجيد اللغة الفارسية يستشهد ببعض الحكم والشعر الفارسي ، وكان يعقوب بك حريصا على أداء نسك دينه وعاضا عليه بالنواجذ . ولا يطيق الصبر والتهاون قط في أمور دينه وعقيدته ، ولا يفارقه عمامته البيضاء الكبيرة ، ويلبس قلنسوة كعادة أهل الشرق وخفا أسود ذو ساق . وكان ضخم الجثة كث اللحية مهيبا ، ولا يفارقه المصحف في محفظته الجلدية المزخرفة .

وكان يعقوب بك يحث بل يأمر جنوده بالمحافظة على الجمعة والجماعة والصلوات الخمس ، وكان يردد دائما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[1] وقيل : إن بعضهم رأي في موالاة الإنكليز منعة وقوة فغضب يعقوب بك وقال : "وقد نهانا الله من ذلك في محكم كتابه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) "[2].
ولذا قدم يعقوب بك بيعته للخلافة العثمانية . وكان ليعقوب بك رحلل في

---

[1] ـــ سورة محمد الآية رقم ٧ .
[2] ـــ سورة الممتحنة الآية رقم ١ .

الجيش في خدمة الاحتساب والقضاء الشرعيين . وكان ليعقوب بك مسجد متحرك (خيمة) ذات ثمانية عمد، على كل عامود من ظهر الخيمة أهلة من برونز يرى لمعانه من بعد خمس كيلومترات ؟ صنعت الخيمة في مدينة ختن من قماش يشبه الكتان في زماننا بني اللون ولها بطانة من المخمل . وقيل : من لون أزرق فاتح . تكفي لخمسمائة مصل ، يتولى أمر نقلها ونصبها ثمانون رجلا من الفتيان ، تحملها عشرون حصانا، بالإضافة إلى أربعة أحصنة لحمل السجاجيد . وكانت تعلو سائر الخيام من خيام الجند والحاشية بأربعة أمتار إعلاما بأنها المسجد .

يعقوب بك وأنانيته ونهايته

عين في عهد يعقوب بك وفي دولته الفتية الإسلامية وزراء مستشارون مثله مثل سائر الملوك و السلاطين والحكام والرؤساء في عالمنا اليوم وأمس وغدا . ولكن يعقوب بك لم يعتمد على أحد قط حتى أنه ما كان يأخذ بآراء ابنائه وهم قواد وفوارس وذوي خبرة ودراية ، حيث إنه لم يأخذ برأي ابنه (حق قولى بك) وغيهر من قواد الجيش بشن هجوم على جيش الصين بقيادة زوزونتانج عام ١٨٧٦م وتمسك برأيه ، وهو السعي على الحصول لاتفاقية الصداقة والتعاون مع إمبراطور الصين (تونكشي) عن طريق زوزونتانج أو عن طريق بعثته التى بعثها إلى بكين لهذا الغرض . وعلى الرغم من أنه كان باستطاعة يعقوب بك دحر قوات الصين أيا كانت قدرتها أو كثرتها ، كما ذكر ذلك كل من السيد محمد أمين بوغرا في كتابه (شرقى

تركستان تاريخي) ، والدبلوماسي الانكليزي شارليز بوليكير في كتابه (ترجمة يعقوب بك) ، وآ ،ن ، كورباتكن الروسي وغيرهم كثير .

ويقول الأخير في كتابه (كاشقاريكا) : إن يعقوب بك كان يحتفظ بعدد من الوزراء والمستشارين في بلاطه ، ولكنه ماكان يأخذ برأيهم ، ولذلك كانوا لا يجرؤون على إبداء آرائهم أمام يعقوب بك ، بل إنهم كانوا بمثابة هياكل ومجسمات حول أركان وردهات قصره المنيف وبلاطه العامر المهيب . وكانوا ينفذون أوامره بكل طاعة وجدية وبسرعة متناهية خوفا من غضبه وانفعالاته . وكأن يعقوب بك قد فرغ من دراسة تكوين وإدارة دولته الفتية منذ مدة طويلة بحيث لا يتطرق إلى نتائجه الشك والريب لا في المتن والديباج . وكان يعقوب بك يستقبل صنوفا من ولاته وحكامه وقواده العسكرين والإداريين إلى آخر رجل من هرم كوادره ، منهم مدراء مراكز الجمارك والجباية للزكاة الشرعية ، والقضاة والمفتون ، ورجال البريد وأمناء الخزائن والدرك ، يقدمون إنجازاتهم وما تحت يدهم من الأعمال المنوطة بهم. وكان يهتم بالمصانع الحربية ورجالها المهرة ويزورهم في أعمالهم على الطبيعة، ويزور مراكز العلوم والتربية والتدريب العسكري وملاجئ الأيتام والعجزة ويشفق عليهم ويغدق عليهم بالعطايا . وكان يثق في نفسه ثقة لا حدود لها ، ولكن في حذر وحيطة . وكان يعقوب بك يحب أن يعالج الأمور بالسلم والمرونة واللين ، واذا لم تجد فبالصلف ، حتى بالمكر والخداع ولكن دون اللجوء إلى السلاح . وبالرغم من أن يعقوب بك كان مقاتلا جبارا امضى قرابة أربعين عاما من عمره بالسلاح ، وخاض عشرات الحروب والمصادمات الدموية في قوقند وطاشكند وجيمكند وآق مسجد ،

وخطط فيها وأعمل فكره وعقله وسلاحه ، ولكن كان السلاح آخر ما يلجأ إليه ، ولا يلجا إليه إلا وهو موقن بالنصر أو قريب منه .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن يعقوب بك حمل السلاح وخاض الحروب في قوقند ، أقصد خانية فرغانة لمدة عشرين عام في الخدمة العسكرية أو كعمل وظيفي ومسئول عنه منطلقا من إطار حماية تراب الوطن وحمية قومية. ولكنه اختلف في القشقرية عن ذي قبل ، حيث إنه قاتل وكافح من أجل الاسلام والعقيدة الإسلامية ولأجل الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها في ذلك الجزء العزيز من عالمنا الاسلامي في الشرق . وكان يعقوب بك يحمل السلاح بيد ويحمل المصحف بيد أخرى كما فعل مع اخواننا التونكان، وكان يقول : "وحدة الصف والعقيدة قبل الحرب والمكيدة" . دون تمييز لجنس أو لون كما هو منهج اسلامي متقدم .

يقولون : " إن من قهر وجبروت يعقوب بك أن كثرت الإتاوات والضرائب في عهده مما أثقل كاهل الشعب و لم تعد لهم قوة ، وكاد أن يفقدو قوتهم اليومي " . ولكن إذا نظرنا للأمر من واقع الاحداث نرى أن يعقوب بك لم يظلم أحدا ، وإنما فعل ما فعل لأجل الضرورة الملحة ، لأن يعقوب بك سيطر على إقليم تركستان الشرقية البالغ مساحتها مليونا وثمانمائة وثلاثون وسبعون الف كيلومترا من الأرض ، أكثر من تسعين في المائة منها جبال وصحراء قاحلة وفيافي وقفار لا حصر لها . سيطر عليها في مدة أقصاها ست سنوات ، وكون جيشا قوامه ثمانون ألف رجل وبنى مدنا وأسوارا وقلاعا حصينة ، وشق الطرق ومد الجسور وبنى المدارس والمساجد والجوامع . حقا إنها طفرة ، وإنها إن لم تكن معجزة فلتكن على حساب

ذلك الشعب الأبي ، وإنما منهم وإليهم . ويقول آ. ن . كورباتكين وغيره ممن كتبوا عن عهد يعقوب بك : " نرى شعبا عاملا كادحا وربما لا يبقى لديه وقت للراحة والمرح ، ولكنهم جادون ومخلصون في بناء وطنهم والالتفاف حول ملكهم ، ولم نر أحدا منهم يتذمر أو يبدي عدم رضاه بوضعه ، بل نراهم فخورين بالإسلام وعهده وبالأمن المستتب في ديارهم .

وكان لبيت مال المسلمين في عهد يعقوب بك الزكاة الشرعية من عروض التجارة والعشر من الحاصلات الزراعية وزكاة المواشي ، ولها الجبلة والعاملون عليها بشكل ثابت . وأما الطوارئ من الإتاوات والضرائب والمؤن ومستلزمات الجيش في زمن الحرب فكان يعقوب بك يفرض على ولاته إتاوات من نقود أو حبوب أو علف ومواد من حطب وفحم ، يتحرى في كل نوع منها عن مصدرها الخاص بها من نتاج محلي ، وكذلك الأغنام من أصحاب المراعي والأغنام . وكان يعقوب بك يحدد وقت تسليمها ، وبدون تأخير تسلم هذه المساعدات في وقتها المحدد في الزمان والمكان .

وكان يعقوب بك يفرض التجنيد الإجباري على شباب شعبه حسب حاجته ويفرض عليهم نظاما عسكريا قاسيا ، ويصرف لهم المأكل والملبس ، ولم يصرف لهم مكافأة أو بدل خدمة ، ويدربهم تدريبا كاملا . وإذا انتهت خدمتهم التي أنيطت أو اذا لم تعد هناك حاجة إليهم سرحهم وشكرهم وكافأهم بنياشين وميداليات ويعتبرهم احتياطيين .

ولما كانت البلاد في مناخ متقلب شديد البرودة في الشتاء ، والحرارة في الصيف وتقل فيها الأمطار ، والحاصلات الزراعية موسمية ، كان اقتصاد

البلاد يتعرض لمد وجزر . ولا تنس الآفات الزراعية في البلد الذي تنعدم فيه التقنية في ذلك الوقت . وبجانب حروب لا تهدأ قد لا يفي يعقوب بك بالرواتب والمعاشات ، وقد تتأخر شهورا أو يصرفها بالأقساط . وكان الموظفون يتذمرون وقد يهجرون أعمالهم ، ولكنهم لا يسلمون من عقاب أليم . ويقول البعض : إن العقاب جحيم لا يطاق .

وقد يغيب يعقوب بك عن العاصمة كاشغر لشهور أو عام من جراء حروب أو مناوشات تقع هنا وهناك أكثرها من عصابة أو جماعة التونكان كما حصل له في مدينتي تورفان وكورلا وفي فتح مدينة اروبجي ، تتوقف صرف بعض المصالح الاجتماعية التي يمكن تعويضها فيما بعد ، ولكن الإنسان خلق عجولا ، وقد يحدث بعض الاهتزازات . ولكن يعقوب بك لا يأبه بذلك ولذا اتصف من قبل الخاصة قبل العامة بالقهر والجبروت والأنانية المفرطة وشدة البأس خاصة في السنوات الأخيرة من حكمه .

ثم اعتري يعقوب بك ظروف طارئة منذ بداية سنة ١٨٧٦م بصورة نكبة خبيثة بقدوم القائد الصيني (زوزونتانك) بجيشه الكبير مطاردا فلول التونكان المشاغبين الهاربين من داخل الصين إلى تركستان الشرقية برئاسة كبيرهم داخو . و لم يزل زوزونتانك يطارد داخو إلى أورومجي ، والأخير يستنجد بيعقوب بك ، فقبل يعقوب بك إجارته واستقر داخو في مدينة آقسو برجاله الستمائة . وقد كان لجوء داخو إلى يعقوب بك بمثابة مسمار جحا ، وجحا هنا هو القائد الصيني المداهم زوزونتانك .

وهناك ثلاث حوادث أقض مضجع يعقوب بك وجعله أكثر غضبا وانفعالا عن ذي قبل :

الأول : هروب خادمه ومتبنيه عاشور وهو من أصل صيني ، كان يتيما في العاشرة من عمره حينما تبناه يعقوب بك في مدينة كاشغر وسماه عاشور، ورباه كواحد من أبنائه ، ثم أصبح عاشور فردا من أفراد أسرة يعقوب بك . وعندما أحس يعقوب بك بثقل مداهمة زوزونتانك بجيشه الكبير مطاردا داخو وتقدم في مطاردته حتى مدينة أوروبجي التي لم تكن عاصمة آنذاك ، وعلى كل حال أراد يعقوب بك أن ينقل خزينته إلى مدينة آقسو ، فحملها على أربعين بغلا وعلى حراستها نفر من الجنود تحت رياسة عاشور . وحينما وصلت قافلة الخزينة إلى توخسون قادمة من كورلا يمم بها عاشور إلى مدينة أوروبجي ، وسلمها لزوزونتانك . وقد أعلنت جماعة تونكان في أوروبجي العصيان والتمرد على يعقوب بك ، وأخلى حق قولى بك حامية عقبة داوانجين منسحبا إلى مدينة تورفان .

والثاني : كانت في الشرق مدينة تورفان وبالقرب من كوجار مخازن للحبوب وسائر مواد والوقود ومخازن أخري للأسلحة والذخائر الحية بجانب بعضها ، وقد شب فيها حريق هائل أتت على آخرها في غضون يومين أو ثلاثة . ولم يكن آنذلك هناك مواد مضادة وأجهزة لإطفاء الحريق غير الطريقة البدائية والرش بالماء بالسطول وما يشبه السطول ، فلم تنفع تلك الوسائل في التغلب على تلك الحريق الهائل . والنتيجة كانت خسارة فادحة جدا ، بحيث لا يمكن إزالة آثارها في غضون أيام أو أسابيع أو حتى شهور.

والثالث : هروب بعض رجال يعقوب بك إلى سهل فرغانة خوفا أو بعدا من قهر يعقوب بك وشدة بأسه التي تزداد يوما بعد يوم ، ولا سيما في الآونة الأخيرة ، منهم : أخوه أبو سعيد خان . بالإضافة إلى تأثير

تشويشات تثيرها العسكريون الصينيون في أورومجى ، ولا سيما بعد مداهمة الصينيين العقبة الفاصلة بين الجنوب والشمال دوانجين في ٣ من أبريل عـام ١٨٧٧م بأربعة آلاف جندى . وكان فيها حامية من قبل يعقوب بك عـدد رجالها ١٣٠٠ رجل ، وبعد معارك استمرت ثلاثة أيام بينهم وبين الصينيين تغلب الصينيون على الحامية وأسر من رجال الحامية أكثر من ألف رجـل ، واستقبل الصينيون الأسرى من جنود يعقوب بـك بـالعطف والشـفقة وسرحهم ووجههم إلى حيث يريدون ، بعد أن زودوهم بما يلزمـهم مـن مصاريف السفر إلى ذويهم ، وقال لهم قائد هذه الحملة الصينيـة (ليوجـا دارين) و (ليوجى تانغ) : نحن لا نضمر لأحد شرا قـط ، وإنمـا نحـن مصممون على تصفية فلول القوقنديين الذين استغلوا مناصبهم في ظل دولـة يعقوب بك بإملاء جيوبهم وتسلطوا عليكم بالظلم والاستبداد . وبالمقـابل كانت هناك في طرف يعقوب بك أسرى صينيون أسيء إليهم ، بل أبيـد بعضهم .

وخلاصة القول : إن هذه الدعايات المضادة المغرضة من قبل الصينيين أعطت دفعة قوية لذوي المناصب العالية من القوقنديين إلى الهرب إلى فرغانـة بما جمعوه من المال والنقود ، بالذات إن المعاملة الحسنة من قبـل الصينيين للأسرى من جنود يعقوب بك كانت كافية لزحزحة موقف يعقوب بـك أو كادت . ولكن يعقوب بك لم يكن يلين قناته لمثل هـذه الاسـتفزازات ، حيث وقف وقوف الأبطال الميامين حيال تلك الألاعيب . ولب الموضـوع هنا كان يعقوب بك على ثقة تامة بأنه يقضى على الصينين في ظروف أيـام لو لم تكن في ظروف ساعات ، لولا تربه لنتائج بعثته الدبلوماسية إلى بكين

لقصد إبرام اتفاقية الصداقة والتعاون بينه وبين الصين . وبالمناسبة إن مدينة كاشغر كان عاصمة منذ القدم لبلاد التركستان الشرقية حتى ١٨٧٨م .

وأما نهاية يعقوب بك أو وفاته فكانت نتيجة احتسائه شرابا مسموما على يد طاهيه الخاص في بلاط كورلا ، بتحريض من أمثال نياز حكيم بك الياركندي حاكم ولاية ختن آنذاك . لأن الأخير أجري مخابرات سرية بينه بين القائد الصيني زوزونتانك ضد يعقوب بك ، بل إن نياز حكيم بك استحث زوزونتانك بالتقدم نحو أوروبجي فتورفان فكورلا والقضاء على يعقوب بك ، حينما داهم زوزونتانك مدينة قمول ولا سيما بعد لجوء (داخو) إلى يعقوب بك وأثناء نشاط الوفود بين زوزونتانك ويعقوب بك. وعندما بعث يعقوب بك مبعوثه الخاص إلى بكين يدعو إمبراطور الصين إلى عقد معاهدة الصداقة وكادت الخطة أن تنجح ، خاف نياز حكيم بك وزمرته على أنفسهم ولا سيما أن يعقوب بك أحس بخيانته ، فعمد إلى شراء ضمير طاهيه الخاص لقاء مبلغ طائل ، فمات يعقوب بك مسموما . وكان نياز حكيم بك في بلاط يعقوب بك حين وفاته في زيارة يعقوب بك، وفي اثناء التحقيق مع الطاهي أجاب بقوله : " كان من عادة سيدي ومولاي أن يتفقد أقسام القصر وردهاته منها المطبخ ، وكانت هنلك قارورتان بهما شراب سابق التحهيز والتفت إليها وتذوقها ، وبعد برهة من الوقت طلب شرابا فقدمته له ، ولا أدري بالذي حصل ". ومن هنا أشيعت بأن يعقوب بك تشائم من الوضع الذي هو فيه ، فوضع بنفسه سما في إحدي هذين الشرابين ، ثم طلب شرابا ، وكأنه يختبر قدره بحيث إذا جاء الشراب الصافي تفائل ومضى نحو تحقيق رسالته ، وإذا جاء الشراب المسموم

مات واستراح من نكد الدنيا وبلاويها المنكدة ، وهذا هو التفسير الثاني لوفاة يعقوب بك .

وأما التفسير الثالث لوفاته فكما يقول آ.ن كورباتكين الروسي في كتابه (قاشقاريكا) : " إن يعقوب بك أصابته الكآبة والحزن من جراء مداهمة جيش الصين لبلاده بقيادة (زوزونتانك) الذي وصل في تقدمه إلى أوروبجي التي أعلنت جماعة التونكان المستوطنون فيها عصيانهم على يعقوب بك ، وأن جيوش الصين لا يزال يتقدم حتى إلى مشارف تورفان . ولو أن يعقوب بك نفسه أمر ابنه (حق قولي بك) بالانسحاب من عقبة (دوانجين) وعدم المصادقة مع الصينين ثقة بنفسه وبمقدرته العسكرية .

ثم باحتراق مخازن الحبوب وترسانات الأسلحة والذخيرة الحية ، بالإضافة إلى هروب متبنيه عاشور بالخزانة المرسلة من مدينة كورلا إلى مدينة آقسو وتسليمها إلى زوزونتانك في أوروبجي .

ثم هروب رجاله المعتمدين في ادارته من القوقندين إلى سهل فرغانة منهم أخوه أبو سعيد خان ، بالإضافة إلى نقل الإتاوات على الشعب لتعويض ما خسره في مخازن الحبوب من المواد الضرورية للتغذية . فمن جراء هذه الكآبة والحزن أصبح يعقوب بك يثور لأقل سبب ويغضب لأتفه الأشياء . ــ ونحن لا نزال نتكلم عن لسان كورباتكين ــ كان يعقوب بك يحتفظ في صالونه حكمة بثلاثة من الكتبة ، وكان منهم كاتبه الخاص كمال خان ، ومن جراء خطأ وقع فيه الأخير غضب عليه يعقوب بك غضبا شديدا ، وصب عليه جام غضبه و لم يتمالك نفسه ، ثم أطلق عليه النار من مسدسه الخاص فأرداه قتيلا . وذلك بعد ظهر يوم ٢٨ مايو سنة ١٨٧٧م .

ثم عمد إلى أمين خزينته صابر آخون بالضرب واللكم ، وأهانه إهانة بالغة ، فلم يطق صابر آخون صبرا على تعدي سيده ، ودفاعا عن نفسه قام صابر آخون من مجلسه نحو يعقوب بك ، وسدد له لكمة قوية فترنح يعقوب بك وسقط مغشيا عليه و لم يتحرك حتى صبيحة يوم ٢٩ مايو حيث فارق الحياة.

ونحن نرفض التفسيرين الأخيرين ، ونقف حازمين في أن يعقوب بك مات مسموما على يد طاهيه الخاص بتحريض من نياز حكيم بك الياركندي وزمرته لقاء مبالغ طائلة . و لم يأت نياز حكيم بك من ولاية ختن هذه المرة إلا لهذا الغرض ، وتم له ما أراد وبحضوره . لأن يعقوب بك لم يكن معتوها لينتحر وتحت يده أكثر من ثمانين ألف جندي ، وخاصة أنه أرسى قواعد دولته منذ ١٨٦٢م وخاض معارك طاحنة وتغلب على خصومه ، ووحد البلاد وبنى دولته على أسس سليمة . وقد اعترفت بها ثلاث من الدول الكبري آنذاك روسيا القيصرية وبريطانيا والخلافة العثمانية، وكادت أن تعترف بها الصين . وأسس مصانع حربية متقدمة بالنسبة لذلك الوقت . وأهم من ذلك أن دولة يعقوب بك عرف بالدولة الإسلامية الفتية القادرة في مساحة تمتد حوالى مليوني كيلومترا مربعا يعيش فيها خمسة ملايين نسمة آنذاك . ولتلك الدول الثلاث مندوبون رسميون يعملون في البلاد ، وآ.ن كوررباتكين يكاد يكون منهم . أضف إلى ذلك خدمة يعقوب بك في العسكرية وخانية قوقند ولمدة عشرين عاما والقيادة الحربية

المسؤولة . فلماذا لم ينتحر يعقوب بك أيام كان مهدورا دمه من قبل خدايار خان ويوم انهزامه في منطقة آق مسجد؟؟؟[1]

حينما تصفحت كتاب (قاشقاريكا) على ترجمة الزميلة حكيمة خانم إلى اللغة التركستانية قرأته مرتين أو ثلاث . وقلت : قد حصلت على بغيتي من ترجمة يعقوب بك من مصادر أجنبية ومن رجل عسكري وأكاديمي . حيث إن آ.ن كورباتكين تشرف بمقابلة يعقوب بك ثلاث مرات أثناء وجوده في القشقرية[2]. ولاسيما أن آ.ن كورباتكين وزملائه الأكاديمين العسكريين والوفد المرافق له مكثوا في تركستان الشرقية من أكتوبر ١٨٦٧م إلى شهر مارس ١٨٧٧م ستة أشهر كاملة ، ولهم مطلق الحرية أن يجوب في البلاد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال . بعد أن وصلت من الكتاب إلى صفحة رقم ٤٠٢ اكتشفت كبوة آ. ن. كورباتكين في تحليله وفاة يعقوب بك وأسبابه ، وشككت في نفسي إزاء هذا الكتاب (قاشقاريكا) أن يكون من جمع وتأليف كورباتكين نفسه . ولا سيما أن هذا الكتاب ليس كتابا في الأصل ، وإنما هو بيانات رسمية رفعت إلى قيصر روسيا الكسندر الثاني في موسكو عن طريق المقيم الروسي باساوول الجنرال فون كافمان .

إن تحليل بل رواية آ، ن، كورباتكين في مقتل يعقوب بك لا يقبلها طفل صغير، ناهيك من رجال وأكادمين وسياسيين ومؤرخين. هل يعقل

---

[1] ـــ وإذا كان يعقوب بك ينتحر بإرادته لما تأخر عن كتابة وصية لأبنائه، ولم يثبت قط أن يعقوب بك عين وليا للعهد أو سجل وصاية أميرية للولاية بعد وفاته. (المؤلف) .

[2] ـــ اصطلاح وقتي يعني التركستان الشرقية . (المؤلف) .

أن يعقوب بك يشهر مسدسه في وجه خادمه الضعيف كمـال خوجـه في محكمته أي صالة حكمة ، ويطلق النار عليه بنفسه ويرديـه قتيـلا ؟ بـل أعجب من هذا هل إن يعقوب بك يضرب ويلكم بنفسه كاتبه وخادمـه في بلاطه ؟ فما الذى أجبر يعقوب بك على أن يقوم بنفسه بإيقـاع الجـزاء مباشرة ؟ هل عدم ليعقوب بك من يقوم بهذا الجزاء ؟

ثم من يعقوب بك في سلطانه ، ومن هو صابر أخون أمين خزينته حـتى يرد ليعقوب بك الصاع بالصاعين في بلاطه حتى يفقده وعيـه فيتـوفى ولا يفيق ؟ ويلطم يعقوب بك ويلكم ويغيب عن وعيه ويسـقط وينطـرح إلى صباح غد ويموت ، هل كان يعقوب بك في مغارة بين الصعاليك ؟ وهـل هو صعلوك مثلهم ؟

إن رواية آ. ن . كورباتكين لا تتفق أبدا مع الأعراق والعادات المعروفـة في الأسر البشرية في أحط وأرذل حالاتها المزرية ، و لم يحصل ذلك بين إخوة أو معارف من الأشرار السفلة في وكر من أوكارهم ، ناهيك عن بيت مـن البيوت وأسرة من الأسر ، فما بالك في قصر ملك مـن الملـوك في عـام ١٨٧٧م في هيبة وعظمة يعقوب بك . ولا تقر لهذه الرواية الملفقة الكاذبـة شريعة الغاب ، إن كانت للغابات شريعة بين الوحوش الكاسـرة عديمـى الأمان والحراس والخدم والحشم . يالها من غباوة تغشت أ. ن . كوربـلتكين وعُمّيت بصائره ، وطغى عليه الطمع والجشع ، وتكلسم على قلبه وتكلـس كبر وكيد وصدأ . يا للعار والشنار للسلاب من ابنها آ.ن . كوربـاتكين . وبالمقابل يا لنا من فخر واعتزاز من مجاهدنا الكبير العلامة محمد أمين بوغـرا الذي لم يقر التفاسير المختلفة في مقتل يعقوب بك ، فلا يـورد في كتابـه

(شرقي تركستان تاريخي) الروايات المختلفة ، ويقول الحق وبدون مواربة: بأن يعقوب بك قتل مسموما من قبل بعض الخونة من أمثال نياز حكيم بك الياركندي .

وحينما بلغ خبر وفاة يعقوب بك لابنه الصغير المرابط في مدينة تورفان هرع إلى مدينة كورلا ، وعتم خبر الوفاة ولمدة ثلاثة أيام ، حيث أخذ عدة السفر بالجثمان إلى العاصمة كاشغر ، حيث أخيه الأكبر (بك قولي بك). وفي خضم هذه الأحداث هرب نياز حكيم بك إلى ولاية ختن حيث كان واليا عليها ، فأعلن من هناك استقلال ولاية ختن عن سلطة يعقوب بك .

ومن مدينة كورلا أخذ الجثمان طريقه إلى ولاية كاشغر مارا بتورفان وقاراشهر وتوخسون وآقسو حتى وصل سالما إلى مشارف ولاية كاشغر في موضع يقال له (كوبروك) استقبله مندوبون من قبل بك قولي بك . فهنا انعطفت الأحداث انعطافا خطيرا جدا . وإليكم تفصيل ذلك : عندما وصل (حق قولي بك) إلى مدينة كورلا والتقى بجثة أبيه الهامدة كتم خبر وفاته ولمدة ثلاثة أيام ، وفي هذا الأثناء جمع جميع قواته العسكرية إلى كورلا ونصب حكيم خان تورة نائبا عنه في قيادة جيشه . وفي خطبة حزينة موجزة أعلن وفاة أبيه ثم قال : " لست في مكان أنوب عن والدي رحمه الله، فهناك في مدينة كاشغر أخي الكبير بك قولي بك . وسوف أرسل الجنازة هناك وأبايع أخي في الولاية ، وإلى ذلك الوقت لا أتصرف في أمر من أمور الدولة ". وذلك أول يوم من شهر يونيو ١٨٧٧م .ثم ترحل أمام جثمان والده إيذانا بالتحرك إلى مدينة كاشغر . فقطع مركب الحزن المسافة بين كورلا ومدينة آقسو في ستة أيام . ثم توجه حق قولي بك بالجثمان

ومشيعيه إلى مدينة كاشغر وبدون توقف في مدينة آقسو . وفي يوم ٧ يونيو أعلن حكيم خان تورة نفسه وليا للعهد وسلطانا لعموم البلاد . ثم أرسل جيشا قوامه خمسمائة رجل لمطاردة حق قولى بك ، وأن لا يتعرض الأخير لخزينة آقسو بقيادة (داش بك القبحاق) . بينما وصل حق قولى بك بجثمان والده إلى نهر قزيل في البعد عن مدينة كاشغر بمائة وستين ميلا ، التقى بالوفد المرسل من قبل أخيه بك قولى بك لاستقبال الجثمان وحق قولى بك ورفقائه .

ونحن اذ قلنا فهنا المنعطف الخطير حيث اعتدى رئيس الوفد ضياء فانصت وبصورة مفاجئة بإطلاق النار على حق قولى بك في بداية مراسم الاستقبال . ثم أعدم الرفقاء الباقون في حينه . وفي رواية أخرى فيها شكوك تقول : إن بك قولى بك كان في استقبال جثمان والده وأخيه حق قولى بك، فهو الذي أطلق النار على أخيه وأرداه قتيلا . ثم أصدر أوامره بإعدام رفقاء أخيه . ولكن المؤكد أن بك قولى بك لم يأت إلى جسر نهر قزيل ، بل انتدب ضياء فانصت إلى هذه المهمة ، ولو كان في نيته أن يأتى في ساعات لاحقة .

وإليكم سبب هذه الحادث الجلل : سبق أن قلنا إن يعقوب بك لم يعين وليا للعهد إلى يوم مقتله ، ولذا ادعى حكيم خان تورة ولاية العهد لنفسه وأعلن ذلك على الملأ . وكان ابنه الكبير بك قولى بك ينوب عنه في العاصمة كاشغر يصرف أمور الدولة ، ولكن كان يعقوب بك يرى الصلاحية والمقدرة في ابنه الثاني حق قولى بك الذي كان في القيادة العامة يدير المعارك الحربية ، وكان شجاعا مقداما وله مميزات أخري في السياسة

والإدارة ، وله شعبية كبيرة في الأوساط العامة ، ولا سيما عند النبلاء وأعيان البلاد ، وكان حق قولي بك هو المطلوب المرغوب فيه والمحبوب للجميع ، وكذلك له حظوة والتفاف عظيم في سائر القوات المسلحة التي تزيد تعدادها عن ٨٠ ألف رجل خلاف مئات الألوف من الاحتياطين ، وكذلك الأثرياء ومن يشتغلون في التجارة كانوا يكنون لحق قولي بك الاحترام وجميل الطاعة . وقد سبق أن تنبه بك قولي بك إلى هذه المزية في أخيه الصغير بجانب ميل أبيه ومكانته في الجيش والأوساط العامة . ووفاة يعقوب بك المفاجئ تولد في نفس بك قولي بك الحقد الأسود تجاه أخيه ، وربما كان هناك مروجون لذلك ، فقرر بك قولي بك التخلص من أخيه حق قولي بك وتصفيته جسديا قبل كل شيء ، وأن يستقل بالملك لنفسه بدون منافس .

وعندما قتل حق قولي بك على مدخل جسر نهر قزيل تفاقمت الأوضاع الداخلية في دولة يعقوب بك الذي لم يدفن بعد ، وفي وسط هذا الخضم من الأحداث الدامية دفن جثمان يعقوب بك في ربوة عالية بالقرب من نهر قزيل من قبل ضياء فانصت وبعد مراسيم لا تذكر .

وقد أشيع من بعض المروجين المغرضين أن حق قولي بك كان جادا في السعي للحصول على بيعة عامة لنفسه في عاصمة البلاد مدينة كاشغر ، وكان دفن جثمان والده في مدينة كاشغر أمرا ثانويا بالنسبة له ، بحيث إنه إن لم يقض عليه أخوه بك قولي بك كان قضى هو على أخيه ، وتولى هو ملك أبيه دون غيره . وسبق كذلك أن قلنا إنه كان ليعقوب بك ابنا ثالثا استشهد في حرب أورومجي قبل ١٨٦٨م .

فمنذ مقتل يعقوب بك انقسمت دولته إلى ثلاثة أقسام : فولاية ختن استقل بها نياز حكيم بك الياركندى ، ومنطقة كورلا وطورفان وآقسو تولى حكومتها حكيم خان توره ، وكاشغر العاصمة وتوابعها بقيت في يد بك قولى بك . وسرعان ما اندلعت حروب أهلية بين الحكومات الثلاث .

أولا : قامت حرب بين بك قولى بك وحكيم خان توره فيما بين مدينة آقسو وأوحتوربان مما يلى ولاية كاشغر في اليوم الثالث عشر من شهر أغسطس ، وانهزم جيش بك قولى بك أمام ضربات حكيم خان توره ، وانسحب جيش كاشغر وعدده خمسة آلاف مقاتل . وكان في حوزة حكيم خان توره أربعة آلاف رجل ، الذى بدأ يطارد جيش كاشغر إلى مشارفها . ولكن بك قولى بك جمع أكبر قوة ممكنة في معركة حاسمة بين الفريقين دامت خمس ساعات كاملة فانتصر بك قولى بك على غريمه حكيم خان توره مما اضطر الأخير إلى الهرب نحو سهل فرغانة ، ودخل بك قولى بك إلى مدينة آقسو ظافرا منتصرا . وأقام فيها أسبوعين ثم رجع إلى مدينة كاشغر . وأخذ الجيش راحة لمدة شهر واحد حيث توجه بك قولى بك إلى مدينة بل ولاية ختن في خمسة آلاف جندى . ووقعت مصادمات بين الفريقين في بلدة زاوا على بعد ستين ميلا من مدينة ختن ، وانتصرت الخيالة القشقرية على جيش ختن الذى كان تحت قيادة أمين بك أخى نياز بك والى مدينة ختن . فدخل بك قولى بك إلى مدينة ختن بينما غادرها نياز حكيم بك بأسرته وبأمواله التى جمعها قاصدا الشمال ربما لحق بالوحدة الصينية المداهمة . فأرسل بك قولى بك من يلاحقه ويلقى القبض عليه وعلى أسرته ، ولكنه رجع خائبا حيث لم يلق على أثر لنياز حكيم بك الهارب .

وذلك في ٢٠ أكتوبر عام ١٨٧٧م [١]. ولكن هذا النصر والاحتواء لم يجد نفعا حيال الغزو الصيني على البلاد حيث وافاه خبر استيلاء الصين على مدن كورلا وطورفان وآقسو ، وأن الصينيين قادمون إلى مدينة كاشغر . وكانت مدينة كاشغر الجديدة (القلعة الصينية) بلاطا ليعقوب بك ، وفيها سكنت الأسرة المالكة منذ عهد يعقوب بك . فأرسل بك قولي بك رسوله إلى مدينة كاشغر ليجلي الأسرة المالكة من المدينة (القلعة الصينية) بلاط يعقوب بك . وكانت فيها وبجانب الأسرة المالكة أسر الوزرا والقواد العسكريين وأركان الدولة من مدنيين وعسكريين . وحينما انسحب الأسرة المالكة من المدينة داهمها الصينيون الذين أمنوا أو استأمنوا على أنفسهم في عهد يعقوب بك ، وكان أكثرهم يعملون في الجيش الأميري ، فنهبوا بيوت

---

[١] ـ يقول المؤرخ القدير ملا موسى سايرامي في كتابه (تاريخ حميدية) في باب (سوائح ومساوئ نياز حكيم بك) ما يلي : كان نياز حكيم بك والي ولاية ختن من قبل يعقوب بك متواطئا مع الصينيين ويميل إليهم . وفي عهده في ولاية ختن أرسل أحد أعمامه إلى داخل الصين عبر طرق غير سالكة وعلى الفيافي والقفار وسلمه مكتوبا ليوصله إلى ملك الصين ويأتي بالجواب عنه ، وربما كان نياز حكيم بك يطلب أو يحرض الصين على الاستيلاء على البلاد ، ومهما يكن من أمر أدى عمه المهمة ووصل سالما إلى مدينة ختن ، وقبل مقدم العم استعد نياز حكيم بك لاستقبال عمه في غرفة خاصة ، وحفر في الغرفة بئرا وغطاها بعشب وحصير ثم مد البساط ، وبعد أن حصل نياز حكيم بك مبتغاه من عمه دعاه إلى تلك الغرفة وسقط العم المسكين في البئر ، وواری نياز بك التراب على عمه في البئر ، ومن حيث لا يدرى رأى أحد غلمانه الأمر وقدم الشكوى ليعقوب بك ، فلم يكن من الأخير إلا أن ينبه نياز بك بخطورة الغلام لتأديبه ، فقتل نياز بك هذا الغلام .

تلك الأسر وسلبوها ، فتوجه الأعيان وأمراء الجيش والوزراء لبك قولى بك بالتأنيب وقالوا : " لولا إجلاؤك الأسرة المالكة من المدينة وسحبتها إلى مدينة ياركند لما تجرأ الصينيون لاقتحام (القلعة الصينية) البلاط الملكى ، وأمنت أسرنا مع الأسرة المالكة " . وكان بك قولى بك في يوم ٦ نوفمبر في مدينة ياركند قادما من ولاية ختن ، والتقى بالأسرة المالكة وبأفراد عائلته الكريمة . وفي ١٦ نوفمبر أراد بك قولى بك الانسحاب من مدينة ياركند إلى مدينة قارغلق بالأسرة المالكة ، ولكن الأعيان تربصوا له بالمرصاد وأمروا بعودته إلى مدينة كاشغر واستعادة مدينة كاشغر الجديدة من الصينيين وتأمين سلامة أسرهم ، فلم يكن لبك قولى بك بد من تنفيذ رغبتهم . وقدم بصحبة الأعيان والوزراء إلى مدينة كاشغر ، وحينما وصل ركب بك قولى بك إلى مدينة ينكحصار على بعد ٨٠ ميلا أصدر أمره بقتل كل صينى يصادف في الأوساط الشعبية فقتل في مدينة ينكحصار والنواحى منها أكثر من مائتى صينى ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة ، وفي مدينة كاشغر كان أفراد منهم ما يقارب أو يزيد عن أربعمائة هربوا إلى القلعة الصينية مدينة كاشغر الجديدة ، ولكنها كانت مقفولة بمن في داخلها من الصينيين الذين داهموها عقب انسحاب أو إجلاء الأسرة المالكة إياها منذ أيام . فلم يتمكن الهاربون الصينيون من المدينة القديمة الدخول إلى المدينة الجديدة ، فقتلهم (آلدراش خان دادخاه) واليها ، ولم ينج منهم أحد . وفي يوم ٦ ديسمبر من عام ١٨٧٧م قدم بك قولى بك إلى مدينة كاشغر ولكنه لم يدخلها ، لأنه كان مشغولا بمحاولة فتح المدينة الجديدة ، وقد التف حوله ما يزيد على عشرة آلاف رجل من جنود أبيه رحمه الله ، وشن هجوما على المدينة

الجديدة بكل حمية وشجاعة ، ولكن لم يحالفه النصر ، حيث إن المحتمين في المدينة الجديدة من الصينيين المستأمنين الذين أسلموا في عهد يعقوب بك لما احتموا في المدينة لم يكن لهم والحال هذه مفـر أو مـهرب أو ملجـأ إلا مواجهة الموت المحقق إن استسلموا بفتح أبواب المدينة لبـك قـولي بـك ومكنوه من الدخول عنوة ، فاعتصموا ودافعوا عن القلعـة المحصنـة ، ولم يتمكن بك قولي بك من اقتحام المدينـة بقـوة السـلاح ، لأن شوشـرة وبلاغات مختلفة أشيعت وأذيعت بأن الجنود الصينيين تمكنوا من إخضـاع مدن الشمال طورفان وكورلا وكوجار وآقسو ، وأنهم في طريقهم قـادمون إلى ولاية كاشغر ، فبدأت التفرقة في صفوف جيش الإسلام ، وبالتالي بـدأ هروب بعض الأعيان والوزراء إلى فرغانة ، وقيل : إن بك قولي بك الـذى بدأ بالهروب عبر منطقة آرتوج إلى مدينة آت باشـي ونـارن وآلماآتـا في فرغانة. وذلك في يوم ١٦ديسمبر من عام ١٨٧٧م . وكتغطيـة لهربـه أو انسحابه من ولاية كاشغر أرسل والى مدينة كاشغر (آلدراش خان دادخاه) إلى منطقة فيض آباد على بعد ١٢٠ كيلو مترا في الشرق من مدينة كاشـغر للمقاومة وعرقلة تقدم الصينيين إلى ولاية كاشغر ومعه فرقة كاملـة مـن الخيالة ، ولكن الأخير لم يتمكن من ذلك ، وهرب هو الآخر إلى فرغانـة وكل هذه التدهورات خلفيات مأساوية وقعت في خلال ثمانية أشهر مـن بعد وفاة يعقوب بك في اليوم ٢٧ من شهر مايو عـام ١٨٧٧م في مدينـة كورلا .

وأما مدفن يعقوب بك فكان في طرف جسر نهر قزيل على بعـد ١١٠ ميلا في الشرق من مدينة كاشغر ، عقب مقتل ابنه حق قولي بك على بـد

ضياء قانصت ، وقد نبشه الصينيون في شهر يناير عام ١٨٧٨م وأحرقـــوا الجثة وربما مع جثة ابنه الأمير حق قولى بك ، ونـــثروا رمـــاده في الهـــواء وأبادوه، فلم يعد ليعقوب بك قبر ولا مدفن .

الباب الثالث

تركستان الشرقية والصين

نحن إذا تكلمنا عن الصين وتركستان فإنما نـأتي أولا بذكر بـاتور تنغرقوت (أوغورزخان مته) ودولة (هان) تعني الصين أو الصينيـون في اصطلاح مؤرخي أوربا قديما . ولعل الأوربيون أرادوا بها (خان) ، وحتى الآن يعبر الصينيون عن أنفسهم بأنهم (خان) أو (هان) كاصطلاح أقوام الشرق (جين) والعرب (الصين) ، ولم تكن كلمة (خان) اسما لتلك الأقوام الصفر القاطنين في البر الصيني القديم فيما بين خط العرض ٢٠-٣٠ وخط الطول ١٠٠-١٢٥ ، وفي مساحة تقدر بأكثر من ثلاثة ملايين كيلومترا مربعا . تقابلها أقوام الهون والترك في الشمال والغرب في مساحة تقدر بأكثر من تسعة ملايين كيلومترا مربعا من الأراضي الشاسعة . تبدأ من منشوريا شرقا وتنتهي في أفغانستان غربا ، ومن مرتفعات سيبريا شمالا وإلى منطقة تبت جنوبا .

وكانت أقوام الصين قبل عام ٥٠٠ قبل الميلاد يعيشون عيشة بدائية رديئة، وكانت شعوبا وقبائل متنافرة ومتناحرة لا يجمعها جمع ولا تنظمها دولة . بينما كانت جارتها الهون أكثر تمدنا وحضارة وأوثق تكتلا واستئثارا لبعضهم البعض ، فبينما كانت الصين حكومات وقبائل متناحرة تكونت في قبائل الهون المجاورة لها حكومات موحدة ذات سيادة . ونحن لا ندعي بهذا

الحضارة والمدنية لأنفسنا دون جارتنا الصين ، ولكن توجد هناك فروقات كثيرة مميزة في طرف الهود ومنحطة في طرف الصين .

وقد تساوت الجارتان قبل عام ٢٠٠ قبل التاريخ في التكتل واجتماع الكلمة في عهد سلالة (خان) في الصين ، وعهد باتور تنغرقوت الهون (أوغوزخان متة) .

وقد بدأت بعض حكومات الصين المتاخمة للشمال في بناء سدهم الغمر المنيع حائط الصين في العصر الخامس قبل الميلاد وبشكل منقطع ، وعلى محاور جبلية اتقاء من هجمات الهون المتعاقبة عليهم ، تحدها شمالا منطقة منغوليا الداخلية بما فيها النهر الأصفر (نهر خوانخى) .

وبعد عام ٢٠٠ قبل التاريخ اتحدت قبائل وحكومات الصين تحت لواء ملكهم (جين شى خوانغ) ، وقبل ذلك التاريخ كانت في الصين خمس حكومات محلية متناثرة فتغلب (جين) عليها جميعا فبنى حائط الصين يوصل بعضها بعضا . ويمدها إلى مسافة أكثر من ثلاثة آلاف كيلومتر تبدأ من شمال منطقة جبلية بالقرب من ساحل المحيط الهادئ شرقا مارا بالقرب من مدينة بكين من الشمال لا تبعد عنها أكثر من خمسة وعشرين ميلا .
وكان عهد (جين شى وانغ) هذا فيما بين عامي ٢٢١-٢١-قبل الميلاد .

وكان ذلك في عهد باتور تنغرقوت الهوت (أوغوزخان متـه) في دولة الهون المجاورة في الشمال والغرب من دولة الصين . وإن وحدة الصين في عهد (جين شى خوانغ) أول وحدة في تاريخ الصين كله لمدة خمسة عشر عاما فقط .

وقد مضت على الصين عهود مظلمة ومتفرقة ومتناثرة تحت ظل وظلم حكومات متعددة في وقت واحد تعرف بعهد الست عشرة حكومة ، والخمس حكومات ، واثنا عشرة حكومة . وما أكثر السلالات الحاكمة في الصين عبر تاريخها الطويل ، أشهرها أربع عشرة سلالة وآخرها سلالة (جنغ) التي حكمت الصين قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن من عام ١٦٤٤- ١٩١١م وهي أطول السلالات حكما في الصين . وقد سبقت الإشارة إلى ترتيب ذلك في سلسلتنا الأولى برقم واحد (الموجز في تاريخ الهون) .

بدأت الاحتكاكات بين الأمتين الصين والترك منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، وكانت الغلبة دائما للترك الهون ، ولذا اضطرت الصين لبناء سدها المعروف بحائط الصين العظيم في القرن الخامس قبل الميلاد ، وأتمها (جين شي خوانغ) بعد عام ٢٢١ قبل الميلاد. وتقول المصادر التاريخية : إن (جين) موحد الصين توفي منذ عام ٢١٠ قبل الميلاد ، ولكن (هان) شن هجوما شرسا على دولة ووسون الترك ، وتغلب عليها وقتل ملكها وعين شخصا آخر ملكا عليها ، وجعل ووسون تحت سلطته الجائرة وذلك عام ٢٠٩ق م. وكانت في منطقة تركستان (ما وراء النهر) ٣٦ دولة تركية أعلنت انزوائها تحت لواء باتور تنغرقون الهون في خلال ثلاث سنوات من عام ٢٠٩ق م . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية غضب باتور تنغرقوت أوغوزخان من تصرفات الصين باستيلائها على دولة ووسون وسعى سعيا حثيثا لتكوين وحدة كبرى بين أقوام الترك منها كاشغر وياركند وختن وأوج وكوجار وكنكيت ولولان وقوجو . وتم له ما أراد عام ٢٠٠ قبل

الميلاد في وحدة متكاملة .تضم ٢٤ دولة كونفدرالية في ساحة شاسعة من الأرض تحدها غربا بحر الخزر وشرقا جبال قدرخان في الشرق من بحيرة بيقال (في منغوليا الخارجية)ومن مرتفعات سيبريا شمالا إلى نهاية صحراء جوبي في الجنوب ، ومن ضمنها منطق كانسو . وكانت كل من مناطق شانسى وسانشي (في منغوليا الداخلية الآن) ومن ضمن أقاليم وأملاك الهون الترك.

وبعد ٢٠٩ قبل الميلاد أي بعد وفاة (جين شي خوانج) نشبت في الصين انقلابات وثورات داخلية . وكانت ثورة (هان) من ضمن تلك الثورات وتغلب (هان) على سائر الثورات المناهضة وأعلن نفسه إمبراطورا على الصين كلها . وكلمة هان لقبه الثوري ، واسمه (كاوخو) . وكلمة (هان) هذه محرفة من قبل المؤرخين الأوربيين إلى (خان) كما أسلفنا في أول البحث ، فمنذ ٢٠٩م بدأ تزدهر الصين وتقوي عن ذي قبل ، ودامت سلالة خان في حكمها قرابة أربعة قرون ولو أنها انشطرت وانقسمت إلى قسمين فعرفت بسلالة خان الشرقية وخان الغربية وعاشت منذ القرن الثلث قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد . وقد تشرفت الصين بشرف هذه السلالة وازدهرت ، ولذا يعبر الصينيون عن أنفسهم بـ (خان) . ويقول الدكتور (صن يات صن) مؤسسة جمهورية الصين في ١٩١١م : "نحن أمة وسط تألفت من خمس قوميات وهى : خان ، ومان ، ومونغ ، وخوي ، وزانغ " . الخان هى الصين ، ومان هى منشور ، ومونغ منغول ، وخوي المسلمون بما فيهم نحن التركستانيون حسب زعمه ، وزانغ هي أصل التبت . وأنشأ علما ذا لون آحمر وفي الزاوية اليمنى العلوية قطعة أزرق

اللون تتوسطها نجمة كبيرة . وكان سين يات سين ذو ميول راديكالية ولذا تمثل أرضية العلم الأحمر أرض الصين ، والقطعة الزرقاء تمثل السماء ، والنجمة تمثل الشمس في كبد السماء مطلة على أرضية حمراء قانئة . ولكن (ماو ذي دونج) غير علم الصين وحذف منها القطعة العلوية وأحل محلها نجمة كبيرة تمثل خان ، ومن أسفل منها أربعة نجوم أصغر منها تعني أن تلك القوميات الأربع تحت سيطرتها .

ونعود بالقارئ العزيز إلى ما قبل التاريخ مع الصين والترك الهون والمغول منهم ، ففي عام ١٩٩ قبل الميلاد تقدم (هان) و (هو كاوجو) إمبراطور الصين بجيش كبير إلى ولايتي شنسي وسنشي واستولى على بعض المدن ، فتقدم باتور تنغرقوت الهون أغوزخان في جيش قوامه ثلاثمائة ألف رجل إلى ولاية شنسي وحصلت معركة طاحنة بينهما ، وتغلب أغوزخان على جيش إمبراطور الصين في معركة فاصلة ، واحتمى الأخير مع جيوشه في قلعة حصينة بالقرب من مدينة (سيان فو) وحاصرها أغوزخان من كل جانب، فآثر إمبراطور الصين سلامته وسلامة جيوشه من الفناء ، وعرض صلحا لباتور تنغرقوت بدفع مبالغ طائلة لباتور تنغرقوت أغوزخان في كل عام ، وعلى أن يتزوج أغوزخان من ابنة إمبراطور الصين ضمانا للصداقة والاحترام المتبادل بين الطرفين . وبهذا اعتبرت الصين دولة تابعة للباتور تنغرقوت الهون أغوزخان حتى بعد وفاة أوغوزخان ١٧٤ قبل الميلاد كانت عادة تزويج أميرات الصين من ملوك الهون جارية ومرعية بموجب اتفاقية الصلح المشار اليه آنفا . ودامت هذه الصداقة والمصاهرة قرابة مائة عام

تقريبا[1] وخلف أغوزخان ابنه (كيوك خان) وتوفي الأخير في ١٧٠ قبل الميلاد ، وخلفه (كوبحين) ثم تعاقب عليها أربعة عشر تنغرقوت آخرهم (قيانوتي) و (أوجولوتي) عهده من عام ٨ قبل الميلاد إلى عام ١٢من الميلاد . وأما عهد الأول فمن عام ١٢ قبل الميلاد إلى عام ٨ قبل الميلاد أيضا . وإلى عام ٤٦ من الميلاد كانت دولة الهون الترك دولة قوية تهيمن على الشرق كله وتهدد الصين بأكملها.

وفي عام ٤٨ من الميلاد وقع نضال في دولة الهون الترك وانقسمت إلى الشرق والغرب ، وكانت تعرف أقاليم تنغرقوت الهون في أقاليمها الشرق وإلى سواحل البحر الهادي بأقاليم الشمال . وأقاليم الغرب بما فيها لتركستان كلها بأقاليم الجنوب الدافئة منذ القدم . وبهذا الانفصال بدأ ضعف في أوصال دولة الهون الكبري . وكذالك الصين في انقسامها في سلالة خان إلى سلالتين باسم سلالة خان الشرقية وسلالة خان الغربية ، بينما تماسكت الصين في قسميها الشرقي والغربي تدنت حالة الهونيين في منازلهم ، ثم عمدت قبائل الهون الترك بالهجرة إلى الغرب والشمال من أوربا، وتولى رئاسة الشرق فيما بين عامي ٤٨ و٢١٦ م عشرون تنغرقوت أولهم (شلو شيوتي) من عام ٤٨ إلى ٥٦ م ، وآخرهم (خوجو جيان) من عام ١٩٥ إلى ٢١٦ م . اكتفت او أوردت المصادر التاريخية ستة ملوك من ملوك تنكريقوت الهون الترك في قسميسها الغربي أولهم (بانو) من علم ٤٦ م إلى ٨٢ م ، وآخرهم (بانتو) من عام ٩٢ م إلى ١١٨ م .

---

[1] ـــ انظر كتاب (شرقي تركستان تاريخي) لمحمد أمين بغرا .

وأسس الهون الترك إبان هجرتهم إلى شمال وغرب أوربا إمبراطورية الهون الأوروبية عاشت فيما بين عامي ٣٧٤ م و٤٦٨م ، واشهر ملوكهم (آتيلا) ، أولهم (بالامير) من عام ٣٧٤م إلى ٤٠٠م ، سادسهم (آتيلا) من عام ٤٣٤م إلى عام ٤٦٩م ، وآخرهم (ديككزنينغ) من ٤٥٤م إلى ٤٦٩م . و (آتيلا) القاهر الذي أدار دفة الحرب لصالحه في الحرب الأوربية الشهيرة بحرب كاتاليوف التي بدأت في ٢٤ إبريل عام ٤٥١م .

وبعد انقسام وانتهزام إمبراطورية الهون الأوربية برزت من جذور الهون الأوروبي عدة دول اشتهرت في التاريخ وعلى التوالي، منها: دولة (الأوار) من عام ٥٦٩م إلى ٨٣٥م ومن أشهر ملوكهم (بيات خان) وعهده ما بين ٥٦٥م إلى ٦٠٢م . وقد أوردت كتب التاريخ سبعة من ملوكهم وهم: (بيات خان الاول) و (بيات خان الثاني) و (تودون خان) و (زودات خان) و (تتودوروس خان) و (آبراهام) و (تودون الثاني) وعهد الأخير ما بين ٦٢٦م إلى ٨٣٥م .

ثم دولة الخزر ما بين عامي ٤٨٦م إلى ٩٦٥م وهم الذين تصادموا مع العرب الفاتحين في مناطق قوقاز وقفقاسيا ، فنقل الخزريون عاصمتهم إلى تخارستان وفي مدينة ساراي بالذات ، ثم داهم العرب الفاتحون منطقة داغستان في عهد الخليفة الأموي هشام ابن عبالملك عام ٧٢٤م و ٧٤٣م . وكان الخليفة الأموي هشام ابن عبدالملك على رأس جيش الاسلام وعدده مائة وخمسون ألف فاتح ، واستولى على عاصمة الخزر مدينة ساراي ، وقتل ملكهم (تارخان) وذلك عام ٧٣٢م . وذكرت مصادر التاريخ أربعة

عشر من ملوكهم أولهم (بولان) وآخرهم (يوسف خان) وعهد الأخير ما بين ٩٣١م و٩٦٥م .

ثم البلغار وتعرف بـ (بلغار دوناي) عاشت ما بين ٥٨٤م إلى ١٠١٨م . وهناك بلغار إيديل وتعرف بـ (تتار) نأتي لذكرهم فيما بعد.

وأما (بلغار دوناي) فأمضت في تاريخها الطويل ستة وعشرين ملكا أولهم (كوبرات) من عام ٥٢٤م إلى ٦٤٢م آخرهم حار إيوان (وبلاديسلاو) من عام ١٠١٦م إلى ١٠١٨م .

ثم بلغار إيديل (أورال) عاشت ما بين عامي ٧٧٠م و ١٤٠٠م ومنهم ثلاثة وعشرون ملكا أولهم (توفيخان) عام ٧٧٠م وآخرهم عبدالله خان الثاني انتهي عهده وانتهت دولته في عام ١٤٠٠م.

ثم دولة هنكرية (هنكاريا) عاشت فيما بين ٨٨٩ م و ١٥٢٦م ، المدعو (آرباد) مؤسس هذه الدولة ، وقد أمضت في هذه الدولة الفتية احدى عشر ملكا من سلالة آرباد ، كان الثاني عشر واسمه آرباد أيضا ٨٨٩م . وبعد آرباد هذا تولى رئاستها من سلالة آرباد ستة عشر ملكا ، أو تعاقب عليها الألمان والطليان والفرنسيون والعثمانيون والروم . ونحن إذ قلنا إن دولة هنكرية عاشت فيما بين ٨٨٩ م و ١٥٢٦م حددنا دور الأتراك من بقايا الهون الأوروبي ، ثم أذيبت السلالات الهونية الترك في هذا الجسم الاوربي وأصبحت دولة هنكاريا أوروبية دما ولحما بين عام ١٥٢٧م وعاشت حتى ١٨٤٨م وكانت نهايته على يد نيكولاي قيصر روسيا (١٨٣١م ــ ١٨٥٥م) وذلك في عام ١٨٤٨م عقب هزيمة كوشوت الذي هرب بعد هزيمه إلى آستانة الخلافة العثمانية ، ولكن هنكاريا

استعادت استقلالها بعد حرب الكون الأولى عـام ١٩١٨م وذلـك بعد سقوط دولة نمسا الاوربية ، وكان سبب هزيمتها السابقة لمحاباتـها بـالعداء الفرنسي المستديم.

ذكرت المصادر التاريخية ثمانية وعشرين ملكا من مختلـف الجنسيات المنكرية فيما بين عامي ٨٨٩ م و ١٣٠١م أولهم آرپاد الثاني عشـر (٨٨٩ م ــ ٩٠٧م) وآخرهم آندارس الثالث (١٢٩٠م ــ ١٣٠١م) .

وقد هبت أقوام تركية في منطقة شرق أوربا في العصور الثلاثة وبصـورة متقطعة . العصر الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر.

وأما الأقوام التركية من أصل هوني ومنغولي فلهم شهرتهم وصيتـهم في التاريخ في آسيا الوسطي وتركستان الشرقية وهم (أولـوغ بـاوجيلار) عاشوا منذ قرون ثلاثة قبل التاريخ وفي عهد باتور تنغرقوت في القرن الثـاني قبل الميلاد (أوغوزخان) . وأما بعد التاريخ فنري الإمبراطورية الكوشـانية عاشت فيما بين ٥٠ م من الميلاد إلى عام ٤٢٠م .

ثم تكونت دولة الهون البيض ومن أشهر ملوكـهم وأشجع قـادتهم وفاتحهم الأوحد آفراسياب (أورتيكا) في أواخر القرن الخامس من الميلاد ، ومنهم القاراخانيون أولهم ستوق بوغراخان (عبدالكريم) العظيم أسلم عـلم ٣٢٣ هـ الموافق ٩٣٤م وأسس دولة إسلامية عاصمتها مدينة كاشـغر .

وقد سبق على غسلام ستوق بوغراخان إسلام شعوب الشرق في التركستان اتباعا لإسلام سمرقند وماوراء النهر في عهد قتيبة ابن مسلم البـاهلي ثم في عهد مهلب ابن أبي صفرة وأولاده .

وقد احتكت دولة الهون البيض بالساسانيين الفرس وأقضت مضجعهم في بخاري وسمرقند وخوارزم حتى في خراسان ، حيث استولى آفراسياب الشرق من أقاليم الفرس وفرض سيطرته عليهم ردحا من الزمان وبنى مدينة بخاري . وقيل : جدد سورها وعلاها وأوجد استحكامات منيعة . والخلاصة أنهت دولة الهون البيض دولة الفرس الساسانيين أو كادت أن تنتهي في أواخر القرن الخامس من الميلاد .[1]

ونحن سردنا هنا وجود وأدوار الترك الهون والمغول في آسيا الشرق وأوروبا الشمالية والغربية بصفة عامة عما فصلناه في السلسلة الأولى رقم واحد (للموجز في تاريخ الهون) وذلك توطئة لما سنذكره من أحداث فيما بين الصين وتركستان ، وبصفة خاصة في القرون الأولى من الميلاد ، حيث وصلنا إلى بدء مناوشات وتحرشات الصين على ديارنا .[2] فنحن نرجع بالقارئ الكريم إلى عام ١٣٩ قبل الميلاد حيث كانت الصين خاضعة لسيطرة دولة الهون ، حسب الاتفاق ومعاهدة الصلح بين الدولتين الصين ودولة الهون في عام ١٨٠ قبل الميلاد في عهد باتور تنغرقوت الهون ، وتزويج أميرات ملوك الصين إلى ملوك وأمراء دولة الهون ، واستمرت الحالة حتى عام ١٣٩ قبل الميلاد وضاقت الصين ذرعا وبحثت عن ذريعة تتخلص منها .

وبالمناسبة نقول ونكرر : إن الأقوام البائدة في الشرق والغرب حتى بعد القرون الوسطى كانوا يشكلون حكومات محلية في كل مدينة وبلدة

---

[1] ـــ راجع كتاب (الموجز في تاريخ الهون) لتورغون ألماس ، ترجمة محمد قاسم أمين .

[2] ـــ انظر كتاب (شرقي تركستان تاريخي) لمحمد أمين بغرا .

ويحكمون أنفسهم بأنفسهم ويديرونها كيفما يشاءون ، ويصطدمون بسلبياتهم أكثر وتقل الايجابيات في مجتمعاتهم ويعيشون حياة قبلية بدائية .
وكانت السلطة مهما صغرت تشرفهم وتعزهم أو هكذا يفهمون دوما ويتخيلون أحيانا ، وأن رؤساءهم ومشايخ قبائلهم يتحكمون في مصائرهم ويعيشون إذا استطاعوا حياة البذخ والفجور والاستحواذ الجائر بدعوى حمايتهم ، وهم أنفسهم لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم ، إذ لا حول لهم ولا قوة ، وكانوا يلجؤون إلى الشعوذة وإيهام الناس بالخزعبلات ، وعلى سبيل المثال لم يزل رؤساء قبائل منداكوي في شمال غرب كاميرون في أفريقيا ، ويعتاد هذه القبائل بتسمية رؤسائهم بفون ، ومنهم فوسه نفورشيريزي الذى توفي أخيرا ويبلغ من العمر واحدا وثمانين عاما تاركا وراءه ١٥٦ أبناء دون الإناث و ٤٠٠ حفيدا وثلاثين زوجة . وقد سبقه فون الذي قبله وتوفي عام ١٩٧٢م وقد ترك ٢٧٣زوجة ومئات من الأبناء وألوفا من الأحفاد ، وكانت ولم تزل الحكومات المركزية المتعاقبة يسيطرون على تلك الأقاليم عبر قنوات فون هذا أو الذين من قبله .[1]
سرد القصص الواقعية السابقة تمهيدا بأن تركستان وغيرها كانت كل مدينة فيها تشكل حكومة أي حكومة داخل حكومة في تركستان . فهناك دولة قوجو طرفان ، ودولة كاشغر ، وخانية ختن ، ودولة دوسون في ولاية إيلي ، ودولة أوج في آقسو ، ودولة باختر في بلخ ، ودولة سكا في منطقة

---

[1] ـــ انظر : الصفحة الأخيرة من جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٠٥٢ الصادرة اليوم الثاني من شهر يناير عام ١٩٩٠م

بخارى وغيرها كثير من أمثال دولة إديقوت في منطقة لوب نور ، ولو أنها تتحد تحت مظلة (أولوغ ياوجيلار) التي قد تعلن انقيادها وانضمامها لدولة الهون الكبرى وقد تعصي أمرها ، شأنها شأن الأخريات من الدول الصغيرة التي قد تدور في فلكها وتنتقل إلى فلك الهون الكبرى . و (أولوغ ياوجيلار) هي السواد الأعظم من جذور أتراك آسيا الوسطى وتركستان الشرقية معا. وفي إحدى نوبات الغضب لتنغرقوت الهون قام (كيونمه خلن) ملك قبائل دوسون في وادي إيلي بطرد أولوغ ياوجيلار من على ضفاف نهر إينجه إحدى روافد بحيرة إسيق كول إلى الغرب ، فاستوطنوا على ضفاف نهر آمو دريا (جيحون) على الشمال ، وهم الذين أسسوا دولة سكا وباختر في مناطق الغرب الجنوبي من تركستان الغربية اليوم . وبالرغم ذلك وبمرور الوقت وتقلبات الأوضاع كانت دولة الهون الكبرى تحمي مصالح وثغور هذه الدول والحكومات بشكل عام .

ومنذ عام ١٣٩ قبل الميلاد فكرت حكومة الصين من سلالة خان في تدبير مقلب ضد دولة الهون وما تحميه من دول وحكومات في الغرب (نعني تركستان الشرقية والغربية)، وتفتيت عرى الصداقة والتكامل بين تلك الحكومات وبين دولة الهون الكبرى وإنهاء التكتل بينهن .

فاتخذت الصين مسارين اثنين لا ثالث لهما : الأول : إيقاع الدسيسة فيما بين دولة الهون الكبرى وبين حليفاتها من الدول المجاورة ، ثم تحريضهم للعصيان عليها وتمزيق عرى التكتل القائمة بينها .

الثاني : استخدام الأميرات المتزوجات لملوك الهون وأمرائهم بالتآمر ضد بعضهم وإضعاف معنوية المركز الرئيسي لدولة الهون .

ولتنفيذ مآربها الأول أرسلت حكومة الصين عميله (جانغ جين) إلى منطقة آسيا الوسطى وكانت هناك دولة (أولوغ باوجيلار) وبجانبها دولة (دوسون)، وكانت مهمة جانغ جين أن يحرضهما للعصيان على سلطة وحماية تنغريقوت الهون . وكانت جبال قاراقوروم مركزا وعاصمة للدولة الهون الشرق .

واشتبه في أمره وتم القبض عليه وأودع في السجن ، وذلك عام ١٣٩ قبل الميلاد ، وبقي في سجنه إلى عام ١٢٩ قبل الميلاد ولمدة عشر سنوات حيث أفرج عنه بمساعي الأميرات الصينيات في بلاط الهون ، وبعد ذلك ادعى أنه سائح ثم تسلل إلى وادي إيلي واتصل بدولة دوسون وسعى لغرضه حثيثا بتحريض دولة دوسون للعصيان على دولة الهون الكبرى ، ونجح في مسعاه حيث انصاعت دولة دوسون لدعوة جانغ جين وأعلنت انفصالها عن دولة الهون ، ولكن الأخيرة أقدمت لحملة تأديبية عسكرية أخضعت دوسون لسلطانها ثانية ، ثم يمم جانغ جين إلى دولة أولوغ باوجيلار في دعوته للعصيان على دولة الهون ، ولكن أولوغ باوجيلار لم تكن سهلة الاصطياد لأول وهلة ، وكانت دولة ذات مدنية وحضارة متقدمة في ذلك الوقت حيث رفضت دعوة العميل الصيني ورجع الأخير خائبا إلى الصين . هذا أول صيني داست أقدامه أرض تركستان الطاهرة و لم تزل دولة الصين موحدة نوعا ما تحت حكم سلالة خان . واستمرت حروب ومناوشات عسكرية بين الطرفين منذ عام ١٣٠ قبل الميلاد وتناوبت الغلبة على بعضها البعض ردحا من الزمان وحتى عام ٨٦ قبل الميلاد.

وفي عام ٨٦ قبل الميلاد وفي عهد إمبراطور الصين (خان ووتي) نشبت في الصين ثورات متنامية ضد خان ووتي وجاءت فرصة الهون الكبرى وساعدت ثوار الصين ونجحوا في ثورتهم وقتلوا خان ووتي وانقسمت سلالة خان ، بل دولة الصين إلى قسمين : سلالة خان الشرقية . وسلالة خان الغربية ، وكانت بعض الأجزاء من تركستان تحت هيمنة الصين فاغتنم التركستانيون هذه الفرصة وحرروا أنفسهم من هيمنة الصين ثم تشبثوا بانتمائهم لدولة الهون الكبرى .

ثم عمدت سلالة خان الشرقية إلى تحريض أقوام الترك القاطنين في منشوريا وهم قبائل (ووهوآن) و (سيانب) للاغتشاش في داخل دولة الهون ، وتكررت هجماتهم ضد تنغرقوت الهون حتى أنهم تمكنوا من الاستيلاء على مركز تنغرقوت الهون في جبال قاراقوروم وهدموا مزاراتهم وأبنيتهم الحكومية وذلك عام ٧٠ قبل الميلاد . ولكن تنغريقوت الهون استعاد بلاطه وألحق بووهوآن وبسيانب خسائر فادحة ، بل أبادت جلهم وداهمتهم في منازلهم في منشوريا وامتدت مساحة أملاك تنريقوت الهون إلى جزر اليابان .

وفي عام ٦٠ قبل الميلاد وقعت انقسامات في رئاسة دولة الهون فيما بين الأميرين (جيجي خان) و (خوجان سي خان) ووقعت حروب بين الطرفين دامت تسع سنوات ، ففي عام ٥١ قبل الميلاد اضطر خوجان سي خان أن يطلب مساعدة الصين وتغلب على جيجي خان الذي هرب بعد هزيمته إلى الغرب . وفي وادي إيلي كونت دولة الهون الغرب ذات عظمة وهيبة سرعان ما بسطت نفوذها إلى بخارى وسمرقند ، وعندها نقلت

عاصمتها إلى سهل صغد وفيها عاصمة لها بالقرب من مدينة سمرقند . غير أن هذه الدولة الفتية لم تنعم بالهدوء والسكينة من جراء هجمات بقايا قبائل سيانب وهوآن من جهة ، ومن جهة أخرى المضايقات الصينية . وفي فرصة مواتية شنت الصين هجوما كاسحا على التركستان الشرقية واستولت عليها تحت قيادة (جانغ كي). وهذا أول استيلاء للصين على تركستان وذلك عام ٥٩ قبل الميلاد . ثم أرسل جانغ كي رسوله إلى جيجي خان بقصد استيلائه على التركستان الغربية ولكن جيجي خان قتل الرسول الصيني .

ونشبت حروب طاحنة بين جانغ كي وجيجي خان امتدت أوارها إلى عام ٣٦ قبل الميلاد حيث انهزم جيجي خان وقتل في المعركة واستولت الصين على التركستان الغربية بما فيها بخارى وسمرقند ، دولة جيجي خان هي نواة دولة الهون الغربية ، وخضعت سائر ملوك وحكام آسيا الوسطى لإتاوات تفرضها دولة الصين سلالة خان الغربية عليهم .

ودام هذا الاستيلاء البغيض احدى عشر عاما فقط من عام ٣٦-٢٥ قبل الميلاد . و لم تزل دولة الهون الكبرى في ذروة عظمتها ، وقامت بحروب مضادة أيضا على الصين وتغلبت عليها وطردت جميع فلول الصينيين العسكريين والإداريين من تركستان بقسميها ، وأيضا استردت منطقة (كانسو) من الصين . وذلك في عام ٢٥ قبل الميلاد ، وبالرغم أن دولة الهون الجنوبية كانت في مهادنة مع الصين لكنها لم تخضع قط لنفوذ الصين .

وهنا حصلت انقسامات بالفعل في دولة الهون الكبرى بسبب القحط والجفاف في منازل الهون في منطقة قراقوروم ومنغوليا ، غير أن هذا

الانقسام لم يعط فرصة للصين لاستعادة أقاليم الغرب ، لأن تنغريقوت لم تزل قوية جبارة ومتفوقة على الصين في الرجال والعتاد الحربي .

وتقول المصادر الصينية إن دولة الهون الجنوبية كانت خاضعة للصين في هذه الفترة ، وهذه المقولة غير ثابتة تاريخيا وأكاديميا ، ولعل تلك المصادر تذكر استيلاء الصين على منطقتنا في عام ٣٠ قبل الميلاد والفترة وجيزة جدا ولا يذكره التاريخ .

ومن حسن حظ الصين تنامي العداء بين دولتي الهون الشمالية والجنوبية وسبب ذلك حقد وحسد الجنوب على الشمال لتنامي ازدهارها وقوتها الهائلة وتحالف الجنوب مع الصين تساندهم قبائل ووهوآن وسيانب ، ووجد الشمال نفسها أمام ثلاثة أعداء متحالفة ضدها ، وخاضت غمار حروب طاحنة مع الصين وحلفائها منذ عام ٧٠م ودامت تلك الحروب الطاحنة ٢٣ عاما ، ففي عام ٩٣م تغلبت الصين وحلفائها على دولة الهون الشمالية الكبرى في معركة فاصلة وداست بأقدامها منطقة قراقوروم المركز الرئيسي لدولة الهون ، وانسحب الهونيون إلى منغوليا الخارجية ، وطاردت الصين الهونيين ووقعت معارك دامية في منحدرات جبال (تانو) أولا فلم يستقر الهونيون في منغوليا ، وانتقلوا إلى جبال أورال شمالا . ومنها انتشروا في أوربا وأسسوا في ثلاثة أرباع أوربا دولة الهون الأوربية ، ومن أشهر ملوكهم : آتيلا فيما بين عامي ٤٣٤م ــ ٥٥٣م كما أسلفنا . وأما الباقون من شعوب دولة الهون الشمالية فخضعوا لووهوآن وسيانب وهاجر بعضهم إلى دولة الهون الجنوبية ، وكانت الجيوش الصينية في ذلك الوقت بقيادة (جو هيان) في عهد (منكتي) من سلالة خان.

ولم يبق أمام الصين إلا دولة الهون الجنوبية المتحالفة شكلا مع الصين إلا أنها كانت تدفع إتاوات سنوية ولم يحصل استيلاء صيني عليها ، ودامت هذه الحماية إلى أكثر من ٢٣٠ عاما .

وفيما بين عام ٣٠٤- ٣٠٨م شنت دولة الهون الجنوبية هجوما كاسحا على دولة الصين في عهد (خو واي) إمبراطور الصين من سلالة خان أيضا، وانتصرت عليها وأسرت خوواي وأعلن تنغرقوت الهون نفسه إمبراطورا على الصين كلها ، وذلك في عام ٣٥٨م ونقل عاصمته إلى مدينة لين فان (ينكيان) الآن. وكان هناك حتى عام ٣٥٢م. وهذه الدولة هي دولة (ليو) في المصادر التاريخية ، وفي عام ٣٥٢م قامت وحدة سياسية قاهرة من قبائل (توبا) الترك وهي قبائل جبارة باكتساح دولة ليو هذه فانقرضت بذلك دولة الهون الأسيوية عن الوجود تماما ، والتي عاشت مدة ألفي عام .

ونتحدث الآن عن الصين في تركستان الشرقية قبل التاريخ علم ١٠٨- ٨٦ وكان ذلك في عهد (ووتي) من سلالة خان ما يقارب ٢٣ عاما كما أسلفنا . وفي عام ٦٠ قبل الميلاد شنت الصين هجوما شرسا تحت قيادة (جانغ كي) كما أسلفنا على تركستان الشرقية ، وفي عام ٥٩ قبل الميلاد استولى جانغ كي على دولتي (لولان) و (توجو) ثم على كنكيت (قراشهر) ثم على كل من كوجار وكاشغر وياركند وختن ، وتوالت انتماءات لجانكي من ٣٦ دولة وحكومة في تركستان كلها ، وكافأ إمبراطور الصين قائده جانغ كي بالولاية لهذه الأقاليم كلها . وبنا جانغ كي لنفسه عاصمة بالقرب من بحيرة لوب في الشرق وسماها (وولي) . وتقول

المصادر التاريخية : إن استيلاء الصين هذا دام ٤٩ عاما من عام ٥٩ قبل الميلاد - إلى عام ١٠ قبل التاريخ ، ولكننا لا نعلم عن أوضاع البلاد اجتماعيا وسياسيا في هذه الفترة ، حيث استقلت البلاد من ربقة الصين بمساعدة تنغرقوت الهون الغير متناهية ، ثم اجتمعت بعض هذه الدول في تركستان إلى دولة الهون الكبرى وبعضها أبرمت معاهدة التعاون بينها وبين دولة الهون وعاشت مستقلة حرة ومنها ختن وكاشغر وياركند وأوج وآقسو وكوجار حتى عام ٧٣ م .

وفي عام ٧٣م وفي عهد (منكتي) من سلالة خان أيضا جاءت قوة كبيرة بقيادة (بانجا أو). وداهمت بعض الدول المحلية الموجودة ذلك الوقت في تركستان الشرقية ، بعد مصادمات وقعت في منطقة بينها وبين جيوش دولة الهون وحلفائها من حكومات ودول تاركستان الشرقية وانهزمت الأخيرة ووقعت كل من خانية باركول وقمول في قبضة الصين عام ٧٤م ، ثم سقطت دولة قوجو (طورفان) في عام ٧٥م، ثم سقطت دولة (لولان). وكان هناك رجال أواريون وعسكريون من قبل دولة الهون وقد أبيدوا عن آخرهم . ثم استسلم ملك لولان ووقع بينه وبين الصين صلح وانتماء . ثم داهم (بانجا أو) خانية جرجن وأخضعها لإدارة الصين ، ثم تقدم إلى دولة ختن وتغلب عليها وقتل سفير الهون المقيم في دولة ختن حيث قبل ملكها (كون توغدي خان) كل شروط الصين وحافظ على سلامة دولته بانتمائها إلى الصين. ثم زحف (بانجا أو) إلى دولة كاشغر وأوج (آقسو) وأخضعها لدولة الصين ، ثم زحف إلى كوشار ، وكان بين (بانجا أو) القائد الصيني و (كون توغدي خان) ملك دولة ختن حلف وصداقة

وتضامن ، فتصدى ملك كوشار (كون خان) على هـــذه التجاوزات الظالمة وبمساعدة تنغرقوت الهون . استخلص كلا من دولتي كاشـــغر وأوج (آقسو) من قبضة (بانجا أو) و (كون توغدي خان) ، ولكن الصينيين اعتصموا في (أوج) ولم يستطع (كون خان) من فتحـــها ، ثم جـاءت امدادات كثيرة من داخل الصين لبانجا أو ، واســتعاد كاشــغر ، غـير أن (كون خان) ملك كوشار تحالف مع ملك قراشهر وأوج وجمع قوة هائلـة في زمانه وهاجم كاشغر وأنقذها وطرد الصينيين من جميع مناطق الجنـوب الغربي من تركستان الشرقية ، وبعد أن استعاد (كون توغدي) بعض قوتـه انقلب على (بانجا أو) فاستدعى إمبراطور الصين (منكتي) قائده (بانجـا أو) بجنوده إلى الداخل وانسحب من تركستان الشرقية وذلك عـام ٨٠م ولم تهدأ تركستان الشرقية ساكنة ولم تسلم من هيمنة الصين حتى بعد هـذا التاريخ ، الأمر الذي حدا بملك باختر (بلخ) وشمال الهند (دايمـا كـاد فايسيز) لمساعدة بني عمومته فهب مسرعا لنجدتهم بسبعين ألف جنـدي ، ولكن طول المسافة والممرات الجبلية الوعرة من جبال بامير قطعت حيلـهم وأنقصت من قواهم القتالية حيث مات أكثرهم وبدون معركة حربية مـع الصين وتشتت ، الأمر الذي زاد من حفيظة الصــين الطامعـة فكررت هجماتها واستولت على مدن بل على دول منها دون أخرى حـتى أنها لم تتمكن من الاستيلاء على كنكيت (قراشهر) في خـلال ٣٠ عـام مـن الهجمات العسكرية الشرسة ، وقد منح (بانجا أو) منصب الحاكم العـام وعاصمته مدينة كوجار وكان بها حتى ١٠٢م . وفي عام ١٠٣م عاد (بانجـا أو) إلى الصين وخلفه ابنه في منصبه ، فتحللت الدول والحكومات المنقـاد

إليه واحدة تلو الأخرى . وكانت هناك أكثر من عشر دول وحكومات محلية منها كاشغر وأوج (آقسو) ولولان وقوجو وطرفان التي بقيت خاضعة لبانيون ابن (بانجا أو) ،وكانت الصين حريصة على المحافظة على سلامة قوافلها التجارية عبر (طريق الحرير) منها إلى الغرب وبالعكس ، وخلال ثلاثين سنة من عام ٧٣م حتى ٣٨م لم تكتسب الصين إلا المحافظة على سلامة تجارتها مع الغرب عبر هذه السلسلة من تجاوزات لم تبلغ إلى الصميم حكما واستيلاء ، حيث إن تلك الحكومات المحلية بقيت قائمة ولو أنها خضعت بعض الشيء لبعض الوقت لبانجا أو . ومع ذلك تورد المصادر الصينية هذه الوقائع التاريخية بصفة أنها استيلاء دام ثلاثين عاما .

غير أن المؤرخين والباحثين المنصفين من الصينين والأجانب يعتبرون هذه الفترة بفترة التجاوزات وادوار مرت بها العسكريون الصينيون على غير حدود سياسية ثابتة ، لأن الغرض والقصد لم يكن إلا على سلامة تجارة الصين مع الغرب لأنها (أي تلك التجارة) على درجة عالية رائجة رابحة في عالم المال والاقتصاد في ذلك الوقت .

وتقول المصادر التاريخية لأفغانستان : إن انهزام جيش (وايهاكادفايسز) في منطقة تركستان الشرقية تسبب في دفع إتاوات من قبل ملوك قبائل (أولوغ ياوجيلار) للصين إلى عام ١٣٠م حيث أنهى هذا الوضع (كاينشكاي) وبسط نفوذه إلى كامل تراب تركستان الشرقية وطرد الصينين منها . ولكن المصادر الصينية لم تذكر ذلك ، ونري في بعض المصادر ذكر زحف كبير من العسكريين الصينين إلى آسيا الوسطي في هذه الحقبة من الزمن شمل من صغد وسهل فرغانة ، ولعل ذلك واقعة تاريخية

زالت في حينها . والخلاصة أن تلك الفترة تشكل في تركستان سوق جيش ونكنة عسكرية ليس الا .

ومنذ ١٥٠م تأسست في تركستان الشرقية دولة موحدة باسم دولة (قوشخانيلار) دامت سبعين عام . وأن هذه الدولة ارتقت إلى ذروة الازدهار والتقدم وبدأت بطفرة مدنية ودينية وعقائدية . وكانت نواة هذه الدولة قبائل (أولوغ ياوجيلار) ومصدرها الرئيسي مدينة بلخ وما جاورها من البلدان ثم منطقة بدخشان حول جبال بامير الغرب وبنورها الحركة القومية من قبل كل من (دايما كاد بايسيز) و (كانشكاي) وهما أبطال هذه الاقوام الترك ذات حمية عرقية . وتقول بعض المصادر التاريخية : إن هذين الشخصين من أبطال ياوجيلار اسديا لأمتهما خدمة جليلة وقطعا دابر الطمع والهيمنة للصين في عهد سلالة خان ، وأنهما خلصا بني جلدتهم من ظلم واستيلاء الصين ولأمد بعيد وعاشت دولة (قوشخانيلار) حتى عام ٢٢٠م .

ثم انفرطت عقد هذه الدول المهيبة في ٢٢٠م وتكونت دول وحكومات محلية مستقلة لنفسها ، ومن ملوكهم (وادسوديوا) حارب الأخير مع الدولة الساسانية الفرس ولعدة مرات . وعاشت تركستان في عهد ملوك الطوائف من ٢٢٠ م حتى ٣٦٠ م ولمدة مائة وأربعين عاما .

بينما ازدهرت دولة الصين من سلالة خان في تلك الفترة حيث أن أقاليم المغول وجبال آلتاي مع القاطنين بها وملوكهم كانوا خاضعين للصين بشكل إتاوات يدفعونها إلى الصين سنويا ، وربما كانت هناك كوادر صينية.

وبالرغم ذلك كان سهل فرغانة مارا بمنطقة إسسيق كول دولة مستقلة تركية ذات سيادة ، وبدأ من وادي إيلي وتارباغاتاي (حوجك الآن) وحكومات محلية في جبال وسهول آلتاي شمالا يدفعون إتاوات للصينيين ويتبعون إداريا لدولة سيانب التركية القائمة في الغرب من منغوليا الخارجية.

وفي عام ٢٢٠م انتهت دولة الصين برئاسة سلالة خان نهاية تامة بعد أن عاشت وترعرعت قرابة أربعة قرون وزيادة نصفها قبل التاريخ ، وانقسمت الصين إلى دولتين صينية وتركية حيث تأسست وعاشت تلك الدول والحكومات المحلية في الصين وتركستان الشرقية مائة وأربعين عاما متزامنة الوجود والبقاء.

ومنذ ٣٦٠ م احتوت دولة سيانب المزدهرة جارالها في تركستان واتحدت معها وعاشت متحدة ولمدة ثلاثين عاما حيث استقلت حكومات محلية متعددة في تركستان الشرقية في عام ٣٩٠م . ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نوضح ان دولة الترك في الصين التي تأسست بعد انقراض سلالة خان من ٢٢٠م هي دولة (توبا تركلاري) التي قلنا عنها أنها تأسست وعاشت متزامنة مع الحكومات المحلية المتعددة في تركستان الشرقية فيما بين عامي ٢٢٠م و ٣٦٠م.

وفي ٣٨٣م أراد تنغرقوت السيانب (ملكهم) اسمه فوخان أن يقضى على دولة الصين في الجنوب من البر الصيني ، ولكنه لقى هزيمة منكرة حتى أنه حرم من مناطق الصين الشمالية التي كانت في حوزته وطرد إلى جبال آلتاي . وهنا لقى عنتا كبيرا من نبلاء وملوك التركستانين حيث طردوه إلى مرتفعات سيبريا وذلك عام ٣٩٠م.

واستغل هذه الحركات العكسية صيني مخضرم (لوخان) وقد تبين أنه تولى منصب الحاكم العام في تركستان قبل حركة وبروز سيانب وأسس في منطقة كوكو دولة صغيرة دامت أربعة عشر عاما . ويسموها الصينيون بدولة (هو ليانك) فكانت نهاية دولة توبا التركية في ٤٤٨م وأخلدت تركستان إلى عهد ملوك الطوائف.

ومنذ ٣١٠ م تأسست في تتاريا منطقة جبال (أورال) حكومة صغيرة ونمت رويدا رويدا حتى نهاية سيانب في ٣٩٠م ، ثم ترعرعت وازدهرت وبسطت نفوذها إلى الشرق واستولت على منطقة قراقوروم ثم وادي ايلي فآلتاي ، ومنح أحد ملكوهم لنفسه لقب تنغرقوت وفي عام ٤٠٢م تولى رئاستها (تولون قاغان) وكان تولون قاغان يحارب دولة توبا التركية في شمال الصين وأخضع لسلطانه مشارف كوريا الشمالية . وفي عام ٤٤٠م اكتسح تولون قاغان كل مناطق آسيا الوسطي وبحر خزر ونهر أورال شمالا. ولتولون قاغان فتوحات عظيمة فيما بين عامي ٤٦٠م ٤٧٠م حيث عاشت تركستان الشرقية عهد دولة (يفتل) التركية فيما بين عامي ٤٧٠م و عام ٥٠٠م .

ومن عام ٥٠٠م حتى عام ٥٥٥م عاشت تركستان الشرقية في عهد دولة (جوجان) التركية حيث دخلت تركستان الشرقية في اتحاد دولة (كوك توركلار) منذ ٥٥٥م حتى ٦٣٢م . وبرغم بروز دولة (كوك توركلار) ومن ملوكهم (موقا قاغان) عاشت منطقة تركستان في ذاتية الحكم وتحت إدارة محلية . ونظم (موقا قاغان) علاقات متميزة مع كل من إمبراطورية الصين والفرس في عهد (نوشيروان) وبدولة (يفتل)

التركية المجاورة . ولكن الصين خانت على عهدها مع (موقا قاغان) عام ٥٨٣م . وتغلب عليها الثوار المحليون في عهد (تاردو قاغان) عام ٦٠٣م . وقد نجمت قبل ذلك انقسامات في دولة (كوك تركلار) وتفرقت إلى دولتين الشرق والغرب باسم كور توركلار وذلك بدسيسة صينية . وكان (تاردو قاغان) ملكا لدولة كوك تركلار الغرب التجا بعد هزيمته عام ٦٠٣م إلى التبت . ولكن دولته عاشت وذاقت أمرين في غيابه فترة من الزمن حتى قيض الله لها الأمير (شيخوي قاغان) في عهده وعاشت سالمة حتى ٦٣٣م .

وبدأت مناوشات دموية بين دولة كوك ترك الشرق مع الصين في الوقت الذي أنارت غرب آسيا الوسطي نبوة سيد البشر محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم عام ٦١١م . وفي يوم ٢٠ من شهر سبتمبر ٦٢٢م هاجر رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وكان يقال لها يثرب ، في الوقت الذي كانت دولتا كوك ترك مشغولتان بالأمن الداخلي وقمع ثورات قامت وتقوم من جراء دسيسة صينية بتحريض العشائر وزعماء القبائل التركية ضد دولتهم . وكان ذلك في عهد إمبراطور الصين (يانغ تشي) . ففي عام ٦١٥م قام الأخير بهجوم كاسح على ولاية شنشي التي كانت تحت سلطة كوك تركلار ، ولكن دولة كوك ترك قامت بهجوم مضاد وقاطع على قيادة (يانغ تشي) ، وكان جيش الصين بقيادة (هو) . وانهزم الإمبراطور شر هزيمة وهرب من ميدان المعركة ببعض رجاله واحتمى بقلعة صغيرة وحاصرها الأتراك . واستطاع (يانغ تشي) أن يفك الحصار من نفسه وهرب إلى مدينة (يانجو) وخلص نفسه . وبهذه

الهزيمة استولت دولة كوك ترك الشرق على الأقاليم الشمالية للصين حتى النهر الأزرق . ونصب قاغان الترك المدعو (لي يوان) والي مدينة شنشي حاكما عاما لجميع مناطق الصين الشمالية التي وقعت تحت يده بلقب إمبراطور شمال الصين. و لم يكن (لي يوان) هذا إلا مؤسس سلالة (تلنغ) التي تزامنت وجودها فيما بين البعثة النبوية لنبي أمة الإسلام محمد بن عبدالله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم وبين هجرته إلى المدينة في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي .وكان لي يوان يدفع إتاوات باهظة لدولة كوك ترك الشرق ، وسعى لي يوان سعيا حثيثا لإنهاء أو القضاء على دولة الصين الجنوبية ونجح في مسعاه ، ثم أعلن نفسه إمبراطورا عاما لكل الصين ولقب عهده بعهد (تانغ) أي سلالة (تانغ) .

وفي عام ٦٢٠م أعلن لي يوان الحرب على دولة كوك تورك ولكنه لقي هزيمة من قبلهم ، وخضع بمعاودة تسليم الإتاوات المفروضة عليه من قبل كما كانت . وسلالة تانغ هذه السلالة التاسعة من أربعة عشر سلالة مشهورة برزت في صفحات التاريخ وعاشت وقائعها التاريخية على مدى ثلاثة آلاف عام من تاريخ الصين ، وقد عاشت ألوف من السلالات حكمت أجزاء من الصين ، ولذا قلما تجد مدينة أو بلدة في الصين لم تحظ بكونها عاصمة لحكومة ما عبر التاريخ. وآخر هذه السلالات سلالة (جينغ) وأطولها عمرا بعد سلالة خان . انتهت الأخيرة بإعلان الجمهورية من قبل الدكتور صن يات صن عام ١٩١١م

ونعود إلى (لي يوان) أنه توفي عام ٦٢٦م وخلفه ابنه أو من سلالته (هيلي قاغان) الذي بذل قصارى جهده في تقوية جيشه المظفر وأنشأ

منشئات اقتصادية هامة ورفع الإنتاج المحلي واقتصاد البلاد إلى الذروة والكمال أو قريبا منه . أعلن إمبراطور الصين الجديد (تاي لتسونغ) استقلاله ورفض دفع الإتاوات للترك ، الأمر الذي حدا بهيلى قاغان بشن هجوم على الصين وداهمت جيوشه الصين وضربها في العمق ، وكان الجيش بقيادته هو شخصيا ، واحتمى (تاي لسونغ) في مدينة (جانغ أن) ، وساءت حالته في الحصار فقبل إتاوات مضاعفة وأن يخضع دائما لسيادة هيلي قاغان ، وتم بذلك معاهدة الصلح بين الطرفين في عام ٦٢٧م .

فتركت حكومة الصين أمر المحاربة مع دولة كوك تركلار ، وعمدت إلى خططها الخبيثة الماكرة خطة الدسيسة والإيقاع لتحريض الثورات تقام هنا أو هناك في داخل دولة الترك ، حتى وصل الأمر إلى إيقاع فتن وثورات في أمراء الأسرة المالكة في دولة الترك ، وكانت هناك قبيلة تصعب قيادتها وهي قبيلة (تولا) ورجالها مشاكسون ومحاربون فقامت ثورة بقيادة رجال هذه القبيلة ضد دولة الترك ،وكانت هناك في اتحاد دولة الترك خانيات ذات حكم ذاتي ، فعمد هيلي قاغان إلى (تولى خان) أمر قمع هذه الثورة وانهزم الأخير ، فاتهمه هيلى قاغان بالخيانة والتواطؤ مع الثوار وجعله تحت مسائلة وجزاء صارم ، فاغتنمت الصين هذه الفرصة فحرضت (تولي خان) بالعصيان على هيلي قاغان وتم لها ما أرادت ، وبعد عدة معارك دامية تغلب الثوار و (تولي خان) والصين معا على هيلي قاغان واستولوا على منطقة قاراقوروم عاصمة ومهد الأتراك وعرين ملوكهم وداسوها بأقدامهم النجسة. وانتهت بذلك دولة كوك ترك الشرق بدسيسة صينية ماكرة وذلك

في عام ٩هـ الموافق عام ٦٣٠م ، ولعل قبائل تولو وتولى خان ظفروا بالملك ، وبالعكس أصبحوا عبيدا وأجراء للصين .

وبعد ثلاثة أعوام من نهاية دولة كوك ترك الشرق حسبما ذكرنا آنفا وفي عام ١٢هـ الموافق ٦٣٣م توفي (كون خان) ملك دولة كوك ترك الغرب وكان منازلها كلا من سهل فرغانة وتالاس ووادي إيلي ومنخفض جونغاريا وجبال آلتاي حتى مدينة باركول في الشرق تتوسطها في الطول الأفقي بحيرة إسسق كول ، وبعد وفاة (كون خان) وقعت مصادمات دموية بين أبنائه في السيادة ، فانقسمت الدولة إلى قسمين شرقي وغربي ، وللأولى الغرب من منطقة إسسيق كول (بالقرب من فرونزة الآن) وعاصمتها مدينة تالاس في الشمال من سهل فرغانة ، وللثانية الأقاليم من بحيرة إسسق كول ومنها وادي إيلي ومنخفض جونغاريا الشمال من جبال تيانشان (جبال خان تنغري) حتى السهول الجنوبي من جبال آلتاي تحدها مدينة باركول في الشرق وقمول معها ،وأعلن الأميرين وكل على حدة أنهما (قاغان) في أقاليمهما ، ودامت حالتهم أو استقلالهم أو انفصالهم هذا سبع سنوات ، ومنذ عام ١٩هـ الموافق ٦٤٠م لعب إمبراطور الصين (تاي لسونغ) لعبته القذرة بالدسيسة والإيقاع ودفع مبالغ طائلة لرؤساء العشائر ومشايخ القبائل التركية في دولتي الترك الفتيتين ، وعندما شعر بضعفها زحفت جيوشه إلى تركستان الشرقية التي سقطت فيها دولة كوك تورك الشرق كدولة ، ولكن الكيان كانت باقية ذو تبعية من غير سيادة ، ولعل جيوش الصين متمركزة في منطقة قمول أو قريبا منها ، وكان أقوى هذا الكيان حكومة قوجو (طرفان) حيث قاومت هجمات الصين مقاومة

باسلة ولمدة ثلاث سنوات ثم سقطت ، ثم قاومها حكومة (كنكيت) قراشهر ولمدة أربع سنوات ثم سقطت هي الأخرى ، ثم جاءت نوبة خانية كوشار فقاومت أربع سنوات ودافعت دفاع الأبطال ثم سقطت في يد الصينيين الغزاة في عام ٦٤٨م .

ومنذ عام ٦٣٥م الموافق عام ١٤هـ اتجهت دولة الفرس الساسانية إلى الزوال بعد معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص بينه وبين رستم ، وانتصر المسلمون وقتل رستم في هذه المعركة ، وكانت حالة الفرس أنكى وأمر في نهاوند عام ٦٤٤م الموافق عام ٢٣هـ في عهد يزدجرد ، الذي هرب إلى دولة كوك تورك الغرب في عاصمتها تالاس ، وطلب مساعدته من قاغان الترك ، ولبي قاغان الترك طلب يزدجرد ومونه بجنود كافية ليسترد بعض الأقاليم من الشرق حتى مشارف مرو .

ولكنه لقي جيش الإسلام قد فتحوا الغرب بقيادة أحنف بن قيس وكادت المعركة أن تدور رحاها لولا بلاغ وصل لجيش الترك بالرجوع إلى تالاس ، لأن الصينيين داهموا منطقة (كنكيت) في تركستان الشرقية ، وقيل وقعت حرب بين جيش الترك وأحنف بن قيس ، ولكن المؤكد وبإلهام من الله ونصر منه للفاتحين العرب عاد جيش الترك إلى الشرق ، وكأنهم مهدوا الطريق للفاتحين ومن غير قصد، وهكذا يذكر كتب التاريخ المعتمدة.

وكانت الأوضاع متردية في دولة كوك تورك الغرب وفي عاصمتها تالاس حتى عام ٢٨هـ الموافق ٦٤٩م ، ولكن الله قيض لها (قولا خان) وكانت هذه الشخصية الفذة بركة وحكمة ، استردت الأتراك في تالاس والشرق وجونغار سيادتهم الكاملة وعادت ملوك الطوائف مستقلة كما

كانت وكونوا وحدة متكاملة وطردوا الصينيين من قوجو (طرفان) وكنكيت (قراشهر) وكوشار . وفي عام ٦٥٠م تكاملت أجزاء تركستان متضامنة متكاتفة في وحدة لا تنفصم عراها ، وتكاملت أيضا قوتها العسكرية الأمر الذى أقض مضجع الصين وأخافها .

فأرادت الصين عام ٦٥٤م الموافق ٣٥هـ تفتيت شمل هذه الأمة وإضعاف قوتها العسكرية إن لم يتيسر لها القضاء عليها ، ولو اقتضى الأمر تطويل أمد الحرب بينها وبين الترك بقصد إتلاف ما نبت من قوة مهيبة ، وذلك في عهد (دوخو) إمراطور الصين من سلالة (تانغ) ، وداهمت قوات صينية مناطق آلتاي قادمة من منغوليا الخارجية ، وقد أحسن الدكتور باي مرزا هيت في إبراز هذه التجاوزات الصينية في كتابه (تركستان بين روسيا والصين) وأخرج خريطة توضيحية لمسار جيوش الصين . وبعد مصادمات متكررة مع قبائل قارلوق التركية انتصرت الصين عليهم ، ثم أقدمت على تارباغاتاي (جوجك الآن) وانتصرت على الجيش التركي المرابط هناك في عاصمتها (إيمل) ، ثم يممت نحو الشرق إلى منطقة كنكيت (قراشهر) وتغلبت على مقاومتها الباسلة ، وأدهى وأمر من ذلك وقع (تولا قاغان) أسيرا في يد الصينيين وأرسلوه إلى عاصمتهم (جانغ آن). وبالرغم من ذلك لم تتمكن جيوش الصين الاستيلاء على مناطق تركستان الشرقية في ذلك الوقت فعمدت إلى إيقاع فتن ومؤامرات سياسية في صفوف النبلاء والأشراف والأعيان ومراكز القيادة المحلية في عمق تركستان الشرقية . وفي عام ٦٥٩م تغلبت جيوش الصين كل الصعوبات التى وقفت حجر عثرة في تقدمها نحو الغرب من تركستان الشرقية حتى تيسرت لها

السيطرة الكاملة وسقطت دولة كوك ترك التي عاشت ١٠٧ سنوات في أرضنا الطاهرة المطاعة. دام هذا الاستيلاء الجائر ثلاثة وعشرين عاما. وفي عام ٦٨٢ م استعاد الأتراك سيادتهم التامة وكونوا دولة قوية تحت عنوان (قوتلوق دولتي) أي الدولة المباركة أو دولة سنية بفتح السين وتشديد الياء.

وبسقوط التركستان الشرقية في براثين الصين عام ٦٥٩م أصاب جميع حكومات ودول آسيا الوسطى الأتراك ذعر ونكد ، حيث إنها وقعت تحت تهديد هيمنة الصين . وقد عينت الصين أحد النبلاء المأجورين في رياسة تركستان الشرقية حاكما عاما غير متصرف . ومن هذه الدول والحكومات التي تقع تحت تهديد الصين منطقة صغديان منها بخارى وسمرقند وختلان منها قراتكين وكولاب ، وتخارستان وقطغن وبدخشان ، وحافظوا على ممتلكاتهم بدفع إتاوات باهضة سنويا للصين مع قبول حمايتها السياسية والعسكرية . ثم ازداد غطرسة الصين وعبرت من أرض بدخشان إلى مناطق في الهند الشمالية الغربية في الجنوب من أفغان منها (بلورستان) منها (جزال) و (نورستان) ووصلت إلى مشارف مدينة (بيشاور) . ولكن هذا الزحف لم يجد نفعا وانسحبوا أو اضطروا للانسحاب بعد مدة وجيزة . وتتشدق المصادر الصينية بأنها استولت على المنطقة الشمالية الغربية من الهند حتى مشارف مدينة (بيشاور).

واقعة معترضة . وهي أن أقوام البوذيين في التبت بدأت تقوى وتزدهر بالتكتل الديني المعتدى منذ أوائل القرن السابع من الميلاد وتوغلوا إلى الشمال من جبال (كيونلون) حتى وصلوا إلى ولاية كاشغر عام ٥٠ هـ الموافق عام ٦٧٠م وتغلوا على الصينيين وطردوهم من جنوب غرب البلاد .

وبدؤوا بترسيخ أقدامهم في مدينة (جرجن) الشرق من ولاية ختن . ثم تسربوا وانتشروا في ولايتي باركند وكاشغر . ودام استيلاء أهل تبت في هذا الجزء من التركستان الشرقية (ختن وباركند وكاشغر) اثنين وعشرين عاما حيث تغلبت عليهم الصينييون واستعادوها منهم أى من أهل التبت عام ٧٣هـ الموافق عام ٦٩٢م .

ولكن تركستان استعادت سيادتها منذ عام ٦٠هـ الموافق عام ٦٨٠م بتكوين دولة قوتلوق في الشرق . ومنذ عام ٧١ هـ الموافق عام ٦٩٠ م بدولة تركش في الغرب . عاشت الأولى خمسة وستين عاما فيما بين عام ٦٨٠م - ٧٤٤م وعاشت الثانية اثنين وخمسين عاما فيما بين عام ٦٩٠ م ـ وعام ٧٣٩م .

ونحن إذ نذكر دولتي (قوتلوق) أو (قوتلوغ) و (تركش) لابد أن نشير إلى المعالم الأثرية التاريخية العائده لأتراك الشرق والمغول منهم من جذور هونية في وادى (أورخون) التي نضبت في القرن الثامن الميلادي واكتشفت في القرن الثامن عشر ، وقرئت محتوياتها في القرن التاسع عشر على ترجمة المستشرقين الروسي (أودلوب) والمجرى (طومسون). وهذه النقوش تتكلم عن وضع الأتراك المغول هوني الأصل فيما بين عام ٦٣٠م ـ وعام ٦٨٠م .[1]

---

[1] ـ انظر :تاريخ آسيا الوسطى ، محاضرات بارتولد المؤرخ الروسي، المحاضرة الأولى في جامعة إسطانبول عام ١٩٢٦م مترجمة إلى اللغة العربية في القاهرة .

كان مؤسس (دولة قوتلوق) بالشرق (إيلتريش بك بن إيتميش بلك).
كان والده حاكما لبعض الأقاليم التركية الواقعة تحت السيادة الصينية قام
بثورة مفاجأة في مدينة (أوتوكن) باثنتا عشر رجلا من خلصائه وهجم
على بعض التجمعات الصينية ونجح منها ، وفي المساء التف إليه سبعون
فارسا ، وبعد أيام قليلة كان (إيلتريش) قاعدا عاما لسبعمائة فارس .
واشتهر بـ (أيدات شاه) كانت بدايته عام ٦٨٠م . وفي عام ٦٨٢م طهر
جميع أقاليم المغول من الصينيين . وفي عام ٦٩١م توفي إيلتريش (أيدات
شاه) وخلفه أخوه (قاقاغان خان) . بينما تذكر المصادر الصينية دولة
إيلتريش خان (أيدات شاه) بـ (قوتلوق دولتي) تذكر أخاه محرفا اسمه
(موجو خان).

ونحن الآن في دولة (تركش) بضم التاء وسكون الراء وفتح الكاف ثم
السكون بالشين، توردها المصادر الصينية (توكى شه). وكلمة (تركش)
أصلا اسم لقبيلة باسلة من قبائل الترك في آسيا . على شكل جركس على
وزنها . لأن الجيم في جركس بالفتحة وجركس هم القفقازيون .

وقبيلة تركش هي التي بذرت نواة دولة كوك تورك بضمها عشرة من
القبائل التركية المماثلة المتجاورة في آسيا الوسطى ، وكثيرا ما تغلبت عليهم
الصينيون ولكنهم كانوا يلفظون الصين لفظا ويرفضونهم رفضا قاطعا .ومن
حق هذه القبيلة أن يسمى هذه الدولة الفتية باسمها ، وبأشهر شجعانها
وملوكها (أوج آله) ، وليس (أوج آله) بمعنى التثليث ،وكان الأتراك
يقولون للشعب (أل) وحتى الآن ،وللملوكهم (آله) ، وكذلك (أوج)
ليس بمعنى ثلاثة ،وإنما هي (أوج) بمعنى القهر أو الانتقام . وبالخلاصة هذه

الكلمة تعني : الملك القاهر ، وتكتب بـ (بغاترخان) ، وكانت عاصمته مدينة (توقماق) بالقرب من ألما آتا الآن . وقد سعى (أباترخان) بالاتفاق مع العرب الفاتحين وأهل التبت الذين هم قابضون على زمام الأمور في كاشغر وباركند ونحن في ذلك الوقت أن يعملوا يدا واحدة لتطهير البلاد من الصينيين ، ولكن الصين كانت على قوة قادرة ، وبعد هجمات من تلكم الأمم كادت أن تحتفظ بمكتسباتها و لم تتعرض إلى خلوج عنوانها الإقليمي .

وفي عام ٧٩هـ الموافق عام ٦٩٩م أقدم (قابا قاغان خان) بن إلتريش خان بالإغارة على دولة تركش بقصد الوحدة في الطريق إلى العزة والمنعة وأن تكتسب دولته الوحدوية الهيبة والصلابة والاقتدار على غريمها الصين ، فتم له ما أراد ، ثم عين ابنه نائبا عاما عنه في بلاد ما وراء النهر بصفة عامة وصلاحية تامة تحت عنوان (يابغو) ، ومعنى الكلمة ناموس أو الشامل يستعملها الأتراك صفة لرئيس الحكومة (رئيس الوزراء) .

وأطل عام ٧٠٠م الموافق عام ٨١هـ على تركستان وبلاد ما وراء النهر ، وهي تحت ظل حكومة موحدة من (قوتلوق) و (تركش) بقيادة (كول تكين خان) . ومنذ عام ٣٢هـ الموافق ٦٥٣م ودولتا قوتلوق وتركش في حيص بيص مع الفاتحين العرب ، أولا مع الأحنف بن قيس رضي الله عنه ثم مع مهلب بن أبي صفرة رضي الله عنه وأولاده يزيد ومفضل بعد عام ٨٠هـ الموافق ٦٩٩م ، ثم مع قتيبة بن مسلم الباهلي في عام ٨٦هـ الموافق ٧٠٥م . وتشرفت مدينة كاشغر بقتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٦هـ الموافق ٧١٤م ، ومن المؤرخين من ينكر ذلك . وقد

آلت دولة الترك إلى السقوط تحت رئاسة أبناء العم (سرادق خان ابن بغاترخان) و (حانو خان) المتنازعين على يد (قابا قاغان خان) الذي كان متبوعا لهم منذ وحدة الدولة ، وذلك عام ٧١١م الموافق ٩٣هـ .

وفي عام٩٧هـ الموافق ٧١٥م نهضت دولة تركش بأقوى مما كانت عليه من قبل ، وعاشت حتى عام ١٢٢هـ الموافق ٧٣٩م ومن ملوكهم (سولو قاغان) الذي عرف في المصادر التاريخية الإسلامية بخاقان الترك ، وكان له خلفيات ومعاكسات حيال تقدم الدعوة الإسلامية في الفتوحات العربية عبر بسالته القتالية ، ولقي (سولو قاغان) صعوبات جمة في حرب ١٠٣هـ الموافق ٧٢١م ثم انهزم أمام جيوش الفاتحين العرب بقيادة مسلم بن سعيد عام ١٠٦هـ الموافق ٧٢٥م .

وفي عام ١٢١هـ الموافق ٧٣٨م اغتيل (سولو قاغان) في بلاطه بمدينة (توقماق) بالقرب من (بالاساغون) في الجنوب الشرقي من بحيرة إسسق كول على يد أحد أمناء دولته (كول جوبا ترخان) ، ثم أعلن الأخير نفسه قاغانا على دولة تركش الفتية بصفة خاقان الترك ، وله جولات وصولات في المحيط الإقليمي وهيمنة طامعة . وتضعف إدارته المخلخلة ثم فقد ترخان بعض أجزاء دولته ذات إستراتيجية مهمة مثل منطقة تركستان الشرقية عام ١٢٧هـ الموافق عام ٧٤٤م .

انخدع (كول جور) للصين ورضي أن يقبل المساعدة من الصين إذا لزم الأمر أو حسب رغبته ويستمع لآرائها في إدارة شئون بلاده ، وبهذه الوسيلة استطاعت الصين أن تحشد جنودها في منطقة إيمل (جوجك) وآلتاي ، وهي المناطق التي تقطن بها قبيلة (توخسي) التركية العريقة ، ثم

حاولت فرض سيطرتها العسكرية والإدارية على هذه المنطقة الحساسة من وطننا العزيز ، ودافعت قبائل (توخسي) عن منازلهم ببسالة ولمدة ثلاث سنوات ، ولأجل ذلك انتهت صداقة (كول جور) مع الصين وانقلبت إلى عداء سافر ، وكانت دولة تركش تبسط سلطتها من تالاس غربا إلى مدينة قمول مارا بياركول شرقا ، واصطلحوا أن يسموا أنفسهم من حيث منطلق الشرق والغرب بـ (تركش الأصفر) و (تركش الأسود) في الغرب ، وكانت منطقة آلتاي وإيميل تتوسطها وتريد الصين أن تمتد بنفوذه إلى الشرق والغرب ، وفي معركة فاصلة وقعت بين (كول جور) والصين انهزم (كول جور) ووقع أسيرا في يد الجيش الصيني ثم قتل ، وذلك عام ١٢٧هـ الموافق ٧٤٤م .

انتشرت القوات الصينية غربا إلى ضفاف نهر سيحون (سير دريا) في قازاقستان الآن ، ثم واصلت تقدمها حتى مشارف منطقة بحيرة أورال في الشمال الغربي . ووقعت حكومات تركية هنا وهناك في غرب وسط آسيا حتى بحر قزوين تحت هيمنة الصين وقبلت حمايتها سياسيا وعسكريا كما فعلت خانية قوجو (ترفان) وسائر الحكومات في الجنوب الغربي من تركستان الشرقية .

وكانت قيادة جيش الصين في يد قائد صيني كوري الأصل (كاو سين جي) ، وبعد أن تم هذا الاستيلاء المباشر وغير المباشر كافأه إمبراطور الصين بمنصب الحاكم العام الإداري والعسكري لعموم أقاليم آسيا التي وقعت تحت سيطرته وحمايته في ذلك الوقت .

ثم عمد (كاو سين جي) بالولوغ إلى وديان ومنحدرات جبال بامير الغرب والجنوب وأخضع تحت سلطانه أقوام (كانجوت) وهم التبتيون .

ونحن الآن مع (كاو سين جي) في مناطق الشمال من تركستان الشرقية والغربية بدءا من الشرق من مدينة قمول، وباركول ، ومنخفض جونغاريا ، وألتاي ، وإيميل ، وسهل فرغانة شمالا (تالاس) إلى ضفاف بحيرة أورال شمالا ثم إلى بحر قزوين ، وقد انتشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر حتى وصل إلى ولاية كاشغر وباركند وأقسو ، غير أن هذه الأقاليم واقعة تحت هيمنة الصين وفي إدارة (كاو سين جي) ، وترسخت أقدام العقيدة الإسلامية في سمرقند ، وكان طاشكند أبعد منها قليلا إلى الشمال ولها حكومة خاصة قبلت الانقياد إلى الفاتحين العرب ، وبعد دخول أو قبول طاشكند الانتماء إلى العرب الفاتحين أصبحت ثغور الإسلام فيما بعد طاشكند شمالا متاخمة مع أقاليم خضعت لكاوسين جي ، وحصلت اتفاقية عدم الاعتداء وحسن الجوار فيما بين نصر بن سيار والي خراسان وبين كاوسين جي قبل عام ١٢٩هـ الموافق عام ٧٤٦م .

وبعد عام ١٢٩هـ الموافق ٧٤٦م برزت حركة أبي مسلم الخراساني والهزم نصر بن سيار في عام ١٣١هـ الموافق ٧٤٨م ، وأراد (كاو سين جي) الاستفادة من هذه الفتنة أو حركة أبي مسلم الخراساني وتغيير أطقم الحكم الإسلامي فيما وراء النهر ، وشن هجوما على مدينة طاشكند وعرض أهلها للقتل العام وأجرى في طاشكند سلبا ونهبا ، ثم عاد إلى مركزه الرئيسي مدينة (توقماق) ، وهرب ابن حاكم طاشكند إلى خراسان والتجأ إلى أبي مسلم الخراساني ثم طلب منه المساعدة لإعادة ملك

أبيه ، فأجاب أبي مسلم الخراساني طلب الأمير الطاشكندي بكل همة وحماس حيث أرفقه بقائده الملهم زياد بن صالح وتحت يده جمع غفير من جنود الإسلام من سمرقنديين وخراسانيين وعرب ، فاتجه زياد بن.صالح بهذه القوة العظيمة للإغارة على معقل (كاو سين جي) ، والأخير بدوره جمع كثيرا من قبائل (قارلوق) بالإضافة إلى جيش الصين واستعد للقتال في سهل فرغانة شمالا . ووقعت معركة الإسلام والكفر في القرب من مدينة تالاس وقد مضت ثمان سنوات لحكم وظلم واستبداد (كاو سين جي)، وحقا كانت معركة فاصلة بين الحق والباطل وبين الإسلام والكفر وانتصر المسلمون في هذه المعركة المباركة على (كاو سين جي) وأبيد رجاله إبادة تامة . واستطاع (كاو سين جي) الهرب مع خمسة من رجاله إلى داخل الصين ، وذلك عام ١٣٤هـ الموافق عام ٧٥٢م .

ونقول بكل فخر واعتزاز إننا معشر التركستانيين وتركستان بشقيها الشرقي والغربي سدنا بالإسلام، وسدنا بالعقيدة، وعشنا بالشريعة المحمدية وتحررنا بجهاد أبنائها ورجالها الفاتحين أمثال الأحنف بن قيس ، ومهلب ابن أبي صفرة وأبنائه يزيد ومفضل ، ثم قتيبة بن مسلم الباهلي الذي بنى أول مسجد في الإسلام في سمرقند العزيزة . وتشرفت مدينة كاشغر بقتيبة ورجاله دعاة الخير وألوية القرآن ، ولو أن لقتيبة كبوة أو اثنان ، ولكل جواد كبوة لا مناص منها في القوانين والنظم العسكرية في الكر والفر ، والحرب خدعة والقصد نبيل ومشرف ، وقد توج فتوحاتهم ذلك الفارس الشهم وصاحب سيف العدل زياد بن صالح في معركة تالاس الباسلة ، والإسلام ليلهج بالثناء العاطر لزياد وطارق كما كان الثناء والكر لخالد ابن

الوليد ولأمثال خالد كمصعب وخبيب وياسر وأم ياسر وآل ياسر، وأم ياسر أول شهيدة في الإسلام صاحبة أول قطرة دم أريقت في سبيل الإسلام والعقيدة وكانت من المستضعفين في الأرض .

أيها الأخوة الأكارم في تركستان شرقها وغربها ابتليتم في أرضكم وديارکم منذ النصف الثاني من القرن المنصرم، ثم ابتليتم في أموالكم وخيرات بلادكم منذ الربع الأخير من القرن نفسه ، ثم ابتليتم في فلذات أكبادكم وخيرة رجالكم في الربع الأول من قرننا هذا ، ومنذ عام ١٩١٧م ابتليتم في إيمانكم ، في عقيدتكم ، في قرآنكم وسنة نبيكم ، في محاكمكم الشرعية ، في معاهدكم الدينية ، في صميم حضارتكم ، في سيادتكم ، في بخارى وسمرقند وكاشغر وختن الشهيد ، في أنسابكم وأصلابكم ، في أبنائكم وأحفادكم، وذقتم ما ذقتم وقد أفنتكم البلاشفة والشيوعية بالملايين، وها أنتم الآن في العقد الأخير من القرن العشرين في عهد بروسترويكا وعهد الانفتاح النفعي ، فما الذي أقام صلبكم ورفع رؤوسكم ونفض الغبار عن وجوهكم وبعثكم في تكتلكم ؟

أجيبوا على سؤالي هذا ، بكل جراءة وعزم وحزم أقول بالوكالة عنكم وبدون صك التوكيل بصفتي أحد أبنائكم ، أقول : نهضتم بإيمانكم وقمتم بقرآنكم ونطقتم بإيمانكم وطالبتم بشريعتكم وتشرفتم بانتمائكم للإسلام وانتسابكم للمسلمين واتجاهكم بقبلتكم ، ووجدتم آذانا صاغية وقلوبا حانية رقيقة وأفئدة تهوي إليكم وأيادٍ تمتد إليكم لتصافحكم ، أفيقوا واستيقظوا ! وانهضوا وكافحوا وجاهدوا بالتي هي أحسن ، وحقا لا يصلح

آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كتاب الله وسنة نبيه ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

عذرا للقارئ العزيز نرجع به إلى عام ١٣٤هـ الموافق ٧٥٢م عام العزة والسودد، أنعمنا بنعمة الحرية والفلاح والنجاح، ويا للغرابة أنعمنا بنعمة الحرية والفلاح والنجاح ولمدة ألف وست سنوات، وذلك من عام ٧٥٢م إلى عام ١٧٥٨م حيث بدأ ابتلاؤنا بالروس القيصرية والصين من سلالة (جنغ).[١]

تركستان الشرقية والغربية بعد عام ١٧٥٨م

يبتدئ العلامة محمد أمين بغرا هذا الباب بقوله : " إن تركستان الشرقية التي تخلصت منذ سنة ١٣٤هـ من ربقة الاستعمار الصيني (بعد معركة تالاس) وعاشت ألفا وثلاثين سنة آمنة مطمئنة بحريتها الكاملة والسيادة الذاتية بدأ ابتلاؤها بالاستعمار والاستبداد الصيني منذ سنة ١١٧٢هـ الموافق ١٧٥٨م " .

ونحن قلنا : إن تركستان الشرقية عاشت بحريتها ألفا وست سنوات (والفرق هناك فرق عدد أيام السنة الهجرية والسنة الميلادية اثنان وثلاثون عاما) .

---

[١] ـ انظر كتاب شرقي تركستان تاريخي لمحمد أمين بغرا وغيره كثير أمثال : كتاب (التركستان بين الروس والصين) للدكتور باي مرزا هيت وإلى سائر مراجعنا المذكورة في ذيل بحثنا هذا .

ونحن نذكر القارئ الكريم ما قلناه في آخر الباب الأول من كتابنا هذا تحت عنوان (ملوك الطوائف) حيث انقسمت تركستان الشرقية إلى قسمين : الشمال باسم (آق تاغليقلار) والجنوب باسم (قاراتاغليقلار) ، وكان يتحكمها البوذيون في الشمال باسم قالموق ، والجنوب باسم كانجوت ، وكانجوتيون في غالبيتهم أهل التبت المنحدرون منها إلى سائر وديان جبال بامير المتاخمة لمنطقة كشمير غربا ، ومنهم آريون من أصل إيراني بعضهم يدينون بالإسلام على طريقة الشيعة الإسماعيلية ، وبعضهم بوذيون ومنهم النبلاء والأعيان وحكام تلك المقاطعات الجبلية ... وقد جرتنا إليهم زمرة آفاق خوجه (هداية الله إيشان) بعد خيانته لأولياء نعمته أسرة الدولة السعيدية في عاصمتها ياركند . وكانت أهالي منطقة الشمال ذاقوا الأمرين من أقوام قالموق البوذيين وهم مغولي الأصل من الأتراك بقوا على ديانة بوذا حتى الآن . بينما القسم الجنوبي قاراتاغليقلار أقل وطئا في الأهالي ، ولو أنهم يتعرضون للنهب والسلب من قبل عصابات كانجوت في مدنهم وقراهم وفي عقر دارهم بالسطو والقتل .

ولنقمتنا أسباب ثلاثة ربما توجد رابعة وخامسة ، أولها : إن الصين المتربصة بنا بالمرصاد رأت تدخلها في شؤون جونغاريا الإدارية وهي المتاخمة لمنغوليا الخارجية في انقلاباتها (أي الجونغار) الداخلية بدعوى استتباب الأمن على حدودها الشرقية ، هذا ما تظهره الصين ، ولكنها كانت تمهد للاستيلاء على تركستان الشرقية بأي ذريعة وسبب .

وثانيها : زمرة من النفعيين التركستانيين أو المغفلين منهم ، وعدد هذه الزمرة أكثر من عشرة أشخاص . واحد أو اثنان في كل مدينة من مدن

تركستان شمالها وجنوبها فيما بينهم وتباحثوا على حد زعمهم في استخلاص بلدهم من تسلط أقوام قالموق وكانجوت المتحكمين على زمرة الحكام المتوصفة من أحفاد وأتباع (آفاق خوجه) وهداهم تفكيرهم هذا إلى البحث عن جهة أو دولة تساعدهم في نيل مأربهم هذا ، واتفقوا على أن يذهبوا إلى الصين ويطلبون منها المساعدة اللازمة ورحلوا خفية ووصلوا إلى بكين وشرعوا في محاولة لقائهم مع إمبراطور الصين (كي آن لونغ) من سلالة جنغ ، وتم لهم ما أرادوا واستقبلهم إمبراطور الصين واستمع إليهم وإلى مطالبهم ووعدهم بالخير وأجرى لهم رواتب كافية واستمهلهم إلى أن يحين الوقت المناسب وأسكنهم في دور تليق بهم ، وبقي هؤلاء في بكين قرابة أربع سنوات وزيادة ، وكان هناك في الشمال من تركستان الشرقية انقلابات محلية أكثرها أهمية حركة (أمورسنا) وهو من قالموق أيضا معروف لدي الصين أنه مشاغب وثائر مخضرم قام بثورته ضد الحكم المحلي من قالموق أنفسهم . فأرادت الصين أن تسوق جيشا بدعوى النجدة للحكم المحلي ضد الثائر (أمورسنا) إلى تركستان الشرقية في قسمها الشمالي ، وكان الجيش بقيادة القائد الصيني (جاوخو ني) ، فأشار إمبراطور الصين (كي آن لونغ) إلى تلك الزمرة من التركستانيين بمرافقة (جاو خوني) على أن به خلاصهم من خصومهم وفلاحهم في أمرهم ، وعندما قدم (جاوخو ني) بجيشه الكبير إلى شمال البلاد توجهت الزمرة التركستانية إلى مدن الجنوب طرفان وكوشار وآقسو وتوقسون وقاموا بدعايات في صالح الصين بقيادة (جاو خو ني) ، وكان (جاو خو ني)

مزودا بأمر من (كي آن لونغ) مفاده في حالة انتصارنا في منطقة جونغاريا ووادي إيلي نبيد أهاليها إبادة تامة لنبني أمة خاضعة لسلطاننا وإلى الأبد .

وعندما انتصر (جاو خو ني) على (أمورسنا) أجرى في تلك البلاد قتلا عاما لا يبقى ولا يذر ،وتفصل الشمال والجنوب تلك الجبال الشاهقة جبال (خان تنغري)والمرور عليها من الشمال إلى الجنوب والعكس عقبة كأداء وللمرور مواسم خاصة ، وتأثرت من دعايات تلك الزمرة خلق كثير في تلك المدن التي طافوها ، ومن ضمنهم حاكم ولاية كوشار (خوجه سي بك) وقد تولى هذا المنصب بمداهنته وتملقه لنبلاء قالموق المتحكمين في مصير البلاد ، فقام في ليلة بسطوة على مجمعات أعيان قالموق بالأسلحة النارية وقضى عليهم جميعا ، ثم تقدم لاستقبال (جاو خو ني) الأخير في طريقه إلى الجنوب مع جنود الصين ، واستلم (جاو خو ني) مدن كوشار وطرفان باردة مبردة وبدون أدنى مقاومة وذلك في سنة ١١٧٢هـ الموافق ١٧٥٨م .

وعندما توجه (جاو خو ني) إلى ولاية كاشغر قاومته جموع من (آق تاغليقلار) وحكامهم المتصوفون (خواجات) . وكلمة (خوجه) تعني السيد و (التوره) تعني النبيل أو الشريف ، وكانوا يستعملونها كصفة لمشايخ التصوف حتى الآن ، و (إيشان) كلمة فارسية تطلق لمن هم أقل درجة من خواجات ، والخلاصة أن المقاومين غلبوا على أمرهم وداهم (جاو خوني) مدينة كاشغر واستولى عليها عنوة. وهرب برهان خوجه وزملاؤه التسعة إلى بدخشان فأوفد (جاو خو ني) عميله (خوجه سي بك الكوشاري) و (كجك بك الختني) إلى أمير بدخشان يطلب برهان

خوجه وزمرته ، فخاف أمير بدخشان على نفسه فسلمهم للوفد ، والوفد بدوره قطعوا رؤوسهم وأتوا بها إلى (جاو خو لي)، وقد استولى (جاو خو لي) على ولايتي ياركند وختن بدون مقاومة .

وعين (جاو خو لي) من عملائه المأجورين وزمرة التركستانيين المغفلين الذين أتوا من الصين بصحبته في المناصب حكاما وولاة أقاليم بجانب الصينيين ، وكان أول تشكيل للصين في تركستان الشرقية إيجاد أربعة مناصب عليا باسم (وانغ) أي الحاكم المتصرف ، وتعيين مقرهم في كل من مدينة ياركند وكورلا وقمول وأوروبجي أو جمسا ، ولم تكن أوروبجي في مستواها الآن من حيث تولي جاوخولي منصب حاكم عام المطلق العسكري والمدني لعموم تركستان الشرقية ومقره قلعة كورة البنتاجون الصيني الرهيب بناها (جاو خو لي) في السهل المعشوشب الممتد في الجنوب الغربي من ولايتي إيلي بصفته الصيني (جانغ جونغ) ، وقيل إنه قسم أقاليم تركستان إلى ست مناطق إدارية وفي كل منطقة حاكمها المطلق باسم آمبال أي الحاكم ، وكثر المستوطنون الصينيون وأطلق عليهم الأهالي اسم (جنفن) يعني الصعاليك ، ويقال لهذه القلعة التي بناها (جاو خولي) في سهل كورة مدينة جنفن ، وكانت إدارة الصين هذه تقتصر على ثلاثة محاور رئيسة :

١- الجنود والثكنات العسكرية وقوة السلاح .

٢- ضبط إدارة الأهالي على يد العملاء والمأجورين ووانغات الذين عينهم (جاو خو لي) في مناصبهم يتحكمون في أرزاق الناس وخيرات بلادهم

بخلق طبقة النبلاء من عملاء الصين وطبقة العبيد والأحراء من عامة الشعب وضبط نزوالهم .

٣- مراكز تسليم الغلال وحظائر الأغنام والصوامع ومراكز الجمارك ، ثم لا شيء قبلها ولا بعدها إطلاقا.

وقد سبقت روسيا القيصرية الصين بالتحرش بالتركستان الغربية منذ سنة ١٠٥٦هـ الموافق سنة ١٦٤٥م بمد نفوذها إلى مرتفعات جنوب سيبريا ثم نجحت في إخضاع أبي الخير خان لسيادتها في سنة ١١٤٢هـ الموافق ١٧٣٠م ، واكتفت روسيا بإخضاع جل حكومات قبائل قازاق لسيادتها في سنة ١٧٩٦م وكان ذلك منها تهديدا مباشرا لتركستان بقسميها الشرقي والغربي وعلى حد سواء .

ونعود إلى الصين في استيلائها على تركستان الشرقية بقيادة (جاو خو ني) في سنة ١٧٥٨م ودام هذا الاستيلاء ستين سنة ونيف فقط ، حيث أطلت سنة ١٢٣٠هـ الموافق سنة ١٨١٤م بثورة عارمة في جميع أقاليم تركستان الشرقية على أكتاف طبقة العبيد والأحراء المحرومين ، وأنهم قتلوا الصينيين وجنفن وبعض الطبقة العليا حينما ظفروا بهم ، غير أنهم من سوء الحظ لم يتحدوا تحت راية واحدة وكونوا حكومات محلية في كل مدينة وبلدة ، فاستغل أو أراد أن يستغل هذه الفرصة ملك فرغانة عمر خان فأوعز إلى خادمه المطيع السيد جهانكير خان وهو من أحفاد آفاق خوجه ـ هداية الله إيشان) بالزحف إلى ولاية كاشغر ببعض رجاله وجنود من قبل السلطان عمرخان ، فقدم جهانكير خان سنة ١٢٣٢هـ الموافق ١٨١٦م إلى مدينة كاشغر واستولى عليها باعتبار نفسه مساعدا للثوار المحليين ، ثم

قبض على بعض رؤساء الثورة ، وأعلن نفسه ملكا عليهم في سنة ١٢٣٤هـ ، ثم خضعت له ولاية ياركند ، ثم تقدم نحو مدينة أقسو واستطاع أن يجعلها من أملاكه ، وبقيت ولاية ختن وغيرها من الولايات بيد حكومات الثوار فيها . غير أن ولاية إيلي وولاية تورفان وبش بالق (أورومجي) كانت تحت تأثير التونكان الصينيين وحنفن وقالموق، وبمعاونة هؤلاء قمع الصينيون الثورات التي قامت فيها ، ولكن المسلمون من الأهالي أبيدوا على أيدي الصينيين ، وأريقت دماء كثيرة . وفي سنة ١٢٣٦هـ الموافق ١٨٢٠م توفي إمبراطور الصين (كيا كنغ بن كي آن لونغ) وخلفه ابنه (تاو كوانغ) ، فقام الأخير بحشد جنود كبيرة على تركستان الشرقية وتغلبوا على جهانكير خان وأسروه وأرسلوه إلى الصين ، وقيل أرسل في قفص حديدي ، وقتل في بكين في سنة ١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٥م . ولكن ابن جهانكير خان تشبث في ملك أبيه فلم يستطع الصينيون التقدم عن ذي قبل ، وبقي الأهالي والثوار متمسكين بمكتسباتهم الثورية وحافظوا على استقلالهم ببعض الفتور ،وكان بلاط ابن جهانكير خان في مدينة آقسو ، وكانت ولاية ختن في يد ملكها الفاضل الشيخ عبدالرحمن آخونوم .

بينما كانت الصين مشغولة في الثورات الداخلية نشبت حرب الأفيون سنة ١٢٥٥هـ الموافق ١٨٣٩م وقضت بريطانيا على إمبراطورية مغول الهند التي دامت ٤٠٠ سنة في الهند على يد وتحت اسم (شركة الهند الشرقية ، فتقلصت جنود الصين في تركستان الشرقية ، فاغتنمت الأهالي والحكومات المحلية هذه الفرصة وأكملت استقلالها وانمحى ذلك الفتور الذي ذكرنا آنفا ، ودامت حرب الأفيون الباردة والساخنة عشر سنوات

بين بريطانيا وبين الصين ، وانتهت بالصلح سنة ١٢٦٤هـ الموافق ١٨٤٧م حيث أرسل إمبراطور الصين (تاو كوانغ) مائة ألف جندي إلى تركستان الشرقية . وكانت هذه الجنود متمركزة في أقاليم الشمال وقراشهر وإيلي وأورومجي ، وأخذت في صفها الصينيين وحنفن وقالموق ، وكونت بذلك قوة هائلة جدا ولكن الأقاليم الجنوبية بما فيها كوشار وطرفان وكاشغر وياركند وختن والعاصمة آقسو كانت مطمئنة محافظة على استقلالها ، ونحن نعتبر هذه المدة من ١٢٣٠ هـ الموافق ١٨١٤ م إلى ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م فترة الثورة والاستقلال حيث إن الصين لم يستقر لها القرار في هذه الفترة (أربعة وثلاثون سنة) بينما الثوار والحكومات المحلية وجهانكيرخان وأولاده كونوا حكوماتهم وأداروا شوون البلاد هم أنفسهم.

وبعد ١٢٦٤هـ الموافق ١٨٤٧م وقعت تركستان في أيدي الصينيين مرة أخرى ونعتبر هذا الاستيلاء الثاني بعد ١٧٥٨م . فأقامت الصين عهدها الأول القاتم ، فهناك (جانك جونك) ، و (الوانكات) ، و (آمبان) والطبقة العليا والطبقة السفلي العبيد والأمراء . ولكنها لن تتعرض لشوون الدين والتعليم الديني والمحاكم الشرعية والمدارس الأهلية إن وجدت ودام هذا الاستيلاء سنوات ست فقط .

حيث توفي إمبراطور الصين (تاو كوانك) ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٠م وتولى ابنه (جوياكي هين فونك) عرش أبيه . وسرعان ما اندلعت ثورات متعاقبة في داخل الصين في أقاليم خونن وخوبي وآنخوي وضعفت قوة الصين في تركستان الشرقية . واستغل الأهالي هذه الفرصة

فقاموا بثورة عارمة بعد ١٢٦٩هـ الموافق ١٨٥٢م واشتدت حركات الانقلاب وثورات الأهالي في ١٨٥٣م وتوالت المصادمات بينهم وبين فلول الصين وطالت مدة الكر والفر بين الفريقين أربع سنوات حيث استقلت الأقاليم الجنوبية بتركستان الشرقية بما فيها آقسو وكاشغر وتورفان وقراشهر وياركند وختن ولوب وتوخسون وكوشار . غير أن هذه الأقاليم المتحررة لم تتفق ولم تتحد تحت راية واحدة . ومهما يكن من أمرهم حافظوا على استقلالهم ثمان سنوات وكان في ولاية كاشغر السيد ولي خان توره .

وفي ١٢٧٥هـ الموافق ١٨٥٨م أرسل إمبراطور الصين (هين فونك) قوة كبيرة إلى تركستان الشرقية . وتقدمت من مدينة إلى أخرى حتى وصلت جنود الصين إلى مشارف مدينة كاشغر في أقصى الغرب وهرب الحاكم ولي خان توره ببعض رجاله وأمواله الذي جمعها إلى فرغانة . ودخل جنود الصين إلى مدينة كاشغر وأجرى قتلا عاما في الأهالي من دون رحمة ولا شفقة وأسر مئات من الأسر وأرسلها إلى داخل الصين وكادوا أن ينقلبوا كفارا أو يذوبوا في مجتمع الكفر والإلحاد . ولكن الله هدى السيد ولي خان توره وأرسل من ينوب عنه لدى إمبراطور الصين بالهدايا الثمينة وطلب تسريح تلك الأسر المنكوبة . وتم له ما أراد ورجعوا إلى بلدهم . وقيل إن الوفد كان من قبل السلطان شير علي خان سلطان فرغانة ولعل الله أيقظ ضميره وضمير زميله السيد ولي خان توره وتابوا على ما فات منهم في حق العباد لرب العباد .

ودام استيلائهم هذه المرة لثلاث سنوات فقط . حيث برزت حرب الأفيون مرة أخرى بين الصين وبين بريطانيا وفرنسا في ١٢٧٧هـ الموافق ١٨٥٩م وما كادت أن تنتهي حتى وقعت ثورة (تاي بنغ) في الصين واستولى الثوار على مدينة (تنجين) العاصمة التقليدية للصين قديما بالقرب من بكين . وتعلق جنود الصين في تركستان الشرقية وحاول فلولهم التجنيد من تونكان وقالموق وجنفن دون جدوى ، ولو أنهم كونوا قوة عسكرية وبدرجة كافية لما تحصلوا على معونات كافية وعتاد حربي من داخل الصين.

ولذا قام التركستانيون بصفة عامة بثورة مباركة في ١٨٥٩م وكونوا حكومات محلية في كل أقاليم تركستان الشرقية بدءا من قومول شرقا إلى طاشقورغان غربا وقامت أكثر من عشر حكومات محلية أمثال صديق بك في كاشغر ، وحبيب الله حاجم في ولاية ختن ، وعبد الرحمن حضرت في ياركند ، وراشد الدين خان توره في كوشار . وكانوا رؤساء حكومات محلية حتى ١٨٦٣م وامتد حكم بعضهم إلى ١٨٦٦م مثل راشد الدين خان توره رئيس حكومة كوشار .

ومنذ ١٨٦٣م بدأ يعقوب بك يستلم أو يبسط نفوذه إلى تلك الأقاليم واحدة بعد الأخرى وكون دولة مستقلة ذات سيادة وحكومة إسلامية صرفة تحكمها شريعة الله ، ولعظمة وأهمية هذه الدولة الشهيرة وصاحبها وبانيها يعقوب بك (بدولت) أفردنا بابا خاصا له في كتابنا هذا وهو الباب الثاني كما أسلفنا .

وللفائدة نقول : إننا قصدنا في سلسلتنا هذه سرد موجز لتاريخ جذور الترك في آسيا عموما منهم الهون والقراخانيين ثم المغول جنكيزخان وأولاده

وأحفاده ، بدأنا مشوارنا هذا من سنة ٥٠٠ قبل التاريخ ووصلنا إلى القراخانيين في القرن الثامن من الميلاد ، وفي القرن التاسع من الميلاد بدأنا بالقاراخانيين حتى عهد جنكيزخان في أوائل القرن الثالث عشر وانتهينا بهم إلى مشارف القرن السابع عشر الميلادي عهد ملوك الطوائف في تركستان ، ولذا بدأنا سلسلتنا الرابعة بملوك الطوائف بعد سنة ١٨٥٨م ووصلناه بعهد يعقوب خان في سنة ١٨٦٣م في الباب الأول ، وفي الباب الثاني أفردناه ليعقوب بك ، ثم جئنا في الباب الثالث (تركستان الشرقية والصين) ووصلنا الآن لعهد يعقوب بك . فنحيل القارئ العزيز إلى بابه الخاص وقد قرأه ووعاه .

ورب قارئ يقول، إننا أتينا بتحصيل حاصل سابق في هذا الباب الثالث، ونجيب عليه أننا أسهبنا إسهابا وبالتفاصيل حسبما أورده المؤلفون الكرام (ترغون ألماس) ، و (حاجي نور حاجي) ، و (ملا ميم صالح الكاشغري) ، وجدنا مؤلفاقم (الموجز في تاريخ الهون) (الموجز في تاريخ القاراخانيين) ثم جنكيزخان ، حسب ترتيب مؤلفيها متعاقبة متواصلة .

وتلك بالصدفة ورب صدفة خير من ألف ميعاد ، وأما ما رآه القارئ السائل من تحصيل حاصل سابق فإننا نود في كتابنا هذا إبراز مراحل العلاقة بين الصين والتركستان ، وأهم منها الإشارة إلى تواريخ استيلاء الصين عليها قبل سنة ٧٥٢م واستقلال وسيادة تركستان الشرقية ألفا وست سنوات قبل سنة ١٧٥٨م حيث امتدت فترة الاستيلاء قرابة ستين سنة وحتى سنة ١٨١٤م . ثم تحررت تركستان ثم سقطت ثم تحررت ثم سقطت، وفترة الاستيلاء في المرة الثانية أربع وثلاثون سنة ، وفي الفترة الثالثة ثلاث

سنوات . ثم تحررت قبل يعقوب بك بخمس سنوات سنة ١٨٥٩م وبدأ عهد يعقوب بك من سنة ١٨٦٣م وانتهت سنة ١٨٧٧ ، وإننا ذكرنا خلاصة موجزة من فترة ما قبل سنة ٧٥٢م للإيضاح والاحتواء وتقديم أبواب ملوك الطوائف ويعقوب بك على غرار رد العجز على الصدر وفي بعض التكرار حلاوة .

ومنذ شهر يناير من سنة ١٨٧٨م بدأت مأساة تركستان الشرقية بعد وفاة يعقوب بك ، بل بعد مقتله وهروب ابنه بك قولي بك في أواخر شهر ديسمبر سنة ١٨٧٧م ، ووقعت تركستان العزيزة لقمة سائغة في فم الصين الفاغر حتى الآن ، ولكنها - مع ذلك - لم تفقد كيانها كاملة ، وقام الشعب التركستاني بأكثر من تسع ثورات عامة فيما بين سنتي ١٨٧٨م - ١٩٤٩، ولم يسلم عهد (ماو زى دونغ) من سنة ١٩٤٩م حتى الآن من انتفاضات شعبية وإليكم بيان ذلك :

نبدأ بالمأساة الصينية من يناير سنة ١٨٧٨م أو نقول : إن تركستان الشرقية أمضت حتى الآن من بعد يعقوب بك ١١٠ أعواما على أربع فترات متباينة ، وتعيش الآن منذ ١٩٨٠م فترة انفتاح الصين الجزئي فهي الفترة الخامسة .

وأما الأولى فمن يناير سنة ١٨٧٨م إلى بداية سنة ١٩١١م حيث قام في الصين حكم جمهوري نتيجة ثورة الدكتور (صن يات صن) ، هذه الفترة أقصد فيما بين سنة ١٨٧٨م-١٩١١م اتسمت بالتعتيم الصيني على التركستان الشرقية وبتغيير اسمها القومي تركستان الشرقية إلى اسم صيني هو (شنجيانغ) ، ويلفظ الغرب والأوربيون بـ (سنكيانغ)، وكلمة

(شنجيانغ) تعني الأرض الجديدة ، وجعلت الصين مدينة أورومجي عاصمة للبلاد بدلا من مدينة كاشغر التي تقع في أقصى الغرب الجنوبي من البلاد ، وهي كانت عاصمة قديمة لتركستان الشرقية منذ القرن الخامس الميلادي في عهد ألب أرتونغا (آفراسياب) . وكذلك في عهد القاراخانيين وعهد الإسلام من ٣٢٣هـ بإسلام ملكها ستوق بغراخان (عبد الكريم) وإعلان دولته دولة إسلامية ، وكذلك في عهد جنكيزخان وأولاده منهم (جغتاي خان) و (توغلوق تيمور خان) سنة ١٣٤٢م والدولة السعيدية وعهود ملوك الطوائف ، ثم في عهد يعقوب بك منذ سنة ١٨٦٣م .

وأعادت الصين عهد الوانكات المتصرفين (عملائها المأجورين) طبقة الأسياد الملاك للسلطة وكالة عن الصين وتحت إشرافها ممثلة في شخصية (جانغ جونغ) وهم أصحاب أرض ، وهم المتحكمون في الحرث والنسل (الأرض ومن عليها ملكهم الخاص) هذا في الأقاليم التي تعتمد على الحاصلات الزراعية بجانب الأغنام والمواشي .

وأما في الأقاليم التي تعتمد على تربية الأغنام والمواشي فقط فكانت المصيبة أكبر ، حيث إن فئات القازاق والقرغيز الذين ينتشرون في مساحة تقدر بأكثر من خمس المساحة العامة لتركستان الشرقية من الشرق إلى الغرب وفي الجنوب في منطقة قراشهر مثلا أقوام بدائية غلاظ شداد لا يخضعون إلا لمن هو أغلظ منهم وأشد بأسا فاكتسب وانكالهم هذه الصفات من مناصبهم بل من ألقابهم : (وانغ) تعني المتصرف ، وإن هؤلاء الوانكات وكثير منهم يحكم مساحة كبيرة من المراعي والسهول والجبال

تحكموا في رقاب بني جلدتهم وفرضوا عليهم إتاوات باهظة من نتاج الإبل والخيل والأبقار والأغنام وجلودها وفرائها .

وتربع (زو زونغ تانغ) في قلعة كورة القلعة الصينية الرهيبة بصفة (جانغ جونغ) الحاكم المطلق العسكري والمدني ، وزاد الأخير من منصب (آمبال) الأمراء الصينيين بالضعف ، فأوجد في كل مدينة من المدن الكبيرة أمبالا وأنشأ مؤسسة اجتماعية بما يمثل الحاكم الإداري باسم (شان جلنغ) وله السلطة المستمدة من مقام آمبال ، يديرها أو يشرف إشرافا مباشرا على عموم شئون إدارة البلاد والعباد، وأنشأ فيها السجون بجانب المحاكم الجائرة، وسمح لنشاط المحاكم الشرعية وشئون التعليم الديني في المدارس الأهلية وفي حدود تعلم الحلال والحرام والأحوال الشخصية من عقود فسخ وهبة ورهن وتوكيل ووصاية شرعية وإرث ، ولم تسمح الصين تعليم التاريخ والجغرافيا والسيرة النبوية والحساب والخط والإملاء واللغة (اللهم اللغة العربية والفارسية) وفنون أخرى ، ترى علماء أجلاء لا يعرفون الكتابة ، وترى طلابا لم تجد لديه قلما أو قرطاسا البتة ، ومن الفنون المسموح بها الأدب العربي والفارسي ، البيان والمعاني والبديع والمنطق بجانب علم التفسير والحديث وأصوله والفقه وأصوله .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الحكام الصينيين في تركستان الشرقية عبر استيلائها المتكرر يستأثرون لأنفسهم الحكم المطلق في إدارة البلاد دون الرجوع إلى الحكومة المركزية في الصين ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كثيرا ما تضطر حكومة الصين المركزية للانصياع والاعتراف بهذا الوضع

لبعد البلاد عنها ولانعدام الطرق الممهدة منها وإليها وفقدان المواصلات أو لانشغال الحكومة بالشئون الداخلية .

ولم تزل إدارة الصين تعني ضبط البلاد عن طريق مؤسستين فقط :

الأولى : المحكمة العسكرية والإدارية العامة يرأسها (جانغ جونغ) ويتبعها أمبالات ، وهم الأمراء الصينيون وبجانب كل منهم محكمة (شانج انغ فو) يرأسها الحاكم الإداري .

وثانيها : (الوانكان) وهم مسئولون مباشرة لدى (جانغ جونغ) الحاكم المطلق العسكري والإداري ، ولهم الحق في أن لا يكونوا مسئولين أمام (جانغ جونغ) بل يتصلون مباشرة إلى إمبراطور الصين ويرفض أوامر وتعليمات (جانغ جونغ) . ولا سيما في حالة إحساسهم بضعف هذه المؤسسة أو شخصية (جانغ جونغ) نفسه .

وهناك مؤسسة تابعة لأمبالات يساعده (شان جانغ) الحاكم الإداري وهي مؤسسة نفعية مهمتها جباية الإتاوات والضرائب وتحت يدها صوامع الغلال ومخازن الوقود والعلف وخزائن العائدات الجمركية وما أكثرها في المدن والقرى والأرياف ، والعاملون عليها يضيفون ما بين خمسين في المائة إلى مائة في المائة من أصل الإتاوات والضرائب كزيادة تدخل إلى جيوبهم الخاصة .

وفتحت حكام الصين مدارس تعليم اللغة الصينية ، وجعلوا الالتحاق بها شبه إجبارية ، بحيث إن كل من امتنع أو تحاشى في إلحاق ابنه في هذه المدارس تفرض عليه إتاوات جائرة إضافية أو يرغمه الحكام لاستئجار من يقوم مقام ابنه في الالتحاق بإحدى هذه المدارس ، والذين يهربون منها

يجبرون على دفع مبالغ طائلة للقائمين بأمر تلك المدارس من عملاء الصين المأجورين أو الصينيين أنفسهم لقاء تمرهم .

انقضى ثلاثون عاما بهذا الإفلاس من تاريخ وفاة يعقوب بك وهروب ابنه إلى فرغانة عام ١٨٧٨م حتى عام ١٩١١م حيث قامت ثورة الدكتور صن يات صن . وتلقى الشعب التركستاني هذا العهد عهد الحرية ولو كان على مضض . ولكن هيهات ذلك . لأن الحكام الصينيين في البلاد وفي داخل الصين رفضوا هذا العهد عهد الجمهورية علنا أو سرا . وبالذات لم تكن فرض الجمهورية على تلكم البلاد الشاسعة في الصين وملحقاتها من منشوريا شرقا ، وإلى بامير وتبت غربا من الأمور السهلة ، ولأن الأسرة المالكة من سلالة (جنغ) تشبثت بالحكم حتى عام ١٩١٥م وحاربت الجمهوريين . وفي عام ١٩١٦م انسحبت الأسرة من الساحة السياسية وسلمت أمر البلاد لبعض جنرالات الجيش الإمبراطوري ، وانقسمت الجنرالات على أنفسهم . فأصبحت بلاد الصين في الداخل في أتون حرب ملية دامت بعض فلولها حتى سنة ١٩٢٨م ودخلت في صفوف الجمهوريين زمرة شيوعية ومن أعضاء هذه الزمرة : (ماو زي دونغ) الزعيم الصيني ، ولكن هذه الزمرة لم تحظ بعضوية الحكومة الجمهورية بصفة رسمية حتى سنة ١٩٢٤م حيث دخل بعض أعضاء هذه الزمرة عضوا في الحكومة الجمهورية. وكافح الدكتور صن يات صن وزملائه وعانوا ما عانوا خلال ١٥ سنة من بدء ثورتهم في سنة ١٩١١م . ولتحقيق أمنيته ونشر مبادئه العامة لم يستأثر الدكتور صن برئاسة الحكومة لنفسه ، ولو أنه تولى حينا من الوقت لا يزيد على سنتين في العشرينات ، وفي سنة ١٩٢٥م وصل

الدكتور صن إلى سدنة البلاط الصيني في بكين و لم يلبث أن توفي فيها بعد وصوله إليها بخمسة أشهر وقبل بستة أشهر ، وكانت حكومته الجمهورية تحت إدارة صهره (جانغ كاي شنغ) . وبعد كفاح مرير ولمدة أكثر من ثلاث سنوات استطاعت جمهورية الصين الحديثة آنذاك في تكوين مجلس نيابي . ووصلت عبر هذه المؤسسة إمكانية انتخاب رئيس للجمهورية وتأسيس حكومة برلمانية في الصين .

أعلن صن يات صن المبادئ الثلاثة باسم (سان مين جويي) بمعنى ثلاثة مبادئ في إسعاد الشعب :

الأولى : عبر وحدة شعوبنا وتماسكها تكوين جيش قادر على حماية البلاد ورفع مستوى التعليم ووعي الإنسان الصيني وفتح مكامن الاقتصاد القومي بسواعدهم .

الثاني : خلق حكومة قادرة على إدارة البلاد عبر مؤسسة برلمانية وانتخابات نزيهة لسيادة القانون على أسس اشتراكية على المدى البعيد .

الثالث : خلق حرية كاملة لجميع الشعوب المتواجدة داخل حدود بلادنا على أساس أنها خمس قوميات وهي : خان ، مان ، مونغ ، خوي ، زانغ .

توفي الدكتور صن يات صن سنة ١٩٢٥م و لم تزل مبادئه هذه حبرا على ورق .

ونعود بالقارئ العزيز إلى سنة ١٩١١م حيث تلقى الشعب التركستاني نبأ إعلان الجمهورية في الصين بشيء من الارتياح لعل وعسى ، ولكن الحكام الصينيين في تركستان تمادوا في غيهم وجبروتهم على الشعب . وكتغيير في القيادة تولى (يانغ زين شين) منصب حكومة تركستان الشرقية

في عاصمتها أورومجي في سنة ١٩١٢م ، وكان من مسلمي الصين ، ومدإن أطل بوجهه الكالح فإذا هو أبشع وأبطش من سابقيه في هذا المنصب .

فعمد الشعب التركستاني إلى ثورتين : ثورة مسلحة في شرق البلاد في منطقة قمول تحت قيادة (تيمور خلفت) وفي منطقة تورفان بقيادة محي الدين إيشان . والثورة الثانية : ثورة التعليم والتربية الحديثة في غرب البلاد في منطقة كاشغر في بلدة (إكساق) بمحافظة (أرتوج) .

وأخمدت الثورة المسلحة بدسيسة ماكرة بأن سعى المدعو (لي) إلى جلب تيمور خلفت ومحي الدين إيشان لأورومجي للاتفاق مع الحكومة ، حيث قتلا هناك على يد (يانغ زين شين) وكان (لي) من مسلمي الصين القاطنين في تورفان ومن أهل العلم .

وأما ثورة التعليم والتربية فترعرعت في (إكساق) ثم انتشرت في كل من تورفان وجوجك وياركند واقسو وختن . وقد استقدم لأجلها من تركيا الأساتذة أحمد كمال ، وإسماعيل حقي بك ، ونصر الله بك وأمثاله . يعاون في ذلك الوجهاء الأثرياء حسين باي وبهاء الدين باي ، ومن جملة الأساتذة سامي بك التركي ، وفي مناهجهم التعليمية بجانب علوم الدين : الأدب ، واللغة الصينية ، واللغة الفارسية ، وجغرافيا ، والتاريخ ، والتربية البدنية ، والرسم ، وشكلوا فرقة الكشافة بالزي الرسمي وبأيدي الطلبة عصية مرقطة كانوا يمشون في طوابير صباحا ومساء ، وشكل المعلمون الفرق الرياضية ، وكذلك شكلت السفارتين الروسية والإنكليزية فرقة رياضية من منسوبيها لتباري المدرسة بجانب القنصلية السويدية والفرنسية . وفي سنة ١٩٢٧م تفوز فريق الطلبة على المنتخب الفرنسي بسبعة أهداف

مقابل صفر ، وأعتقد أن القائمة بأعمال الإنكليزي يقوم بأعمال الفرنسيين بالنيابة فهي تقاطع الملعب وتغادرها .

وقبل سنة ١٩١٥م وفي أحد الأيام يصادف مرور أمبال في مدينة كاشغر على ميدان فيه الطوابير من طلبة المدارس الأهلية بزيهم الرسمي يمارسون التربية البدنية وفي أيديهم عصي المرقطة ، ويفسر أحد المتملقة بأنها ظاهرة خطيرة على سيادة الصين ، وسوف أنهم أي الطلبة يفعلون كذا وكذا ، فيقفل المدارس ويرحل المدرسون الأتراك ، وبعضهم يهربون ليبقى على كبيرهم أحمد كمال ويرحله إلى أوروبجي ومنها إلى تركيا عن طريق شانجهاي . ثم يأتي دور شبابنا المثقفين ومنهم أزبك . ويقدم برهان شهيدي من تاتاريا (لا للتعليم والتعلم وإنما لمآرب أخرى) . وفي (تورفان) يرفع لواء التعليم والتربية الأستاذ مقصود محيطي ويؤسس مدارس عصرية في ناحية (أستانة) في ولاية تورفان . وكانت مصاريف تلك المدارس على أولياء أمور الطلبة ، ثم تكونت رابطة الشعوب التعليمية الاجتماعية وتكفلت بتلك المصاريف . وفي تلك الأيام قام العلامة القاضي الغازي الشهيد عبد القادر داملام بالسفر إلى الحرمين الشريفين عن طريق طاشكند فاستانبول وسوريا . ثم عطف على مصر الكنانة وقابل مع كثير من علماء الإسلام منهم صاحب المنار الإمام رشيد رضا وشارك في نشاطه القلمي ، وبعد أداء فريضة الحج رجع إلى تركستان بأفكار جديدة وأسلوب أحدث في التعليم والتربية ، وقام رحمه الله بتأليف كتب دراسية حديثة وأسس

ـــ راجع مقدمة كتاب الأعلام لبعض رحالات تركستان للمؤلف .

مدارس حديدة باسم (مطلع العرفان) في مدينة كاشغر وياركند وآقسو وختن وطرفان .

وقد سمح الصينيون لنشاط المبشرين النصارى ، وكانت أوكارهم في نشاط مستمر ، فأعلن الشيخ عبد القادر حربا شعواء عليها وعلى مؤسساتها التبشيرية . وفي لحظة انفعاله أضرم النار في المكتب الرئيسي لهم في مدينة كاشغر وكسر ما فيه من أثاث وأجبرهم للرحيل إلى حيث أتوا .

وبعيد إعلان الجمهورية في الصين سنة ١٩١١م تكونت في الصين جمعية سرية مهمتها التصفية الجسدية للمعارضين للجمهورية باسم إخوان الصفا بل إخوان التصفية ، ومن أهم شروط العضوية أن يكون العضو صعلوكا وغير ملتزم بالمبادئ والقيم ، وأن لا يظهر للجمعية نشاط أو مخطط على الورق ، مقابل مكافأة ودعم مادي من أفراد صينيين يعملون ظاهرا في التجارة المتنقلة هنا وهناك بموجب شفرة ورموز يتداولونها بينهم ويعطى بياناته شفهيا أو برموز أخرى ، وبعد سنة ١٩٢٠م كثف أعضاء الجماعة نشاطهم في منطقتنا وراح ضحيتها خلق كثير من التركستانيين والصينيين ، وشك الحكام الرافضون للجمهورية من الصينيين في غير واحد من شباب وأبطال الأمة الإسلامية في مختلف المدن في تركستان منهم : (أبامة خلن)، و (إبراهيم حوش) و (سعيد نوجي) ، غير أن الأخير قتل ظلما على يد آمبال في مدينة كاشغر وعلى خطة درامية مثلما حصل للمتلمس بصحيفته في مقتله ، وليس في دراماه المتقدمة لمقتله حيث يجلبه (جانغ جونغ) في خدمته ثم يرسله إلى آمبال ولاية كاشغر ليقتله بصحيفة فيقتله هناك ، وكان (جانغ جونغ) يظن أن البطل سعيد نوجي من أعضاء إخوان الصفاء

(جولانغوي) ، ثم يقتل أمبال كاشغر (ماتيتاي) عقابا وحسابا على جرائمه (وكان يجمع من منابع الزفت المطفوحة الصمغ ويفرضها على أهل الدكاكين) وهو من الرافضين ضمنا للجمهورية . ثم قتل الشيخ عبد القادر داملام ليلا في عقر داره على يد صعلوك اسمه أحمد المؤذن ، ولكن سبب مقتله شيء آخر ، ولو أنه بطريق غير مباشر ، لأن الشيخ كان ثوريا إسلاميا يؤدي مناهجه التعليمية ونشاطه الوقاد إلى ثورة عارمة على يد أناس مثقفين ، ولذا تكتلت القوى الشريرة من الصينيين الرافضين والأقطاعيين المحليين ضد الشيخ وقتلوه في سنة ١٩٢٣م وكان مدبر هذه الحركة (يانغ داخو) .

وفيما بين العقدين الثاني والثالث من هذا العصر تحركت القوى المحلية في مسارين باتجاه واحد ، ألا وهو رفع مستوى التعليم في البلاد ، ودفع عجلة الاقتصاد والإنتاج القومي ، فأسست نفس الأسر الكريمة أسرة بهاء الدين باي وأخوه حسين باي أبناء موسى بايوف مصانع للجلود والنسيج بجانب حلج الصوف والوبر والقطن ومعالجة المعادن في وادي إيلي ، بجانب مدارس عصرية في كل من كاشغر وتورفان وأورومجي وجوجك .

وبعد سنة ١٩٢٠م وجدت في تركستان الشرقية بعض المطابع منها المطبعة التي كانت في حوزة المبشرين اشتراها أثرياؤنا عند انسحاب المبشرين من البلاد ووجدت مطبعة مصنوعة من خشب في مدينة ينكحصار .[1]

---

[1] ــ راجع كتاب (أولكه تاريخي) للأستاذ فلات قادري ، طبعة غولجا سنة ١٩٤٧م .

ولم يزل حكام الصين في بلادنا يلعبون بالنار ويتحكمون عن طريق أمبال ووانكالهم والعملاء المأجورين الأقطاعيين ، ولا ينصاعون لأوامر الحكومة المركزية في بكين ، ويديرون البلاد وكأنها أملاك آبائهم ورثوها عنهم ، ويستحوذون على خيراتها ونشطوا الحركة التجارية فيما بينهم وبين روسيا ولا سيما بعد سنة ١٩١٧م يبيعون خامات البلاد بدراهم معدودة محدودة ويشفطون اقتصاد البلاد شفط البلاليع هم والروس على حد سواء .

وفي العشرينات ازدهرت المدارس الأهلية في جميع البلاد وعلى المنهج الحديث وبدأ الناس يرسلون أبناءهم إلى الخارج للدراسة والتحصيل في طاشكند مثلا وآستانة والهند وأفغانستان ، وكثير هم الذين درسوا في الحرمين الشريفين أو أكملوا بعض تعليمهم ، حتى التحق بعضهم بالجامعة أمريكية في بيروت ، ولكن هذه الفئة بالنسبة لسعة البلاد قليلة جدا ، وممن وا في أستانة الدكتور مسعود صبري ، والأستاذ طلعت موسى بايوف ، إلى جانب كثير من الطلبة كانوا يدرسون في معاهد ومدارس الهند لوم الدين والفلسفة واللغة وعلم الحديث وأصوله وأسانيده والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي . أضف إلى ذلك الطلبة الذين يدرسون في بخارى وسمرقند . ولكن كل هذه النشاطات تحت سمع وبصر الحكام الصينيين ، إلا إنها بوادر طيبة وبواكير من نتاج لم ينضج بعد ولو أنها أعطت ثمارا طيبة بعد سنة ١٩٣١م .

وقد تكثفت نشاطات الأخوة المثقفين في العشرينات أيضا وأسسوا مدارس عصرية متقدمة المناهج في عموم مدن البلاد ، ولا سيما في مدينة غولجا حاضرة وادي إيلي وجوجك (تارباغاتاي) وأورومجي ، ومن

محافظاتها (مناس) و (ساون) حتى إن جهادهم وجهودهم هـذه أثمـرت وأينعت ثمارها في العشرينات نفسها ، بحيث استمدت كوادر علميـة مـن خريجين من تلك المدارس منهم الأستاذ عبد الرحيم أوتكـور ، وإبراهيـم مطيعي ، وترغون ألماس ، وأحمد ضيائي وإخوانه ، ومحمد أمين إسـلامي ، وحسين قاري إسلامي ، وحمد الله تارم . وكان زملاء الأسـتاذ الشـهيد مقصود محيطي وإخواننا التتار المهاجرين من تتاريا (قازان) بعـد ثـورة أكتوبر سنة ١٩١٧م في روسيا ، ومنهم الأخوة أوزبك في مقدمة صفـوف تلك الفئة المستنيرة .

وفي عام ١٩٢٨م تأسست حكومة الصين المركزية على أساس جمهوري برلماني برئاسة (جانغ كاي شيغ) واغتيل (يانغ زين شين) الحاكم العـام الصيني في التركستان على يد أمين ماليته (بان يو سان) بقصد الاسـتيلاء على الحكم ، ولكنه لم يفلح بالإدارة والضبط فور مقتل غريمه وسقط هـو الآخر . واستولى محافظ صيني آخر على الحكم وهو (جين شـو ريـن) . ومات (شاه مقصود وانغ) في مدينة قمول وخلفه ابنه (نظـر وانـغ) . ولكن (جين شو رين) جلب الأخير إلى أورومجي . وكان (جين شورين) من أيالة (كانسو) المتاخمة للتركستان الشرقية . وكان (جين شو ريـن) معجبا بهيمنة (شاه مقصود وانغ) وحاسدا عليه . فتملك هو جميع مخلفـات (شاه مقصود وانغ) وجلب إليها ثمانمائة عائلة من أيالة (كانسو) وصـادر عقارات وأملاك الأهالي وأعطاها للمهاجرين الجدد ، وسمح لجنوده بفعل مـا يشاؤون وبالتحكم في رقاب الناس وفرض إتاوات وضرائـب ، حـتى أن الجنود الصينيين بدؤوا يتدخلون في شئون المجتمع القبلـي . وكـل هـذه

المتغيرات والاغتيالات والتهجير والمصادرة والتحكم ليس لها دخل ولا أثر للحكومة المركزية وليس لها سلطة في تركستان .

ومنذ عام ١٩٢٩م اتفقت حكومة الصين المركزية مع الولايات المتحدة بتأسيس مرسلات إذاعية في داخل الصين ومنغوليا الداخلية وتركستان الشرقية وربما تبت ، وكلها ٦٤ محطة إذاعية . وكان من نصيب تركستان أربع منها ، وأولى هذه المحطات أسست في القرب من مدينة كاشغر وعندما اكتملت أجهزة الإرسال تمت تجربتها عام ١٩٣٢م . وفي أواخر ١٩٢٩م أو ١٩٣٩م طلبت حكومة الصين المركزية من منطقة تركستان الشرقية إرسال وفد بمثابة نواب الشعب للبرلمان الصيني في دورتها الثانية السنوية فتم لها ما أرادت . فهذان الحدثان وقعا أو وصلا إلى منطقة تركستان الشرقية منذ إعلان الجمهورية في الصين ١٩١١م .

في ١٩١١م نفسه أعلنت منغوليا الخارجية انفصالها من الصين . ولم تقطع الصين تثنيتها عن ذلك ، ولم تعترف لها الصين حتى ١٩٢٨م حيث شترطت روسيا اعتراف الصين لمنغوليا مقابل اعترافها لحكومة الصين الجديدة. وقيل لم تعترف الصين لمنغوليا الخارجية إلا بعد مؤتمر يالتا ١٩٤٥م. اعتقد أن التاريخ الأخير كان لإقامة علاقات دبلوماسية بين منغوليا والصين . وقد أمضينا عشرين عاما منذ إعلان جمهورية الصين لا تغيير يذكر في سياسة الصين تجاهنا ، والحقيقة فاقد الشيء لا يعطيه ، وأحق منها أن الصين تأخذ ولا تعطي كما هو معروف .

أما المرحلة الثالثة مع الصين فبدأت عام ١٩٣١م بقيام ثورة إسلامية في عموم مقاطعات بلاد تركستان الشرقية وحينما يكون الضغط يكون

الانفجار بلا شك . وكانت منطقة قومول أكثر المناطق ضغطا وأثقلها ظلما وأقرب ما تكون إلى فوهة البركان . ولذلك فإن الأهالي هناك يأخذون بأسباب الثورة ويبحثون عن ثغرة يلجون منها وتبدأ . ولم تكن هذه الثغرة إلا محاولة أحد القواد الصينيين اسمه (جانك كاجانك) الاقتران بآنسة تركستانية وهي (جولخان بنت عبدنياز مراب) . فيحصل المتأهبون للثورة على بغيتهم في هذه القضية ويقولون لعبد نياز مراب : أنت أبد موافقتك واترك الأمر علينا ، وسوف ترى النتيجة . وفي مساء العرس يأتي (جانك كاجانك) مع مرافقيه ، وأهل العروس قد اشترطت على العريس أن يبقى لديهم حينا من الوقت ويكون الدخلة عندهم ، ريثما تألف العروس لحياتها الجديدة . ويكون في قيادة الثورة كل من (صالح دورغا) و (خوجة نياز حاجي) وغيرهم . وفي الحفل البهيج وعقب تناول العشاء يدخل (جانك كاجانك) على عروسته ولم تكن إلا البطل أمين فينقض عليه انقضاض العقاب على فريسته ويقتله في الحال ، بينما يطوق رجال الثورة مرافقي (جانك كاجانك) ويبيدهم عن آخرهم وتبدأ ثورة الأحرار . وكان مرافقي (جان كاجانك) ٣٢ نفرا بسلاحهم ، وبهذه الأسلحة المغنم تتسلح الثوار وتتوالى هجماتهم على مراكز قوي الشر والطغيان ، وقد سبقت مظالم متشابهة في تلك الأيام من قبل الجنود الصينيين .

وتفضل الدكتور نجيب الكيلاني وألف كتابا تحت عنوان : (ليالي تركستان) باللغة العربية فيه أجاد أفاد . وذلك في الستينيات من هذا العصر في مائتين وثمانين صفحة من الحجم المتوسط ، وترجم الكتاب إلى اللغة

التركية الحديثة في آستانة ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية ، وبإمكان القـاري العربي أن يراجع الكتب المذكورة .

وكانت ثورتنا هذه في عام ١٩٣١م ثورة عارمة وقامت كل مقاطعة من إقليم تركستان بثورتها المباركة .

في قمول أول شرارة ثورية مثلما ذكرنا آنفا بقيادة صالح دورغا وخوجة نياز حاجي ، وفي مدينة تورفان بقيادة الأستاذ مقصود محيطـي وحمـد الله أعلم آخونوم ومحمود محيطي ، وفي توخسـون حمـد الله دامولـلام ، وفي كوچار بقيادة تيمور بيك ، وفي ختن بقيادة محمد أمين بوغرا ، وفي كاشغر ثابت داموللا عبدالباقي الكمالي وعثمان باتور ، وفي آرتوج بقيادة كچـك آخون ، وفي آلتاي شريف خان تورة وكذلك عثمان باتور الكبـير ، وفي إيلي بعض المثقفين أمثال الدكتور مسعود صبري آياكوزي ، وكذلـك في آقسو باي سيحانج ، وفي مدينة ينكىحصار أقرباء الأستاذ عيسى يوسـف ألبتكن[١] .

ومن مزايا هذه الثورة المباركة أن الثوريـين في الشـرق والغـرب وفي الجنوب والشمال بايعوا الشيخ خوجه نياز حاجي قـائدا عامـا ورئيسـا لحكومة الثورة الإسلامية .

---

١ ـ انظر كتاب (قضية تركستان) للسيد يوسف ألبتكين طبعة جدة سنة ١٣٩٧ هـ.

ومن مرتكزات هذه الثورة المباركة التكاتف والتآزر لجميع فئات وكوادر وفرق الثورة العسكرية فيما بينهم والتفافهم شعبا وثوريين حول رئيسهم الثوري خوجه نياز حاجي ، وإيجاد جبهة قوية تجاه هجمات الأعداء الشرسة والمتربصين لنهاية الثورة الأليمة . ونرى ألوفا مؤلفة من الدراهم والدنانير ترد إلى القيادة العامة من جميع أنحاء البلاد منها ما أتحفه السيد أحمد حاجي بايبحه [1] عشرة آلاف جنيها ذهبيا ، وأكثر من ستمائة رجل بمركبهم وملابسهم وسلاحهم وكامل عتادهم الحربي هدية من أهالي ختن ، بالرغم من أن أهالي ختن قاموا عن بكرة أبيهم لصالح ثورتهم الباسلة وحكومتهم الملكية التي أقاموها برئاسة الشيخ محمد نياز أعلم آخون [2] .

وكان الثوريون يتحاشون المناصب الإدارية حبا في الجهاد وإيثارا له لأنفسهم ويضعون جانبا خلافاتهم الهامشية ويقولون : " نحن للجهاد في سبيل الله مقبلون ليتم لأولادنا وأرملة نسائنا وثكل أمهاتنا ، وما لهذه الترهات نجاهد " .

ومن موبقات الثورة : تربص أعدائنا الصينيين والروس وتونكان مسلمي الصين . ومن غرائب الصدف أن كان الجنرال المسلم الصيني المعروف بـ (محمد حسين ما بو فانغ) رئيس حكومة الأقلية المسلمة في أيالات

---

[1] ـ انظر في ترجمته : كتاب الأعلام للمؤلف .

[2] ـ انظر : كتاب (شرقي تركستان تأريخي) للسيد حميدالله تارم ، طبعة اسطانبول .

تنجين وكانسو المتاخمة لنا من جهة الشرق كان على خلاف مع ابن أخته (ما جونغ ينغ) الذي أعلن العصيان عليه . وكان الأخير هائما على وجهه في الشمال من منطقة كانسو ، وأراد الثوريون الاستفادة منه ، وكان معه أربعمائة جندي من رجاله ، وكان صعلوكا متمردا فاستقدمه الثوريون في منطقة قمول، وتقدم الثوار نحو أورومجى وقبلها (جمسا) و (جو جونغ)، وفتحت (جو جونغ) على يد الحليف الجديد (ما جونغ ينغ) ، و (جمسا) على يد الثوار المحليين ، ولكن حامية (جمسا) الصيني استمهلهم في تسليم السلاح حتى سلمها لما جونغ ينغ بدلا من خوجه نياز حاجى . وكان السلاح من أهم عناصر الحرب الثورية لدى الثوار ، وبعد مساءلة وأخذ ورد بينهما سلم (ما جونغ ينغ) أقل من عشر معشار السلاح المغتنم من هذين المدينتين . ودب خلاف بينهما ولاستحواذ هذا الدخيل الطفيلي على جل مكاسب الثورة، وتفاقمت الأمور، فخرج (ما جونغ ينغ) من البلاد وانسحب إلى أيالة كانسو . وقيل : إن هذا الأخير عرض مكاسبه في تركستان لخاله المعادى المطارد له في منطقة كانسو واستسمحه وعفا عنه .

ولعل (ما جونغ ينغ) كان في نية الانقضاض علينا في الوقت المناسب ، وهذا لا يستبعد منه ، بينما اشتدت هجمات الصين المتمركزة في أورومجى بقيادة (شين سى ساي) اضطر الثوريون مرة أخرى إلى استقدام ما جونغ ينغ إلى البلاد فتم لهم ما أرادوا ، وغصبا عنهم ، ويقول الشاعر العربي في هذا المعنى :

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

حتى إنهم في اللحظة الأخيرة من مقدم (ما جونغ ينغ) والأخير على أعتاب البلاد غيروا رأيهم فيه وأرسلوا من غير المرافقين له بعدم جدواه ، ولكن المرافقين حياء منهم لم يستسيغوا العذر ، وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا راد لقضاء الله رب العباد ، ودخل (ماجونغ ينغ) البلاد للمرة الثانية وقد استأسد، وربما أسند ظهره لخاله (ما بو فانغ محمد حسين) رئيس ولايتي تنجين وكانسو العسكرية الإدارية المسلم الصيني[1] . وكان من ضمن الثوريين ثوريون من جماعة التونكان (مسلمي الصين) المستوطنين منهم (ما شي مين) ، وحينما عجز الأخير من صد هجوم (شين سي ساي) الذي شنه في يوم ١٧ من شهر مارس عام ١٩٣٢م ، وكان (ما جونغ ينغ) في مدينة (لانجو) حاضرة كانسو ، وكان ذلك في أول مسيرة تقدم إليها خوجه نياز حاجى في اتجاهه إلى غرب البلاد وبالتحديد إلى وسط البلاد قاصدا مدينة طورفان ، وذلك بطلب وإصرار كل من الشيخ حمد الله أعلم آخون ومقصود محيطي ، وفي أول بلدة تصادفه وهي مدينة (لوكجين) . وكان الشيخ حمد الله أعلم آخون ومقصود محيطي يحثان المجاهد الكبير خوجه نياز حاجى للدخول لمدينة (لوكجين) بينما كان خوجه نياز حاجى مترددا في الدخول إليها خوفا من تطويق (شين سي

---

[1] ـ التجأ المذكور في سنة ١٩٤٩م إلى المملكة العربية السعودية ومنها انتقل إلى مصر ، وفي الستينات رجع إلى المملكة وزاول مهنة التجارة ، وحاصل على الجنسية السعودية هو وأولاده وعين قائما بأعمال الصين الوطنية بجدة قبل حصوله على الجنسية ، ثم قدم استقالته وتوفي في مدينة جدة في الثمانينات من القرن الهجري المنصرم .

ساي) القائد الصيني عليها ، ولكنه رضخ أمام إصرارهم ودخل المدينـــة ، وسرعان ما طوقها (شين) من كل جانب وحاصرها حصـارا كـاملا ، ويعلن خوجه نياز الاستنفار لجيش الإسلام الذي تحت إمرته آنذاك ، غير أنه شك في قدرة جيشه في فك الحصار وأخذ طريق التسلل من هنا وهنـاك ، ولا بد من عراك دموي بينه وبين عدوه (شين) ويسقط في المعركة كـل من الشيخ حمد الله أعلم آخون ومقصود محيطي ، وينسحب خوجه نياز من كة سالما بجيشه المظفر وينجو من الكارثة ، ومن ثم يبدأ المعارك الشرسة رفان وغيرها، فيتقدم (ما شي مين) بطلب استقدام (ما جونغ ينغ) لة كانسو في حاضرتها مدينة (لانجو) وتم له ما أراد ، وكان (مـا مين) في مدينة قراشهر وأرسل إلى هناك كل من موصـول حـاجى وطاهر بك ونياز تونكان .

وكان (يولبارس بك) من مؤيدي الفكرة ، ويقبل (ما جونغ ينـغ) القدوم إلى تركستان الشرقية وتحت يده أكثر من ألف رجل ، وكان خوجه نياز رافضا للفكرة وهيهات ذلك ، ويجتمع خوجه نياز مع (ما جونغ ينغ) في مدينة طرفان ، وسبق أن المجاهدين أحسوا بضعف قـوة الصـين ، وفي جلسة سرية بين المجاهدين وقائدهم خوجه نياز تقرر نقل قـوات الثـورة الإسلامية إلى الشمال من تيانشان مدينة (جوجين) مثلا . وسبق أن قلنـا إن الخلاف تنشب في غنائم السلاح من مدينتي (جو جونغ) و (جمسـا) بين الفريقين : فرقة ما جونغ ينغ وفرقة المجاهدين المحليين برئاسة خوجه نياز حاجى ، بينما ترتكز قوات المجاهدين المحليين على مدن الجنوب ، ترتكـز قوات (ما جونغ ينغ) على مناطق الشمال ، وتتمركـز حـول مدينة

أوروبجي ، وتمتد فلوله إلى جبال آلتاي ثم إلى الجنوب من الغرب ، والمجاهدون أيضا إلى الجنوب من الشرق .

وكاد الفريقان أن يتصادما في أكثر من موقع ، ويأتي مجاهدو ختن ممثلا في رئيس الحكومة (أي حكومة ختن المحلية) السيد محمد أمين بوغرا إلى مدينة ياركند ،ويصل إخوته وإخوانه المجاهدين إلى ينكحصار ومدينة كاشغر ، ويحصل مصادمات دموية بين أهل ختن وتونكان في مدينة ينكحصار ، ويسقط إخوان السيد محمد أمين بغرا وهما : الأمير عبد الله (شاه منصور) والأمير نور محمد (أمير صاحب) في مدينة ينكحصار .

وفي أوائل شهر أبريل من عام ١٩٣٤م التقى الزعيمان المجاهدان الكبيران السيد خوجه نياز حاجي والسيد محمد أمين بغرا ولأول مرة في مدينة ياركند لقاء خاطفا وأخويا حارا في نفس الوقت ، وكاد أن يتباحثا في إعادة تنظيم الثورة ، وعلى أساس إداري متقدم لولا انشغال السيد خوجه نياز في بعض مشاغله الخاصة .

وقد سبق هذا اللقاء ومنذ ثمانية أشهر إعلان (جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية) في اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب الحرام من عام ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣/١١/١٤م ومن بدء تكوينها ونهايتها المؤلمة قرابة ثمانية أشهر ، وكانت في أعضائها نخبة ممتازة من رجال الدين والجهاد والعلم والثروة والمثقفين تشمل ثمانية وعشرين وزيرا ووكلاء تنفيذيين ، وهم كما يلي :

خوجه نياز حاجي	رئيسا للجمهورية .
داملا ثابت عبدالباقي	رئيسا للوزراء .

يونس بك سعيدي	وزيرا للداخلية .
قاسم خان بردي حاجى	وزيرا للخارجية .
عبد الكريم خان مخدوم	وزيرا للمعارف .
أوراز بك قرغيز	وزيرا للدفاع .
شمس الدين داملا	وزيرا للأوقاف .
ظريف قاري حاجى	وزيرا للعدل .
أبو الحسن حاجى	وزيرا للتجارة .
على آخون باي	وزيرا للمالية .
عبد الله خان	وزيرا للصحة .
يوسف خان	القيادة العامة .
ساتب آلدى خان	وكيلا للدفاع .
سلطان باي	وكيل ثاني للدفاع .
قدرة الله توره	وكيلا للقيادة العامة .
محي الدين بك	مديرا للمعارف ووكيلا للوزير .
محمد على أفندي	وكيلا للتعليم العالي .
كحك آخون	عضوا في القيادة العامة .
عبد الرشيد	بصفة الركن في الجيش .

عمر آخون باي وإبراهيم باي بجه وإبراهيم لوزونغ مشرفون ماليون في المالية .

سيف الدين تردى	مقدم في الجيش .
عبد العزيز باي	عقيد في الجيش .

موسى داملا	سكرتير الدولة الكاتب العام .
تورغون حكيم	رئيس هيئة الأطباء .
موسى تركستاني	وكيلا لوزير الصحة .
محمد رضا خان	وكيلا للأشغال العامة .

وكان إعلان الجمهورية في ميدان " تومن " في ظهر مدينة كاشغر في الساعة الثاني عشرة ظهرا ، ورفع علم الجمهورية على سارية طولها أربعون مترا ، ولون العلم أزرق سماوي تتوسطها نجمة وهلال باللون الأبيض ، وعرض العلم ستين في المائة من طوله . وأطلقت بهذه المناسبة السعيدة إحدى وأربعون طلقة مدفعية في المدينة . وشعار الجمهورية (الملك لله) تتوسط الهلال أفقي الفتحة وتلفها عقدان هلالي الشكل تجمعان في الطرف السفلي بلفة شريط وتعلوها ثلاثة نجوم ، تحفها آيات قرآنية ، على اليمين قوله تعالى : ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) وعلى الشمال : ((إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)) وتحت الشعار قوله تعالى : ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)) (إسلاميت) (آزاديت) (عدالت) (أخوت).

بدأ سقوط ضحايانا منذ أواخر عام ١٩٣٣م حيث تفككت أوصال عرى الجمهورية الإسلامية بدسائس من قبل روسيا بمساعدتها للقائد الصيني (شين سي ساي) في أورومجي ، لأنها كانت خائفة من انتفاضة تركستان الغربية عليها ، ولا سيما إذا نادت تركستان أو استتب الأمر في تركستان الشرقية بجمهورية تركستان الشرقية الإسلامية . وحينذاك لم تكن روسيا أو

لم تكن الحزب الشيوعي في الصين حائزا على استقطاب روسيا في ذلك الوقت بقدر ما كانت زمرة (ماو زي دونغ) الزاحفة إلى كامل تراب الصين بما فيها تركستان الشرقية على حد ادعائهم في الأربعينات من هذا القرن .

لأن في الثلاثينات كانت روسيا طامعة في تركستان الشرقية ، ولو أنها تحسب حساب الكثرة وكثافة السكان في الصين وزيادة تعدادها . حيث إن روسيا استعملت القائد الصيني (شين سي ساي) كرأس حربة لمآربها في تركستان الشرقية ، ومن حيث لا تحس الصين أن روسيا جارتها تخونها من وراء ظهرها في تركستان الشرقية . وكانت تركستان الشرقية قد تفلت من يد الصين أثر ثورتنا المباركة التي دامت أربع سنوات ونيفا فيما بين سنتي ١٩٣١ - أواخر ١٩٣٤م حيث إن اليابان دخلت أو داهمت الصين من منطقة منشوريا وكونت هنا حكومة محلية تقبل حماية اليابان ، وذلك منذ عام ١٩٣٤م ، وانشغلت الصين في حربها مع اليابان ، وليس لها وقت تفكر في تركستان الشرقية . في حين تكاد تجزم أن تركستان الشرقية واقعة في دائرة فلكها عن طريق عميلها (شين سي ساي) ، ولكن خاب ظن روسيا وخسر حيث حافظ (شين) على تركستان الشرقية جزءا مكملا للصين في وقت انشغالها مع اليابان .

وانقسمت تركستان الشرقية منذ عام ١٩٣٤م إلى ثلاث مقاطعات في السيطرة وليس الحكم : منطقة شمال تيانشان بما فيها أورومجي تحت سيطرة (شين) . ومنطقة جنوب تيانشان (جبال خان تنغرى) تحت سيطرة التونكان (ما جونغ ينغ) . ومنطقة جنوب غرب البلاد بما فيها كاشغر

وياركند وختن في يد الثوار . واعتبرت روسيا نفسها الأسد بنصيبها الوافر في صداقته مع الثيران الثلاثة : الثور الأبيض ، والثور الأسود ، والثور الأصفر في قصة (كليلة ودمنة) ، وكانت خانة الثور الأصفر لتونكان ليقضي عليه الثور الأسود في خانة (شين سي ساي) ، (وهنا الدراما تختلف) ، ثم يقضي على الثور الأبيض في خانة الثوار المحليين ، لتأكل روسيا (شين سي ساي) أو تدوس تركستان على أكتافه في خانة الثور الأسود .

فقالت روسيا للقائد الصيني (شين) : الخطر كل الخطر في الجمهورية الإسلامية والقائمين عليها . وكما قلنا سابقا بدأ سقوط ضحايانا ممثلة في الشخصيات القيادية ، وحينما طلب قائد الثورة السلاح من روسيا قالت : نقدا ؟ قال : نقدا . واشترى كمية أسلحة خفيفة ، لكن روسيا أخلفت وعدها بشأن السلاح ، وحينما استعجلها قالت بشرط إطاحة حركة الجمهورية والجمهوريين من جهة ، ومن جهة ثانية عرضت عليه المصالحة مع القائد الصيني (شين سي ساي) . وقالت : فيها المصلحة ، وأنتم فائزون وظافرون في النهاية ، لأنها بشروط قاسية لصالحكم . فقبل خوجه نياز الصلح على مضض ، فأصدر أمر اعتقال كل من داملا ثابت بن عبد الباقي الكمالي رئيس الوزراء والشيخ ظريف قاري حاجي وزير العدل ، وسلمهما لشين سي ساي ، وذلك في أبريل عام ١٩٣٤م في مدينة أقسو . وكان اعتقالهم في مدينة ياركند في وقت سابق لهذا الشهر . وحصلت المصالحة بين خوجه نياز وشين سي ساي ووقعت عليها في مدينة

(فوكانغ)، فأصبحت حكومة الجنوب الثورية وحكومة الشمال الصينية برئاسة صيني ونائبه خوجه نياز .

ونحن نقف الآن بالقارئ الكريم في الناحية التعليمية والصحافة والثقافة والفنون . ومنذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩١١م نشطت فئة المثقفين والأساتذة الوطنيين في بسط التعليم والتربية والثقافة والفنون الشعبية ، ولا سيما المدارس الحديثة والصحافة ، وأول جريدة تصدر في تركستان الشرقية عام ١٩٢٩م في مدينة كاشغر باسم (ينكى حياة) أي الحياة الجديدة برئاسة الأديب الفاضل (قوتلوق شوقي) ، ثم أعقبها (بزنيك داوشميز) أي أصواتنا أو صدانا في مدينة جوجك في ولاية تارباغاتاي ، ثم (أقسو خبرى) أي أخبار أقسو ، ثم (ينكى شنجيانغ) أي سنكيانغ الجديدة في أورومجى عام ١٩٣٤م ، ثم توالت صحف كثيرة في وسط كل قومية لوحدها من جميع القوميات التركية منهم قازاق ، وقرغيز ، وأويغور وتتار وغيرهم .

وإن الوطنيين الثوار والقوميين في البلاد والأثرياء منهم سارعوا في بناء مدارس أهلية في عرض البلاد وطولها ، وجنوبها وشمالها ، وكذلك وزارة المعارف المنبثقة من الوحدة الصينية التركستانية حكومة (سنكيانغ الحديثة) برئاسة (شين سى ساي) ونائبه خوجه نياز حاجي كما أسلفنا . حتى إن نشاط الوطنيين الأحرار في ساحة التعليم والتربية فاق على نشاط الوزارة تفوقا عظيما ، فهناك ١٩٣٧ مدرسة أهلية في مرحلتين الابتدائية والمتوسطة في مقابل ١٣٩١ مدرسة أنشأتها الوزارة في مختلف مدن وقرى تركستان الشرقية . وعدد الطلبة في المدارس الأهلية ١٣٠ ألف طالب وطالبة عدا

العدد المناسب في مدارس الوزارة ، وكان تعداد السكان آنذاك ثمانية ملايين نسمة .

ويقول الأستاذ حميد الله تارم مؤلف كتاب (شرقي تركستان انقلاب تأريخي) في كتابه هذا في هذا الصدد : كانت هناك مدارس الشرطة المحلية تخرج منها في وقت وجيز ١٦٦٤ ضابطا وصف ضباط ، وضمن مدارس الحكومة (مدارس الوزارة) حسب تعبيرنا كانت هناك في المرحلة الأولى ٥٨٠ مدرسة وعدد الدارسين فيها ٩٠٣٢٣ طالب وطالبة وذلك في عام ١٩٣٤- ١٩٣٥م ، وأما المرحلة الثانية فبدأت العام ١٩٣٦م بضعف العدد السابق في المدارس والدارسين فيها ، وكذلك المدارس الأهلية وعددها في المرحلة الأولى ١٣٩١ مدرسة ابتدائية وفيها ٥٥٦٤ فصلا دراسيا ، وعدد الدارسين ١٨٣١٢٠ ، وهناك مدارس دار المعلمين ومدارس متوسطة وفيها ٣٩٧٤ مدرسا ومدرسة ، وعلى حساب الوزارة ٢٠٦ مدرسة لتعليم الكبار مساء ، و٦٤٠ مدرسة لتعليم الكبار من جهة الأهالي ، أو جهة (جمعية رابطة الشعوب الأويغورية) ، وكانت النتيجة من هذه المدارس الليلية للكبار أن عرفت ١٥٠٩٥٢ نفرا من كبار السن القراءة والكتابة ، وفي المدارس الليلية الأهلية ١٨٨٤٤٤ ، فتعلم الرجال والنساء على حد سواء ، حتى أصبحت النساء يعرفن الكتابة والقراءة في مدة قياسية ، وفتحت الوزارة ٢٢ مدرسة للمهن الحرة و١٢ مدرسة باسم مدرسة دار الأيتام ، وكذلك أقيمت في البلاد ٣١ مسرحا قوميا ، و٢٣ حديقة عامة ومساحة كل حديقة لا تقل عن مائة فدان من الأراضي الصالحة لذلك .

ويقول الأستاذ فلات تورفاني الأديب البارع والسكرتير الخاص للأستاذ عيسى يوسف ألبتكين في كتابه (أولكه تأريخي) ما يلي :

اهتم الثوريون في الدرجة الأولى بجهادهم المقدس كما اهتموا بالتعليم والتربية ، وقاموا بدعايات مستفيضة للتحصيل العلمي ونبذ الجهالة ، وعرفوا الجوانب المضيئة في الحياة بالعلم والمعرفة ، واستطاعوا أن يؤثروا في مجتمعهم حتى إن المجتمع التركستاني بات يأمل أن ينجب ليدرس ابنه أو ابنته ويعمل ويكسب ليؤسس مدرسة أو يساهم في بنائها وتجهيزها . وكانت سيرة التعلم والتربية على مسارين متوازيين في الاندفاع والقيمة أو على اتين قناة الوزارة في الحكومة ، وقناة المدارس والمعاهد الأهلية تحت رعاية (جمعية رابطة الشعوب الأويغورية) للتعليم والتربية ، وكانت قناة الأخير أقوى همة وأصلب عودا وأجدر اندفاعا وأعظم شكيمة وأوفر نتاجا وأكثر جمعا وإحاطة . وكان أول فوج من الطلبة التركستانيين قدم إلى أوروبجي العاصمة عام ١٩٣٣م وعددهم ٢٣٦ طالبا من مختلف مدن البلاد. ومنذ عام ١٩٣٣م بعثت وزارة التربية والتعليم بعثة طلابية وعلى مجموعات. وكل مجموعة تتكون من مائة طالب إلى طاشكند في الاتحاد السوفيتي ، وكان عدد الدارسين في البلاد عام ١٩٣٤م مائة وثلاثين ألف طالب وطالبة.

وكانت مهمة التعليم والتربية الأهلية والحكومية في يد أمينة مخلصة من زعماء الجهاد الإسلامي ، أمثال الجنرال محمود محيطي في ولايات كاشغر وأقسو وطرفان ، والسيد يولبارس في ولاية قمول وباركول ، وشريف خان توره في ولايتي جوجك وآلتاي ، وموصول حاجم في أستانه وآل محيطي معه ، والسيد الزعيم خوجه نياز حاجي في أوروبجي . وكان حقل المعارف

في ولاية كاشغر من أخصب الحقول أقداما ونتاجا ، وعلى السيد المربي القدير محمد على أفندي وأخيه نظام الدين ، وكان سيف الدين عزيزي وإخوانه الكرام من أوائل المتخرجين في هذه الحقول الخصبة المعطاءة .

أخي القارئ العزيز : نحن في منهجنا في كتابة هذه الأحداث التاريخية عن تركستان الشرقية الأخذ بكل جوانب القضية حسب تسلسل التاريخ ، فلذا أندلف إلى ساحة صناع تاريخنا الموجز هذا و في تلك الظروف والأزمنة المضيئة بالنسبة لنا ، فنأتي بالإيجاز على تراجم بعض رجالنا ، ومن يستزيد فليراجع كتابنا (الأعلام لبعض رجالات تركستان) . إليكم أولا أسماء هؤلاء الرجال ثم نورد ترجماتهم مختصرة جدا في عدة سطور وهم : خوجه نياز حاجى ، محمد أمين بغرا ، ثابت داموﻻ كمالي ، شريف خان توره ، محمود محيطي ، مقصود محيطي ، عثمان باتور ، عثمان على ، تيمور سيجانغ ، ظريف قاري حاجى ، ، عبد الكريم خان مخدوم ، كريم خان أكام ، وباي عزيزي . وهؤلاء رجال الثورة الإسلامية منذ عام ١٩٣١ وهم رجال جهاد وقادة وأصحاب مبادئ . ولنا رجال في الأربعينات منه الدكتور مسعود صبري آياكوزى ، ومحمد أمين بغرا أيضا ، وعيسى يوسف ألبتكين ، وعلى خان توره ، وأحمد جان قاسمي ، وعبد الكريم خان مخدوم ، وسيف الدين عزيزي ، منهم رجال دولة .

خوجه نياز حاجى : من مواليد مدينة قمول في أسرة ميسورة الحال ، تربى في كنف والديه يبغض الظلم وينبذه ، يعطف على الفقراء ويسعى لإسعادهم . اشترك في ثورة عام ١٩١٢م برئاسة تيمور خلفت ، وكان برتبة ملازم . انتهت الثورة بالحيلة ودسيسة الصين ، تشرد خوجه نياز في

الجبال . وبعد عام ١٩٢٠م حصل على رضاء متصرف القمول ، ثم أخـذ والديه إلى الحج وأقفل راجعا إلى بلده ، وكان ماهرا في القنص نشأ وسـط شلة من الأمراء . وفي عام ١٩٣١م اندلعت الثورة الإسلامية في قمول تحت رئاسته، وفي عام ١٩٣٤م قبل الصلح مع (شين سى ساي) القائد الصيني، وتولى منصب نائب الرئيس لحكومة تركستان المحلية ، واشتغل في التجـارة بجانب عمله الرسمي في مدينة أورومجى ، هرب رئيس جناحـه العسكري محمود محيطي إلى الهند ، فأوقعه (شين) في فخه وسجنه ومات في سـجنه عام ١٩٣٩م فهو أول رئيس بالنيابة في حكومة تركستان الشـرقية ، ومـا ت الرئاسة حتى الآن باقية في يد أبناء البلاد .

محمد أمين بوغرا : من مواليد عام ١٩٠١م في مدينة خـتن في أسـرة وسطة الحال ، وله أربع إخوة ، درس في ختن وأتم تحصيلـه فيـها ، ولم يرحل قط في طلب العلم إلى خارج بلده ، وعين مدرسا عـام ١٩٢٢م في مدرسة أهلية كبيرة . وفي عام ١٩٣٠م قام بسياحة اسـتطلاعية لعموم ولايات تركستان وتعلم شيئا كثيرا عن أستاذه الشيخ محمد مـراد رمزي مكي والد الدكتور فهمي مراد رمزي الصيدلي بمكة المكرمة . وكان الشيخ محمد مراد رمزي في مدينة (جوجك) في شمال البلاد . وفي اليـوم الأول لشهر فبراير عام ١٩٣٣م قام بثورته المباركة من مدينة ختن ، وبعد نهايـة الثورة المؤلمة وفي شهر مايو عام ١٩٣٤م غـادر بلـده إلى الهنـد ، ثم إلى أفغانستان في محاولة لمعاودة الكرة من جبال بامير ، فلم يتيسر لـه ذلـك ، عكف في كابول على المطالعة وألف كتابه القيم (شرقي تركستان تـأريخي) في مدينة كابول عام ١٩٤٠م . وفي عام ١٩٤٢م قدم إلى داخـل الصين

بدعوة من السيد عيسى يوسف ألبتكين . وفي عام ١٩٤٥م قدم إلى بلاده كعضو في الحكومة المحلية برئاسة الجنرال الصيني (جانغ جي جونغ) ، ثم برئاسة السيد الدكتور مسعود صبري آباكوزي . وحظي بعضوية كونغرس الصيني طيلة إقامته في الصين هو وزملاؤه الدكتور مسعود صبري ، والسيد عيسى يوسف . انسحب السيد محمد أمين بغرا من البلاد بصحبة السيد عيسى يوسف ألبتكين عام ١٩٤٩م وأقام في الهند حتى عام ١٩٥٤م ، ثم انتقل هو وأسرته إلى أنقرة في تركيا ، وعمل أستاذ محاضرا في جامعة أنقرة في مادة التأريخ وتوفي بها عام ١٩٦٥م .

ثابت داملا عبد الباقي الكمالي : من مواليد عام ١٨٨١م في بلدة أرتوج بولاية كاشغر ، درس فيها ثم أكمل تعليمه في بخارى في العقد الثاني من هذا القرن . وكان في مدينة كاشغر مدرسا ومرجعا للفتاوى حتى عام ١٩٢٢م ، ثم انتقل إلى مدينة غولجا واشتغل بالفتوى والتدريس ، وألف كتبا كثيرة في الدين والسيرة النبوية منها كتابه (شيرين كلام في سيرة سيد الأنام) وطبعه فيها . سافر إلى الحج عام ١٩٣٠م وعطف على تاتاريا وآستانة ودمشق الفيحاء وقاهرة المعز ، والتقى بالسيد رشيد رضا ومكث عنده حينا من الوقت ، ثم قدم للحج وأدى فريضة الحج عام ١٩٣١م ، ومكث في الحرمين إلى الحج التالي عام ١٩٣٢م ، ثم رحل إلى الهند وطبع فيها معظم كتبه منها : شرحه لألفية ابن مالك ، ثم سافر إلى بلده ، وكان محطة الأول في البلاد مدينة ختن ، ونزل ضيفا على زميله السيد محمد أمين بوغرا ، واشترك في الثورة في غرة شهر فبراير عام ١٩٣٣م . وفي ١٩٣٣/١١/١٦م أسس جمهورية تركستان الشرقية في مدينة كاشغر ،

وتولى رئاسة الحكومة ، وفي أبريل عام ١٩٣٤م ألقي القبض عليه بتحريض من روسيا في مدينة ياركند وسجن في أورومجي العاصمة . فسر القرآن الكريم بلغة قومه في سجنه هذا وسماه : (روشن بيان في تفسير القرآن) في سبعة أجزاء ومات في سجنه عام ١٩٤٢م .

شريف خان توره : من مواليد جبال آلتاي في أقوام قازاق ، تربى في كنف والديه شابا متدينا كريم النفس طاهر السريرة حميد السجايا ، التحق في مدرسة اللغة الصينية في زمانه ، تولى بعض المناصب الإدارية في مختلف المحافظات في بلدة آلتاي، ولكنه حاز على ثقافة متميزة في الدين والشريعة.

اشترك في ثورة ولاية آلتاي بعد عام ١٩٣١م بجانب زميله عثمان ، تولى عدة مناصب ثورية وإدارية في كل من أورومجي وغولجا حك، ثم تولى ولاية آلتاي بعد عام ١٩٣٤م، وتولت أخته (خادوانغ) ولاية أورومجي بعد عام ١٩٤٦م ، وأما صاحب الترجمة فجلبه (شين سي ساي) إلى أورومجي عام ١٩٣٨م بدعوى اجتماع هام واعتقله في الجلسة المشئومة وسجنه ومات في سجنه عام ١٩٤٠م .

الجنرال المسلم محمود محيطي : هو من خيرة رجال السلاح والكفاح في زمانه وإخوته مسعود محيطي وموصول محيطي . ولد محمود محيطي في مدينة طرفان في محافظة آستانة في أسرة عرفت بالغنى والثروة واليسر ، سلك مسلك الثوار بجانب أخيه مسعود محيطي ، وخاض عدة معارك دامية وقعت وما أكثرها بين القائد الصيني (شين سي ساي) ، وكسب انتصارات عظيمة حتى ارتقى إلى رتبة جنرال . تولى الجناح العسكري للثوار المسلمين في التركستان الشرقية ورفع منارات العلم والمعرفة في ولاية كاشغر وبلوكند

وآقسو وطرفان في عهده جنرالا وقائدا عاما لقوات الثـورة الإسلامية . وأسس في مدينة كاشغر (هيئة إصلاح المدارس والمساجد) وجعل المناصب الدينية حقا خالصا للعلماء فقط دون غيرهم . وأجـرى سـنة الإعاشـة والكسوة والسكن للطلبة ، وكذلك أمن لهم وجبات الأطعمة على الموائـد في صالات خاصة به . انهزم حيال دسائس الروس و(شين سي ساي) التي خططت ضده ، وانسحب إلى الهند في أبريل عام ١٩٣٧م وقـدم للحـج ودلف إلى تركيا وقفل راجعا إلى مصر ثم إلى الهند ثانية . وقامت الحـرب الثانية وكان في طوكيو ، ثم انتقل إلى بكين يتبع تقدم اليابانيين إلى الغـرب. ومات في بكين عام ١٩٤٥م وقبل استسلام اليابان للحلفاء بعـد كارثـة هيروشيما وناجازاكي .

مقصود محيطي : هو الأخ الأكبر لمحمود محيطي السابق ترجمتـه ، من مواليد آستانة محافظة صغيرة في ولاية طرفـان . درس فيـها ، ثم اش بالتجارة بين تركستان وأوربا عن طريق طاشكند وموسكو . واستف سفرياته هذه وصقل مواهبه وحصل على ثقافة متقدمـة وأصبـح بالتعليم والتربية وأسس عدة مدارس في طرفان وآستانة ، وأعلـن الجـ باسم الثورة الإسلامية عام ١٩٣١م في مدينة طرفان ، واستقدم قائد الثـورة المظفرة السيد خوجه نياز حاجي إلى طرفان ومعه أي مع المدعو حميـد الله أعلم . واستشهد في موقعة مدينة (لوكجين) في عام ١٩٣٢م .

عثمان باتور : كلمة (باتور) تعني البطل ، من مواليد جبال آلتـاي في أسرة متوسطة الحال كان يجيد القنص ، قوى الشكيمة ، شديد المـراس ، وكان به من ملامح جنكيزخان الشيء الكثير . رفع لواء الثورة الإسلامية

في آلتاي وجبالها الشامخة ضد الاستيلاء الصيني البغيض منذ عام ١٩٣١م بالتزامن مع ثورة قمول الباسلة . وكان شريف خان توره وأمثاله بجانبه . ورغم تقلبات الوضع وتبدل الظروف وقبول أكثر القادة الثوريين المصالحة مع (شين سي ساي) ، رفض هذا البطل و لم يرض إلا برحيل (شين سي ساي) من البلاد . و لم يتيسر له هذا الطلب ووقع في فخ الشيطان (شين) من وقع من زملائه أمثال شريف خان توره ، وخوجة نياز . وبطلنا لا شيء يرفع هامته ولا يريد أن يثنيها إلا برحيل الصينيين من البلاد . وكان قابعا في جبال آلتاي منذ عام ١٩٣٥م حتى عام ١٩٤٠م . ودخل إلى منغوليا مرة ومكث فيها ثمانية أشهر ، ثم عاد إلى عرينه ورفع لواء الثورة للمرة الثانية عام ١٩٤٠م و (شين) في ذروة جبروته ، حتى جاءت عام ١٩م خرج (شين) وجاء (أو جو شي) ألعن منه وأخبث . وجاء ١٩٤٥م بحكومة الوفاق الائتلاف برئاسة (جانغ جي جونغ) وأحمد ن قاسمي، وقبله حكومة تركستان الشرقية في وادي إيلي، وتمسك بقوله: " أبيدوا الصين ، ثم لا أبغي منكم شيئا " . وكان عثمان باتور شوكة مؤلمة في جنب (شين) وجنب من بعده ما دامت الصين موجودة في البلاد . ولذا لا نعتبر حكومة (شين) حكومة تحكم البلاد كلها ، لأن هناك ولاية ختن وهي تعادل ربع مساحة تركستان كلها في يد جماعة التونكان برئاسة (ما خو سن) حتى نهاية عام ١٩٣٧م وصفى (شين) بعد سجنه كلا من خوجه نياز وشريف خان توره ، وقبلهما داملا ثابت عبد الباقي كمالي ، وتم له هذه التصفية أواخر عام ١٩٣٧م ، ولكن عثمان باتور وتهديده بالثورة موجود وجود الشمس في النهار ، وفعلا قام بثورته الثانية عام

١٩٤٠م ، ثم قامت ثورة علي خان توره عام ١٩٤٣م وكونت حكومة تركستان الشرقية في الولايات الثلاث الشمالية إيلي وآلتاي وجوجك . وعثمان أبدى تعاطفه ولم يشترك فيها حيث يكرر قولته : " أبيدوا أو أبعدوا الصين ، ثم لا أبغي منكم شيئا " . تولى ولاية آلتاي حينا من الوقت في حكومة الائتلاف برئاسة الدكتور مسعود صبري فيما بين عام ١٩٤٦-١٩٤٩م . وجاءت زمرة (ماو زي دونغ) إلى البلاد في أكتوبر عام ١٩٤٩م . وقام عثمان باتور بسلاحه في وجه (ماو) وأذنابه ولمدة ثلاث سنوات . وفي عام ١٩٥٢م ضاقت به الأرض بما رحبت من جراء هجمات شديدة على منازله في الجبال بالطائرات الحربية وانسحب من عرينه إلى ولاية كانسو في صحراء جوبي قاصدا التبت ، ولكن الجنود أو الصعاليك الصينيين نصبوا له كمينا وقع فيه ، فلم يمهلوه يقوم ويثب عليهم وأجهزوا عليه في الكمين وأخذوه أسيرا وجاءوا به إلى أورومجى ، وفي شهر يناير أو فبراير أعدم رميا بالرصاص في ساحة عامة في العاصمة أورومجى بعد ٢٢ عاما من الجهاد والكفاح رحمه الله .

عثمان علي قرغز : من مواليد ولاية كاشغر في أقوام قرغيز القاطنين في جبال بامير . تولى قيادة الثورة في ولاية كاشغر عام ١٩٣٢م وأبلى بلاء حسنا وخاض عدة معارك حربية ضد الصينيين وتونكان معا في ولاية كاشغر ، ووصل بجهاده إلى مشارف آقسو شرقا في مهمة ثورية . وتولى القيادة العامة في ولاية كاشغر بعد مقتل تيمور سيجانغ عام ١٩٣٣م ، وكان من زملائه أوراز بك وغنى باتور وغيرهم .

تيمور سيجانغ : من مواليد مدينة كوجار ، وكان شابا شجاعا متدينا تربى في كنف الدين والفضيلة ، اشتغل حينا في ساحة المواصلات العامة ، وتحت يده قوافل تجارية وعربات الركوب للنقليات ، ترأس ثورة مدينة كوجار ودحر الأعداء وبلغ بظفره واندفاعه إلى مدينة كاشغر ، وتحالف مع جماعة التونكان ثم اختلف معهم ، وكان قناصا ماهرا يصيب بالرهان إحدى جناحي الطائر مثل الحمامة مثلا اليمين أو الشمال حسب الرهان . اغتيل في ظهر مدينة كاشغر على يد جماعة شريرة من التونكان وهو في تفقده لإحدى وحداته العسكرية .

الشيخ ظريف قارى حاجى : من مواليد طاشكند ، انتقل إلى بخارى س فيها ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين ومكث فيها مدة ، وأخذ العلم فطاحل علماء الحرمين ، وكان بها في عام ١٩١٤م حيث رجع إلى بلاده ، ثم هاجر ثانية إلى مدينة كاشغر ، وكان ملما بالطب العربي ففتح لنفسه محلا صغيرا يزاول الطب حتى عام ١٩٣٣م حيث شارك في تأسيس جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية مع زميله داملا ثابت عبد الباقي الكمالي ، وتولى وزارة العدل ، واعتقل مع زميله هذا في مدينة ياركند عام ١٩٣٤م سجن في أوروبجى حتى عام ١٨٤٣م حيث أفرج عنه فانتقل من سجنه إلى غولجا فاشتغل في التدريس والفتوى . وقد ألف عدة كتب في الدين والشريعة منها تفسيره (واضح البيان) في ثلاثين جزءا باللغة التركستانية . قد تفضل مشكورا وزارة الشئون الدينية في ولاية قطر عام ١٩٨٦م بإعادة طبع الجزء الثلاثون ، وجعلها وقفا لله تعالى أي النسخة بسعي واجتهاد الأستاذ حسن عبد الحميد المعاريجى التتاري الأصل . توفي

الشيخ ظريف قاري حاجي بعد عام ١٩٧٣م في مدينة غولجا وأتى بعض أحفاده إلى الحج عام ١٤٠٨هـ وتقابلت معهم .

عبد الكريم خان مخدوم : من مواليد مدينة كاشغر في أسرة اشتهرت بالعلم والبيان ، وكان أبوه وجده قاضيين في ولاية كاشغر ومن الأعيان ، درس في مدينة كاشغر ، وكان راديكالي النزعة ، وكان يعرف قدر نفسه ومكانة أسرته في المجتمع ، ويتبارز مع أبناء الذوات من أمثاله ، وتلغبوا عليه مرة فأصبح مهددا من قبلهم في حياته فرحل إلى طاشكند ، فاشرأب هناك بالقومية هو وزملاؤه ، ثم عاد وبدأ منذ العشرينات من هذا القرن في تحريض أقرانه من المثقفين ضد الصين المحتل ، ولعله حاز على رضاء روسيا ، ولعل روسيا أيضا وعدته بالمساعدة في حركته التحررية إذا هو قام بذلك ، وهذا ليس بمهم ، والأهم هو أن عبد الكريم خان مخدوم يعتبر رجل دولة وعلم وأدب ودين وعقيدة. وفي أواخر العشرينيات أبعده الحاكم الصيني (جين شو رين) إلى مدينة آقسو ، ونزل ضيفا على (باي سيجانغ) من أثرياء وأعيان البلاد ، وفي عهد الثورة وبالتحديد عام ١٩٣٢م سمح له بالرجوع إلى ولاية كاشغر ، ومع زملائه ورفقاء خدمته صوفي بك حاجي.

اشترك في تأسيس جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية ، وتولى وزارة المعارف ، ولما كان المذكور تسانده روسيا ، والقائد الصيني يأتمر بأمر روسيا لن يمسسه بالسوء ، وكان نحن طلبة في المدارس الأهلية نأتي إلى منزله العامر لختم القرآن الكريم في ليالي رمضان في كل عام بدعوة منه ، وذلك في الأربعينات ، وتولى إمارة أو ولاية كاشغر في عهد حكومة الائتلاف علم

١٩٤٦م ثم اعتزل ، ثم ارتقى إلى ذلك المنصب في عام ١٩٤٩م . اعتزل لكبر سنه في عام ١٩٥٣م . وتوفي في سرايه العامر رحمه الله .

كريم خان آكام : وكلمة : (آكام) تعني الأخ الأكبر ، وهكذا اشتهر بين عامة الناس ، وهو من مواليد مدينة كاشغر في أسرة ثرية ، درس فيها واشتغل بالتجارة وهو شاب يافع وكان يقيم أحيانا في طاشكند وأنديجان ، تحمس للقومية وكان كل همه خلاص بلاده تركستان من ربقة الاستعمار البغيض ،وكان له زملاء في العمل ورفقاء في المبدأ والمسلك . التقى بالسيد عيسى يوسف ألبتكين في مدينة أنديجان ، ولا أدرى هل هو الذي غرس فكرة القومية في السيد عيسى يوسف ألبتكين أو العكس ، والذي يدعيه السيد عيسى أنه في عام ١٩٣١م قدم كريم خان إلى مدينة غولجا ، واشترك مع المثقفين الثوريين أمثال الدكتور مسعود صبري ، ثم اشترك في ثورة طرفان ، وعين سكرتيرا عاما لقيادة الثورة المباركة برئاسة قائدها لأوحد السيد خوجا نياز حاجي ، وقبيل وقوع سيده في فخ (شين) عام ١٩٣٨م أبعده (شين) عن السيد خوجه نياز في خدمة إدارية في مدينة آقسو، وبعد كارثة سيده بأيام قضي عليه في سجنه في نفس العام ١٩٣٨م.

باي عزيزي : من مواليد طرفان ، درس فيها وتفقه في الدين ، ثم زاول بعض الحرف ، ثم انتقل إلي التجارة ، واشترك في الثورة الإسلامية حتى أنه كان المستشار الخاص للجنرال محمود محيطي ، ونزح من البلاد في انسحاب الجنرال وبصحبته ، واختلفت الأيدلوجيات في محيط الغربة وتفرق الزملاء في الهند ، ثم نزل باي عزيزي إلى الصين ، وكان في مدينة شانجهاي بعد عام ١٩٤٠م ومات فيها بعد هذا التاريخ .

قلنا فيما سبق إن لنا نخبة وهم رجال الأربعينات نأتي بنبذة من تراجمهم في حينه ، ونحن الآن نرجع بالقارئ العزيز إلى منتصف العقد الرابع وهو الثلاثينات ونقول : إن حكومة الوفاق والنفاق مع (شين سي ساي) أضرتنا أكثر مما نفعتنا أو العكس ، حيث إن الموضوع لم يأخذ قراره من المفكرين والمورخين والأكاديميين . كان (شين سي ساي) نخشا للعلم والمعرفة وهو رائدنا في مختلف الفنون وهو الأستاذ المحاضر والحاكم المطلق ، فإذا هو ينقلب رأسا على عقب منذ عام ١٩٣٩م متزامنا بانقلاب ألمانيا بأسرها من سلم إلى حرب ، وكأن (شين) قلد وبدون تشبيه هتلر بالهزامه في أرض روسيا قارصة البرد ، فقلب وجهه لسيدته روسيا هو الآخر ، وتوجه إلى حكومة الصين المركزية وتودد إليها ، وخاف على بلاد تركستان الشرقية هل هي تنقلب على الصين مرة أخرى بشبيبتها المتعلمة المثقفة ؟ فعزفت هذه الزمرة عن هذه العلل والرياحين التي غرسها هو بيده خوفا منها ، ولكنه الطرف والجزء المهم ، فأوقف أو منع رواتب المدرسين الذين تكفلت الحكومة برواتبهم ويعملون في المدارس الأهلية (جمعية رابطة الشعوب الأويغورية للعلوم والثقافة) ، ثم عمل نفس الشيء في المدارس الحكومية ، وزج بعضهم في السجون بأقل تهمة أو تلفيقة إذا أراد بأنهم كانوا متعاملين مع أفراد مشبوهة ، أو لهم صلة قرابة مع فئة ذات جنسية روسية ، أو كان والده كذا في وقت كذا ، وفعل كذا في كذا .

ثم طرد مستشاريه الروس والكوادر الروس التجارية من مدربين وأطباء وبيطريين إلى آخر القائمة الحمراء ، منهم الجيولوجيون الروس والمشتغلون في المعادن ومنابع البترول ، وسبق أن فتح الحدود وعلى مصراعيها للبضائع

الروسية بدفع مقابلها الخامات المحلية وبأرخص الأسعار ، ثم أغلقها منذ عام ١٩٤٠م مما أدى حالة أو حركة التجارة إلى الكساد والإفلاس ، ولخامات البلد للبوار ، وقلت أو انعدمت في الأسواق التجارية السلع الضرورية من مصنوعات الروس ، وأصبحت الخرد الحديدية المشغولة تباع بوزن الذهب أو كادت ، وكذلك الأدوات والكتب المدرسية حتى الأقلام الرصاص بجانب كساد قيمة المعلم والأستاذ الذي لا يحصل قوت يومه ولا يمكنه أن يشترى أو يكسو نفسه ببدلة في العام كلها ، فضلا عن الشتوية والصيفية ، ولذا قالت العامة يسخرون منهم :

إن الأفندي مشتق من الفند   لأن قوله كذب بلا سند

كلمة : (أفندي) كلمة تركية الأصل بمعنى المعلم أو الشيخ يستعملها المصريون حتى الآن ، ولم يكن هذا البيت من الشعر أو الجملة المقفى تحقيرا أو استهزاء لمعلمينا الأفاضل الكرام ، ترى أستاذا يعمل صبيا لحالك وأجيرا للمزارع وخبازا في فرن وكاتبا لعرائض واستدعاءات أمام الدوائر الحكومية ومراكز البريد في الأرصفة في ثياب بالية .

وأوجد (شين سي ساي) تقلبات عامة ، وفتح مدرسة التعليم لقيادة السيارات في أورومجى وأسس مستشفيات بيطرية في كل مدينة ، وجلب إليها فصائل من الشياه والمعز من روسيا ذوات شعر ناعم ، وأجبر أصحاب الأغنام بحيازتها ، وكان أكثرها ذكورا ، وكان من شروط التسليم واستلام المحافظة عليها ويترتب غرامة مالية كبيرة لمن أهملها أو ذبحها ، وكانت مشمئز المنظر بنتنة الريح ، ولم تنجح هذه العملية في التناسل لعدم رغبة الأهالي فيها .

وسن (شين سي ساي) قانون الكمبيالات ذات القيمة لصالح الحكومة وفرضها على الأهالي وجمع مبالغ طائلة . من الشعب من قوت عياله ومصاريف الخاصة الضرورية . وتقول بعض المصادر التابعة لسجلات الحاكم العام (شين سي ساي) في أورومجي: إن حصيلة بنكنوت (زابوم) في عام ١٩٣٩م بلغت سبع مليارات وثمانمائة ألف وستين كوجن (اسم نقد بنكنوت المتداول في زمانه) . وتساوى عشرة كوجن دولار أمريكي واحد . وهذه السندات مازالت موجودة حتى الآن عند بعض فئات الشعب.[1]

الخسارة البشرية في الهجمات المضادة للثورة الإسلامية من قبل (شين سي ساي) منذ عام ١٩٣١م حتى نهاية عام ١٩٣٧م أربعون ألف نسمة من مختلف فئات الشعب المنتجة العاملة من أثرياء ومثقفين وأصحاب السلاح والمبادئ الإسلامية من الشعب . وأما عدد المسجونين والمنفيين المحكومين بالإعدام الفوري فبلغ ستين ألفا من عام ١٩٣١م حتى أواخر عام ١٩٤٢م . ولم ينج منهم إلا بضع مئات فقط بعد شهر أغسطس من عام ١٩٤٣م حيث انسحب (شين سي ساي) إلى داخل الصين . ومن الذين أعدموا أو أهيل على أجسادهم التراب وهم أحياء بعد ما حفروا بأنفسهم حفرا وأخاديد عميقة ثم ألقوا فيها مكبلين ، وسكبت عليهم البنزين وأضرم النار في أجسادهم ، وقال زبانيته كان حرقا مفتعلا في منخفضات بنتاجون أهلنا عليها التراب ، منهم أي الضحايا : محمد على أفندي وأخوه نظام الدين وأمثالهم في مبنى بنتاجون في مدينة كاشغر عام ١٩٣٦م ومنهم أي

---

[1] ـــ انظر: أولكه تاريخى للأستاذ بولات قادرى ط غولجا سنة ١٩٤٨م.

ضحايا السجون خوجه نياز وشريف خان توره وثابت بن عبد الباقي الكمالي ، وكريم خان أكام ، وعمر باي ، وإبراهيم لوزونغ ، وأكثر أعضاء حكومة الجمهورية الإسلامية التي تأسست في شهر رجب عام ١٣٥٣هـ في مدينة كاشغر[1].

وأما في البنوك والأعمال البنكية، فلم تسلم هذه المؤسسات من غيوم التسلط وفرض هيمنة على أموال الشعب عن طريق العملاء والجواسيس والعيون التي تتربص في أموال الشعب وتجارته وتحويلاته والنقود المؤتمن فيها إذا وجدت. عبر بنك مركزي باسم شنجيانغ وفروعه المنتشرة في كل مدينة و بلدة في تركستان الشرقية . وإنما الأصل في البنوك وتواجدها كفروع بنوك طاشكند الأهلي كبنك سوفيتي تجارى ووجدت فروع لها في تركستان الشرقية من عام ١٩٢٤م وقبل هذا التاريخ بكثير وبالتحديد في العقد الثاني من ذلك الوقت كانت هناك مراكز بنكية في بعض مدن تركستان الشرقية تقبل التحويل إلى طاشكند وموسكو وبرلين وتقبل ودائع بعض الأثرياء .

وأما الكهرباء في تركستان الشرقية فعمت في مدينة أورومجى منذ عام ١٩٣٤م في دور النشر والمصانع ، وفي دور السفارات في أورومجى وكاشغر بصفة خاصة حتى الأربعينات . ومنذ عام ١٩٣٥ م وجدت محطات صغيرة في دور السينما والمسارح وركبت أجهزة مؤقتة . وفي المناسبات والمراسم الدينية في بعض المساجد الكبيرة كجامع عيدكاه في

---

[1] ـ انظر: (قضية تركستان) لعيسى يوسف ألبتكين ، و (شرقي تركستان تاريخي) لمحمد أمين بغرا ، و (تركستان انقلاب تاريخي لحميد الله تارم .

مدينة كاشغر مثلا . واقتصر استعمالها العام والشامل في مدينة أورومجى منذ عام ١٩٣٤م كما أسلفنا .

تغيرت أنماط الاتصال بين تركستان الشرقية (سنكيانغ) والصين بعد إعلان الجمهورية سلبا لا إيجابا . وذلك منذ تولى الأمور في تركستان المسلم الصيني المتعصب (يانغ زين شين) في عام ١٩١٢م من حيث جعل تركستان الشرقية منطقة خاصة به دون غيره ، وقلل من تنقلات قوافل التجارة والسفريات إلى الصين وبالعكس . حيث جعل المنطقة في عزلة عن الصين والهند وأفغانستان وروسيا . ومن ضمن مساعي جمهورية الصين منذ عام ١٩١١م لرفع اقتصاد البلاد بصفة عامة سعيها لإنشاء مصانع ذات مردود تحتاجه البلاد من خامات مصنوعة . وجاءت فرمانات ومخططات بذلك . ولكن (يانغ) لم يحفل بذلك . وبقيت هذه الفرمانات حبرا على ورق . وبعد إلحاح وأوامر متكررة أعلن مشروعا لمصنع النسيج وجعل تمويله مساهمة جبرية على الأثرياء والموسرين ، وكانت نتاجه رديئة تصلح للبطائن وقمصان من الدرجة الثالثة. وبالرغم من ذلك استحوذ عليه (يانغ) بنفسه فضاعت مساهمات الأهالي هدرا . وكان المصنع ذو ثمانين . . . انبثق عن تلكم الشركة المساهمة عام ١٩٢٣م الموزعة على أثرياء الأهالي والموسرين منهم .

وكانت حكومة الصين المركزية جادة تحاول إنشاء مبرقات لاسلكية ، ولكن (يانغ) لم يستجب لها . فأسست الحكومة المركزية في الصين مركزين أساسيين في كل من أورومجى وكاشغر عام ١٩٢٤م . وبالرغم من ذلك كان (يانغ زين شين) يمنع دخول الصحف والمجلات من خارج

البلاد حتى من الصين نفسها . وكل من في حوزته جريدة أو مجلة أجنبية يتعرض لأشد العقوبات بتهمة الانتماء لدولة أجنبية أو بالشيوعية . ونحن إذا رجعنا إلى الوراء قليلا حيث كنا في سرد أحداث البلاد بعد عام ١٩٣١ بدأنا من حيث وصلنا أن (شين سى ساي) خاف على انفلات البلاد من يد الصين أكثر من خوفه على حكمه وسلطته بعد أن ترعرعت حركة التعليم والتربية ، وأعطت ثمارها أضعافا مضاعفة بعد علم ١٩٣٧م . فبدأ بهدم ما بناه هو بيده من صروح التعليم والتربية والفنون العلمية . فضربها في الصميم في الكوادر العلمية وإذلالهم وإهانتهم ودوس رسالتهم المقدسة . وبعد عام ١٩٤١م زاد تودده لحكومة الصين المركزية في بكين ومهد الطريق لنفسه لزيارتها عام ١٩٤٢م . وفي شهر أغسطس ١٩٤٣م هرب إلى داخل الصين بأطنان من الذهب ومجوهرات محملة في ١٧ شاحنة أمريكية الصنع . ثم تولى وزارة التموين في حكومة الصين المركزية وخلف وراءه دمارا رهيبا . السجون مليئة بالمسجونين السياسيين والثوريين . والحلو اقتصاد البلاد إلى آخر درجة من الإفلاس . ولم يؤسس (شين) مؤسسة عسكرية متقدمة حتى من حيث كثافة العدد باستحواذه على المال والنقود ، فلم يكن في حوزته أكثر من ستة عشر ألف جندي في بلد مساحته تقدر قرابة مليوني كيلومترا مربعا . وأكبر مؤسسة أنشأها وبناها هي مؤسسات السجون الرهيبة تقدر إجمالي مساحتها بستة وثلاثين ألف مترا من الأرض في الولايات العشر والمحافظات التابعة لها، وعددها ثلاث وثمانون محافظة .

ومن مساوئ هذا العهد المشئوم أن (شين سى ساي) وبتحريض من روسيا أسس عدة مدارس للسيدات (جوكانلار مكتبي) وجعل شؤونها بيد

المستشارين العسكريين الروس أمثال مولانوف وزميله باي إيشان في منطقة (حريه) ومناطق أخرى في تركستان . وللمثال لعب فأر في عب الزميل لنزوته ونزوة أسياده ، فكانت عدد الضحايا في مدرسة إسرافيل للسيدات ثمانون فتاة . وعلى علم السيدة (حاجى قز) مديرة المدرسة اكتشفت القضية في ليلة عرس اللواء السيد أيلول بك بالآنسة (حواء ساتى) وتحت تهديد السلاح تعترف العروس بالفعل وتقول بالفاعل ، وتعدد تلك الثمانين بأسمائهن . ولما كان اللواء أيلول من المواطنين وبهذه الرتبة وفي ثورة الانفعال يخبر ذويهن غداة عرسه ، الأمر الذي لم تتمكن الإدارة العسكرية الروسية احتواء القضية داخل نظامها الخاص وتحال إلى المحكمة العليا في الدولة . ولما كانت الفضيحة كلها على يد الزميل يصدر حكم المحكمة بسجنه عشر سنوات مع الأعمال الشاقة وذلك عام ١٩٤٠م .

وفي عام ١٩٤٠م وبأمر من (شين سى ساي) ترحل الكوادر الروس ويبقى العملاء الأذناب ويوصى مولانوف عملاءه بالسجين فيطلقو سراحه للرأفة عليه فيطلق سراحه في أواخر ١٩٤٢م على أن لا يمكث في (حريه) ، فيأتي إلى كاشغر ويرتمي تحت أقدام العسكريين الصينيين السلبق خبرته في الإدارة العسكرية ، ويحظى ببعض رضاهم ولا يأمن جانبهم ويستأذن للخروج من البلاد فيتم له ما أراد في عام ١٩٤٢م .

وقد حظيت المواصلات والطرق في عهد (شين سى ساي) فبنا طريقا مرصوفا بالحجارة في طول ألف وتسعمائة كيلومترا فيما بين أوروبجى وغولجا ومنها إلى الحدود الروسية في الشمال الغربي من البلاد ، وبما يزيد عن ألف ومائة كيلومترا فيما بين أوروبجى و كاشغر ، ومنها إلى الحدود

الروسية . وثلاثمائة كيلومترا وزيادة فيما بين كاشغر وختن مارا بياركند . بناها في خمس سنوات من بعد عام ١٩٣٥م واشتغل فيها ستمائة ألف عامل بحميرهم وبغالهم وعرباتهم بدون أجر ولا أكل ولا مأوى ولا رعاية صحية.

إلى هنا نختصر عهد (شين سي ساي) المشئوم بعشر سنوات عجاف من أبريل عام ١٩٣٣م حتى أغسطس من عام ١٩٤٣م ثم نأتي بعهد (أوجوشي) .

(أوجوشي) هذا اسمه على ما أعتقد ، فقد عينته حكومة الصين المركزية بدلا من (شين سي ساي) . ولعلها أوصته بالأمر خيرا (أعني شرا) وأتى إلى البلاد في أواخر شهر حزيران عام ١٩٤٣م . واستلم مهام منصبه من (شين سي ساي) سرا في أول يوليو. ولكنه اعتلى كرسي الرئاسة في أول شهر أغسطس . ولم يدر بوجود أحد غير بديله (شين) الذي وصل إلى مركز الصين (جونجين) في ٤ من أيلول[١] . ولم يكن انسحاب (شين) من البلاد بطوعه واختياره ، وإنما جاء نتيجة ضغط من الحكومة المركزية ، حيث إنها تنفست قليلا من انحصار هجمات اليابان عليها وانشغال الأخيرة في الحرب الكوني الثاني في أعالي البحار ، فحشدت الصين مائة ألف جندي في ولاية كانسو المتاخمة لتركستان . واحتمال دخول القوات الصينية إلى البلاد كان واردا إما بأمر من الحكومة المركزية إذا هي أخذت بالمبادرة ، أو بقيادة الجنرال (محمد حسين ما بو فانغ) السابق ذكره حاكم ولايات مناطق مسلمي الصين . وكان ذلك تهديدا

---

[١] ـ راجع : (خاطرات لأجل تركستان الشرقية) لعيسى يوسف ألبتكن ط اسطنبول ١٩٨٦م باللغة التركية .

مباشرا على (شين) بقصد تغيير الرئاسة في تركستان الشرقية . ولم يكن عهد (أو جو شي) ذا بال في المدة التي لا تتجاوز عاما كاملة حيث إنه ارتقى كرسي الرئاسة في الثاني من أيلول ١٩٤٣م ونزل منها في اليوم الثاني أيضا من أيلول ١٩٤٤م . حيث قدم في نفس اليوم الجنرال الصيني المخضرم والحاكم العسكري والمدني والمحافظ العام لمناطق شمال غرب الصين بما فيها منطقتي كانسو وسنكيانغ والمفاوض العام بين حكومة (جانغ كاي شنغ) وحركة (ماو زى دونغ) الزاحفة إلى عموم الصين . وبصحبته كل من الدكتور مسعود صبري آياكوزى والسيد محمد أمين بغرا والسيد عيسى يوسف ألبتكين . ولخطورة الوضع الملتهب في تركستان الشرقية من جراء زحف جيوش (جمهورية شرقي تركستان) التي تأسست في الولايات الثلاث في شمال البلاد برئاسة السيد علي خان توره في السابع من شهر نوفمبر عام ١٩٤٤م . وكان تحت إمرة هذه الحكومة ما يقارب خمسين ألف جندي ، وقد وصل منها ثلاثون ألف جندي إسلامي على جسر (مناس) وعلى بعد مائة وعشرين كيلومترا من مدينة أورومجى ، وذلك في شهر أغسطس من نفس العام وقبل إعلان الجمهورية بثلاثة أشهر[١] . بحيث نفقت حكومة الصين المركزية برئاسة (جانغ كاي شنغ) تخصف على جروحها خروقا بالية نتنة . ولم تكن هذه الخرقة الوسخة إلا (جانغ جي جونغ) كما أسلفنا . وهو بدوره وبإيعاز من سيده (جانغ كاي شنغ) يبحث عمن يساعده في تداوى الصين الجريحة . ولم يكن المساعدون إلا

---

[١] ـــ راجع: كتاب (تركستان تأريخى) لحميدالله تارم ط إسطانبول باللغة التركستانية.

الثلاثة من زعماء تركستان المسلمة ، وكانوا في مدينة (لانجو). ويتباحث معهم في معالجة وضع البلاد الخطير . ونحن الآن نقف هنا بالزعماء الثلاث و (جانغ جي جونغ) في مدينة (لانجو) لنزود القارئ الملهم بأحداث الولايات الثلاث التي ثارت ونجحت في تأسيس جمهورية تركستان الشرقية بزعمائها الأحرار .

الولايات الثلاث هي إيلي وجوجك (تارباغاتاي) وآلتاي المتاخمة للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى . وكان روسيا القيصرية والبلشفية تلعب بتركستان الشرقية كورقة رابحة في استدراج الصين إما للقتال مع روسيا أو قبول هيمنتها عليها حيث إن الصين دولة فقيرة ومتخلفة . وفي نفس الوقت ذات مناطق استراتيجية هامة وغنية بالعمالة البشرية الفقيرة ، الأمر الذي يسهل للشيوعية اكتساحها عبر قنوات الفقر والبؤس والحرمان . غير أن حركة (ماو) في الشمال من منطقة منشوريا آنذاك تطل على روسيا بوجه طلق وابتسامة عريضة ولها آمال عراض وأماني طيبة تجاهها من روسيا البلشفية . فأصبحت في يد روسيا ورقتان رابحتان تلوح بهما في وجه (جانغ كاي شنغ) . الأولى: تركستان الشرقية . والثانية: حركة (ماو) في شمال شرق الصين (منشوريا) . وكانت روسيا في حيرة تامة بأيهما تلعب أولا ؟ وذلك في عام ١٩٤٤م ولم تنته بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت حركة ماو العسكرية تميل إلى بني جلدتها أكثر من ميلها إلى ستالين . أقول لبني جلدتها وليس لجانغ كاي شنغ كرئيس دولة . ويمضي الوقت بسرعة فقالت لنفسها : عصفور في اليد ولا عشرة طائرة . فأوعزت للسيد علي خان توره العالم الفاضل التقي الورع

أن تقوم بثورة وطنية فلتكن إسلامية . وبعد تمنع وتشاور يقبل الأحمر بالفكرة فيقوم بثورة مسلحة في ناحية (نلقى) في اليوم الحادي والعشرين من أيلول عام ١٩٤٣م . ويستولي الثوار على بلدة (نلقى) في نفس اليوم. وقد أخذ على خان توره عهدا من روسيا على يد القنصل الروسي (السم فولاد) بأن لا تتعرض روسيا ولا تتدخل في شئون البلاد من حكم وإدارة وتعيين وعزل على أن تمد الثورة ورجالها بالعتاد الحربي وما يلزمها من ضروريات . وتفسر روسيا كلمة ضروريات بكافة التدخل الضمني من مدربين عسكريين وكوادر إدارية ، فتشكل هيئة رفيعة المستوى لضباط اتصال بينها وبين على خان توره وأعضاء حركته الثورية . والهيئة الروسية المذكورة تشكلت من فيلادمير واسفهانبونج وآقتوردى دوم .

وتشكلت أعضاء الحركة الثورية من على خان توره ، وصالح حان باي، والمتعالي خلفت ، ومحمد حان مخدوم ، ومحي الدين قنات ، ونور الدين بك، وعبد الرءوف مخدوم ، وعمر حان ذي النون ، وحاني يولداش وعبد الكريم عباس ، ورحيم حان .

وأما المسلمون الذين بدؤوا الثورة في ناحية (نلقى) حسب تخطيط الجهاز العليا فكل من غنى حان ، وأكبرخان ، وعثمان آخون . وكانوا صعاليك التجار المشردين يعملون بالتهريب .

ولم يعدم في الاتحاد السوفيتي من يتحمس لثورة قومية إسلامية في التركستان الشرقية من الأويغور المشردين والمهاجرين والمتعلمين وذوى الميول الثورية . بمثابة أوراق مبعثرة قد لا تفيد روسيا . ولكنهم غير قليلين . وحتى الآن . وهم الجراول في الأرض والحشو في البناء ، ومنهم الصينيون

المهاجرون في روسيا . وقد استعملت روسيا بعضهم في عدالـها للجنرال محمود محيطي القائد العام للجناح العسكري لثورة تركستان الشرقية في الثلاثينات. ولا سيما فيما بين عام ١٩٣٤م وعام ١٩٣٧م . أمثال منصور أفندي ، وقادر حاجى ، وسعيد حاجى ، وياسين أفندي ، ودنغ بي جونغ ، وليو شين خنغ ، وأو دو جن ، ويو جنغ داو ، ووانغ يـاو جـن الذين أرسلتهم روسيا منذ عام ١٩٣٢م لهدم كيان الثورة الإسلامية وتفتيت مكاسبها القومية والدينية .

ونحن لا نشك أبدا في شخصية السيد أحمد جان قاسمي الذي قدم من روسيا خلسة إلى (جوجك) عام ١٩٤٢م . واشتبه فيه واقتيد إلى السجن في أورومجى في عهد (شين سي ساي) . ثم أفرج عنه بواسطة شخصية إدارية من رجال شين . وكانت من مسلمي الصين . وكان الإفراج عنه أي عن أحمد جان قاسمي عام ١٩٤٣م فأتى إلى غولجا عند بعض أقاربه ثم فتح لنفسه محلا لبيع أدوات الزينة النسائية من مرايا وأمشاط وملابس داخلية . وما أن قامت الثورة الإسلامية برئاسة السيد على خان توره إلا وتعين في عمل إدارى . ثم وكيلا للتموين العام ثم مترجما خاصا بالسيد على خان توره للغة الروسية . وأعجب به سيده بثقافته وأفكاره النيرة . ولم يكن أحمدجان قاسمي في التشكيل الحكومي التي تكون أعضاءها من أحد عشر عضوا كما يلي :

السيد على خان توره رئيسا ومرجعا عاما للدولة . والسيد حاكم بك خوجه نائبا للرئيس . والسيد أنور موسى بايوف للمالية . والسيد جور نجين (مهاجر روسي) معاونا. والسيد سيف الدين عزيزي للمعارف

بعاونه السيد حميد أفندي . والسيد محي الدين قنات للصحة . والسيد حلي بولداش مفتشا عاما . والسيد الجنرال إلكسندر (لاحئ سياسي برتبة جنرال في عهد روسيا القيصرية) وزيرا للحربية . والسيد صالح حان وزيرا للتعميرات . والسيد محمد حان مخدوم للعدل . والسيد عبد الرءوف مخدوم سكرتيرا عاما للدولة . وذلك في اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ١٩٤٤م حيث استولى الثوار على مدينة غولجا حاضرة الولاية .

وقد سبق أن وصلت قوات الثوار شرق جسر (منلس) في الثالث من شهر أيلول وأصبحت مدينة أورومجى عاصمة تركستان الشرقية تحت تهديد هذه القوات البالغة عدد أفرادها ثلاثون ألفا . وقد أبيد في ظرف خمسة اشهر أكثر من سبعة آلاف جندي صيني في تلك الولايات الثلاث وتشردت عائلاتهم .

استمرت حكومة تركستان الشرقية (حكومة الثورة الإسلامية) تحت رئاسة السيد على خان توره من تاريخ اندلاع أول شرارة للثورة في اليـ الحادي والعشرين من أيلول عام ١٩٤٣م حتى يوم ستة عشر يونيو حزيران عام ١٩٤٦م حيث اختطفت سيادته من قبل روسيا بدسيسة مكشوفة . وقبل هذا التاريخ وبالتحديد منذ اليوم السادس من الشهر نفسه تصبح حكومة الولايات الثلاث (جمهورية تركستان الشرقية) أيالات تابعة للحكومة المحلية التي تشكلت في أورومجى بموجب الميثاق المحلى المكون من إحدى عشرة مادة . حتى تقوم حكومة شبه محلية قريبة من الحكم الذاتي تحت رئاسة الجنرال (حانغ حى جونغ) . وبالفعل يتنازل الأخير بل بلا حرب يضطر أن يتنازل عن الرئاسة للدكتور مسعود صبري آياكوزى أحد

الزعماء الثلاث المقاومين من داخل الصين . وذلك بتاريخ ثمانية وعشرين مايو عام ١٩٤٧م .

ولأن نجمع القناتين في مصب واحد في حكومة أورومجى المحلية حكومة الائتلاف الصيني التركستاني عبر مساعي أبطالها ، نورد كما تعودنا تراجم بعضهم مختصرة وهم : الشيخ على خان توره ، والسيد أحمد خان قاسمي ، والسيد قاسم خان قمبرى ، والسيد سيف الدين عزيزي ، والسيد عيسى يوسف ألبتكين ، والسيد عبد الكريم عباسوف ، والدكتور مسعود صبري أياكوزى رئيس حكومة تركستان الشرقية المحلية (الحكم الذاتي).

الدكتور مسعود صبري أياكوزى : من مواليد مدينة غولجا في ولاية إيلى. درس في بلدته ثم ارتحل إلى تركيا بعد عام ١٩١١م وأتم تحصيله العالى هناك ومكث فيها حتى عام ١٩٢٥م حيث عاد إلى بلده وفتح عدة مدارس عصرية من ماله الخاص وجهاده المضني . وأوقف نشاطه مرات عديدة ، وأوقف هو نفسه مرة أو مرتين من قبل السلطات الصينية المعادية للوطنية والقومية التركستانية . ولكنه استمر في جهاده رغم الصعوبات الجمة ، واشترك مع الثوريين فيما بعد عام ١٩٣١م في مدينة (غولجا) ثم نزل إلى أورومجى ثم انسحب منها إلى جنوب البلاد وقام بعدة خدمات إدارية مع مواكب الثورة . ثم انسحب إلى الهند عام ١٩٣٤م ومنها ذهب إلى الصين حيث كان هناك أبناؤه يدرسون . والتقى بالسيد عيسى يوسف ألبتكين ، وكان ينشر مقالات في الصحف الصينية تشرح قضية تركستان العادلة ويلقى محاضرات ويصدر صحفا ومجلات باسم تركستان الشرقية ، وعين سيناتورا في الكونغرس الصيني . قدم الدكتور مسعود إلى البلاد بصحبة

زميليه السيد محمد أمين بوغرا والسيد عيسى يوسف ألبتكين ، وتولى رئاسة الحكم الذاتي في التركستان الشرقية فيما بين عامي ١٩٤٧م و ١٩٤٩م . وأبى أن ينسحب من البلاد مع زملائه . واستجوب وعذب من قبل زبانية (ماو) بعد عام ١٩٥٢م . ثم أطلق سراحه وتوفي في بيته وبين أهله ، وله مؤلفات قيمة .

السيد عيسى يوسف ألبتكين : من مواليد عام ١٩٠١م . ولد في مدينة ينكحصار في ولاية كاشغر عن أبوين متوسطي الحال . وكان والده موظفا صغيرا في دائرة الحاكم الإدارى الصيني (شين ديلى) . درس في مدرسة للغة الصينية حتى عام ١٩٢١م ، حيث عين في وظيفة كتابية في نفس الدائرة حتى عام ١٩٢٦م . صدر أمر الحكومة الصينية في أورومجى بنقل (شين ديلى) الحاكم إلى قنصلية الصين في فرغانة بمدينة أنديجان . وأحب (شين ديلى) الفتى عيسى يوسف وأصر على اصطحابه معه إلى هناك لفراسته وذكائه المفرط . فيقبل الفتى الطموح الفرصة ويستقر في أنديجان في القنصلية الصينية. وكان متزوجا بابنة أحد أقارب أبيه، وبعد مدة مرض أبوه في بلده فأتى إليه. وتوفي أبوه بعد أن استقرت عيناه بولده العزيز. ثم يعود مرة ثانية إلى أنديجان ثم يستقدم زوجته مع ابنه الطفل الرضيع (مراد)[١] . وفي عام ١٩٢٩م أرسله (شين ديلى) إلى بكين عن طريق سيبريا بالقطار السريع ليأتي من هناك بأمه وصهره . فيتعرف عيسى يوسف على الأوضاع

---

[١] ــ توفي ابنه هذا شابا يافعا في أواخر الخمسينات في مدينة إسطانبول في حادث سيارة. وكان كاتب السطور بصحبة الابن هذا في باكستان في أواخر سنة ١٩٤٩م ولعدة شهور .

السائدة آنذاك في منشوريا ومنغوليا الصين . ويدرس المجتمع الصيني دراسة مستفيضة . ويتعرف بشخصيات صينية وأكاديميين والسياسيين عبر إيصال هدايا لهم من قبل (شين ديلى) . ويقوم بالمهمة خير قيام ويدلف إلى موسكو في إيابه من بكين ويتعرف على معالمها ويتعارف مع بعض الدبلوماسيين فيها لدول الشرق .

وعندما أتاه أخوه بزوجته وطفله مرات من ينكحصار إلى أنديجان كان مع أخيه ابنه عبد الكريم بك غلاما يافعا يبقيه لديه في أنديجان ، ويلحقه في دور التعليم فيها. ويأخذ أخاه في جولة سياحية لبلدان آسيا الوسطى مثل طاشكند وبخارى وسمرقند .

وفي عام ١٩٣١م يرسله (شين ديلى) بصحبة أمه وأخته الثانية لزواجها من ولد صيني في أوروبجى . ويمكث فيها وقتا كافيا للتعرف بالمثقفين والأثرياء والشبان الناشئين والوطنيين أمثال : نظام الدين أفندى ، ومسعود أفندى ، والدكتور مسعود صبري ، وبرهان شهيدي ، وأنور موسى بايوف ، وإسماعيل باي ويوصيهم بتنمية مواهبهم ومواردهم لصالح المجتمع المغلوب على أمره وتصحيح الوضع المتردى . وفي أوائل عام ١٩٣٣م بينما جاءت تعليمات لشين ديلى بالرجوع إلى أوروبجى ، كان صهره مصابا بهلوسة في عقله ، فكلف شين ديلى السيد عيسى يوسف بالذهاب بصهره وأخته وأمه إلى بكين عند ذويهم . وذلك لعدم وجود علاج لمثل هذه الحالات في المنطقة . ثم إن ترحيلهم من أوروبجى عبر الجبال والفيافي صعب جدا ، ولا سيما على العربات البدائية في تلك المسافات

الطويلة . حتى إن المريض إذا توفي في أورومجى يجب نقل جثمانه إلى بكين لذويهم حسب عاداتهم وتقاليدهم .

فتجهز كلهم للسفر ، شين دبلى وزوجته وأطفاله ، وزوجة السيد عيسى وطفلها إلى غولجا ، ثم منها إلى أورومجى بالنسبة لشين دبلى وعائلته ومنها إلى ينكحصار بالنسبة لزوجة السيد عيسى يوسف وطفله ، حيث يوافيها أخوه في مدينة (غولجا) على أن يفترق منهم السيد عيسى في مدينة آلماتا قاصدا بكين بابن أخيه وصهر شين دبلى المريض وزوجته وأمها . وذاق عيسى يوسف الأمرين في هذه الرحلة مع الصبية والمريض والنساء . وكان السيد يوسف تواقا للعودة إلى الصين برغم الصعوبة والعناء في سفره هذا . وقد قامت ثورة مسلحة في إقليم تركستان ولم تزل في أتون الحرب منذ عام ١٩٣١م . وعندما أوصل حمله إلى أصحابه في بكين رأى السيد عيسى نفسه في ميدان فسيح ليعمل جاهدا لأجل بلده وأمته . وجمع أحداثا مبعثرين هنا وهناك من أبناء تركستان وأدخلهم في دور التعليم وأصدر جريدة ثم مجلة تنطق باسم تركستان الصينية . وحظي بمناصب رفيعة في دولة الصين (الكونغرس الصيني) هو وزميله محمد أمين بغرا بعد عام ١٩٤٢م . أوفدت حكومة الصين المركزية السيد عيسى يوسف إلى الدول الصديقة والمحبة للسلام للدعوة لموازرة الصين في محنتها مع اليابان . ومرة بعد أخرى فيما بين عامي ١٩٣٧م وعام ١٩٤١م . واتهم عيسى يوسف في مسعاه هذه بالانحياز إلى الصين والدعاية لها في وقت كانت أمته وبنى وطنه في حاجة أحوج ما تكون إليه وإلى دعايته . وكتبت صحف ومجلات في الهند وأوربا مقالات بهذا المعنى . وعلى أي حال تعددت زيارة السيد عيسى

إلى كل من الهند والمملكة العربية السعودية ومصر وتركيا وسوريا والأردن وإيران والعراق وأفغانستان ، ثم الهند ثانية فبنغال . ثم دخل إلى الصين سرا وقد نضحت تلك العقول النيرة وتحددت أهداف هذه الفئة المسلمة من زعمائها بعد أن عاشوا في الصين مدة كافية لدراسة ما يمكن عمله من كفاح وما تبغيه الصين منهم ويبغون هم من خطط تجاه بلدهم المهدور كرامته . فلم تكن هذه الرحلة إلا في عام ١٩٤٤م في شهر أيلول في مدينة لانجو حاضرة أيالة كانسو المتاخمة لتركستان . وقبل هذا التاريخ بشهرين أو ثلاثة بدأ عرض (حان كاي شنغ) لهم لمعالجة الأوضاع في التركستان الشرقية بمساعدة كل الأطراف في الأرض وعلى تراب تركستان من مبدأ احتواء ثورة الشمال في حدها الحاضر . فلم يكن أمام هذه المهمة إلا الزعماء الثلاثة : الدكتور مسعود صبري ، ومحمد أمين بغرا ، وعيسى يوسف ألبتكين . فرأسهم جنراله المخضرم (جانغ جي جونغ) المفاوض الصيني الكبير الذي التقى بالزعماء الثلاثة في مدينة (لانجو) . وبالاتفاق معه على عدة مبادئ قومية وإقليمية أتوا ثلاثتهم إلى تركستان في شهر أيلول عام ١٩٤٤م في الوقت المحرج جدا بالنسبة للصين ، حيث إن قوات ثوار الشمال البالغ عدد أفرادها ثلاثون ألف مقاتل قد وصلت على جسر (مناس) الذي يبعد مائة وعشرين كيلومترا في الشمال عن مدينة أورومجي العاصمة . الأمر الذي قال فيه (جانغ جي جونغ) : " لم يبق لانفصال

تركستان عن الصين انفصالا لا رجعة فيه إلا مسافة مائة وعشرين كيلومترا فقط ، وأنه مسألة وقت فقط بالنسبة للثوار "[1].

واختصارا لهذه الترجمة الوجيزة نقول : نقابل مع السيد عيسى يوسف ألبتكين في كل منعطف وزاوية مع الأحداث فيما بين عام ١٩٤٤م حتى أكتوبر من عام ١٩٤٩م حيث انسحب مع زميله السيد محمد أمين بغرا إلى الهند . وفي عام ١٩٥٥م أتى إلى تركيا. وقبلها أصدر مجلة باسم (صوت التركستان) في القاهرة برئاسة الأستاذ إبراهيم واصل . وأسس في تركيا جمعية لاجئي تركستان الشرقية ، وألقى أكثر من ألف محاضرة أكثرها في تركيا وفي بعض دول العالم . وألف كتبا منها : كتابه (قضية تركستان الشرقية) ترجم إلى اللغة العربية وطبع في جدة عام ١٩٧٧م . واشترك في مؤتمر آسيا وإفريقيا في مقديشو . ثم اشترك في المؤتمر الإسلامي العام بمكة المكرمة عام ١٣٨٥هـ الذي عقدته الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي واختير عضوا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي . ومنذ عام ١٤٠٢هـ قام بجولة عالمية في أوربا والأمريكتين في عام ١٩٧٦م بصحبة ابنه أركين ألبتكين . يعرض قضية بلاده لأقطاب العالم الحر . وقدم مذكرات عدة لغير واحد من مؤتمرات إقليمية وعالمية . ورفع مذكرة احتجاج ضد الصين الشعبية إلى أكثر من مؤتمر إسلامي آخرها تظاهرته واحتجاجه في مؤتمر وزراء الخارجية دول عدم الانحياز في إسطانبول . وأصدر مجلة باسم (صوت تركستان) أيضا في اسطانبول من عام ١٩٨٤م

---

[1] ـ انظر: مذكرات جانغ (شينجانغ وأيامها العصيبة) باللغة الصينية . وقد ترجمت أخيرا إلى اللغة الانكليزية في هولندا .

من مركز النشر لتركستان الشرقية باسطانبول . واستطاع أن يؤثر في المؤتمرين لاحتماعات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي حتى أصدر المجلس عدة قرارات تدين الصين الشعبية . يقيم في اسطنبول ، متزوج وله أبناء ثلاثة أكبرهم الصحفي والكاتب المعروف السيد أركين ألبتكين .

ولقد حظي السيد عيسى يوسف ألبتكين بمقابلة باني كيان المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز رحمه الله مرتين : الأولى في علم ١٩٣٩م في قصر جلالته في منى . والثانية بمكة المكرمة عام ١٩٥١م . وقد استمع جلالته إلى شرح السيد عيسى يوسف قضية تركستان المسلمة . كما تشرف بمقابلة جلالة الملك فيصل رحمه الله خمس مرات . وذلك في أعوام ١٩٥١م و١٩٥٤م و١٩٥٧م و١٩٥٨م و١٩٦٥م . يقول السيد عيسى يوسف : إن جلالته كان يستقبلني في كل مرة بحفاوة بالغة ويصغي إلى حديثي باهتمام كبير . وكنت أشكر جلالته على الرعاية والحماية التي حظي بها المهاجرون التركستانيون في المملكة ، ويرد جلالته بقوله : هذا واجبنا الديني . وفي عام ١٩٦٦م استقبل السيد عيسى يوسف ومجموعة من التركستانيين جلالته في إسطانبول في زيارته الرسمية لها . ثم زاره في نزله الخاص . ويقول السيد عيسى : إن جلالة الملك عبدالعزيز وأنجاله الكرام وأبناؤه البررة الكرام ونحن مدينون لهم في الدنيا والآخرة . اشترك السيد عيسى يوسف ألبتكين في مؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي بباكستان عام ١٩٧٨م . واتخذ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي قرار عضوية السيد عيسى يوسف في عام ١٩٨٠م . ودعي للاشتراك فيه عام ١٩٨١م وقبل ذلك واشترك في مؤتمر الصداقة الأسيوى الافريقي في مقديشو . وفي

السبعينات قام بزيارة عمل لأمريكا وأوربا زار خلالها ١٥ دولة صديقة واجتمع بأعضاء مجلس النواب الأمريكي ، وشرح لهم قضية بلاده ، وذلك من مصاريفه الخاصة .

علي خان توره : من مواليد مدينة مرغولان في بيت علم وأدب . وكانت جل أفراد أسرته من رجال العلم والتصوف ، وكان تعليمه في بلده، ويعد من رجال العلم والبيان . وكان فيه نزعة قومية إسلامية . اضطهد بعد ثورة أكتوبر عام ١٠١٧م في بلدة فرغانة وهاجر إلى (غولجا) وأمضى حياته فيها ببعض الحرف وتجارة بسيطة والتدريس . ومن سوانحه أنه شاهد يوما مضاربة بالأيدي بين تركستاني وصيني فأخذ طرف التركستاني وصفع كفا مؤلما بالصيني وقال مؤنبا : أنت أجنبي وعلى غير دين الإسلام ، البلد بلدنا ، وبأي حق تضرب تركستانيا؟ اقتيد الشيخ وتعرض لاستجوابات مشبوهة . وفي عهد صدرت منه مخالفة تجارية في مدينة آقسو فسجن أربع سنوات فواصل في السجن تدريسه ووعظه وإرشاده الديني وفسر القرآن بلغة قومه . وفي عام ١٩٤٣م ولأمر في نفس روسيا بحثت رجال القنصلية الروسية في ولاية إيلي عن رجل مناسب يقوم بثورة وطنية ضد الصين . وكان الشيخ في قرية نائية ، وبعد تردد ورفض وترو قبل الشيخ الأمر ، وعلى أساس معاهدة تحفظ المكاسب الثورية خالصة للوطن والمواطنين ، ولا تتدخل حكومة روسيا في شؤوننا الخاصة ، وتمدنا بما يلزم من العتاد الحربي والأجهزة الفنية . فقام بثورته المباركة ونجحت الثورة ، وتحررت ثلاث ولايات من عشر ولايات، وأسس فيها (جمهورية تركستان الإسلامية) بتاريخ ١١ نوفمبر عام ١٩٤٤م . بينما بدأت ثورته في اليوم ٢١ من شهر

أيلول عام ١٩٤٣م في محافظة (نيلقى) . وكانت روسيا صادقة في وعدها وعلى عهدها ، ولو أنها كاذبة طوال فترة حكم السيد على خان توره :منذ ثورته الأولى بتاريخ ١٩٤٣/٩/٢١م حتى ١٩٤٦/٦/١٦م فكانت مدة حكمه سنتان وتسعة أشهر تقريبا . حيث اختطفته روسيا على يد زمرتها المنتدبة لمساعدة السيد على خان توره وهم : فيلادمير ، استفانيونج ، آقتوردى دوم . وكان تدبير هذا الاختطاف أن يأتي هؤلاء إلى سراي الحكومة بتاريخ ١٩٤٦/٦/١٥م ليفاجئوا السيد على خان توره بأن مدة انتدابهم للعمل لديه قد انتهت وأنهم لا بد من مغادرتهم البلاد إلى روسيا في يوم الغد ، فلذا أتوه ليودعوه . وعلى حسب البروتوكولات الرسمية وعلى خلفياتهم السابقة كان على السيد على أن يودعهم من مركزهم القريبة على الحدود الروسية . فيقدم السيد على خان توره إلى مركزهم في اليوم التالي وهو يوم ١٩٤٦/٦/١٦م وكان يرافقه نفر من حراسه ، فيجرد من حراسه بدعوى جلسة سرية . وبعد ساعة من الزمن يأتونهم بإذن مزعوم من السيد على خان توره بعودتهم إلى المدينة على أن يرجعوا إليه حين انصرافه من المركز مساء . وبعد عودة الحرس إلى المدينة يجلسونه في سيارة جيب ويتجهون به إلى داخل روسيا . عاش السيد على خان توره في أوزبكستان حتى السبعينات حيث توفي هناك قبل عشر سنوات فقط . فتبقى حكومة تركستان الشرقية في يد القائد العام العسكري أحمد جان قاسمي . منذ ذلك التاريخ حتى شهر أغسطس من عام ١٩٤٩م . نأتي بتفصيل ذلك في ترجمة السيد أحمد جان قاسمي حتى نهايته المؤلمة .

أحمد جان قاسمي : ولد في مدينة آقسو ، وقيل في مدينة غولجا عام ١٩١٣م . هاجرت أسرته إلى قازاقستان السوفيتية قبل عام ١٩٢٠م . التحق أحمد في مدرسة دار الأيتام في مدينة (آلماآتا) وأتم تعليمه الثانوي في طاشكند. ثم التحق بدار المعلمين فيها وتخرج فيها بتفوق . ثم جاءه الترشيح بالتحاق لجامعة قازان في تتاريا وتخرج فيها عام ١٩٣٩م . ثم عاد إلى أوزبكستان وعمل مدرسا في مدينة (نمنكان) . وفي عام ١٩٤٠م أفاق في قلبه الوجد والحنين إلى مسقط رأسه وزيارة أقاربه في مدينة غولجا . وكان الوضع مضطربا في تركستان الشرقية . ولكن رغبته حفزته إلى القدوم إلى البلاد عن طريق مدينة (جوجك). واشتبهت فيه عيون (شين سي ساي) وقبضوا عليه وأرسلوه إلى أورومجي وسجن فيها عامين ثم سرح بواسطة قوية . ثم أتى إلى مدينة غولجا عند أقاربه . وفتح له محلا تجاريا لبيع الأقمشة بالقطاعي . وكان يواظب على الصلوات الخمس والجمع والجماعة ولا تفارقه سبحته ذات حبات كبيرة وأنيقة . وقامت ثورة السيد علي خان توره في شهر أيلول عام ١٩٤٣م وتشكلت حكومة تركستان الشرقية في نوفمبر عام ١٩٤٤م حيث تدرج أحمد جان إلى أن أصبح محافظا للتموين العام . ثم عمل مترجما للسيد الرئيس علي خان توره في اللغة الروسية ، وأحبه الرئيس لالتزامه بأحكام الدين الحنيف . ثم عين قائدا عاما للجيش الجمهوري الإسلامي . ولم يزل في منصبه حتى ساعة خطف روسيا السيد علي خان توره في منتصف حزيران ١٩٤٦م وتولى أحمد جان قاسمي رئاسة الدولة منذ ذلك التاريخ حتى شهر أغسطس عام ١٩٤٩م حيث سافر هو ورفقاؤه الأربعة إلى بكين عن طريق روسيا ومنغوليا وسقطت الطائرة المقلة

له ورفقائه بالقرب من بحيرة بايقال ، ولقي هو ورفقاؤه حتفهم . وخلفه السيد سيف الدين عزيزي في الرئاسة .

سيف الدين عزيزي : من مواليد عام ١٩١٦م ولد في مدينة غولجا الشمال من تركستان . وهم ثمانية إخوة من الذكور أبناء السيد طاش آخونوم . وكان والدهم هذا من أبرز رجال العصر همة وحمية لبني جلدته . فهو أول من أسس مصنعا للنسيج في البلاد وطور منسوجات بلاده من حسن إلى أحسن . وكون ثروة أنفقها في إسعاد شعبه ورفاهية أمته . وكان يحثهم على التعليم والتعلم ويرغبهم لغد أفضل . ولإنعاش اقتصاد البلاد سك نقودا من الفضة والنيكل باسم جمهور الكادحين في البلاد . أتم سيف الدين المراحل الأولى من تحصيله في البلاد ثم التحق بجامعة آسيا الوسطى بمدينة موسكو في كلية العلوم السياسية وتخرج فيها عام ١٩٤٢م . وقيل إنه قبل ية الحزب الشيوعي في موسكو . وقبل عام ١٩٤٤م كان سيف الدين ة غولجا مسقط رأسه ، واشترك في ثورتها وتولى وزارة التعليم في جمهورية تركستان الشرقية عام ١٩٤٤م . وتولى أيضا مناصب في جهاز الدولة العليا في عهد أحمد جان قاسمي . وخلف الأخير في كم في أوغسطس عام ١٩٤٩م . وسافر في شهر أيلول في نفس العلم إلى بكين بدلا من السيد أحمد جان قاسمي الذي قتل في حادث الطائرة المنكوبة. وقابل (ماو زى دونغ) و (شو إن لاي) وغيرهم من زعماء الصين الشعبية . وقد فاتت الفرصة لجمهورية تركستان الشرقية بإبقائها كما كانت بالإضافة لسائر الولايات السبع بمقتل أحمد جان قاسمي ورفقائه السيد إسحاق جان والسيد عبدالكريم عباسوف .

وغير (ماو زى دونغ) الموجة وغير نظرته تجاه تركستان الشرقية من إقرار الوضع السائد والحكم الذاتي العريض إلى المحافظة عليها وضبط أمورها بيده . فأوصى سيف الدين بالاحتفاظ بمائة ألف جندي صيني التابعة لجانغ كاي شينغ كرهينة لحين استلام (ماو) البلاد لنفسه دون غيره . وكان برهان شهيدي حاكما عاما في أوروبجى وتحت يده الولايات السبع . وهذا الأخير قرر الاستسلام لماو . ودخل جيش الأخير البلاد في أوكتوبر عام ١٩٤٩م بقيادة (وانغ إن ماو) . وبهذا الاحتلال انحلت جمهورية تركستان الشرقية برئاسة سيف الدين عزيزي في الولايات الثلاث الشمالية ومركزها مدينة غولجا ، فأصبحت الولايات الثلاث الشمالية تابعة لأوروبجى . وضم الجيش الوطني البالغ عدد أفراده خمسون ألف جندي إلى جيش التحرير الشعبي للصين الشعبية . وجاء سيف الدين في حكم البلاد عام ١٩٥٣م . وفي عام ١٩٥٥م تعلن الصين الحكم الذاتي لتركستان الشرقية (سنكيانغ). ويرأسها سيف الدين بجانب رئاسته للحزب الشيوعي المحلي في البلاد سكرتيرا عاما . وفي عام ١٩٥٦م كان سيف الدين بصحبة (ماو). في سفر الأخير لزيارة الاتحاد السوفيتي . وبقي سيف الدين في حكم البلاد حتى عام ١٩٧٨م حيث استقدمته حكومة الصين المركزية إلى بكين كنائب عام لسكرتير الحزب الشيوعي الصيني أو عضوا في سكرتارية الحزب الشيوعي الصيني . ولم يزل سيف الدين في مدينة بكين يقطن في فيلا أنيقة في حي الكوادر الراقي ويستقبل زائريه أيا كان . وله مؤلفات عديدة منها : (ستوق بغراخان) و(تنغرى تاغ بوركوتى) وله قصائد لم تطبع بعد .

عبد الكريم عباس : من مواليد عام ١٩٢١م . ولد في مدينة آقسو . درس في بلدته المراحل الأولى من تحصيله ، ثم التحق بجامعة أورومجى عام ١٩٣٧م وتخرج فيها عام ١٩٤١م . وجاء تعيينه في ولاية آلتاي أقصى الشمال من البلاد . ثم عاد إلى أورومجى عام ١٩٤٤م واشتغل بالصحافة . ثم انضم للثوريين في الولايات الثلاث الشمالية في عهد صاحب الثورة ومؤسس جمهورية تركستان الشرقية السيد علي خان توره . وبعد عام ١٩٤٦م عين نائبا للرئيس أحمد جان قاسمي . تزوج بفتاة صينية من المستوطنات . واتهمه بعضهم بالميول تارة إلى الصين وتارة إلى روسيا . ولكن عبدالكريم كان ملتزما بوطنيته . وخاض غمار حرب شرسة في
ـه رأسه آقسو عام ١٩٤٤م . زار الصين عام ١٩٤٦م بصحبة سيده
قاسمي . لقي حتفه في حادث طائرة في شهر أغسطس عام
كان عضوا في الوفد الرسمي لمقابلة (ماو) في بكين برئاسة السيد
قاسمي وعضوية إسحاق خان وغيرهم .

ـاسم خان قنبري : من مواليد مدينة غولجا وقيل مدينة كاشغر . ولد عام ١٨٩٤م . درس في مدينة كاشغر ، وأتم تحصيله الثانوي في أورومجى . ثم التحق في جامعة طاشكند وأتمها قبل عام ١٩٣٠م . وعين مدرسا في المدرسة المتوسطة في مدينة كاشغر . ثم ارتحل إلى غولجا و لم يزل في التدريس . وكان اختصاصه علم جغرافيا والتاريخ معا . انضم في صفوف المجاهدين الثوريين في الولايات الثلاث الشمالية منذ عام ١٩٤٣م وتولى عدة مناصب قيادية في حكومة الثورة بجانب الاستشارة العسكرية في الجيش الإسلامي الثوري . وتولى قيادة جيش الإسلام الزاحف إلى مدينة آقسو في

شهر أغسطس عام ١٩٤٤م واحتل المدينة الحديثة . وعندما داهم جيشه المدينة القديمة جاءته تعليمات بالانسحاب من ولاية آقسو ، لأن حكومة جمهورية تركستان الشرقية الثورية مقبلة على الصلح بواسطة جهة ثالثة ولها وزنها في الأحداث الجارية . انسحب قاسم جان قمبرى مع زميله حسين قارى إسلامي من مدينة آقسو بتاريخ ١٩٤٤/٩/٢٣م . وبعد عام ١٩٤٥م عين نائبا لوالي مدينة كاشغر . وتم القبض عليه في أوائل ١٩٤٦م من قبل العسكريين الصينيين . ثم بعد أيام أفرج عنه وتقلد مناصب أخرى في سائر مدن تركستان الشرقية وفي أورومجى العاصمة . وفي عام ١٩٥٣م عين واليا لمدينة كاشغر . وتوفي في ولايته هذه عام ١٩٥٦م في مدينة كاشغر .

ونحن إذ أشغلنا القارئ العزيز في تراجم بعض الشخصيات البارزة في ساحة تركستان السياسية والثورية ليقف القارئ على الوضوح حينما نتكلم عنهم كلا في حينه . وأجملنا التراجم في موقعين أو في مجموعتين ، لأن أحداث تركستان الشرقية في الثلاثينات تختلف عنها في الأربعينات . ولا سيما بعد رحيل (شين سى ساي) إلى الصين في شهر أغسطس عام ١٩٤٣م فترتب المجموعة الأولى والمجموعة الثانية . فهنا الاحتدام والاهتم من القارئ العزيز .

ونحن الآن في اليوم الثاني من شهر سبتمبر عام ١٩٤٤م حيث قدم البلاد الجنرال الصيني المخضرم (جانغ جى جونغ) بصحبة ثلاثة من الزعماء الوطنيين . وهم الدكتور مسعود صبري أباكوزى ، والسيد محمد أمين بوغرا ، والسيد عيسى يوسف ألبتكين . وقلنا في السابق قبيل تراجم تلك الشخصيات البارزة (ولأن نجمع القناتين في مصب واحد) في

حكومة أوروبجى المحلية (حكومة الائتلاف الصيني التركستاني) عبر مساعي أبطالها منذ اليوم الثاني من شهر سبتمبر عام ١٩٤٤م عبر الاقتناعات والرؤى وعلى أصعدة وأرضية مختلفة :

أولا : يرى الصينيون أن التركستان الشرقية واقعة في غليان التحرر بكل ثباتها وفي كل الولايات من ربقة الصين بأي وسيلة كانت . وربما تمدد جيش وحكومة جمهورية تركستان الشرقية في الولايات الثلاث الشمالية وقد انتشرت فيالق عسكرية وطنية على مشارف الولايات الباقية منها كاشغر وأقسو وياركند وختن وأوروبجى بالذات ، حيث تمركزت قوة عسكرية قوامها ثلاثون ألف جندي على جسر مدينة (مناس) تنتظر أمر الزحف إلى أوروبجى منذ شهر أيلول من تلك العام ، ولم يكن في التركستان الشرقية جيش صيني بهذا العدد حيث لم يتعد الجيش الصيني حتى في عهد (شين سى ساي) عام ١٩٣٣-١٩٤٣م عن ستة عشر ألف جندي . وكانت الصين المركزية مشغولة بالدفاع عن نفسها من هجمات اليابان حتى عام ١٩٤٥م . ولضعف الناحية العسكرية أبدى الجنرال الصيني المسلم الحاكم العام لمناطق مسلمي الصين (محمد حسين ما بو فانغ) أبدى هيمنته بالزحف إلى تركستان منذ عام ١٩٤٣م . ولعل حكومة الصين المركزية لم تسمح له بذلك . وحصل فائض من القوات الصينية في عام ١٩٤٤م تحت قيادة (جانغ جى جونغ) . وبصفته القائد العام العسكري والإداري لثلاث مقاطعات الشمالية الغربية (مناطق الحدود) وهي: ننغشيا وكانسو، وتركستان. كلها مناطق خاصة بالمسلمين. فبات لزاما على الصين أن تحافظ على التركستان الشرقية بأي وسيلة ، وتحول دون انفصالها

عن الصين . وفي المقدمة منع انتشار القوة العسكرية لجمهورية تركستان الشرقية ، ولا سيما أوروبجى العاصمة .

ثانيا : يرى الزعماء الثلاثة أنه لا يمكن الاحتفاظ بتركستان تابعة للصين إلا بمنح حريات أكثر وتشكيل حكومة محلية ذاتية الحكم بقاعدة أوسع حجما . وذلك باشتراك حكومة جمهورية تركستان الشرقية يقصدون رجالها في الحكم المحلي، وتقليل هيمنة الصين. وذلك بتشكيل شرطة محلية، ومجلس شعب محلي ، وصحافة محلية ، وضمان حرية النشر ، وتعيين حكام الولايات من المواطنين ، وتصحيح مناهج التعليم الشرعية حسب ميول ومعتقدات الشعب المسلم ، وسن قوانين الانتخابات المحلية ، وتقليل الكوادر الصينية في الدوائر الحكومية بازدياد الكوادر المحلية ، ورفع حجمها إلى أكثر من ستين في المائة ، ووقف هجرة الصينيين إلى البلاد ، ومنع التزاوج بين الفئتين الصيني والتركستاني ، وتكثيف المواد الدينية في المدارس الحكومية على أن تبقى الدفاع والخارجية مرتبطا بالصين المركزية .

ثالثا : يرى رجال حكومة جمهورية تركستان الشرقية وعلى رأسها السيد علي خان توره ونائبه السيد أحمد جان قاسمي وسيف الدين عزيزي وإسحاق جان وعبد الكريم عباس ورحيم جان وأبو الخير توره وغ ضرورة الاستقلال التام . وبدعوة من حكومة أوروبجى للائتلاف قدم و جمهورية تركستان الشرقية إلى أوروبجى في اليوم الثاني عشر من شهر أك عام ١٩٤٤م برئاسة السيد أحمد جان قاسمي ورحيم جان أفندي وأبو الخ توره . وفي المباحثات الرسمية بين الأطراف المعنية أصر الوفد الجمهور بالاستقلال التام وبدون تحفظ . وهذا بداية المصب نحو ائتلاف حكومي في

تركستان التي أبدى الطرف التركستاني تحفظات كثيرة حتى النهاية . وكان آمالهم وأمانيهم من جهادهم ونضالهم الاستقلال التام وإقامة حكومة إسلامي النزعة ووطنية مائة بالمائة . ومن ورائهم الشعب التركستاني المسلم بكل فئاتها وفي جميع الولايات ، اللهم إلا من شرذمة ضالة مضللة من قبل الصينيين طمعا في المناصب من فئة الصعاليك والسفلة المأجورين .

رابعا: روسيا ترى رأيين وتلعب على حبلين حسب أبعادها سلبا وإيجابا. كانت روسيا تفكر في تحرير تركستان الشرقية ليس حبا فينا ، وإنما ضغطا على جارتها الكبيرة الصين . حيث إن روسيا منذ ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م تتمنى أن تجلب الصين إلى النظام الشيوعي ، وبالتالي تفكر في هيمنتها عليها . ولا سيما بعد عام ١٩٢٨م حيث انفصل الحزب الشيوعي عن حكومة (جانغ كاي شينغ) في الصين بانسحاب (ماو) إلى الشمال الغربي من منطقة منشوريا المتاخمة لروسيا . وحتى عام ١٩٤٥م لم تقتنع روسيا بنمو مواهب (ماو) الشيوعية وتقدم أيدلوجيته في النظام الشيوعي البحت ونضوجه الفكري والتقني نحو النظام . ولذا زادت هيمنة روسيا على الصين عبر شخصية (ماو) بأن تجعله مطية لأغراضها . ولكن بمقابل دعم الولايات المتحدة الأمريكية للجنرال (جانغ كاي شنغ) في الصين . ترى روسيا أن الوقت لا يزال مبكرا في عام ١٩٤٤م ، ولذا لم ترض روسيا بصنيعه (جمهورية تركستان الشرقية) برئاسة السيد على خان توره لأنه إسلامي صرف . واختطفه ورضي بها برئاسة السيد أحمد جان قاسمي واكتفى بما قدمه سابقا من دعم ، وسحب مندوبيه (اللجنة المساعدة) ولم تقرر روسيا بعد هل تستمر في تأييدها لجمهورية تركستان المستقلة ، أم

توقف عن التأييد ؟ غير أن الكفة مالت للأخير . ريثما ينجلي الموقف العلم في داخل الصين . ... ويتحدد الصراع بين (جانغ كاي شنغ) و (ماو) في أواخر عام ١٩٤٤م فتمسك روسيا العصا من الوسط ليحفظ ماء وجهها أمام جمهورية الصين والشارع الصيني لأمر في نفسها ، وتعلن الحياد التام في مسألة تركستان الشرقية . وذلك في شهر أغسطس من عام ١٩٤٤م وبالتالي يعرض روسيا على حكومة تركستان الشرقية في الولايات الثلاث الشمالية استعدادها للوساطة بينها وبين حكومة الصين المركزية . وتجمد الطرفان هذه المبادرة . فكان قدوم (جانغ جي جونغ) بصحبة الزعماء الثلاثة الوطنيين من داخل الصين إلى البلاد ، وقدوم وفد جمهورية تركستان الشرقية من مركزها مدينة غولجا . ولم يزل تأييد روسيا ضمنا باقيا حتى شهر أغسطس من عام ١٩٤٩م حيث وقعت حادثة الطائرة المنكوبة التي أودت بحياة السيد أحمد جان قاسمي وزملائه إسحاق جان وعبد الكريم عباس ... لم يزل التأييد الضمني ورقة رابحة في يد روسيا وواقعا في جمهورية تركستان الشرقية برئاسة أحمد جان قاسمي ...

خامسا: (ماو زى دونغ) . نشطت حركة (ماو) بعد مؤتمر يالطا في شبه جزيرة قرم بين الأقطاب الثلاثة شرشل وستالين وروزفلت في شهر مايو ١٩٤٥/١١/٧م لاحتواء الصين كلها . وبرزت حنكته الإدارية وخبرته العسكرية . وقد نضجت أيدلوجيته الشيوعية . وكيف لا؟ وقد أمضى (ماو) أكثر من خمسة وعشرين عام في معالجة الشيوعية وتربيتها للصين . (ونحن نجعل الفراغ لسنتي ١٩٤٤م و١٩٤٩م بالنسبة لأحداث تركستان الشرقية) ونأتي بماو وروسيا إلى عام ١٩٤٩م حيث سدنة الحكم العام في

الصين وسقوط جمهورية تركستان الشرقية وسحود حكومة برهان شهيدي أمام زبانية (ماو) في أوروبجى . ومغادرة الزعيمين السيد عيسى يوسف ألبتكين ومحمد أمين بغرا البلاد إلى كشمير ثم الهند ثم إلى تركيا .

كان (ماو) على علم بأحداث تركستان الشرقية في الأربعينات وكذلك قبلها في الثلاثينات ، لأنه رحل دولة . وتركستان في دولة الصين وروسيا التي تسانده تساند في الوقت ذاته جمهورية تركستان الشرقية ، ومنذ ثورة على خان توره عام ١٩٤٣م . وهناك في الصين ولدى (ماو) خبراء من روسيا ، وكذلك في جمهورية تركستان الشرقية . وتساند روسيا ويمدها بالعتاد الحربي والأسلحة ، وكذلك في جمهورية تركستان الشرقية .

ولعل تركستان بالنسبة لماو مسألة وقتية . ولكنها عند روسيا ورقة رابحة للضغط على الصين أسودها وأحمرها . وفي مفاوضات الوطنيين الأحرار ورجال الجمهورية أحمد جان قاسمي وزملائه وعلى خان توره في رئاسة الجمهورية في شهر أكتوبر عام ١٩٤٤م وقف روسيا بجانب الجمهوريين المستقلين حيال مطالبهم العادلة . وبعد أخذ ورد قبلوا وثيقة الوفاق والاتفاق التي تتضمن إحدى عشرة مادة بعد تعديل بعض فقرات موادها . ووقعت في اليوم التالي من شهر يناير عام ١٩٤٥م . وبقيت اللائحة التفسيرية لتبادل الآراء ثم وقعت بتاريخ ٦ حزيران عام ١٩٤٥م . وتشكلت حكومة الائتلاف بتاريخ ١٩٤٥/٧/١م برئاسة (جانغ جي جونغ) ونائبه السيد أحمد جان قاسمي . وفي عام يأتي (جانغ جي جونغ) إلى تركستان بمائة ألف جندي صيني محملين بشاحنات أمريكية ويوزعها في الولايات السبع وهي آقسو وكاشغر وقرا شهر وختن وكورلا وقمول

وأورومجي . ويحث أفراد الجيش والقادة العسكريين بالاتصال بالمأجورين والصعاليك (الذئاب الجائعة) وأنهم يلعبون بالانتخابات ويشترون ذمم ضعاف النفوس من العوام . ولتثبيت وضعهم السياسي يعمل أحمد جان قاسمي وزملاؤه لتوسيع قاعدتهم الأساسية وينحون في ذلك على مستوى الشعب دون الصينيين . واستنادا لمائة ألف جندي صيني تصدر حكومة الصين المركزية قرارا بتعيين الدكتور مسعود صبري رئيسا لحكومة سنكيانغ (تركستان الشرقية) والسيد عيسى يوسف ألبتكين سكرتيرا عام للحكومة. ويتزل بهذا الفرمان السيد أحمد جان قاسمي من رئاسة الحكومة بالنيابة . وذلك بتاريخ ٢٨ من شهر مايو عام ١٩٤٦م . وبعد اليوم العشرين من شهر أغسطس ينسحب الجمهوريون من أورومجي إلى مدينة غولجا عاصمة جمهوريتهم الولايات الثلاث كما كانت ، ولم تزل روسيا تأييدها لها . (ولكن روسيا قد اختطفت على خان توره بتاريخ ستة عشر حزيران على يد لجنة المساعدة الروسية) . وتمضى السنوات الثلاث التالية عام ١٩٤٦م و ١٩٤٧م و١٩٤٨م بسلام على تركستان منقسمة إلى حكومتين محليتين : الأولى : برئاسة الدكتور مسعود صبري في أورومجي والولايات السبع . والثانية : برئاسة السيد أحمد جان قاسمي في الولايات الثلاث الشمالية وعاصمتها مدينة (غولجا) . بينما تغلى الصين في أتون هجمات (ماو) . وعند إطلالة عام ١٩٤٩م تبدأ الصين بشقيها (حكومة الصين المركزية المنهارة برئاسة جانغ كاي شنغ وحركة ماو المتقدمة) تبدأان توددهما نحو روسيا . وذلك أن الأولى تغير تركستان الشرقية بتعيين الثعلب الماكر برهان شهيدي بدلا من الدكتور مسعود صبري وعيسى

يوسف ألبتكين في حكومة أوروبجي . والثانية تفكر جديا في كيفية معالجة تركستان الشرقية ، ولا سيما جمهوريتها الفتية في الشمال . لأن روسيا هي التي أينعت وزرعت الحركة الماوية ، وأوجدت وزرعت حكومة تركستان الشرقية التي تهيمن على أجزائها الباقية الولايات السبع . وبعدها التبت . وكلها مناطق حدودية صينية أصلا . وقد قضت وصايا الدكتور (صن يات صن) بما خيرا حق الاستقلال والانفصال عن الصين في ظروف مواتية. فوجه (ماو) برقية عاجلة لحكومة تركستان الشرقية في أغسطس عام ١٩٤٩م تستدعي بعثة رفيعة المستوى للتباحث في شئون تركستان ككل في مدينة بكين . فتشكلت البعثة المطلوب على وجه السرعة برئاسة السيد أحمد جان قاسمي وعبد الكريم عباس وإسحاق بك ودليل قان قازاق . فأحس روسيا أن سياسته تجاه تركستان الشرقية على منحنى لا يمكن التنبؤ بعقباها نتيجة محادثات (ماو) مع السيد أحمد جان قاسمي وزملائه . ولم تكن الوسيلة لانتقال البعثة إلى بكين إلا الخطوط الروسية الصينية عبر سيبريا، فيضرب روسيا ضربته القاضية بالطائرة المقلة بالوفد . وكانت الرحلة بسابق إذن من روسيا وتحت ترحيبه . ولقي أفراد الوفد حتفهم . وذلك خشية من روسيا على أن تتمخض المباحثات بتثبيت جمهورية تركستان الشرقية فتكون شوكة تؤلم روسيا في جمهورياتها الخمس الأسيوية. وبعد التحريات اللازمة من الجهات المعنية فورا يستدعي ماو وفدا تركستانيا بدلا من البعثة المفقودة ، فيتكون الوفد هذه المرة برئاسة السيد سيف الدين عزيزي ورفقائه . فيتغير التكتيك في بكين كما تغير قبلا في موسكو تجاه

تركستان الشرقية واستقلالها الذاتي بين المعسكرين العظميين الصين وروسيا الشيوعيتين في آن واحد . (والكفر ملة واحدة) .

وبينما يقول القنصل الروسي في مدينة (غولجا) في عزائه : إن شهادتكم خسارة تاريخية بالنسبة لتركستان الشرقية ، يقول السفير الروسي للسيد سيف الدين عزيزي حينما ينعى إليه بوفاة السيد أحمد جان قاسمي ورفقائه . يقول السفير الروسي في أوروبجي للسيد طلعت موسى بايوف : إن الأباليس راحوا إلى جهنم . وأيهما نصدق ؟ وأنهم كذابون لو صدقوا ، جبناء محتالون . ولكننا نفهم أن أحمد جان قاسمي ورفقائه الأحرار وزملاءهم لم يكونوا شيوعيين بالمعنى الصحيح بقدر ما هم وطنيون مخلصون لأمتهم وموفون بعهودهم . يرحمهم الله .

نرجع بالقارئ العزيز إلى اليوم الثاني من شهر أكتوبر عام ١٩٤٤م حيث وصل الزعماء الوطنيون من الشمال (جمهورية تركستان الشرقية) وفي المباحثات الرسمية بين الأطراف المعنية أصر الوفد الجمهوري بالاستقلال التام وبدون تحفظ . وأمام إصرارهم هذا وضع الجنرال (جانغ جي جونغ) مسودة ميثاق لائتلاف حكومي في إحدى عشرة مادة . وذلك أن حكومة الصين المركزية لا تكاد تستطيع الحفاظ على التركستان الشرقية بفضل تنامي قوات جمهورية تركستان الشرقية في الولايات الثلاث ، والتهديد من قبلهم على أوروبجي العاصمة . وأن تلك القوات قد انتشرت في مشارف سائر الولايات السبع . حتى أن الصينيين أرادوا أن ينقلوا حكومة أوروبجي إلى مدينة قمول المتاخمة للصين في أقصى الشرق من البلاد . وإزاء هذه الظروف المهلكة للصين عرض (جانغ جي جونغ) مسودة الميثاق في

إحدى عشرة مادة . وقال هذه هي التي تستطيع حكومة الصين المركزية أن تعطيكم إياها . وهي كما يلي :

أولا : تسمح حكومة الصين المركزية لسكان (سنكيانغ) تركستان الشرقية أن يختاروا الأشخاص الذين يثقون بهم ويعتمدون عليهم ولاة وحكاما وكوادر وموظفين في إدارة البلاد .

ثانيا : تسمح حكومة الصين المركزية أن تكون الكتابة في دوائر الأحوال المدنية والإدارات الحربية والمحاكم باللغة الأويغورية . (بالأحرف العربية) .

ثالثا : المناهج التعليمية في المدارس الابتدائية والمقررات تكون بلهجات تلك الأقوام والقبائل في مناطقهم الإقليمية .

رابعا : تسمح حكومة الصين المركزية بحرية النشر وحرية الاجتماعات في منطقة (سنكيانغ) تركستان الشرقية .

خامسا : تسمح حكومة الصين المركزية لحكومة أورومجي أن تشكل قوة عسكرية بذاتها حسب حاجتها الإقليمية .

سادسا : تسرح المعتقلين السياسيين من قبل حكومة الصين أو من قبل الثوريين (جمهورية تركستان الشرقية) وبدون تحفظ ، وعلى مبدأ تشكيل حكومة الائتلاف .

سابعا : يكون لحكومة الصين المركزية الحق في حل حكومة الائتلاف لأسباب تضر بمصلحة هذا الوطن سياسيا وأيدلوجيا مع إبداء الأسباب وشرحها .

ثامنا: تبقى شئون الدفاع والخارجية خاصة لإدارة الحكومة المركزية في الصين . ولها شعبتان مصغرتان في منطقة سنكيانغ تتبع رأسا للحكومة المركزية في بكين وتستمعان لآراء الحكومة المحلية .

تاسعا: تتحمل الحكومة المحلية (الائتلاف) نفقات الجيش مناصفة بينها وبين الحكومة المركزية أو في حدود تحملها (أي الحكومة المحلية) على أن يندمج الجيش الوطني في الولايات الثلاث جيشا تابعا لحكومة الصين المركزية .

عاشرا : يكون رئيس الحكومة المحلية وسكرتيرها العام ووزير المالية والداخلية والتخطيط والمدير العام للشرطة من الصينيين . على أن تعين لهم نواب أكفاء من المواطنين . وكذلك الباقية من الوزارات والولاة والحكام وأفراد الشرطة والدوائر ذات الاختصاصات بخدمات الجمهور من المواطنين أيضا .

حادي عشر : تنحل جمهورية تركستان الشرقية في الولايات الثلاث الشمالية . وتعود تلك الولايات ولايات تابعة للحكومة المحلية في أورومجي العاصمة .

ويستطرد (جانغ جي جونغ) قائلا : إن هدفنا الأساسي ينحصر في المبادئ الأربعة وهي : أن نحافظ على صداقة الصين وروسيا . وأن نحافظ على وحدة التراب الصيني . وأن نمضي قدما في طريق الديمقراطية وسيادة الشعب . وأن نحافظ على وحدة الشعوب المتواجدة في سنكيانغ .

ثم يقول : يجب أن تحارب حكومة البلاد الرشوة والفساد . وأن تحارب الأفيون وسائر المخدرات . وأن تحارب القمار وأوكارها الفاسدة .

وأعلن (حانغ جي جونغ) من طرفه وبصفته المفوض العام للحكومة المركزية العفو عن الضرائب والمستحقات الحكومية من الشعب لعام ١٩٤٥م ورد المظالم والأملاك المصادرة الغير منقولة إلى أصحابها . ونفذت هذه القرارات فورا .

وكذلك طرد (حانغ جي جونغ) مائة وواحد وثلاثين شيوعيا صينيا من البلاد . ومن إجراءات (حانغ جي جونغ) الفورية حل مؤسسات الإرهاب بنتاجون التي تأسست في عهد (شين سي ساي) . وأقال الحكام الصينيين في الولايات والمحافظات وأحل محلهم المواطنين . وشكل هيئة للتفتيش والتوعية تجوب الولايات والأقاليم تشرح المستجدات الوطنية في البلاد ، ويفصل المتزوجين والمتزوجات من الجنسين التركي والصيني . ويشكل هيئات استشارية .

ولكن وفد تركستان الشرقية يصر على الاستقلال التام والفوري في البلاد . وإزاء إصرار الطرفين على مواقفهما ، يأخذ الوفد الجمهوري نسخة من الميثاق واللوائح التفسيرية ، ويرجع إلى (غولجا) للاستشارة مع حكومته . وذلك بتاريخ ١٩٤٤/١٠/٢٢م . وخلال تسعين يوما يتردد الوفد في رحلاته المكوكية بين أوروبجي وغولجا ثلاث مرات متتالية حتى تقتنع حكومته بالموافقة لتوقيع الميثاق بتعديلات معلومة .

وفي اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٩٤٥م تشكلت حكومة الائتلاف على النحو الآتي :

المناصب	رجال جمهورية الصين	رجال جمهورية تركستان الشرقية	أفراد مستقلون
رئيس الحكومة	جانغ جي جونغ	أحمد جان قاسمي نائبا	برهان شهيدي نائبا
سكرتير الحكومة	ليو من جونغ	عبد الكريم عباس (أول)	سالي أفندي (ثاني)
وزير المالية	ليو ون		ناتينغ أنغ (المستوطن)
وزير الإسكان	جو جين جي نائبا		محمد أمين بوغرا وزيرا
وزير الداخلية	وانغ زين شي	رحيم جان نائبا	
وزير الصحة		دليل قان قازاق	
وزير الشئون الاجتماعية			جانغ خانغ فون (المستوطن)
وزير الشئون البلدية	جوي أوو		
وزير المعارف	جوان زى لنغ		سى زونغ شين (مستوطن) نائبا
وزير الدولة			عيسى يوسف ألبتكين عضوا

المناصب	رجال جمهورية الصين	رجال جمهورية تركستان الشرقية	أفراد مستقلون
وزير شئون الأمن القومي		إسحاق بك (نائبا)	
الولاية		على خان توره واليا	عبد الكريم خان مخدوم واليا
الولاية		عثمان باتور واليا	
وزير الدولة			جودى خواه (مستوطن)
وزير الدولة		أبو الخير توره	

وكل هؤلاء خمسة وعشرين شخصا يتسلمون مناصبهم بعد أداء يمين الخدمة في نفس اليوم بتأريخ ١/٧/١٩٤٥م .

هل انتهت الأزمة السياسية والثورة القومية الوطنية بهذه الحكومة ؟ وجوابا لهذا السؤال الملح نرجع بالقارئ العزيز إلى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣م حيث انسحب (شين سى ساي) من سنكيانغ (التركستان الشرقية) وتعيين المتعصب الصيني (أو جو شى) في حكم البلاد . ومارس سلطته منذ شهر يوليو من تلك العام . وتعيين الجنرال الصيني (جانغ جى جونغ) قائدا عاما لأربع مناطق في شمال الصين الغربي ومنها تركستان الشرقية . وكمبادرة من قبل حكومة الصين المركزية جلبت إلى منطقة تركستان الشرقية مائة ألف جندي صيني بقيادة (تاو سيو) ووزعتها على

كل الولايات في التركستان جنوبها وشمالها ماعدا الولايات الثلاث الشمالية: آلتاي، وجوجك ، وإيلي لوجود ثورة شعبية فيها بقيادة السيد على خان توره التي بدأت بتاريخ ٢١ أيلول عام ١٩٤٣م . ويشكل الثوريون حكومتهم المستقلة في الولايات الثلاث باسم جمهورية تركستان الشرقية بتاريخ سبعة نوفمبر عام ١٩٤٤م . وتصيب الصين صدمة قوية ويتملكها الخوف من ضياع تركستان إلى الأبد ، حيث إن الثوريين حشدوا ثلاثين ألف جندي إسلامي في بوابة العاصمة أورومجى على جسر مدينة (منلس) التي تبعد بمائة وعشرين كيلومترا فقط منذ شهر يونيو عام ١٩٤٤م ، وأنهم الآن في انتظار أمر الاقتحام على أورومجى .

و لم يكن بإمكان مائة ألف جندي بقيادة الجنرال (تاو سيو) أن يواجه الثوار البالغ جيشهم أكثر من خمسة وأربعين ألف جندي إسلامي . لأن الآخر يقاتل في أرضه لحماية عرضه وشرف أمته تحت راية القرآن . يعرف قراها ومدنها وجبالها وأنهارها وروافدها ومسالكها الجبلية . وإن جيش الثوار مسلحون بأسلحة أمريكية وروسية ، غنموا الأولى من الجيش الصيني المنهزم في الولايات الثلاث . والثانية إمدادات روسية . حقا إنها أسلحة متطورة في حين لم يملك الجيش الصيني البالغ عددها مائة ألف جندي من الأسلحة الثقيلة سوى بضع مدافع الهاون ، وأجهزة إرسال متطورة تبث وتستقبل من وإلى دوائر معلومة. وكلهم مشاة و لم تخض معركة حربية قط.

ومستواهم التكتيكي العسكري صفر على الشمال . ولو أن معظمهم في دور التدريب بعمل خرائط محلية . وزد على ذلك افتقارهم إلى أهل البلاد في تموينهم الغذائي اليومي . في الوقت الذي أخذ الإداريون الوطنيون جانب

الثوريين في الشمال والجنوب وعلى حد سواء، وفي يدهم الجباية والصوف. الأمر الذي حدا بالجنرال (جانغ جي جونغ) وبالتوجيه من (جانغ كاي شنغ) أن يأخذ زمام المبادرة ويتفاوض مع حكومة الثوار الزاحفة إلى أورومجي . ممسكا بيده اليمنى الزعماء الثلاث : الدكتور مسعود صبري ومحمد أمين بوغرا وعيسى يوسف ألبتكين . وبيده اليسرى مائة ألف جندي مشلول .

ومنذ شهر أكتوبر عام ١٩٤٤م حيث قدم الوفد الجمهوري برئاسة السيد أحمد جان قاسمي وعضوية السيدين أبي الخير توره وإسحاق جان بدأ التودد بين الزعماء الثلاث القادمين من داخل الصين وبين الوفد الجمهوري برئاسة السيد أحمد جان قاسمي . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يبدي الوفد الجمهوري تحفظات عدة على بنود الميثاق للائتلاف الحكومي وملحقاتها ولوائحها التفسيرية . حيث إنهم في آخر عودتهم المكوكية بتاريخ ١٩٤٤/١٢/٢٥م يقدمون وجهات نظر حكومتهم جمهورية تركستان الشرقية برئاسة علي خان توره كالتالي :

أولا : أن يكون رئيس الحكومة المحلية ووزراء الداخلية والمعارف والإسكان من الوطنيين الأحرار.

ثانيا : أن يكون شؤون الأمن العام والشرطة المحلية في يد المواطنين .

ثالثا : أن يسحب حكومة الصين المركزية جنودها التي ساقتها إلى البلاد عام ١٨٤٣م من البلاد .

ولكن (جانغ جي جونغ) بتسويفات وتطمينات يسوى الأمور ويسوسها بحنكة إدارية . ويتم التوقيع على مسودة الميثاق في اليوم الثاني من

شهر فبراير عام ١٩٤٥م . وتبقى اللوائح التفسيرية حتى أواخر شهر مايو عام ١٩٤٥م . ويبدى الوفد الجمهوري تحفظاته نحو اللائحة التفسيرية ويرجع إلى مركزه مدينة (غولجا) للتشاور مع حكومته . ثم يأتي للمرة الرابعة بتاريخ ٥ مارس عام ١٩٤٥م بالطلبات التالية :

أولا : أن يسمح بانتشار القوات الوطنية في كل من أوروبحى ، وكوجار ، وأقسو ، وكاشغر . يقصد قوات جمهورية تركستان الشرقية الوطنية .

ثانيا: أن ينسحب القوات الصينية التي أتت إلى البلاد عام ١٩٤٣م وعددها مائة ألف جندي .

ثالثا : تحل مؤسسة المباحث التابعة للأمن العام وتنتهي مظالمها من ء شعبنا العزل المغلوب على أمره .

فعالج (جانغ جي جونغ) هذه المطالب بأسلوبه السابق مع تطمينات مستقبلية ووعد بمعالجة بعض المسائل على أساس الأولوية للأهم قبل المهم . فحظيت الملاحق واللوائح بالتوقيع جماعيا بتاريخ يونيو عام ١٩٤٥م وبتعديلات طفيفة . وتشكلت حكومة الائتلاف بتاريخ ١٩٤٥/٧/١م ، وحاز السيد أحمد جان قاسمي برئاسة الحكومة بالنيابة . وزميله السيد عبد الكريم عباس بالسكرتارية بالنيابة أيضا . وعضوية السيد عيسى يوسف

ألبتكين . ويبقى الدكتور مسعود صبري خارج الحكومة . لعلـــه وزميلـه الصيني (يو يو رين) كانا مشرفين على الأوضاع كلها من على بعد .

وقد أمضينا تسعة أشهر في هذه المفاوضات المضنية من أكتوبـــر عـــام ١٩٤٤م إلى يوليو عام ١٩٤٥م . ونحن نرسم خطوات وملامح السـيدين أحمد جان قاسمي وعيسى يوسف ألبتكين عبر الأحداث ، وأنهما يحمـلان النفس الطويل تجاه بعضهم بعضا . ونراهما كانتـا حيـا ذي رأسـين وذو اتجاهين تكاد تكون متضادين على جسد واحد ، ويبدوان صديقين حميمين، ويناجيان على أحلام وتصورات واحدة . وكم من أمسيات قضياها سـويا على الجداول الرقراقة وسط زقزقة البلابل وكأنهما عاشـقان لا يتفرقـان . وحقا كان السيد أحمد جان قاسمي برغم صغر سنه رجل دولة وسياسة يرى البعيد ويحكم بروية . وفي أواخر عام ١٩٤٥م زار وفـد رفيـع المستوى حكومة الصين المركزية وفي عضويتها كل من السيد أحمد جـــان قـــاسمي وعيسى يوسف ألبتكين وعبد الكريم عباس وعدة وزراء مــن الصينيين . ويمتدح السيد عيسى يوسف ألبتكن كيف أن كبار رجال الدولة في الصين المركزية يزورون رئيس حكومة تركستان المواطن التركي أحمد جان قـاسمي في جناحه الخاص بدار ضيافة الدولة الصينية ، وكم يـبدى افتخـاره بـه ويعترف بذكائه وأسلوبه الدبلوماسي الفذ ، وجذالة نطقـه عـبر خطبـه المتعددة في مؤتمر الشعب الصيني العام في القاعة الكبرى للمؤتمرات في بكين.

ـــ قد ألمح بذلك الأستاذ حميد الله تارم في كتابه (شرقي تركستان انقلاب تـــاريخي) ط اسطنبول . و (يو يو رين) سياسي مخضرم وجنرال متقاعد أرسله الحكومة المركزيـة إلى البلاد بصفة مفتش .

ويمضي السيد أحمد جان قاسمي ورفقائه في أوروجي سنتين إلا شهرا واحدا منها تسعة أشهر الأولى في المفاوضات وتوقيع ميثاق حكومة الائتلاف من شهر أكتوبر عام ١٩٤٥م حتى شهر يونيو حزيران عام ١٩٤٥م . ومن بداية شهر يوليو عام ١٩٤٥م حتى نهاية شهر يونيو من عام ١٩٤٦م في رئاسة الحكومة المحلية في أوروجي بالنيابة سنة كاملة ، ثم شهرين برئاسة الدكتور مسعود صبري وسكرتارية عيسى يوسف ألبتكين يوليو وأغسطس من عام ١٩٤٦م . حيث انسحب هو ورفقاؤه من مدينة أوروجي ومن الحكومة الائتلافية إلى مدينة (غولجا) مركز حكومة جمهورية تركستان الشرقية . وقد سبق أن اختطفت روسيا السيد على خان توره بتاريخ ١٦/٦/١٩٤٦م ويتربع السيد أحمد جان قاسمي على رئاسة جمهورية تركستان الشرقية منذ انسحابه من أوروجي حتى شهر أغسطس حين سفره إلى بكين بدعوة من (ماو) كما ذكرنا . ولكنه ورفقا الأربعة لاقوا حتفهم في حادث طائرة بتاريخ ٢/٨/١٩٤٩م . ثم تكونت هيئة ثانية برئاسة السيد سيف الدين عزيزي إلى بكين حسب إلحاحها . والتقى السيد سيف الدين والوفد المرافق له بماو بتاريخ ١١/٩/١٩٤٩م في بكين في مكتب الأخير بصحبة (شو إن لاي) .

ونحن الآن أمام شخصيتين ديناميكيتين في كل من أوروجي وغولجا . وهما السيدان عيسى يوسف ألبتكين وأحمد جان قاسمي . وبعد شهر أيلول من عام ١٩٤٤م نراهما في أحداث البلاد . ونرجع بهما إلى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات وهما في الاتحاد السوفيتي في أنديجان وطاشكند. الأول موظف في قنصلية الصين في أنديجان . والثاني طالب في

مراحل تعليمه الثانوي ، ولا يعرف بعضهما و لم يتلاقيا و لم يسمعان عن بعضهما إطلاقا . اختلفت انطباعاهما عن الاتحاد السوفيتي سلبا وإيجابا . كان السيد عيسى يوسف ألبتكين في خدمة القنصل الصيني في أنديجان موظفا فيها وسافر مرتين إلى الصين في خدمة القنصل الصيني (شين ديلي) الشخصية . الأول في عام ١٩٢٩م والثاني في عام ١٩٣٣م . وفي عام ١٩٣٢م كان السيد عيسى يوسف ألبتكين في أوروبجى في خدمة شخصية للقنصل المذكور . والتقى بأثرياء البلاد والمثقفين الناشئين والكوادر ، وأوصاهم بأمته وبلاده خيرا . كما التقى السيد عيسى يوسف ألبتكين في أنديجان وطاشكند نخبة من الوطنيين الأويغور الذين هاجروا إلى الاتحاد السوفيتي هربا من الاضطهاد الصيني وأذناهم المأجورين . منهم كريم خان حاجى . وكان انطباعاهم تجاه الاتحاد السوفيتي سيئا للغاية ، وكانوا يخافون من هيمنة الاتحاد السوفيتي على التركستان الشرقية .

يقول السيد عيسى يوسف ألبتكين في كتابه (الخاطرة لأجل تركستان الأسيرة) الصادر في اسطنبول عام ١٩٨٦م : أنه نمى فيهم الحمية الوطنية والإحساس بأماني وآمال الشعب التركستاني . ولعلي أعتقد أن السيد عيسى يوسف ألبتكين أخذ انطباعات حميمة من هذه النخبة النيرة وزاد حماسة وتوقدا نحو وطنه تركستان الشرقية . وأيا كان الأمر ، لا يعدو عن إجماعهم في القاسم العام المشترك ألا وهو حماية البلاد من هيمنة الاتحاد السوفيتي بيقظة الشعب وتصفيته من الشوائب والعلائق ، أو باستيقاظ الصين نحو تركستان الشرقية بتخفيف المظالم ومنح بعض الحريات لتحول بين الشعب وثورته التي قربت أوانها من قاب قوسين أو أدنى . ويستحكم

عداء السيد عيسى على الاتحاد السوفيتي ويلازمه على طول خط عمره الطويل حتى الآن . ويقول : يجب أن يكون تدابيرنا أولا وقبل كل شيء الحيلولة بين الاتحاد السوفيتي وبين أرضنا الطاهرة . سواء عنده أن يكون الحائل الشعب وحكومته المستقلة أو الصين بقبضتها . وبمرور الوقت تأتي الصين لمرحلة منح تركستان الاستقلال أو الحكم الذاتي عريض القاعدة . ولذا قام السيد عيسى يوسف ألبتكين بجولة غرب أسيوية والشرق أوسطية مرتين لتعريف مظالم اليابان في الصين بجانب تعريف بلاده للعالم العربي والإسلامي في هذه المناطق . كانت الجولة الأولى في عام ١٩٣٧م والجولة الثانية في عام ١٩٤١م . عانى السيد عيسى يوسف ألبتكين ما عاناه من نقد لاذع في خدمته لصالح الصين في كلتا الجولتين ، وكتبت الصحف العالمية والنشرات اليومية مقالات مطولة في نقد السيد عيسى يوسف ألبتكين .

ولا يستبعد أن يكون السيد عيسى يوسف مصرا ومصمما ومعتقدا في أن الصين سوف تأتى لمرحلة تمنح تركستان الاستقلال الذاتي أو التام . بينما الاعتماد على روسيا في طريق استقلال تركستان الشرقية والانفصال التام عن الصين فيه الخطر كل الخطر . حيث إن روسيا تبتلع تركستان في أول وهلة وتفرض عليها نظامها الشيوعي الهدام . في الوقت الذي يعرف السيد عيسى أن تهجير الصينيين إلى تركستان وإسكانهم فيها وبقدر كبير بل مكثف مطلب صيني حميم منذ القدم . ولا سيما بعد عام ١٩١١م عهد الجمهورية برئاسة الدكتور (صن يات صن) . وهو يعلم أن تركستان عانت وتعاني من المستوطنين من مسلمي الصين في ولايات غوجا وترفان

وآقسو وياركند . وحركة هيمنة الرائد الصيني المسلم (ما جونغ ينغ) ليست ببعيدة في الثلاثينات ، وكيف بالصينيين الكفرة . ثم إن الشعار المعلن للدكتور (صن يات صن) ذو ثلاث نقاط يودى بالصين كلها إلى الشيوعية البطيئة . وعنوان الشعار هكذا : ثلاث مبادئ في الوطن والأمة . والنطق بها بالصينية : (سان مين جويي) .

ونأتي إلى شخصية أحمد جان قاسمي . وهو يقول : إذا تخلصنا من الصين واحتلالها بقوة سواعدنا ولو بمساعدة روسيا تبقى بلادنا خالية من الصينيين اللهم إلا من المستوطنين من مسلمي الصين وأفراد من الصينيين فنسلم من تحمير الصينيين ونبقى أمة تركستانية تقطن في أراضيها وتعيش تحت سمائها . وأما المبادئ سلبا وإيجابا فذاك مسألة ثانوية يقررها مصير أمتنا وزعامتها المستقبلية إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وكذلك الاستقلال التام الكامل أو ذاتية الحكم تقررها عزيمتنا وإخلاصنا لوطننا وأمتنا . وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم . كان أحمد جان قاسمي وزميله عبد الكريم عباس وبصحبته السيد عيسى يوسف وبعض الوزراء الصينيين في زيارة لحكومة الصين المركزية عام ١٩٤٦م وخطب خطبة مدوية في مؤتمر العام لشعوب الصين . جاء فيها قوله : (نحن رجال الدولة ولسنا انفصاليين). وكان قصده من الكلمة إبراز شخصية الوفد التركستاني الذي يرأسه بصفته رئيس حكومة تركستان المحلية بالنيابة . وفسرها السيد عيسى يوسف ألبتكين بـ : لسنا انفصاليين بل ننتمي إلى دولة . يقصد دولة الصين . يقول السيد عيسى يوسف في كتابه (المخاطرة

لأجل تركستان الشرقية الأسيرة) في هذا الباب : لو كان أحمد جان قاسمي يريد استقلال تركستان التام والكامل لما قال : لسنا انفصاليين بل ننتمي إلى الدولة . ثم يستطرد قائلا : إن أحمد جان يجوز أن يكون وطنيا مخلصا وسياسيا بارعا وخطيبا مفوها ومن رجال الدولة ، وعلى الأقل في مستوى ظروف أمتنا في ذلك الوقت . ولكنه كان يميل إلى روسيا ويأتمر بأمرها على طول الخط ويرضى بالحكم الذاتي ويمكن أن لا يتعداه . ويشاركه زملاؤه عبد الكريم عباس وإسحاق جان .

نقول : ما أشبه اليوم بالبارحة . وكان السيد عيسى يوسف ألبتكن يميل إلى الصين ويأتمر بأمرها على طول الخط ويرضى بالحكم الذاتي ويمكن ألا يتعداه (حتى الآن) ويشاركه زملاؤه الدكتور مسعود صبري إلا السيد محمد أمين بوغرا وله تحفظات . ومن غريب الصدف والأقدار أن يتولى السيد أحمد جان قاسمي رئاسة الحكومة المحلية بالنيابة في أورومجى من أول شهر يوليو عام ١٩٤٥م حتى شهر يوليو أيضا عام ١٩٤٦م ويغادرها إلى غولجا رئيسا لحكومة تركستان الشرقية في أغسطس عام ١٩٤٦م ويبقى فيها حتى اليوم العاشر من شهر أيلول عام ١٩٤٩م خلفا لسيده على خان توره . ويتولى رئاسة الحكومة المحلية في أورومجى الدكتور مسعود صبري في أول يوليو عام ١٩٤٦م . ويتولى السيد عيسى يوسف ألبتكين السكرتارية العامة حتى يوم ٢٧ من شهر مارس عام ١٩٤٩م ، حيث تولى برهان شهيدي رئاسة الحكومة ، والسيد محمد أمين بوغرا بالنيابة . وتدوم حكومة برهان شهيدي ستة أشهر فقط حيث يعلن تسليم البلاد للصين الشيوعية في شهر أيلول عام ١٩٤٩م . ويقرر السيد عيسى يوسف ألبتكين وزميله

السيد محمد أمين بوغرا مغادرة البلاد إلى الهند . بينما يصر الدكتور مسعود صبري على البقاء في البلاد لمواجهة كل الاحتمالات الممكنة . وأما السيدان عيسى يوسف ألبتكين ومحمد أمين بوغرا مع أفراد عائلتهما يعبران الحدود التركستانية الهندية في شهر ديسمبر عام ١٩٤٩م ويصلان إلى بلدة لاداخ في أقصى شمال الهند .

النتيجة لم يكن في اختلاف المبادئ بين السيدين أحمد جان قاسمي والسيد عيسى يوسف ألبتكين . وإنما كان أصلا في أيدلوجيات السياسة القائمة حتى الآن في المثلث القائم ذات أضلاع متساوية ، والتي تشكل الحلقة المفرغة بالنسبة لتركستان الشرقية :

أولا : سياسة روسيا بالنسبة لتركستان الشرقية .

ثانيا : سياسة الصين بالنسبة لتركستان الشرقية .

ثالثا : سياسات العلاقة وتطورها سلبا وإيجابا بين روسيا والصين .

فكان هناك ثلاثة اتجاهات : هل تستقل تركستان عن الصين بمحض إرادتها وعزيمتها وبسواعد أبنائها البررة وإيمانهم القوى بالله دون الاعتماد على روسيا أو الخوف من الصين ؟ أو هل تستقل تركستان بمساعدة روسيا ؟ وإذا كان الجواب نعم ، هل تساعد روسيا الوطنيين بدون شروط مسبقة ؟ وهذا أمر مشكوك فيه مائة في المائة . وهل تكون سياسة روسيا نحو تركستان سياسة مستقلة بذاتها بدون أي اعتبار لعلاقة روسيا بالصين ؟ ثم -وهذا المهم - هل ترجح روسيا استقلال تركستان الشرقية على طمعها وهيمنتها على الصين من انتشار بل من تعميم الشيوعية في عموم

الصين البالغ عدد سكانها آنذاك أكثر من سبعمائة مليون نسمة ، ولها وزنها في السياسة الدولية ؟

ثم إن الصين الوطنية أو الشيوعية إذا خسرت تركستان بمساعدة روسيا لها ، فإن روسيا تخسر الصين في صفها . ولكن هذه الخسارة وقعت منذ عام ١٩٦٠م وبدون أن تساعد روسيا حدبا تركستان . بل بالعكس نتيجة خلافات مذهبية في تطبيق النظام الماركسي في كلا البلدين . ولم تلتئم جراحها حتى الآن . بل إنها تزيد في عهد بروسترويكا الجورباتشوفية . وربما تندم أو ندمت روسيا حينما أخذت جانب الصين قبل وبعد مؤتمر يالطا في جزيرة القرم في مايو عام ١٩٤٥م .

وكانت روسيا تعلم قبل الصين أن تركستان الشرقية إذا استقلت عن الصين تخسر الصين خمسا من أراضيها المحكومة ، وتخسر بالتالي خيرات تركستان من محصولات زراعية ، وأكثر من ستين مليونا من المواشي والأغنام وغابات لا حصر لها تنتج أكثر من ثلاثين في المائة من الثروة الخشبية . ناهيك عن البترول الخام ومناجم الذهب بجانب القطن والأصواف والجلود . وبخاصة الأرض التي تريد الصين تهجير مائة ألف مليون صيني إليها من الحثالة وأصحاب السوابق الجنائية ، وتجعل تركستان معسكرا للسفلة والمجرمين ومقبرة لهم في النهاية . مثلما أبيد في مدينة (شيخو) أربعون ألف جندي صيني على يد الثوار الوطنيين بتاريخ ٣ أيلول عام ١٩٤٤م[1] .

---

[1]— (شيخو) مدينة ذات استراتيجية مهمة تقع فيما بين ولايتي أورومجي وغولجا .

وإن روسيا يلعب أدوارها تحاسب أو تتعامل بمبدأ أحداث الستينات من القرن الماضي حينما استولت على التركستان الغربية ورضيت بقسمة التراضي (أو للذكر مثل حظ الأنثيين) . ولتثبيت ذلك اعتدت على منطقتي (إسسيق كول) من مدنها ألماآتا ، وولاية إيلي في بداية الثمانينات في القرن الماضي أيضا . وهما من مناطق تركستان الشرقية . ثم بمساعي دبلوماسية انسحبت من منطقة إيلي وأبقت لنفسها منطقة (إسسيق كول).

ولعل هذه الحركة البهلوانية لم تكن بصفة عفوية بقدر أنها كإشهاد لواقعها ووجودها في بلاد ما وراء النهر (التركستان الغربية) . وإن نصيب الصين من التركستان الكبرى هو منطقة تركستان الشرقية .

ثم إن وجود حكومة محلية مستقلة في منطقة تركستان الشرقية يحفز منطقة تركستان الغربية إلى الحكم المحلي مثلها مثل جارتها وبنات عمومتها في الشرق . ولذا لم يكن روسيا جادة في تحريض تركستان الشرقية للثورة الوطنية وحثها لإقامة حكم محلي بحت .

ولذا أيضا لم يكن أحمد جان قاسمي جادا في انتمائه واعتماده على روسيا بقدر جديته في الانفصال عن الصين . في حين كانت الصين مضطرة حسب الظروف السائدة في الأربعينات من هذا القرن أن تعترف ببعض الحقوق للتركستانيين ، ولا سيما أن ثلاث ولايات من عشر ولايات في التركستان أعلنت استقلالها أو انفصالها عن الصين . ولم تكتف بذلك بل استعدت وعملت جديا على اقتحام الولايات السبع الباقية في الجنوب والشرق ، وهددت أورومجى العاصمة التي فكرت جديا في نقل حكومتها إلى منطقة قمول المتاخمة للصين في أقصى شرق البلاد في منتصف عام

١٩٤٤م . ولم تعرف الصين الوطنية الاستقرار بعد عام ١٩٤٥م . وتبدلت ظروفها الخاصة تجاه حركة (ماو) لاحتواء الصين كلها ، فأقرت بالحكم الذاتي . وتشكلت حكومة الدكتور مسعود صبري في أول شهر يوليو عام ١٩٤٦م . ولكن الصين المركزية سحبت البساط من تحت أقدام الحكومة المحلية حكومة الدكتور مسعود صبري بأن جعلت الأمور المالية خاضعة لبكين . وأطلقت يد جنودها في البلاد للفساد الإدارى وإفساد التكتل الاجتماعي عبر تدخلها في شئون البلاد الإدارية وفي الانتخابات المحلية . ولم يكن الدكتور مسعود صبري على رأس الحكومة لوحده ، بل كان السيد عيسى يوسف ألبتكين في السكرتارية العامة للحكومة ولمدة ثلاث سنوات .

بينما احتفظ أحمد جان قاسمي بالبساط الوطني أو الروسي على حد تعبير الأستاذ عيسى يوسف ألبتكين . ولعل روسيا في عدم سحبها البساط من تحت أقدام جمهورية تركستان الشرقية في الولايات الثلاث الشمالية لانتظار ما سينجلي الموقف عنه في انتصار (ماو) على (جانغ كاي شنغ) من عدمه . وبصرف النظر عن هذا الانتظار من قبل روسيا كان هناك فرق بين حكومة الدكتور مسعود صبري وسكرتارية السيد عيسى يوسف ألبتكين في أورومجى وبين حكومة السيد أحمد جان قاسمي ورفقائه في جمهورية تركستان الشرقية ألا وهو العلم التركستاني والجيش الجمهوري المسلم قوامه أكثر من خمسين ألف رجل ، وفي المقابل توجد في الولايات السبع ومركزها أورومجى مائة ألف جندي صيني بقيادة الجنرال الصيني (تاو سيو) .

وربما يسأل متسائل : هل تشك في وطنية السيد عيسى يوسف ألبتكين؟

أقول : لا وأبدا . بل أقول بكل إيماني وكياني : إن السادة الدكتور مسعود صبري والسيد عيسى يوسف ألبتكين والسيد محمد أمين بوغرا كانوا وطنيين غيورين لوطنهم وأمتهم المجيدة . وإنما الفارق في الأسلوب في معالجة الأمور في فرصها المتاحة .

وهناك سؤال آخر يلح علينا وهو : لماذا لم ينجح السيد أحمد جان قاسمي في أكتوبر عام ١٩٤٤م في إصراره على أن لا يرضى إلا بالاستقلال التام والكامل لبلاده ؟

نقول : لم يكن في مقدور السيد أحمد جان قاسمي الإصرار إلى النهاية في مطلبه هذا برغم حديته . لأن روسيا التي حرصت على الثورة في الولايات الثلاث الشمالية بقيادة السيد على خان توره ، وأمدتها بما يلزم من استشارات ومعدات حربية ترى أن الثوريين تعدت كثيرا من الحد الذي توقعت روسيا في اندفاعها وفتوحاتها ، حتى أن روسيا أوقفت الهجوم الثوري الكاسح على مدينة أقسو القديمة بدعوى أن هناك عرضا للصلح بين حكومة الصين المركزية وبين الثوار لعله يكون لصالح الثوار الوطنيين (وكفى الله المؤمنين القتال) . وذلك بتاريخ ١٢أيلول عام ١٩٤٤م .

ولم يكن هذا الصلح إلا فرية روسية حبكت نسيجها بإيهام الصين القيادة الثورية بأن الطرف الآخر طلب وساطة روسية في إنهاء الحرب فيما بينهما بالصلح ، وتكتب مذكرة بهذا المعنى ويقدمها لوزارة الخارجية الصينية على يد سفيرها في بكين (بيتروف) ، وأنها على استعداد لهذه الوساطة إذا رغبت حكومة الصين المركزية بذلك. فتلقى المذكرة ترحيبا حارا وبالشكر.

وتعين (جانغ جي جونغ) الجنرال الصيني المخضرم والمفاوض الصيني الكبير مفوضا عاما . وتعين روسيا سفيرها في أورومجي ممثلا للوساطة الروسية . وذلك في أوائل شهر أغسطس عام ١٩٤٤م . فيأتي الجنرال الصيني إلى البلاد بصحبة الزعماء الثلاثة الوطنيون وهم الدكتور مسعود صبري وعيسى يوسف ألبتكين ومحمد أمين بوغرا الذي أتى الصين قادما من كابول عام ١٩٤٣م .

وترسل حكومة الثوار (جمهورية تركستان الشرقية) القائد العام أحمد جان قاسمي وعبد الكريم عباس وإسحاق جان . وعلى غرار عود على بدء كان هناك إصرار من أحمد جان قاسمي وزملائه في الاستقلال التام ، ويتكلمون من موقف القوة التي احتشدت على جسر نهر (مناس) تنتظر الأوامر لاقتحام مدينة أورومجي . وحيال إصرارهم هذا يضع الجنرال الصيني مسودة ميثاق للائتلاف الحكومي في إحدى عشرة مادة . ويرجع الفريق الجمهوري إلى مدينة غولجا للمشاورة ، ويرجع الجنرال الصيني إلى بكين لمراجعة السفير الروسي صاحب مذكرة الصلح ، وعن طريقه تنصح روسيا الثوار بقبول الصلح ولو بتحفظات طفيفة أو كما ترونه مناسبا . وهكذا تنحى الإصرار جانبا ولم يكن في الأمر دخل للسيد عيسى يوسف ورفقائه.

ومنذ قدوم الوفد الجمهوري إلى مدينة أورومجي في أكتوبر عام ١٩٤٤م وتشكيل حكومة الائتلاف في اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٩٤٥م وتولى السيد أحمد جان قاسمي رئاسة الحكومة بالنيابة دأب الجمهوريون أن يؤلفوا جبهة قومية ذي قاعدة عريضة في عامة الشعب في الولايات السبع ، ولا سيما في وسط المثقفين والشباب ، وكونوا رابطة الشباب الوطنية ،

ويعلمهم المبادئ القومية وواجبهم الديني نحو الوطن والعمل لاستقلاله التام والكامل .

وأما السيد عيسى يوسف ألبتكين وربما زملاؤه معه اهتموا بالصحافة والأدب والفلكلور الشعبي والنشر ، طبعا في وسط نخبة من المثقفين ، وأصدروا صحفا ومجلات وأسسوا المسارح القومية ، واهتموا بصالات الاجتماع الشعبية المثقفة والمؤتمرات . وفي كلتا القناتين اهتموا بالتربية والتعليم ومشاكل المجتمع والمزارعين . حتى إن السيد الدكتور مسعود صبري بنى من ماله الخاص عدة خزانات للمياه لأغراض الري والزراعة لصالح المزارعين .

وبجانب ذلك برزت بؤرة الفساد من العسكريين الصينيين تحيك دسائس مع ذوي النفوس الضعيفة المأجورة الطامعين في المناصب من عديمي الضمير من المواطنين، وهم ينكلون على القائمين بالإصلاح، ويزيفون الانتخابات، ويهددونهم بالتهم الملفقة ، وبالانتماء إلى روسيا والحزب الشيوعي الدولية . ويتطاولون على الزعماء يمينا وشمالا. وإذا جد الجد يعلنون الأحكام العرفية ويقبضون على الوطنيين الأحرار ويستجوبونهم بالضرب والتهديد .

وأما روسيا من جانبها وعلى يد سفيريها في أورومجى وكاشغر وقنصلها في ولاية غولجا وعبر عملائها المأجورين فيشترون الضمائر المريضة ويمنحون صفة الرعايا الروسية لمن يريدها ولمن لا يريدها حتى تكون حضانة لهم في جرائمهم التعسفية ضد استقرار البلاد . وإزاء هذه الاستفزازات أقامت أمريكا سفارة لها في أورومجى . وفيها من قبل سفارة لبريطانيا . علما أن السفارات الأجنبية قد وجدت في أوائل القرن العشرين . منها السفارة

الروسية ، والسفارة البريطانية ، والسفارة الفرنسية عدا قنصلياتها المتعددة . وكانت لروسيا سفارتان وخمس قنصليات في مختلف المناطق في البلاد . وكذلك للصين سفارتان في كل من مدينة موسكو وطاشكند وخمس قنصليات في مناطق تركستان الغربية . ولكن الواقع أن كثيرا من السفارات والقنصليات الأجنبية في الصين وفي التركستان الشرقية بالذات جاءت نتيجة لهزيمة الصين في حرب الأفيون التي وقعت فيما بين عامي ١٨٤٠م - ١٨٦٠م حتى مهدت لبريطانيا أمر استئجارها مدينة هونغ كونغ حاضرة ولاية (نانكين) في جنوب غرب الصين عام ١٨٩٨م . ولكن سفارتي أمريكا وبريطانيا وجدتا في أورومجي عام ١٩٤٤م فقط .

ومهما يكن من أمر ، فإن روسيا والصين معا لا تريدان استقلال تركستان الشرقية وعلى المدى البعيد لمصالحهما المشتركة . يقول السيد عيسى يوسف ألبتكن في كتابه (خاطرة لأجل تركستان الشرقية الأسيرة باللغة التركية صدر عام ١٩٨٦م في اسطنبول : إن مؤتمر يالطا تطرق لقضايا التبت والتركستان الشرقية وعلى لسان الرئيس الأمريكي روزفلت . ولكن ستالين أخذ في الاعتبار ضعف جارته الصين وخسارتها الجسيمة في حربها مع اليابان فقال : نكتفي باستقلال منغوليا الخارجية عنها . وإني أعتقد أن ما دار في مؤتمر يالطا من محادثات الأقطاب الثلاثة لم يزل في طي الكتمان و لم ينشر بعد .

ومن نافلة القول إن تركستان لم تنجب بعد رجل دولة وسياسة حتى الآن في المستوى المعروف عالميا . من أمثال جواهر لال نهرو ، وسوكارنو ، ومحمد على جناح ، ولياقت على خان . ناهيك عن أمثال الملك عبد العزيز

آل سعود ونجله الملك الشهيد فيصل رحمهما الله ، ومهاتما غاندى . ولكن رجال تركستان من أمثال الدكتور مسعود صبري وأحمد جان قاسمي والسيد عيسى يوسف ألبتكين ومحمد أمين بوغرا وسيف الدين عزيزي فنستطيع بالكاد أن نسميهم برجال دولة على المستوى الإقليمي في منطقة تركستان في القرن العشرين وحسب ظروفها الصعبة ، بصرف النظر عن اختلاف آرائهم ووجهات نظرهم الغير متقاربة . وبالمناسبة نقول ونكرر : إن تركستان الشرقية عاشت منذ عام ١٩٣١م حتى الآن برئاسة مطلقة أو بالنيابة تحت رئيس من المواطنين وبما يشبه الحكم الذاتي اللهم إلا في تلك السنوات الأربع فيما بين عام ١٩٣٩م و١٩٤٣م حيث استقل بهما (شين سي ساي) ، ولم يسلم حكمه هذا من ثورة المناضل الكبير عثمان بلتور في جبال آلتاي . وتسبب بل قتل (شين) هذا ثلاثمائة ألف مواطن تركستاني إبان حكمه أو شبه سيطرته في مدة أقصاها عشر سنوات . وذلك من عام ١٩٣م حتى شهر أغسطس من عام ١٩٤٣م .

وعاشت تركستان الشرقية منشطرة إلى قسمين : الولايات الثلاث الشمالية باسم جمهورية تركستان الشرقية وعاصمتها غولجا . وحكومة سنكيانغ المحلية وعاصمتها أورومجى تحكم الولايات السبع في الجنوب والشرق حكما محليا منذ عام ١٩٤٥م حتى عام ١٩٤٩م . يتزعم الأولى السيد أحمد جان قاسمي وزملاؤه . والثانية بزعامة الدكتور مسعود صبري والسيد محمد أمين بوغرا والسيد عيسى يوسف ألبتكين . ونسبة الاستقلالية في الأولى تسعون في المائة . بينما في الثانية سبعون في المائة أو أقل . الأولى تملك كل المقومات الوطنية حتى الجيش . والثانية يتحكم فيها

العسكريون الصينيون خلافا للميثاق الوطني وعلى غير قانون . ولا يملك حق الصرف ، لأن الشئون المالية مرتبطة بالحكومة المركزية في بكين . فلم تبق أمامنا في النهاية إلا قضية الظروف الصعبة من السيطرة الأجنبية روسيا والصين بتفاوت يكاد يكون كبيرا .

ومن غريب الصدف أو من تآزر القوى الكبرى أن تختطف روسيا السيد على خان توره رئيس حكومة تركستان الشرقية في ١٩٤٦/٦/١٦م، وتحل حكومة الصين المركزية حكومة الائتلاف المحلي في أورومجى برئاسة (جانغ جي جونغ) ونائبه السيد أحمد جان قاسمي ، وتأتى بتشكيل جديد برئاسة الدكتور مسعود صبري وسكرتارية عيسى يوسف ألبتكين في نفس الشهر ، وتتولى الحكومة الجديدة مهامها في اليوم الأول من شهر يوليو عام ١٩٤٦م . وبعد عدة محاولات لتصحيح الأوضاع من قبل السيد أحمد جان قاسمي وزملائه الثلاثة وأخفقوا فيها ، غادروا أورومجى إلى غولجا . ويتولى السيد أحمد جان قاسمي رئاسة حكومة تركستان الشرقية من بداية شهر أيلول عام ١٩٤٦م احتجاجا على المخالفات التي وقعت من قبل العسكريين الصينيين في البلاد ، وعلى عدم تنفيذ بنود الميثاق ذي إحدى عشرة مادة التي كانت كافية لتودى إلى التلاحم الوطني وتثبيت دعائم حكم عادل في البلاد بكل قواها العاملة في القاعدة إلى التكامل السياسي في القمة حتى تكون الحكومة المحلية الائتلافية حكومة محلية مائة في المائة في خلال خمس سنوات التي ضاعت علينا من عام ١٩٤٥م حتى عام ١٩٤٩م بالأنانية واختلاق الأساليب دون التفات بعضهم لبعض . ولذا نقول لهم : في الصيف ضيعت اللبن . لعدم نضج زعامتهم الفكرية وعدم الرجوع للسياسة

العقلانية لأجل غد أفضل . وأنهم لم يستطيعوا إنكار ذواتهم ولو لوقت يمكن أن يكون قصير ، أو يرجع إليهم يلهث في أعقابهم حتى لو رحلوا من حياة الدنيا بالثناء والشكر وجميل العرفان ويترحم عليهم .

والشيء الذي حصل بين الزعيمين بل بين الفريقين فرقة السيد أحمد جان قاسمي ، وفرقة السيد عيسى يوسف ألبتكين أنهما عملا وبدون قصد الإساءة على بعضهما البعض بأعمال تخدم مصالح الأمة . هذا عن طريق جمعية الشباب الوطني . وذاك عن طريق الصحافة والنشر والتعليم والفلكلور الشعبي والمسارح والأعمال التي تعد جانبيا بالنسبة لتلك الظروف المواتية ، ولم تسلم هذه الأعمال في مسارها عن بعض الهجمات من فرقة إلى أخرى عبر أشخاص مرضى أو جهلة .

بينما بنت الصين منذ عام ١٩٤٣م قاعدتين هامتين بالنسبة لها. الأولى: حشدها مائة ألف جندي صيني في تركستان ، وفرضت على الشعب تها من غذاء وكساء وعلف للخيول . ولو أن الخيالة منهم قليلة جدا بة للعدد الكبير . وثانيها : تأسيس حزب (كو من دانغ) حزب رشال (جانغ كاي شنغ) في كل مدينة من مدن تركستان الشرقية وقبلت فيها كثيرا من المواطنين ذوى الأطماع من مناصب ومواقع النفوذ . وإن هذين المؤسستين المؤسسة العسكرية ومؤسسة الحزب كالسوسة تخوت في عظام القاعدة الهرمية في البلاد . ولعل السيدان أحمد جان قاسمي وعيسى يوسف ألبتكن عملا جهدهما في تلك الأعمال مصداقا لقوله تعالى : ((قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)) في النصف العلوي من الهرم . بينما النصف السفلي وهو الأساس قد نخره السوس من

سواس الخناس من الجنة والناس . وقد فاتت عليها حاجتان أساسيتان : الأولى : الرجوع إلى بعضهما في الأمور التي يرونها مهمة لصالح وسعادة الأمة ، ونبذ خلافاتهم الشخصية . والثانية : العمل على تأليف القلوب باتصال بأشخاص المنحرفين إلى تلك المؤسستين الصينية الحزبية والعسكرية ، ونصحهم ووعدهم بالمكاسب التي يرغبونها والمناصب التي يستأهلونها بدلا من الهجمات والتهديد . وكذلك بالنسبة لضعاف النفوس الذين قبلوا الرعوية الروسية رغبة أو رهبة أو توهما ، حيث كان من واجب زعمائنا إرشادهم وطمأنتهم واستمالتهم ووعدهم لهم في معيشة راضية إن شاء الله .

ثم إنهم في غشيتهم ولا أقول في غفلتهم وفي أعمالهم التي استحسنوها ، وفي خضم حركاتهم المكثفة استغفلتهم الشرذمة الصينية بإيقاع دسائس دامية . بل أقامت حركات آنية مناهضة له . مثل مقتل (تركستان)[1] والي مدينة أورومجي بالنيابة وهو في مهمته الرسمية في شؤون الانتخابات في الولايات الثلاث الشمالية ، وأكثر سكانها من قبائل القازاق . وكان مقتله على يد رجال جمهورية تركستان الشرقية . وكانت هذه الحادثة وأمثالها دسيسة رخيصة لإضعاف مكانة رجال أحمد جان قاسمي في جمهوريته ورجال قبائل القازاق من رعاياه المخلصين ، وكذلك إضعاف مكانته في حكومة الائتلاف في أورومجي .

وفي ١٩٤٦/٢/٢٣م قامت مظاهرة صاخبة من قبل جمعية شبان الوطن بقيادة عبد الأحد مخدوم . ويقتحم المتظاهرون بعض المؤسسات الحكومية

---

[1] ـــ (تركستان) هنا اسم هذا الوالي من قبيلة قازاق. انظر كتاب (تركستان تاريخي) لحميد الله تارم ط اسطانبول ص ٢٩٨ .

ويقدمون طلبا مكونا من سبعين بندا على أنهم ينتظرون جوابها بالإيجاب أو النفي في خلال اثنتين وسبعين ساعة ، ويهاجمون أعضاء الحكومة بالجفاء والتهديد .

وفي يوم ٢٥ من فبراير مظاهرة مضادة دامية مجنونة في مجموعة كبيرة من الصينيين ومسلمي الصين المستوطنين قوامها خمسة آلاف نسمة ، ويقتحمون سراي الدولة ويطالبون أحمد جان قاسمي وزملائه بمواجهتهم لمناقشة رسمية حول حقوقهم المدنية كمستوطنين . ويسقط سائق برهان شهيدي وأربعة من المواطنين ضحية لهذه الواقعة أو الحادثة الاستفزازية . وتسقط رجال جمهورية تركستان الشرقية أحمد جان قاسمي ورفقائه من عيون الجمهور . وكانت هذه الدسائس وأمثالها مرتبة ومبيتة من قبل الصينيين الذين شاركوا في حكومة الائتلاف .

وعلى الصعيد الآخر يقوم العسكريون الصينيون في كل مدينة وبلدة في تركستان الشرقية بشراء الضمائر الرخيصة وضعاف النفوس أمثال زمرة حسين حاجى لوزونغ في كاشغر، وآل شادى بك وآل أعلم في مدينة ينكحصار ، وبيت صقر في ظهر مدينة كاشغر ، ومحمد تخق أعلم وميرزا أحمد جو جانغ في مدينة ختن ، وعبدالحميد أعلم ، ومن اتصفوا بألقاب بك، وأعلم ، وغازى أحمد . وهؤلاء يخربون كل خطة تتسم بالوطنية وتثبيت دعائم الحكم المحلى في البلاد منهم : أحمد بك ، وعبدالرحيم دامولا ، في بلدة (طاشملق) ، وخو جانغ وأمثاله منهم ، وكثير من إخواننا الأوزبك أمثال خوجه وإيشان وصوفي وقاسم وغيرهم .

وبعد خطف روسيا السيد على خان تـــوره بتـاريخ ١٦/٦/١٩٤٦م انقسمت رجال جمهورية تركستان الشرقية إلى متشبثين بحكومتهم المستقلة في الولايات الثلاث ، والمعتدلين . وكان من القسم الأول : أحمـد جـان قاسمي، وعبد الكريم عباس ، وسيف الدين عزيزي ، وأنور موسى بـاي ، ومحمد جان مخدوم ، ورحيم جان ، وصالح جان ، وإسحاق جان وغيرهم. والقسم الثاني : حسينم نثرى ، ويوسف حاجم ، وأبو الخير توره ، وأحمد حاجى ، ومستور خوجه ، وجمعة آخون ، و عمر جان ، وحسين قـارى إسلامي ، وتردى قارى ، ونور الدين بك ، وظريف قارى حاجى ، ومحي الدين قنات ، وعبد الرعوف مخدوم ، وقاسم جان قنبرى وغيرهم . وأن المجموعة الأخيرة تنسحب من الحكومة وتخلى مناصبها ، وتنزل بعضهم إلى أورومجى منهم : نور الدين بك ، ومحي الدين قنـات ، وحسين قـارى إسلامي ، ومستور خوجه ، وتردى قارى . ويخدم بعضـهم في حكومة الدكتور مسعود صبري .

والمجموعة الثانية المنسحبة من حكومة جمهورية تركستان الشرقية ، ولا سيما الذين انسحبوا منها إلى أورومجى قدموا احتجاجات خاطفة لتدخل روسيا في الشئون الداخلية لجمهوريتهم الإسلامية ، وعملوا بنزاهة تامة .

ونحن لا نغفل الزعيمين البارزين الدكتور مسعود صبري والسيد الغازي محمد أمين بوغرا . ولو أننا لم نأت بذكرهم في خضم توارد الخاطر حول ما اختلف فيه الزعيمان السيد عيسى يوسف ألبتكين وأحمد جان قاسمي علـى حسب ما وصفناهما بالديناميكية ، وعلى أنهما كانا في المواجهة على مختلف الأصعدة في البلاد منذ عام ١٩٤٤م حتى عام ١٩٤٩م .

كان الدكتور مسعود صبري من رحال العلم والقلم في الولايات الثلاث الشمالية ، المنطقة التي تحررت وتشكلت على أرضها جمهورية تركستان الشرقية في عام ١٩٤٤م . كان الدكتور مسعود أول من نادى بالعلم وفتح مدارس حديثة من ماله الخاص في العشرينات من هذا القرن . وتعرض هو ومؤسساته العلمية لمضايقات عديدة وأقفلت تلك المدارس واحدة تلو الأخرى ، وسجن الدكتور ثم أفرج كما أوضحنا في ترجمته الموجزة في الكتاب . ثم عاود الكرة حتى عام ١٩٣٢م ، وانخرط في صفوف الثوار الوطنيين ، وقاتل وكافح في مدينته غولجا ثم في المناطق الجنوبية من البلاد حتى نزح من البلاد عام ١٩٣٤م إلى الهند ومنها إلى داخل الصين عن طريق البحر . وذلك أن اثنان من أبنائه كانوا يدرسون في الصين ، وفي قصة بعثته هذه نقول: كان أبناء الدكتور في بعثة علمية وعلى حسابه الخاص في ألمانيا وكانت الرسوم مكلفة . فقدم التماسا للسفير الصيني في ألمانيا آنذاك أن يتحمل تلك الرسوم عنه لأبنائه ، فما كان من السفير الصيني إلا أن طرح فكرة دراستهم في الصين على حساب الحكومة ، فانتقل الأبناء إلى الصين منذ عام ١٩٢٩م . ولذا توجه الدكتور مسعود من الهند إلى الصين . وقدم إليها السيد عيسى يوسف ألبتكين في أواخر عام ١٩٣٣م في مهمة شخصية لسيده شين ديلي (السفير الصيني في أنديجان) . والتقى السيدان هناك وعملا سويا نحو بلدهما وأمتهما المسلمة . ولكن السيد عيسى يتفوق على الدكتور مسعود بديناميكيته وحركته الدعوبة . ولعل السيد عيسى سيطر عليه سيطرة تامة . ولكن بحفظ مقامه العلمي وتكريمه وتقديمه على نفسه كان يجله ويحترمه . وبرغم أن غير واحد من أقرباء الدكتور شاركوا في

ثورة غولجا ودخلوا أعضاء في حكومة جمهورية تركستان الشرقية ، رجح الدكتور طرف السيد عيسى يوسف ورأي أن النجاح في جانبه ويشاطره في عدائه لروسيا ، ويبغض هيمنتها بغض المسلم لليهود . فبقي أقرباؤه مع أحمد جان قاسمي وزملائه منهم : رحيم جان . ولم يكن الدكتور عضوا في الحكومة الائتلافية برئاسة الجنرال (جانغ جي جونغ) بتاريخ ١ يوليو عام ١٩٤٥م . وتولى السيد أحمد جان رئاسة الحكومة بالنيابة وزميله عبد الكريم عباس السكرتارية بالنيابة أيضا . إلا أن الدكتور مسعود تولى رئاسة الحكم الذاتي بتاريخ ١/٧/١٩٤٦م بعد سقوط أحمد جان قاسمي من الرئاسة وتنحى الجنرال الصيني (جانغ جي جونغ) من رئاسة الحكومة . وفي أكتوبر عام ١٩٤٩م آثر البقاء في تركستان . بينما استعد زميلاه السيد محمد أمين بوغرا وعيسى يوسف ألبتكين للنزوح إلى الهند . وعانا ما عاناه في أول عهد (ماو) ، وتعرض لاستجوابات قاسية جدا ثم أخلي سبيله وتوفي في بيته وبين أهله عام ١٩٥٣م في مدينة أورومجي .

ولكن السيد محمد أمين بوغرا فيختلف عنهما في أمور كثيرة ، ويتحسر أكثر على فوات الأوان إبان ثورة ١٩٣١م في ولاية ختن . ولم يأسف على أيامه التي مضت في كابول وهي ثمان سنوات كاملة فيما بين عامي ١٩٣٥م -١٩٤٢م . وقدم إلى الصين نزولا لرغبة الأستاذ عيسى يوسف ألبتكين في شهر أبريل عام ١٩٤٣م . واندرج هو الآخر في صفوف السيناتوريين وكلاء الدولة الصينية في المجلس الأعلى جنبا إلى جنب زميليه الدكتور مسعود صبري والسيد عيسى . وكانت إقامة العلامة محمد أمين بوغرا في الصين أقل من سنتين . وكان القاسم المشترك في مبادئهم العداء السافر

لروسيا . ولذا كان السيد محمد أمين بوغرا في صف زملائه ، ولكنه يتسم بآراء جريئة وله أقدام راسخة في وطنيته وإخلاصه لأمته ، ويقل ميلا عن الصين . وهو السمة المميزة في سائر تصرفاته . ولذا اختارته حكومة الصين المركزية لنيابة الرئيس برهان شهيدي في التشكيل الثالث بتاريخ ١٧مارس عام ١٩٤٩م . ويقول السيد برهان شهيدي في كتابه (خمسون عام في سنكيانغ) الصادر في أورومجى عام ١٩٨٥م ما يلي : استعد السيد عيسى يوسف ألبتكن والسيد محمد أمين بوغرا لمغادرة البلاد في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٩م فقلت للرئيس محمد أمين بوغرا بالنيابة : هل لك أن تبقى في البلاد وقد تغربت في السابق وعانيت ما عانيت في بلاد الغربة فقال لي : لا يمكن ذلك ، إني برهنت عبر كتاباتي وعلى صفحات مؤلفاتي العديدة على أن تركستان لم تكن أرضا صينية ولن تبقى كذلك ، وأتيت بحجج بذلك ، وإذا بقيت في البلاد أكون وكأني انتحرت . وهذا لم يحيدا عن خطة خطها السيد عيسى يوسف ألبتكن و لم يميلا إلى أحمد جان قاسمي وزملائه .

وقد تولى شؤون ورئاسة حكومة جمهورية تركستان الشرقية السيد سيف الدين عزيزي منذ شهر أيلول من عام ١٩٤٩م بعد حادثة الطائرة المقلة للرئيس أحمد جان قاسمي إلى بكين . وكذلك تولى برهان شهيدي شؤون ورئاسة الحكومة المحلية منذ شهر مارس عام ١٩٤٩م بعد حل حكومة الصين المركزية حكومة السيد الدكتور مسعود صبري في ١٩٤٩/٣/١٧م . وهذان الشخصان سلما تركستان الشرقية بشقيها الشمالي والجنوبي لماو زي دونغ لقمة سائغة في أكتوبر عام ١٩٤٩م .

غادر الزعيمان السيد محمد أمين بوغرا والسيد عيسى يوسف ألبتكين البلاد في شهر أكتوبر مع ما يزيد على ألف مهاجر ومهاجرة وأطفالهم ، ووصلوا إلى كشمير في أواخر شهر ديسمبر وأقاما في الهند حتى عام ١٩٥٤م حيث انتقلا سويا إلى تركيا بعد أن أسسا مجلتين في القاهرة : الأولى باسم (صوت تركستان) على يد رئيس تحريرها الأستاذ إبراهيم واصل التركستاني باللغة العربية . والثانية باللغة التركستانية على يد صاحبها السيد محمد أمين إسلامي . واشتغل الأستاذ محمد أمين كأستاذ محاضر في جامعة أنقرة ، وواصل جهاد القلم حتى وفاته عام ١٩٦٥م . واشتغل السيد عيسى يوسف ألبتكين في شوون المهاجرين ، وأسس في اسطانبول جمعية لاجئي تركستان الشرقية ، وعمل محاضرا يندد بالشيوعية والشيوعين . وأسس دار النشر التركستاني في اسطنبول أيضا ، وأصدر مجلة باسم (صوت تركستان الشرقية) في أربع لغات : العربية والإنجليزية والتركية والتركستانية منذ عام ١٩٨٣م . واختير عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورتها الحادية والعشرين ، وقدم استقالته لكبر سنه في شعبان عام ١٩٨٧م ، وله خدمات جليلة وبحق أنه داعية كبير رحمه الله.

تركستان الشرقية بعد عام ١٩٤٩م

داهم مئات الألوف من جنود (ماو زي دونغ تركستان الشرقية في شهر أكتوبر عام ١٩٤٩م ، واستقبلهم برهان شهيدي (تتاري الأصل) كرئيس لحكومة تركستان الشرقية . وبقي في رئاسته حتى عام ١٩٥٢م

حيث تعين السيد سيف الدين عزيزي رئيسا للحكومة وأمينا عاما للحزب الشيوعي في منطقة تركستان الشرقية (سنكيانغ) وبقى الشعب على حالتهم الاجتماعية وبدون مسلس حتى أواخر عام ١٩٥٧م . وفي أوائل عام ١٩٥٨م بدأت المؤسسات الجائرة (الكوميونات) تحت شعار (نعمل سويا ونأكل سويا) . وقسم الشعب إلى عدة فئات منها فئة العمال والكادحين ، وفئة المزارعين الوسط ، وفئة المزارعين الإقطاعيين . وألغيت الملكية الشخصية ، ومنع أفراد الشعب من التجارة صغيرها وكبيرها ، وصودرت الأملاك والأراضي والعقارات من أصحابها تحت مسميات (إصلاح الأراضي) ، و (تصحيح أوضاع السكن) . وأجبر الأهالي على الأعمال الشاقة شريفها ووضيعها تحت اسم (ترويض النفوس) و (تهذيب الشوائب) و (تذويب الطبقات) . ثم جاءت حركة (توحيد القدر) الأكل الجماعي ، فتدنت صفة الوجبات الغذائية وتفشت أمراض معدية ، وصودرت الأوقاف الإسلامية ، وأغلقت المدارس الأهلية ، وألغيت المحاكم الشرعية كما أغلقت المساجد . واستعملت هذه الأماكن المقدسة لإيواء الوافدين الصينيين البوذيين ، واستعملت المساجد كإسطبلات للخيول والأغنام وكمخازن الحبوب ومصانع الغزل وكمجمعات للحرف اليدوية الجماعية . وأزيلت من الأراضي عقودها ومعالمها الفاصلة ، وأزيلت المئات من القرى والمجمعات السكنية تحت شعار تحسين الأراضي الزراعية . وحرم تدريس أو تلقين مبادئ الدين للنشء أيا كانت يعاقب مرتكبها بأشد العقوبات منها الإعدام تحت اسم مكافحة نشر السموم الاجتماعية . وألغيت كل الصكوك الشرعية والنظامية تمت بصلة للملكية الشخصية ،

وألغيت أعياد الإسلام وإجازة يوم الجمعة ، ومنع الأهالي من أداء الفروض الخمسة وسائر الشعائر الدينية. وسيق علماء الدين إلى السجون والمعتقلات، بل أجبرتهم على كنس الشوارع وتنظيف الحمامات الجماعية وتربية الخنازير إمعانا في النكاية بهم، وأفضل مهنة لهم هي رعي الأغنام إذا وفقوا إلى ذلك. وامتحنوا بأسئلة حرجة في الدين والعقيدة مثل : كيف كان ينزل لمحمد الوحي من ربه ؟ ولماذا تزوج محمد أو أجاز محمد لنفسه التزوج بتسعة من زوجات ؟ فما هي قصته مع زوجة ابنه زيد بن محمد ؟ وكيف عرج إلى السماء وعاد وفراشه دافئة ؟؟؟ إلى آخر تلك الأسئلة التي لم تستوعب حقيقتها عقول هؤلاء الكفرة الأغبياء . ثم أطل العام المشئوم عام ١٩٦٢م بالحركة المشئومة المسماة بالثورة الثقافية وأتت يد الخراب والدمار والهدم على كل المنجزات الثقافية والتاريخية ، وهلكت الملايين من النفوس البريئة وأزهقت الأرواح البريئة وهي تشتكي باكية دامية لبارئها جل وعلا . ثم خفف الوطأة على المسلمين في عام ١٩٧٤م . وجاءت الزبانية الأربعة المنتسبة إلى (ماو زي دونغ) ومنهم زوجته الراقصة الساقطة تتحكم ، وبقيت الفساد في البلاد والعباد . ومات (ماو) عام ١٩٧٦م وقامت حركة التصحيح (التخريب والتحريف) في عام ١٩٧٨م . وداهمت جيوش الصين الفيتنام من الشمال تحت اسم الحركة التأديبية ، إلا أنها خسرت سبعين ألف جندي صيني في يوم وليلة داخل الأراضي الفيتنامية ، فعرفت الزمرة الحاكمة عجزها وعجز جنودها وعتادها الحربي القديم وعدم صلاحيتها للجولة الثانية إذا فرضت عليها حرب تريدها أو لا تريدها ففكرت في الانفتاح التدريجي على العالم الغربي لتغطية عجزها الاقتصادي ،

وتحديث جيشها المش البالغ عدده خمسة ملايين تحت السلاح الدائم وعشرة ملايين احتياطي رهن الإشارة .

وقد قام (ماو) بزيارته التاريخية ولأول مرة في حياته إلى خارج بلاده وإلى موسكو بالذات عام ١٩٥٦م . وكان سيف الدين عزيزي برفقة الزعيم الصيني في زيارته هذه إلى موسكو . وفي أواخر عام ١٩٥٨م برزت مسألة الاختلاف المنهي بين روسيا والصين في كيفية تطبيق الماركسية اللينينية . ثم اقتحمت القوات الصينية الأراضي الهندية بتاريخ ١٩٥٩م وكسبت بعض المعارك بفضل تسليح جيشها بالأسلحة والعتاد الروسي التي كانت في حوزتها وبشكل مكثف منذ بداية الخمسينات حينما كانت الصداقة بينهما قائمة ولم تنته مشكلة الحدود بينهما حتى الآن .

أوجدت الصين الشيوعية مشكلات اجتماعية وأضرار صحية جسيمة في البلاد منذ إنشائها منطقة تجارب نووية في منطقة لوب نور بمساعدة روسيا في الخمسينات . وأجرت تفجيراتها النووية في أراضي تركستان الشرقية . بدأتها في عام ١٩٦٩م وحتى نهاية عام ١٩٧٩م فجرت ٢٥ قنبلة ذرية وأربعة منها تحت الأرض . أفسدت المحاصيل الزراعية وقضت على ألوف من المواطنين الأبرياء ، وكثرت نسبة المشوهين من الأطفال وسببت عقما في كثير من النساء ، وابتليت ألوف من الأهالي بعاهات مستديمة ، وتعرضت لتساقط الأطراف والشلل ، وزاد التلوث في الحبوب والفواكه والخضار والحيوانات .

وللنزعات الثورية في التركستان الشرقية أجل غير معلوم . ولا يمض عام أو أكثر إلا وتقوم في مختلف مقاطعات تركستان الشرقية ثورة وانتفاضات

مثلما وقعت في منطقة الغابات في بلدة فيض آباد ، حيث استولى الثوريـون على أسلحة كافية من مخزن الأسلحة للصينيين في بلدتهم عام ١٩٨٢م .

وفي بلدة (قوما) لأجل استخلاص بناية كانت مسجدا احتلتها أسـرة أجنبية و لم تبرحها حتى بموجب الأوامر الحكومية في عهد الافتتاح ، فـأضرم المواطنون النار فيها ، فقامت قيامتهم من جراء الحركة المضادة مـن قبـل الصين وانتصر المواطنون عام ١٩٨٣م .

وفي مدينة كاشغر قتل غلام تركستاني إثر مشادة قامت بينه وبين أسـرة صينية عند مطالبتها بأجرة عمله في أعمال النظافة ، فصـوب رب العائلـة الصيني مسدسه على الغلام وأطلق عليه الرصاص فـأرداه قتيـلا . فـهاج الأهالي ورفعوا قتيلهم على لوح خشبي وطافوا به شوارع المدينة وقتلوا كـل من صادفهم من الصينيين وكسروا سيارات الشرطة ، وانتظروا الحكم بإدانة الجاني الصيني بالإعدام ، ولكن زمرة مدربة لمثل هذه الأعمال من الصينيـين خطفوا الجاني من ساحة الإعدام تحت تهديد السلاح والمتفجرات ، وذلـك في عام ١٩٨١م .

وقد نشرت مجلة حقوق الإنسان الدولية في عدد شهري سبتمبر وأكتوبر من عام ١٩٨٨م ما يلي : حينما يرى المواطنون المسـلمون في تركسـتان الشرقية في الإسلام رابطة تقليدية ترصد المضادات الدينية والعقدية الصـادرة من الصين الشيوعية منذ استيلاء الأخيرة عليها في عـــام ١٩٤٩م يعمـد الصينيون إلى مراقبة الدين والعقيدة للحد من شوكته ، حيث قفلت الصـين الشيوعية ٢٩٠٠٠ مسجدا واعتقلت ٥٤٠٠٠ عالما وأئمة مساجد وحكمـت عليهم بالأعمال الشاقة . وإن أربعة وسبعون في المائة من الكوادر الوظيفيـة

من الصينيين وجميع المدارس والمعاهد والكليات وما فوق المرحلة المتوسطة تستعمل اللغة الصينية البحتة ، وأن المراكز العليا في الحكومة مشغولة تماما بالصينيين ، وأن العاطلين من خريجي الجامعات يفوقون بمئات الألوف ، وأن الحكومة التركستانية الشرقية تعمد إلى فصل الأحداث من أسرهم وتبعدهم عن أوطانهم وبيئتهم ، وبالتالي عن لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم الدينية ، وتشجع الزواج المختلط وتدفع لتلك الزيجات مكافأة ، وكانت ممنوعة منذ النصف الأول من هذا القرن ، وأي تركستاني يتزوج امرأة صينية يستحق مكافأة قيمتها ٨٠٠ مارك ألماني ، هذا في تركستان . وأما من يدخل من التركستانيين إلى داخل الصين ويتزوج بصينية يستحق ما قيمته ٢٠٠٠ مارك ألماني وقد يحصل العكس . وهذا كثير حيث يذهب الصينيات إلى تركستان الشرقية ويتزوجن بالأتراك المسلمين زواجا غير قابل للطلاق ، وتمنح هذه الزيجة الحرية المطلقة بالإنجاب كيفما تشاء ، بينما القانون الصيني يحظر لسائر العائلات بأكثر من طفل واحد أو طفلة واحدة.

وتجبر حكومة الصين المركزية في الصين الصينيين المحكومين عليهم بالسجن بالأشغال الشاقة على الانتقال إلى السجون والمعتقلات الصينية في تركستان الشرقية ، وفي نهاية مدة سجنهم لا تسمح لهم بالعودة إلى ديارهم في الصين فيخيمون في ظواهر معتقلاتهم ويعيثون في الأرض بالفساد .

وقد وصل عدد المحكومين عليهم بالإعدام في تركستان الشرقية إلى ٣٦٠٠٠٠ هم الذين نفذوا حكم الإعدام علنا من الأتراك المسلمين من أهل البلاد . وقد هرب وهاجر ١٠٠٠٠٠ نسمة منذ ١٩٥٠م حتى نهاية عام ١٩٧٣م وهم الذين نزحوا إلى البلدان المجاورة والدول الإسلامية والصديقة.

ولم يزل ٥٠٠٠٠٠ من الأتراك تحت أغلال الأشغال الشاقة المؤبدة حتى الآن . (ترجمة فتحي نعمة الله) .

تركستان الشرقية فيما بين عامي ١٩٨٠م-١٩٩٠م

نقول : إن هذه الفترة فترة الانفتاح ، ولم يكن هذا الانفتاح نتيجة ضغط خارجي ، ولا لأجل عيون أصحاب العقائد الدينية ، ولا لأجل تركستان الجريحة . بل كان لأجل حاجة الصين للاقتصاد والتكنولوجيا الحديثة . ولم يكن لأجل زيارة الرئيس الأمريكي نكسون الشخصية للصين عام ١٩٨١م ولقائه بالزعيم الصيني (دينغ شياو بنغ) . وكلنا نعرف بنك التنمية الأمريكي لأعالي البحار والبنك العالمي للتنمية وسائر البنوك التمويل التجارية في الغرب لها شروط وضوابط في مقابل استفادة المقترض من قروضها . وأولى بنود شروطها رعاية حقوق الإنسان حسب بنودها المعلنة عام ١٩٥٠م عالميا ، منها حرية الحركة والانتقال ، وحرية الكلام والاجتماع ، وحرية التدين والاعتقاد ، وحرية النشر والتملك الشخصي ، ورعاية الإنسان ومعاملته كإنسان في الصحة والمأكل والملبس والعمل الملائم. وفي هذه الفترة استفادت الصين الشعبية من بنوك وشركات ومؤسسات المال والتجارة في العالم الغربي والدول العربية والإسلامية . ونأتي الآن بمردود ذلك لتركستان وتركستانيين ، ولا تتملكنا الغبطة ولا يتغشانا السرور . وإنما الواقع يكتب ويقال وليس كمنحة وتفضل ، وإنما كبعض الحقوق وأجزاء من الواجب .

فمثلا هناك بعثة صحية مكونة من الدكتور الشاب محمد سعيد الباركندى والأستاذ رحمة الله عناية الله فنقول : وإذا كان هناك سرور وغبطة في فترة الانفتاح فإلى اليوم الرابع فقط من شهر يونيو حزيران عام ١٩٨٩م يوم ربيع بكين يوم نكبة الطلبة الصينيين . نسرد ما يلي :

١ - زيارة الأقارب ولقاءات إفراد الأسرة الواحدة في الداخل والخارج بعد انقطاع دام أكثر من ٣٢ عام .

٢ - إمكانية قدوم الحجاج والمعتمرين إلى الديار المقدسة وأداء فريضة الحج الركن الخامس في الإسلام بدأ بالفوج الأول عام ١٩٨١م بمائة حاج وحاجة. تضاعف العدد في العام التي تليه بأكثر من أربعمائة حاج وحاجة في عام ١٩٨٢م ، وأكثر من ثمانمائة حاج عام ١٩٨٣م وأكثر من ألف ومائتين عام ١٩٨٤م ، ثم الضعف عام ١٩٨٥م حيث بلغ عدد الحجاج أكثر من ألفين وأربعمائة حاج وحاجة . ثم تقلص العدد في عام ١٩٨٦م إلى ألف وستمائة ثم إلى ألف ومائتين عام ١٩٨٧م ، ثم إلى أقل من ألف عام ١٩٨٨م ، وإلى ستمائة عام ١٩٨٩م ما عدا حجاج مسلمي الصين من التونكان ، ويزداد عددهم عاما بعد أخرى منذ أربع سنوات الأخيرة . وكان عددهم في العام الماضي عام ١٩٨٩م أكثر من ألف حاج وحاجة . بينما لا يزيد عدد حجاجنا في النصف الأول من هذا القرن بضع عشرات من الحجاج على الرغم من تقلص المسافة بين تركستان الشرقية وبين الديار المقدسة بفضل الناقلات الحديثة من سيارات حديثة وطائرات . وقد سمحت السلطات السعودية للطائرات الصينية بنقل حجاجها رأسا من بكين إلى جدة في حج عام ١٩٨٩م وعدد رحلاتها تسع رحلات . كما تنامي إلى

أسماعنا أن الطائرات الصينية الحجاج تنقل حجاجنا التركستانيين وحجاج مسلمي الصين من بكين وأورومجى إلى مدينة جدة عام ١٩٩٠م .

٣ - عرفت الوفود الإسلامية طريقها إلى تركستان منذ رحلة وفد رابطة العالم الإسلامي إلى البلاد عام ١٩٨٢م برئاسة معالي الشيخ أحمد صلاح جمجوم . ثم توالت هذه الوفود والبعثات بعد كل سنتين أو ثلاث . بعثة الوفود المشاركة من رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر العام الإسلامي الذي عقده في بكين عام ١٩٨٧م وكانت برئاسة معالي الأمين العام الدكتور عبد الله عمر نصيف . وفي عضويتها شخصيات إسلامية مرموقة أمثال معالي الدكتور محمد عبده يماني . وتشرفت أمة الإسلام هناك في أورومجى بزيارة معالي الأمين العام ، كما تشرفت بزيارات متكررة وميمونة من الأمين العلم المساعد فضيلة الشيخ محمد ناصر العبودى صاحب كتاب (مهد الأتراك). وهناك وفود كثيرة وبعثات إسلامية جماعية وشخصية ابتعثت إلى هناك للوعظ والإرشاد ، وبعثة صحية برئاسة الدكتور محمد سعيد ياركندى وعضوية الأستاذ رحمة الله عناية الله أطال الله عمرهما .

٤ - أمدت المراكز الإسلامية في الدول العربية والإسلامية تركستان الشرقية بأعداد كبيرة من المصحف الشريف وتراجم معاني القرآن الكريم بلغتهم وبكتب دينية ومقررات مدرسية عربية للاستفادة منها ، وآخرها مائة وعشرون كرتونا من مختلف الكتب الدينية ومصحف الملك فهد خادم الحرمين الشريفين أمدتها الرابطة عن طريق المكتب التجاري السعودي في بكين لتوزيعها للمسلمين في الصين الشعبية وتركستان الشرقية هذا العام .

٥ - لم تكن الدول العربية والإسلامية تعرف شيئا اسمه تركستان خلف جبال همالايا الشمال من هضبة التبت وعدد سكانها ما يزيد عن عشرين مليون مسلم من الأتراك تستعبدهم الصين أسودها وأحمرها وروسيا كذلك في الجزء الكبير منها غربا . وهذه الديار لا تبعد كثيرا عن مدينة كابول التي تعتبر من مدن الشرق أوسطية . ما كانت تعلمها الدول العربية والإسلامية إلا عاما وعلى أفواه مثقفيها فقط . وأما الآن فقد عرفت تركستان بسهولها وجبالها وخيراتها وأمتها المسلمة . وكثير من الكتاب والمثقفين وأصحاب العلم والقلم عرفوا ويعرفون عن تركستان أكثر من أبنائها . ونقف موقفا محرجا للغاية أمام بعض هذه الفضلاء من رجال الإعلام والقلم والسلام .

٦ - لم تكن في عالمنا العربي والإسلامي نشرة (صحفا ومجلات) تتكلم باسم تركستان وتكتب وتنشر مقالات في مواضيع تخص تركستان وتعرفها العالم الإسلامي ككل وليس كجزء . اللهم إلا تلك المجلات باللغة التركستانية كانت تصدره بعض مدن ألمانيا الغربية فيما بين الحربين العالميتين تتولى تحريرها نخبة من المهاجرين التركستانيين وتتار ومسلمي جزيرة قرم وقفقاسيا منها : (ياش تركستان) و (ملى يول) و (ملى بايراق) . وكان في تحرير بعضها السيد عياض إسحاق باسم قرم وقفقاسيا ، والسيد مصطفي جوقاي باسم تركستان الغربية . غير أن هذه النشرات وغيرها من أمثال : (ترجمان أفكار) التي كانت تصدر في الهند وباكستان وعلى تحريرها السيد أعظم هاشمى كانت باللغة التركستانية باعتبار همزة وصل بين تلك المجموعات المتناثرة من المهاجرين فيما بين آسيا وأوروبا . وكتسلية لهم إزاء جروحهم الدامية . وبعد عام ١٩٤٥م صدرت مجلة (ملى تركستان)

في مدينة بون أو ميونخ في ألمانيا . وكان على رئاسة تحريرها السيد ولي قيوم خان الزعيم التركستاني المخضرم ، والدكتور باي مرزا هيت المحاضر العالمي الشهير . ومنذ عام ١٩٥١م صدرت في القاهرة مجلة باسم (صوت التركستان) باللغة العربية برئاسة السيد الفاضل المرحوم إبراهيم واصل تركستاني وأعقبتها شقيقتها (آزاد تركستان) برئاسة السيد محمد أمين إسلامي باللغة التركستانية . وكان السيد إبراهيم واصل عضوا في جماعة الإخوان المسلمين ، كما تشرف بعضوية جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية التي كانت برئاسة العلامة علال الفاسي وفضيلة مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني وأمثالهم من علماء الدين والقلم . ورحبت المملكة العربية السعودية بهذه الإقدامات الصحفية تجاه تركستان والتركستانيين ووصلت صداها معظم المحافل الدولية الإسلامية والصحف والإذاعات في سائر أنحاء عالمنا الإسلامي الكبير . ولله الحمد والمنة أصبحت تركستان علما مشهورا لدى العامة والخاصة وعلى مستوين العالم العربي والإسلامي .
وأما في المملكة العربية السعودية فحدث عن تركستان والتركستانيين ولا حرج ، يعرفها العاهل السعودي وخادم الحرمين الشريفين حتى رجل الشارع والتاجر في متجره والطالب في معهده ومدرسته والجامعي في مدرجاتها ووسط كراسيها . وإن عشرات الصحف والمجلات السعودية لا تغفل عن تركستان يوما واحدا تدافع عنها وتتكلم باسمها وتصر أن تكتب (تركستان الشرقية) بدلا عن كلمة (سنكيانغ) كما تعودها البعض . وإذا جرأ وراهن أحدنا على أن صحيفة واحدة على الأقل من الصحف اليومية في المملكة تنشر كلمة عن تركستان لما خسرها . وإذا جمع ما نشرته

الصحف والمجلات السعودية اليومية الأسبوعية والشهرية والفصلية عن تركستان والتركستانيين لامتلأت عدة مجلات ضخمة . وقد حذت حذو المملكة كثير من الصحف في سائر أقطارنا العربية والإسلامية في مصر والأردن والعراق وباكستان والهند وإندونيسيا وتركيا .

وتأسست برامج إذاعية تتكلم عن تركستان والتركستانيين ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية . برنامجا متكاملا تبث مساء كل يوم منذ تسع سنوات ساعة واحدة ، بجانب هناك برنامج إذاعية مختصرة باللغة التركستانية في ألمانيا ونيويورك وباكستان . وتبث ما يلائمها من برامج حسب ميول واتجاهات تلك الدول . وتصدر الآن ومنذ عام ١٩٨٣م مجلة (صوت تركستان) بأربع لغات عربية وإنجليزية وتركستانية والتركية في إسطانبول من مركز دار النشر لصاحبها ومؤسسها عيسى يوسف ألبتكين أطال الله عمره .

٧ - إن الزيارات التي قام بها أفراد كثيرون من المهاجرين التركستانيين إلى بلدهم تركستان الشرقية خلال ثمان سنوات الأخيرة جاءت بمردود خير نحو دينهم ووطنهم ، مثل لقاء الأقارب والمساعدات التي يقدمونها لهم ، حيث إن أكثرهم بنوا مساجد ومدارس عديدة ، وشقوا جداول للماء العذبة للشرب ورمموا بعض المساجد . وبعضهم أعطوا الأمانات الموجودة لديهم لأصحابها هناك ، وقاموا بالدعوة الإسلامية حسب مقدرتهم العلمية . وإن كثيرا من قرائنا المجودين وحفظة القرآن ابتعثوا لتختيم القرآن الكريم في مواسم شهر رمضان المبارك ، وقاموا بالخدمة الدينية خير قيام إن شاء الله ، وذلك بفضل رجال مخلصين في المملكة العربية السعودية . كما أن كثيرا من

الأساتذة في الشريعة والحديث والإعلام من أبناء التركستانيين في المملكة وبعضا من إخواننا العرب السعوديين - أطال الله في أعمارهم وبارك في علومهم ووفقهم في الدعوة إلى الله - زاروا منطقة تركستان الشرقية، وسروا كثيرا وأعجبوا بتمسك إخوتهم التركستانيين هناك بمبادئ دينهم الإسلامي وتقبلهم الدعوة الإسلامية بقلوب واعية وأعين دامعة.

٨ - زاد عدد الطلبة التركستانيين في الخارج في السنوات الأخيرة على مائتي طالب في كل من باكستان وحصتها منهم مائة طالب. وجامعة الأزهر الشريف بمصر القاهرة وحصتها ٢٨ طالبا، ومثلهم في تركيا. وكذلك في ألمانيا وبريطانيا وأمريكا. مما يثلج الصدر أن أكثر من نصف هذه المجموعة يدرسون للتحصيل العالي في الجامعات، وأن أكثر من تسعين في المائة يدرسون الدين والشريعة والأصول واللغة العربية والأدب العربي والإسلامي. وهذه ظاهرة فريدة من نوعها عبر تاريخ تركستان المجيدة.

٩ - سبق أن قلنا في بدء حديثنا في فترة الانفتاح إن عالمنا العربي والإسلامي ما كان يعرف تركستان والتركستانيين قبل عام ١٩٤٩م. والآن نقول: إن التركستانيين أيضا ما كانوا يعرفون عن العالمين العربي والإسلامي حتى أسماء بعض مدنها الشهيرة. وللمثال ما كانوا يعرفون عن المملكة العربية السعودية إلا أسماء المدن الثلاثة: مكة المكرمة، المدينة المنورة، وجدة. وعن مصر كلمة مصر فقط. وعن سوريا: الشام. وعن اليمن: يمن. وعن العراق: بغداد. وعن شبه جزيرة الهند: بومباي ودهلي وكالكوتا وكراتشي فيما بعد. وعن تركيا إسطانبول و إزمير وأنقرة. وعن لبنان بيروت وبعلبك.

وإننا نرى الآن في المجتمع التركستاني ازدهار الثقافة العامة ، وأصبحوا يعرفون عن تلك البلدان التي ذكرناها الشيء الكثير عن تاريخها وجغرافيتها وتضاريسها ومدنها ومنتجاتها ، ويتكلمون عن عادات أهلها وتقاليدهم الموروثة واقتصادها ومواردها الطبيعية والمكتسبة حتى وزنها السياسي .

١٠ - ونحن إذ نتكلم عن التأليف والترجمة والصحف والمجلات التي تصدر في تركستان الشرقية الآن نقول : أولا إن حكومة الصين المحتلة لا تستحق الشكر والامتنان حيال هذه المنجزات الحضارية والعلمية ، لأن تاريخ الصين في احتلالها بلادنا العزيزة كم دمرت من معاقل للحضارة والتمدن ، وكم حولت من مدارسنا ومعاهدنا إلى إسطبلات ومخازن وسكن عائلات . ولم يكن ببعيد عنا الثورة الثقافية التي حصدت كل ما يمت إلى الدين الإسلامي بصلة من علم وعقيدة وكتب ، وفي مقدمتها المصحف الشريف . جمعتها أكواما كبيرة وأحرقتها وأجبرت أصحابها من العلماء الأفاضل والمثقفين بنبش وتقليب تلك الأتون اللاهبة إمعانا في الحرق إلى آخر ورقة منها . حتى خلا العقد السابع من هذا القرن من صحيفة تقرأ في الدين والعقيدة والثقافة العامة . ناهيك عن مصحف لترتيل كتاب رب العالمين .

الآن برزت في الساحة العلمية والتأليف والترجمة الكتب والمجلات ، وصدرت صحف على شكل مجموعات دورية وفصلية . ففي كل مدينة جريدة باسمها ذات أربع صفحات وجريدة مسائية في أورومجي . وفي كل ولاية من ولايات تركستان مجلة شهرية باسم (الأدبيات) وينشر فيها الأدب والعلوم وذكريات مسافر . وقد كتب بعض الكتاب مقالات شيقة

عن المملكة . ومن المجلات العلمية التي تصدر من بعض كليات جامعة أوروبجى باسمها أيضا ، ومجلة (بولاق) ، ومجلة (تارم) ، ومجلة (أقسو)، ومجلة (إيلى درياسى) ، ومجلة (قشقر أدبياتى) ، ومجلة (قاش تشى) ، ومجلة (طرفان أدبياتى) ، و (آقسو أدبياتي) وأمثالها .

وقد وجدت في التركستان الشرقية في الآونة الأخيرة ثلاث عشرة دور نشر يرأسها صينيون . ويديرها أتراك (أي التركستانيون) ولها بعض سمات مميزة منها : إن هذه الدور تخصص مبلغا معينا من إيرادها يكفي معاشا لما بين عشرة وخمسة عشر كاتبا اجتماعيا وكاتبة يستلمون رواتبهم المقررة ، وليس لهم التزام معين بالحضور والغياب إطلاقا . وكل ما في الأمر أنهم يجرون بحثهم الاجتماعي في أي منطقة كانت في البلاد ويجمعون خامات جيدة ويجعلونها في كتاب ويقدمونها إلى دور نشر يراها مناسبا ويستلمون أجر الكتابة حسب السطور إذا كان الكتاب نثرا . ولكل ثمانية مصراع من الأبيات الشعرية مكافأة معينة إذا كان الكتاب نظما . ثم يطبع الكتاب . وإذا صادف رواجا تكتفي الدار بعشرين في المائة من الربح ، وما زاد عن ذلك وعن قيمة التكلفة يرجع إلى المؤلف كحق من حقوقه . وإذا صادف هذا الوضع بهذا التسلسل يكون المؤلف قد استلم عن خدمته وكتابه ثلاث استلامات : الراتب الأساسي ، وأجر الكتابة ، والفائض عن تكلفة الكتاب بعد حصة الدار من الربح بمقدار عشرين في المائة ، وهذه الحصة ثابتة لا تتغير .

يقول الأستاذ ظهور الدين صابر الكاتب الاجتماعي ضيف رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٠٨هـ ــ وهو الذي كتب عن المملكة مقالات شيقة

آخرها في العدد السابع والثمانين من مجلة (قشقر أدبياتى) عام ١٩٨٩م — يقول : إن دور النشر تلك أصدرت منذ عام ١٩٨٠م وحتى الآن ٤٣٣٣ كتابا ما بين صغير وكبير في مختلف الشئون العلمية والأدبية والتاريخية والثقافة العامة . وبعضها مشربة بإشعاعات نيرة في الدين والعقيدة . وبرغم ذلك نكرر ما سبق من مفهومنا إنها منجزات قومية في سمات إسلامية أبرزها أن تلك الكتب ألفت ونشرت وكتبت بالأحرف العربية . ولكنها تنافي في بعض فقراتها الإملاء العربي الصحيح ، لأن القلم الحاكم حذف سبعة من الأحرف العربية من الاستعمال وهي حسب الترتيب: ث ، ح ، ص ، ض، ط ، ظ ، ع . عرف المؤلفون في تلك المؤسسات الناشئة من التأليف والإخراج ومؤلفاتهم متوجة بنسق ومواضيع مكللة بأكاليل من الحكم موجزة ومفيدة . وحجم الكتاب لا يزيد عن٢٠ x ١٣ ولا يزيد عدد السطور في الصفحة عن ٢٥ سطرا مزدانة بالصور وما يلزم من رسوم وأشكال هندسية متلائمة .

١١ – كان في التركستان الشرقية ٢٥٠٠٠ مسجدا قبل عام ١٩٤٩م وأقفلت تلك المساجد بحلول عام ١٩٨٥م وحولت بعضها لأغراض أخرى وهدم البعض الأخر . وكان هناك ٢٧ مدرسة أهلية دينية في ولاية كاشغر مثلا . وقد أعيد الآن بناء ما يزيد على ٢٠٠٠٠ ألف مسجد ، واستحدث بناء معظمها ، وأقيمت مساجد جديدة في عرض البلاد وطولها ، وتسمع دوى الأذان صباحا ومساء مثلها مثل سائر الدول الإسلامية . نحمد الله ونشكر على أفضاله علينا وعلى الأمة الإسلامية بأكملها وهو على كل شيء قدير . وللمثال : وقف واحد من كرام رجالنا لأن يبنى مسجدا كبيرا

في وسط العاصمة أوروبي ذي ثلاث طوابق . الطابق الأرضي فيه ١٨٠ محلا تجاريا ، ومن شروط الإيجار أن يكون المستأجر مسلما من أهل البلاد . الدور الثاني مسجد فخم للغاية مزخرفة بالنقوش الإسلامية . والطابق الثالث فيه قاعة محاضرات وصالات لتحفيظ القرآن الكريم .

١٢ - قد تمكن حتى الآن أكثر من خمسين ألف تركستاني من السفر إلى خارج البلاد للحج والعمرة والزيارة وزيارة القارب ولاستلام مواريثهم في الخارج وللتجارة والتحصيل وتحت مسميات أخرى مختلفة . وفي كل خطوة من خطواتهم ونقلة من انتقالاتهم في الدول التي يمرون عليها يكتسبون علما وخبرة ، ويأخذون انطباعات وخبرة تعود بالنفع لهم ولأجيالهم القادمة . وأكثر ما يلفت أنظارهم وهو الأهم حرية الفرد وحرية العقيدة وحرية الفكر وحرية الانتقال وكرامة الإنسان المسلم والكيان المميز للإنسان كإنسان مصداقا لقوله تعالى : ((ولقد كرمنا بني آدم)) . وهم يحسون إحساسا كاملا ويستقصون عن تحمل الدول والحكومات الكثير من قيمة الحاجيات الضرورية في شعوبهم ليعيشوا في رخاء ورفاهية . وأكثر ما يبهر عيونهم الدامعة أن شعوبا مثل شعب المملكة العربية السعودية يزدهر وينمو مطردا إلى الأمام ويسكنون القصور والفيلات لا يحلم بها بعض الشعوب في الدول المتقدمة ناهيك عن شعب مسلم مضطهد مثل شعب تركستان العزل قسمت الأراضي الزراعية للشعب بمقدار ألف ومائتين مترا مربعا للعائلة الواحدة . وعليها رسوم متعددة : رسم الأرض ، ورسم الماء للري ، ورسوم أخرى طارئة . ومنهم من استغلها بالشكل المناسب ، ومنهم من تحمل الرسوم من قوت يومه وقوت عياله . ولكن الوضع الاقتصادي تحسن

كثيرا عما قبل عام ١٩٧٨م حيث إن الأسرة تستفيد لنفسها من غلتها من الخضار التي يزرعونها ، ومن الفواكه التي تنتجها الأرض وتبيع الفائض منها وتصرف في شئونها الخاصة وبدون ضرائب .

١٣ - حرية الانتقال من مدينة إلى أخرى ، ومن قرية إلى أخرى كان من المستحيلات حتى عام ١٩٨٧م وقد سمحت بها الآن . ولكن الانتقال من مدينة إلى أخرى من حيث السكن والعمل محظور حتى الآن . كما أن تلقين النشء بالمبادئ الدينية محظور . غير أن عقيدة المسلم وإيمانه بالله تستشف الثغور وتقحم المهالك والمسالك . فهناك مئات الأماكن في المساجد والبيوت تدرس العلوم الدينية . ودوى الناشئين في تلاوة القرآن الكريم وحفظه تسمعها كدوي النحل تحت رحمات خالق الكون ورب العباد . وبالقدر الذي ازدهرت التجارة في أيدي التجار الشباب وعلى مستوى الصين كلها تأخر تعليمهم . وإن أبناء المواطنين يتأخر تصنيفهم في الدراسات العليا والجامعات ، بينما الأفضلية والأولوية لأبناء الصينيين المستوطنين . وكذلك المراكز العليا في التوظيف لن ينالها أبناء الوطن المسلمون الأتراك .

١٤ - كان التعتيم مخيما على جميع المستويات في الجمهور المسلم قبل عام ١٩٤٩م اللهم إلا في المثقفين وذوى العلوم والكفاءات المتقدمة وهم قلة. وعامة الشعب صغيرهم وكبيرهم لا يميزون ليلهم عن نهارهم والطالب الناشئ . حتى في المدارس الحكومية والأهلية لم يجدوا إلا المقررات العتيقة القائمة التي لا تدرس إلا بعضا من الجوانب التاريخية من الصين وجغرافيتها بشكل مقتضب . والخلاصة أن ابن البلد لا يعرف عن جغرافيا إلا أن

السماء فوقهم والأرض تحتهم . ويعرفون الشرق والغرب من شروق الشمس وغروبها ويجهلون الشمال والجنوب ، ناهيك عن موقع بلدهم وأين تقع من الكرة الأرضية وتاريخها بين الأمم .

وقد زال الآن هذا التعتيم الهالك ، وقد تسمع من رجل الشارع مسار الفتوحات الإسلامية ، ووقائع تاريخ الأمويين والعباسيين ، وفلسفات أرسطوطالس وأفلاطون ومصاير الأمم البائدة والسائدة ، وأدق تفاصيل علم الاجتماع ، وصحة البيئة وأسرار الحياة ونشوء الأمم والتطورات في الكون. ويتكلمون عن الأقمار الصناعية وعن رسوم بيكاسو ونظريات دارون ، ومن مراكز الاكتشافات العلمية في القطب الجنوبي والشمالي وعن أعماق البحار وشلالات نياجرا .

مشكلات ثلاث في مشكلة واحدة

الأولى : مشكلة إبعاد أبناء البلد عن مناهل التعليم أيا كانت بدعوى عدم استيعابها وعدم قدرة حكومة الصين المركزية اقتصاديا في التوسعة اللازمة تجاه الأعداد الهائل من الأحداث الصينيين والأتراك . وبينما تجد الفئة الأولى الأماكن المطلوبة في الجامعات والمدارس الثانوية تفقدها الفئة الثانية ، فتبقى التسيب والبطالة في صفوف أحداثنا فينحرفون إلى المهالك والرذائل من الأخلاقيات الأمر الذي يزيد الطين بلة ، حيث يجاهك المسئول الصيني إن أبناءكم غير جديرين بالمناهل التعليمية العليا .

المشكلة الثانية : احتماعيا وسياسيا كثرة الوافدين الصينيين وتدفقهم إلى البلاد بشكل مكثف . حيث بلغ تعدادهم الآن ١٩٩٠م أكثر من خمسة وثلاثين مليونا في مقابل ما يزيد عن خمسة وعشرين مليونا من الأتراك المسلمين أهل البلاد . و لم تزل قوافل المهاجرين الصينيين لا تنقطع في الليل والنهار من مراكز تجمعاتهم في داخل الصين بعربات القطار التي ترد إلى البلاد في كل أربع ساعات من ساعات الليل والنهار ، وتعبأ هذه العربات بالخامات الوطنية في إيابها إلى الصين تعبئة آلية سريعة من حبوب وأخشاب وحيوانات وجلود وفراء وفواكه طازجة صيفا ومجففة شتاء ، وخامات سائر المعادن والمناجم . ومراكز تجمعات المهاجرين الصينيين إلى البلاد كالآتي :

بيكين - أوروبجى ، خيي - أوروبجى ، أنخوي شنشى - أوروبجى ، خونن - أوروبجى ، كاندونغ - أوروبجى ، كانغشى سيحوان - أوروبجى .

المشكلة الثالثة وليست الأخيرة : التعتيم على عدد السكان في البلاد حتى الآن ومنذ القدم . وهو سياسة قائمة بذاتها لا ولن تتغير ، حيث إننا ماضون منذ مائة عام في جدل عقيم في عملية إحصاء النفوس . وذلك أن الإمبراطورية الصينية أرادت عام ١٩٠٧م أن تجرى إحصاءات عامة وأصدر أوامره لولاة الأقاليم بذلك . يقول السيد محمد أمين بوغرا في كتابه (شرقي تركستان تأريخي) في باب عملية إحصاء النفوس في تركستان الشرقية ولأول مرة ما يلي في ما معناه : إن الأصول المتبع الغيرقانونية من قبل الولاة وأتباعهم أن يستغلوا أي فرصة مواتية لصالح حيوتهم الشخصية في الدرجة الأولى ، ويخططون لذلك في أول وهلة . وقد صدرت الأوامر قبل ستة أشهر من بدء عملية الإحصاء في البلد ، ولا ندرى كيف أجريت

الإحصاءات في داخل الصين آنذاك . وعندما انتشر هذا الخبر في الأوساط الشعبية كان مصحوبا بشائعات ملفقة كاذبة وتنطلق على الجمهور وبدون عناء ، لأن الصين اشتهرت بالبطش والاستبداد ، وكان مفاد الشائعات أن الصين تريد بالإحصاءات أن تسجل كل فرد في البلاد كبيرا أو صغيرا ذكرا أو أنثى في سجلاتها الرسمية لتسهل لها التجنيد الإجباري والتهجير من أوطاننا وفرض إتاوات جائرة على كل فرد إذا شاءت ، وإلى غير ذلك من ذيول الشائعات . فأخذ الجمهور عدتهم لتحاشي الإحصاء وليتهربوا من تسجيل أنفسهم وأفراد أسرهم ولا سيما الأحداث من الأبناء . ولكن هؤلاء الولاة والحكام المأجورين وأذنابهم يعرفون الأمر جيدا فأين المفر؟ وإن بعضا من العوائل والأسر رحلوا عن أوطانهم بصورة مؤقتة الأمر الذي لم يتيسر لعامة الناس والأسر الكبيرة ، فعمدوا إلى الرشاوى ليخلصوا العدد الأكبر من أبنائهم إذا تيسر لهم ذلك ، فحصل أذناب الاستعمار الصيني على بغيتهم . يقول السيد محمد أمين بوغرا : كنت في التاسعة من عمري طالب أقرأ الكتب وأراد والدي أن يجنب الأسرة من الإحصاء ولم يتيسر له ذلك لكبر حجم أسرتنا وشهرتها ، فتلطف عمدة الحي قادر بك مع الوالد وتفضل بالقدوم إلى دارنا وأخذ اسم الوالد وشخصين آخرين من الأسرة ، وكانت أفراد أسرتنا تزيد عن اثنا عشر فردا ، فبقيت تسعة من أفراد أسرتنا خارج الإحصاء . وإن عشيرة من أقربائنا وعددهم خمسون فردا تخلصت من الإحصاء بتقديم رشوة دراهم معدودة . ولذلك إن تسعين بالمائة من سكان تركستان تخلصوا من قيد الإحصاء تماما . وإذا فرضنا أن مناطق أخرى في تركستان الشرقية تميزت بالسلب والإيجاب نقول : إن ثمانين

بالمائة من السكان تجنبوا من قيد الإحصاءات ولا شك فيه . وأعلنت حكومة الصين المركزية عام ١٩٠٩م نتيجة الإحصاء تقول : إن في تركستان الشرقية مليونا ونصف مليون من السكان . وخلال ثلاثين عاما (١٩٠٩م -١٩٤٠م) تمكن كثير من علماء أوربا والمتخصصون في علوم الإحصاء من زيارة تركستان الشرقية وقالوا في تقاريرهم وبياناتهم : إن فيها ما بين ١٣مليون إلى ١٥ وإلى ٢٠ مليون نسمة .

يقول الأستاذ حميد الله تارم في كتابه (تركستان تأريخي) ط اسطنبول ١٩٨٤م : إن تركستان تضم في صدرها ما بين ١٢-١٣ مليون نسمة ، ويتهجم على حكومة الصين المركزية في إجراءاتها التعسفية في تقسيمها إلى ١٤ قومية مختلفة ويقول : ولعل الاتحاد السوفيتي أبدى مرونة وإنصافا في تقسيم تركستان الغربية إلى خمس قوميات وشكلت خمس جمهوريات باسمها (الجمهوريات الخمس الإسلامية في آسيا الوسطى) . ويقول : أعلنت الصين المركزية عام ١٩٣٠م أن تعداد سكان الصين يبلغ ٤٥٠ مليونا . وفي عام ١٩٥٠م أعلنت جمهورية الصين الشعبية عدد سكانها ب٧٥٠ مليونا. والآن يبلغ عدد سكان الصين ١٠٧٠ مليون نسمة حسب البيانات الرسمية المعلنة ، بما يقارب ثلاثة أضعاف عدد السكان عام ١٩٣٠م . وقد ازداد عدد سكان الصين الشعبية بزيادة عشر مليون نسمة في كل عام منذ عام ١٩٤٩م . وبعبارة أخرى بمعدل ثلاثة عشر في المائة في العام ، أو خمسة وسبعون في المائة بين عامي ١٩٣٠ -١٩٥٠م وثلاثمائة وعشرون مليون نسمة فيما بين عامي ١٩٥٠- ١٩٨٢م .

ويقول الأستاذ عيسى يوسف ألبتكين في كتابه (قضية تركستان الشرقية) باللغة العربية : يقدر عدد السكان في تركستان الشرقية بإثنا عشر مليونا . ويقول السيد محمد أمين بوغرا في كتابه (شرقي تركستان تأريخي) : يخمن عدد سكان تركستان الشرقية بإحدى عشرة مليونا . وتاريخ تأليف الكتاب عام ١٩٤٠م .

ويقول الأستاذ الأديب والكاتب الشهير التركي محمد عاطف بك في كتابه (تاريخ كاشغر) : إن عدد سكان وادي تارم يزيد عن ثمانية ملايين نسمة . ومنطقة وادي تارم تقدر بأقل من ثلث إقليم تركستان الشرقية . وتاريخ تأليف الكتاب عام ١٨٩٥م .

تعودت الصين قديما وحديثا التعتيم على تعداد سكان تركستان الش لغرضين أساسيين : الأول : إن مساحة تركستان الشرقية تقدر بخ مساحة الصين كلها ، وأنها منطقة معطاة خصبة وسكانها مسلمون أت ولأجل أن تحتفظ بها مدة أطول (أو إلى الأبد) لا قدر الله يجب أن تبة التعداد الحقيقي للسكان المسلمين طي الكتمان لئلا تقوى قضي الاستقلالية ، ولئلا تقوى سواعد الوطنيين في البلاد اعتمادا على أنفس المتزايدة ، ولئلا تقوم حجتهم في الاحتجاج على التهجير الصيني إلى الب

والغرض الثاني : ألا تجنح المحافل الدولية في البلدان الإسلامية والص إلى المطالبة باستقلال تركستان المسلمة ، وبالتالي لا يعطون أهمية زائدة لتركستان وتركستانيين ، وتكون كلمتهم مسموعة بحيث يسهل عليها الضغط على حكومة الصين المركزية في سائر علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية ، ولئلا تزيد عداوتهم للصين أو يعادونها لهذا السبب.

تقول المصادر الصينية الرسمية : إن تعداد المسلمين في الصين من تركستانيين وتونكان (مسلى الصين) في الداخل لا يزيد عن أربعة عشر مليون نسمة ، فهناك في داخل الصين ثلاث مناطق رئيسية خاصة بالمسلمين الصينيين وهى : (جنجاي) و (كانسو) و (ننغشا) . تقدر عدد سكانها المسلمين بأكثر من خمسين مليون نسمة . ويقول أحد اليوبيلات الفضية الخمسة المسمى بـ (الأحوال العامة في أويغور آفتونوم رايون) أي سنكيانغ ذاتية الحكم : إن في التركستان الشرقية (سنكيانغ) ١٣٠٨١٦٣٣ نسمة منها ٥٢٨٦٥٣٢ صينيون . فيبقى ٥٩٤٩٦٥٥ وهم التركستانيون (الأويغور وغيرها من القبائل العرقية) .

والآن تطور علم الإحصاء الحديث بحيث أصبح من الممكن إحصاء السكان في أي مدينة أو بلدة أو قرية بوقوف رجال الإحصاء على محورين أو ثلاثة في مدة لا تزيد عن عشرة دقائق يراقبون حركة السير ثم تعطى إحصاء دقيقا في السكان . وكذلك مواد التموين والخدمات العامة ومخازن التغذية وعدد التلاميذ ومخازن المياه للشرب وخدمات البريد والمواصلات يعطى إحصاء كاملا للسكان . فتعداد سكان منطقة تركستان الشرقية يزيد عن ستين مليون نسمة وبنسبة سبعة وأربعون في المائة من أهل البلاد ، وثلاث وخمسون في المائة المهاجرون الصينيون . فعدد التركستانيين في البلاد ما بين سبعة وعشرون وثلاثين مليون نسمة . متساويا بتزايد عدد سكان الصين كلها بمعدل ثلاثة أضعاف من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٨٢م .

وإن عالمنا اليوم لا يعلم عن مسلمي الصين شيئا يذكر ، ونرى كثيرا من الخرائط الملونة عملت في الدول الإسلامية . وعادة تكون المناطق الإسلامية

باللون الأخضر أو الأزرق ينتهي امتداد اللون شرقا في حدود التركستان الشرقية أو دونها بما يفيد أن مناطق المسلمين تنتهي بذلك ، والواقع غير ذلك. فهناك مناطق إسلامية شاسعة في داخل الصين أبرزها منطقة (ننغشيا) تقدر مساحتها بأكثر من مليون وخمسمائة ألف كيلومترا مربعا وهي متاخمة لتركستان الشرقية من جهة الشرق .

ومعلوم للجميع أن حكومة الصين المركزية الوطنية منها والشيوعية تجرى إحصاءات لعدد سكان الصين كسكان فقط . أو على أساس القوميات وليست على أساس الدين أو الديانة . وبالتالي التعتيم على عدد المسلمين في الصين هو القاعدة الأساسية سياسيا . وثالثا : إن الدول الغربية لا تنشر العدد الصحيح لعدد المسلمين في الصين ، لأن ورائها الأجهزة الضخمة الرهيبة المناوئة للإسلام والمسلمين ألا وهي التنصير . ثم إن المسيحية الدولية ومن ورائها اليهود لم تسمح لها بنشر التعداد الصحيح لعدد المسلمين في الصين .

ولكن قضية عدد المسلمين في الصين لم تهدأ ثائرة تفرض نفسها على الصعيدين العالمي والإسلامي بشكل ملفت للانتباه لخطورة ما ورائها من مقاصد خبيثة . فبدأت ببحث القضية من القاعدة العريضة والأساس من المتخصصين البارزين في هذا المجال .

أولا : مستر (أرشيمود يت) أصدر تقريره عام ١٨٧٠م بأربعة ملايين نسمة . وفي عام ١٨٧٨م بعشرين مليون نسمة . ثم استسلمت القضية للتعتيم كما كانت قدرا من الزمن .

ثانيا: أصدر السيد سليمان تقريره بسبعين مليون نسمة . وانتهى القرن التاسع عشر بدون إحصاء في الصين . وفي أوائل القرن العشرين صدر تقرير الشيخ عبد الرحمن الصيني بأربعة وثلاثين مليون نسمة عام ١٩٠٧م .

ثالثا : صدر تقرير السيد (سادات شان رادلس) الهندى البنغالى بخمسين مليون نسمة في حين قدره مارشال (بروم هال) بـ ٩٨٢١٠٠٠ وذلك عام ١٩١٠م . ثم صدر تقرير الإحصاء الصيني في عام ١٩٣٥م بما يقارب تقرير مارشال بروم . ثم صدر إحصاء لمسلمي الصين في العهد الشيوعي في عام ١٩٥٣م بحوالي عشر ملايين نسمة ، حيث إن الصين تصر حتى بعد ١٧عاما على العدد السابق لعام ١٩٣٥م . ومع الأسف الشديد إن العديد من الباحثين الغربيين يأخذ من هذا العدد مسلما . نشرت مجلة نيوزويك بأن عدد المسلمين في الصين ٦٤٨٠٠٠٠ وذلك عام ١٩٤٩م .

وفي عام ١٩٧٩م وبعد ثلاثين عاما من نشرة المجلة نيوزويك يورد عدد المسلمين في كتاب (الشعوب الإسلامية) ١٧٨٥٠٠٠٠ نسمة . ونحن محتارون هل هم المضيعون لنا أم نحن الضائعون ؟ والكتاب المذكور حينما اعتمد تقرير المارشال (بروم هال)، وإحصاء عام ١٩٣٥م ينفي ذلك . وذلك أن تقدير السلطات الشيوعية عام ١٩٥٣م ويورد الرقمين ٢٠-٤٠ مليون نسمة في عام ١٩٨٠م . وبذلك يفصح المجال لرفض التقديرات السابقة ويقول : إن تقدير مارشال (بروم هال) لا يمت إلى الحقيقة بصلة. في حين رفضت المؤتمر التبشيري (باربارا) العدد ٤٨١٠٤٢٢٠ كعدد للمسلمين في الصين ، وبررت رفضها بأن عدد سكان المسلمين في الصين آنذاك كان غير معروف . ولكن نفس المصدر أورد الرقم ٤٥٢٤٦٠٠٠٠.

كعدد للمسلمين في الصين . وهذا الرقم غير بعيد عن الحقيقة . فالإحصاء الرسمي للصين والذي يعترف به الجميع هو الإحصاء الصادر في عام ١٩٥٣م وبلغ عدد سكان الصين في هذا الإحصاء ٥٨٣٢٦٩٠٠٠ . وقد أجريت الصين الشعبية الإحصاء عام ١٩٥١م أي بعد خمسة عشر عاما من إحصاء ١٩٣٥م . وكانت الزيادة ١٣٠٨٩٠٠٠٠ فيكون نمو السكان في هذه الفترة ١,٩% وهذه نسبة معقولة لكثرة المشكلات في الصين ومنها غزو اليابان لها ، والحرب الأهلية بين الوطنيين والشيوعيين في البلاد ، والهجرة إلى تايوان وخارج الصين . ويكون عدد المسلمين في الصين ٤٨ مليونا لا يبعد عن الصواب . في عام ١٩٣٦م يتكون نسبة المسلمين ١٦% من جملة سكان الصين . واعتمد الشيخ خليل شسى على ذلك ٤٨ مليون نسمة في عام ١٩٣٦م . ولكنه قدر عدد سكان الصين ٤٠٠ مليون نسمة بدلا من ٤٥٢ مليونا . ولذلك قدر المسلمين في الصين بـ ١٢% بدلا من ١٦% ثم اعتمد ١٢% كأساس لتقديراته فيما بعد .

وفي عام ١٩٧٩م قدر السيد خليل شسى عدد المسلمين في الصين بـ ١١٥مليون نسمة وفقا لما صدر في عدد أول رقم في الكتاب السنوي الصيني بتقدير عدد المسلمين ب ٤٨ مليون نسمة عام ١٩٣٦م . وممن اعتمد على ما اعتمد عليه السيد خليل شسى الدكتور على المنتصر الكتاني. وعلى هذا الأساس قدر عددهم بـ ٧٧ مليون نسمة عام ١٩٦٨م . ثم أصدر السيد خليل شسى تقدير عام ١٩٨٠م بـ ١١٧مليون نسمة . وتقدير الدكتور على الكتاني يختلف في العام نفسه ١٩٨٠م حيث يقول ويكتب بـ ١٠٣ مليون نسمة . بينما يصر الشيخ يوسف شانغ صيني

الأصل في مدينة شيكاجو بأمريكا بأن عدد المسلمين في الصين لا يتعدى من أربعين مليون نسمة . ونحن نجزم أن عدد المسلمين في الصين من مسلمي الصين والتركستانيين حتى الآن في عام ١٩٩٠م لا يقل عن ثمانين مليون نسمة بأي حال من الأحوال . ونقول إلى متى تحاول الصين أن تغطي بخرقة بالية شعاع الشمس اللاهبة من اكتشافات وفنون علمية باهرة منها ما تستشف ما تحت القيعان من بحار العالم والمحيطات المظلمة . ونحن على يقين بأن تعداد المسلمين في الصين أصبح الآن أمرا مكشوفا في متناول الجميع.[١]

ونعود إلى مشكلة المشاكل في منطقة تركستان الشرقية الآن : التهجير الصيني الهادر لكيان أمة الإسلام في الشرق. ولم ولن تكتفي الصين بهذا العدد الآن وقدره أكثر من خمسة وثلاثين مليون صيني . بل إنها سادرة في غيها وجبروتها في تهجير مائتي مليون صيني ليكون توزيع السكان في عموم بلاد الصين متعادلا وحسب مساحة تركستان الشرقية التي تساوى خمس مساحة عموم الصين في الوقت الحاضر بما فيها منطقة تركستان الشرقية . والخمس هذا يأخذ خمس السكان البالغ عددهم في الصين عموما بأكثر من ألف مليون نسمة . وهذه هي عدالة الصين أسودها وأحمرها . بينما لا يزيد عدد السلاف الروس في منطقة تركستان الغربية وخلال سبعين عاما الماضية أكثر من خمسة ملايين روسي في الجمهوريات الإسلامية الخمسة في آسيا الوسطى . وزد على ذلك أن الصين الشعبية لا تكل ولا تمل من بناء مدن

---

[١] ــ مستقاة من مقال نشرته جريدة المدينة في صفحة دار السلام في عددها رقم ٧٤٩٦ بتاريخ ١٥ ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ تحت عنوان : (مسلمو الصين) . وبدون اسم الكاتب .

صينية بحتة في سائر مناطق تركستان الشرقية تحت اسم شي خانزه (الأسواق العامة) .

وأما معالم الحضارة في تركستان الشرقية الآن بصرف النظر عن حكوميتها للصين الشعبية ، فهناك مدن عصرية مثل مدينة أوروبجى بمبانيها الفخمة ومنشئاتها الحديثة . وفيها سبعة فنادق عصرية فخمة من الدرجة الأولى ومثلها من فنادق الدرجة الثانية والثالثة . ومبان حكومية ، وستة مسارح وصالات العرض السينمائية ، وتسع مستشفيات ، وبها مركز إسلامي فخم أنشئت عام ١٩٨٧م بمساهمة سخية من البنك الإسلامي للتنمية في المملكة العربية السعودية ، ومبنى المركز الاجتماعي للشباب ، وجامعة أوروبجى ، وبها سبع كليات ولها فروع في بعض مدن البلاد مثل مدينة كاشغر وطرفان وكورلا . ويتوسط المدينة ميدان فسيح جدا تتقاطر عليه مختلف طرق المواصلات الداخلية ، وبساتين الراحة الشعبية ، ومتحف الآثار ، ومجلس الشعب بمبانيها الضخمة ، وحديقة الحيوانات ، وأسواق عصرية ، وأخرى شعبية تتبعها عدة منتزهات طبيعية . وبالقرب منها منتزه (نان سان) ، وبحيرة منتجع (بوغدا) . وجغرافية المدينة مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، تقع المدينة وسط سلسلة جبال (خان تنغرى) تحيطها الجبال من ثلاثة جوانب الشرق والجنوب والشمال . ومساحة الجناح الشمالي أوسع منها من الذي في الشرق . وتشبه المدينة شكلا بحرف S وفيها عدة أنهار تتدفق بالمياه العذبة تستعمل للأغراض الجانبية مثل الري والنظافة . وفيها محطة كهرباء تزيد قوتها عن حاجة المدينة بما فيها من مصانع ، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة أغلبها صينيون . وذلك منذ

عام ١٩٧٠م. وقبل هذا التاريخ كان أغلب السكان من المسلمين الأويغور. وفيها أكثر من ستمائة مسجد وجامع ، وقد ازدانت وأخذ زينتها ومكانتها السابقة في قلوب المسلمين مفتوحة أبوابها للصلوات الخمس والجمع والجماعات. ومعهد إعداد الأئمة والخطباء أسس عام ١٩٨٤م والتدريس فيه دورية سنوية ، ومدة الدورة الواحدة ستة أشهر . تستوعب الدورة أكثر من ٢٠٠ طالب من المؤهلين لهذه الوظائف الدينية . ومنذ عام ١٩٨١م توجد في كل مدينة من مدن تركستان الشرقية فنادق من الدرجة الأولى والثانية والثالثة والرابعة .

عرفت تركستان الشرقية الطائرة منذ عام ١٩٣٣م وبنيت فيها مطلوات بدائية في كل من أوروبجى ، وإيلى ، ومدينة كاشغر . وقد حظي بعض من حاجنا عام ١٩٤٥م أن يستقلوا الطائرة في رحلتهم إلى أوروبجى ثم منها داخل الصين ومنها إلى هونغ كونغ في طريقهم إلى الحج في عهد حكومة الائتلاف . والآن يوجد في أوروبجى مطار دولي عصري البناء ، وفي سائر مدن البلاد مطارات من الدرجة الثالثة تتبع طائراتها من حيث الأسطول للخطوط الجوية الصينية المركزية في بكين . وبالرغم الحكم الذاتي في أوروبجى يدعى أنه اشترى عدة طائرات نقل لحسابه الخاص . يستقبل مطار أوروبجى الدولي طائرات النقل القادمة من إسلام آباد وإسطانبول عن طريق مطار الشارقة الدولي في الخليج العربي . وتمتد رحلات طائرات المنطقة إلى أوروبا وأفريقيا ، وتعود إلى الصين عن طريق أوروبجى في تركستان الشرقية .

تمتلك منطقة تركستان الشرقية خطوطا للسكك الحديدية طولها ١١٨٠ كيلومترا قادمة من الصين إلى مدينة أورومجى العاصمة ، وإلى مدينة كورلا الواقعة في وسط البلاد . تستقبل محطاتها المحلية ست رحلات يومية متجهة من ستة محاور رئيسية من مدن الصين في الداخل . تزيد مقطوراتها في الرحلات الستة مجتمعة على مائتين عربة . وفي كل رحلة من الرحلات الستة اليومية تصحب القطار مقطورة إضافية (إستبنه) . ولم يكن بناء سكك الحديد وليد صدفة في تركستان الشرقية أو بصفة عفوية أو فضلا عن الصين الشعبية . وإنما كان لحاجة الصين الاقتصادية في جلب موارد منطقة تركستان الطبيعية وما تحتاجه الصين من المواد الضرورية ، وتهجير عدد أكبر من الصينيين إلى المنطقة في أسرع وقت وبأقل تكليف . وقد كلف بناء الخط حياة عشرات الألوف من العمال التركستانيين حيث فقدوا أو ماتوا نتيجة هجمات الكوارث الطبيعية والأعاصير الهوجاء المدمرة في مناطق امتداد الخط من مدينة (لانجو) حاضرة أيالة (كانسو) إلى مدينة (قمول). حيث إن المرحلة الأولى بدأت بتاريخ ١٩٥٢/١٠/١م وانتهت في قمول في شهر يوليو عام ١٩٥٨م . والمرحلة الثانية من مدينة قمول إلى أورومجى انتهت في شهر فبراير عام ١٩٦٣م وطول هذا الخط فيما بين قمول وأورومجى أكثر من تسعمائة كيلومترا يتخللها اثنا عشر نفقا طول إجمالها أربع كيلومترات. ويمر الخط من منطقة الأعاصير الدائمة فيما بين بلدة (فيجان) في مدينة (طرفان) قطر هذه المنطقة يمتد إلى خمسة وعشرين كيلومترا . وسرعة الأعاصير الدائمة ما بين ثمانية واثنا عشر ميلا في الدقيقة الواحدة وهى ظاهرة طبيعية . وقد سخرت للعمل بهذه المنطقة خمسة آلاف

تركستاني بجانب آلاف من الصينيين بصفة دائمة . وللخط فروع يتجه من بلدة (داخيان) إلى مدينة (كورلا) بما يقارب ثلاثمائة كيلومترا . بدأ العمل فيه في يناير عام ١٩٧٤م وانتهى في منتصف عام ١٩٧٩م . ووصل القطار في اليوم التاسع من شهر أغسطس عام ١٩٧٩م إلى مدينة (كورلا). ولعقبات فنية وإنشائية تأخر استكمال الخط لخمس سنوات أخرى حتى أصبح الخط صالحا للاستعمال في شهر أغسطس عام ١٩٨٤م منذ قبل خمس سنوات من الآن . وإذا ضربت الرقم ٥٠٠٠ عامل يومي من التركستانيين في بناء هذا الخط على ٣٢ سنة ترى فداحة الخسارة البشرية وتسخير أفراد هذا الشعب المغلوب على أمره لصالح اقتصاد المهاجرين الصينيين .

يوجد في منطقة تركستان الشرقية ما يزيد على ١٢٠٠٠ كيلومتر من الطرق المسفلت من الدرجة الثالثة بعرض ثمانية أمطار واثنا عشر مترا بالحواف الجانبية . وسبعة وثلاثين من الكباري أكثرها على الأنهار والأراضي السبخة يبلغ إجمالي طولها عشرة كيلومترا . وسبعة من الأنفاق الجبلية من دون غطاء داخلي ، وإجمالي طولها لا يزيد على أربع كيلومترات في أكثر تقدير ، واتساع فتحتها عشرون مترا مسطحا .

الأجهزة والمعدات العصرية في المنطقة حديثي العهد . وكذلك الكهرباء لم تعمم حتى الآن . إلا أن التيار الكهربائي عممت على مستوى المحافظات دون الأرياف والمناطق البعيدة عن العمران . ومنذ عام ١٩٨٣م دخل الجهاز التلفزيوني في بعض المنازل تقدر ب٦٠ % من الأسر . وأما أجهزة الراديو ترانزيستور فيوجد في كل عائلة . وأما التليفون الآلي وبدون أصفار

فيوجد في منزلين في كل مائة منزل في بعض المدن المتطورة . وتوجد في بعض الأسر الآن ماكينة الغسيل وثلاجة كهربائية بنسبة قليلة جدا . ولا توجد سيارات شخصية إلا في حدود اثنين لكل ألف أسرة . وتوجد بعض عربات التحميل لأشخاص معدودة جدا . وأما عامة الشعب من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال فيستعملون الدراجة الهوائية العادية في تنقلاتهم .

عرفت منطقة تركستان المصانع في العشرينات من هذا القرن منها مصنع النسيج والغزل من خلج القطن والوبر ، ومصنع الجلود . وأسست حكومة الائتلاف في عام ١٩٤٦م مصنعا للزجاج في أورومجى . ويوجد الآن مصانع الحديد والصلب ومصانع الأسمنت . وتأسست مصانع خلج القطن والنسيج ومصانع تعليب الفواكه ومصانع للخمور ومصانع للسجائر ومصانع لمنسوجات الحرير بأنواعها ، ومصنع تعليب الملح ومصفاة بترول مصغرة وتوجد خط أنابيب للبترول الخام بطول ألف كيلومتر فيما بين مدينة البترول (قاراماي) في منخفض (جونغاريا) ومدينة (لانجو) الواقعة في الجنوب الشرقي من أيالة (كانسو) ذات خمس خطوط متوازية بسعة متر مكعب .

وأما طرق المواصلات الخارجية في المنطقة فقد تطرقت إليها روسيا القيصرية وبريطانيا عن طريق وكالتها الحاكمة في الهند (شركة الهند الشرقية) في الستينات من القرن الماضي . ولكن حكومة يعقوب بك بدولت لم تسمح بذلك حيث عرضت روسيا مد خط للمواصلات البرية من مدينة (أومسك) إلى مدينة (نارين) في الغرب من ولاية (آقسو) مارا بقازقستان ، علما أن مدينة أومسك تقع على خطوط السكة الحديدية

من مدينة (أومسك) إلى مدينة (نارين) في الغرب من ولاية (آقسو) مارا بقازقستان ، علما أن مدينة أومسك تقع على خطوط السكة الحديدية عبر سيبريا المتجهة من موسكو إلى الشرق الأقصى وإلى سواحل المحيط الهادئ شرقا . وكذلك حكومة بريطانيا في الهند عرضت شق طريق بري من كشمير إلى ولاية (ختن) على حسابها الخاص ، ولكن السلطان يعقوب بك لم يوافق على ذلك .

وفي أواخر الستينات اتفقت الصين الشيوعية مع حكومة باكستان على شق طريق جبلي فيما بين مدينة (كاشغر) ومدينة (كيلكت) في الشمال الشرقي من منطقة كشمير في الجزء الذي تحت سيطرة باكستان شمالا . وقامت حكومة الصين ببناء هذا الطريق عبر جبال بامير من الجانب الشرقي ، وطوله أكثر من ٦٠٠ كيلومترا منها مائتي كيلومترا في منطقة تركستان وأكثر من أربعمائة كيلومترا في أراضى كشمير الباكستانية وسمته بخط الصداقة الصينية الباكستانية .

وبفضل هذا الخط ، وفي حالة انتهاء العمل من نفق بحر المانش بين بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٩٣م يصل الواحد منا بسيارته من لندن إلى بكين مارا بتركستان الشرقية . ومن الآن منطقة تركستان الشرقية أصبحت منطقة سياحية ذات صيت في شرق آسيا ، لأنها جنة وارفة الظلال ، وبها ألوف من المناظر الخلابة خلقها الخالق وأبدعها ، ومناخها الجافة وقصر نهارها المشمسة وطول ليلها . يتركز في عروق أشجارها المواد السكرية ، وبالتالي يزيد السكر في جميع فواكه تركستان الشرقية التي تزيد عن مائة وعشرين نوعا وفصيلة .

تركستان الشرقية (سنكيانغ) ، ومنغوليا الداخلية ، ومنطقة (ننغشا) المتاخمة لمنغوليا ، ومنطقة (كانغشى) في جنوب الصين المتاخمة لشمال فيتنام .

اليوبيل الخاص لتركستان الشرقية المسمى (الحالة العامة في سنكيانغ) يقول : إن نسبة السكان ثمانية أشخاص في كل كيلومتر مربع ، بينما في داخل الصين يبلغ هذا العدد إلى المائة . نقول : إن نسبة كثافة السكان مع المهاجرين الصينيين في عام ١٩٩٠م تبلغ ٣٣ شخصا في كل كيلومتر مربع.

ويقول اليوبيل : إن المساحة المستفادة من أراضي تركستان الشرقية زراعيا وواحات ومراعي تقدر بسبعة وثلاثين في المائة من المساحة الكلية التي تقدر بمليون وستمائة ألف كيلومترا مربعا . نقول في هذا : إنه أقرب إلى الصواب . فيقول : إن نسبة الأراضي الزراعية تشكل ١٢% من المساحة الكلية لتركستان الشرقية أو ٣٠٠ مليون دونما من الأراضي . وقد استصلح حديثا ٦٥ مليون دونما من الأراضي وبدأت فيها الزراعة منذ سنوات . ويحجم اليوبيل (الغير محترم) عن مقدار المسحوب من الحاصلات الزراعية من الحبوب . وكذلك عن الجزء المستخرجة من المناجم الغنية مثل اليورانيوم وذهب الفضة . ويصيبه البكم عندما نأتي على منابع البترول المسحوب إلى الصين عبر قنوات الأنابيب الخمسة والصهاريج المحملة على عربات القطار[1] .

---

[1] ــ يقول الأستاذ رحمة الله أحمد في مقاله القيم بعنوان (أسطورة الحكم الذاتي) ما يلي: يقدر الخبراء الفرنسيون كميات اليورانيوم الموجود في تركستان الشرقية بحوالي ١٢ ترليون. وقد بدأت حكومة الصين الشعبية استخراجه بمساعدة روسيا في عام =

ثم يقفز اليوبيل إلى المراعى تاركا الواحات التي تقدر ٣٠٪ من الواحات المنتجة في الصين لأجود أنواع الخشب . واليوبيل تتكلم عن مساحة المراعى المعشوشبة ويسكت عن المنتجات الحيوانية من الخيول والإبل والبقر والأغنام . وفي سرد لا يعتد بالنوع والفصيلة يقول : إن على مراعي تركستان الشرقية الآن في عام ١٩٨٣م ثلاثون مليونا ومائة وأربعون ألف رأس من الثروة الحيوانية . ونحن نقول : إن المراعى الخصبة الغنية بالمواد الغذائية قبل عام ١٩٤٩م كانت ترعى فيها ما يزيد على عشرين مليونا من الماشية فترعى في ثناياها الآن أكثر من ستين مليونا من المواشي والغنام . ولا تعطى الصين الشعبية الأرقام الصحيحة ، لأن أكثرها حيوانات لاحمة أو ذات مردود سياسي كالخيول مثلا . علما أن منطقة تركستان أهدت حكومة (جانغ كاي شنغ) في أول تأسيسها عام ١٩٢٨م ٦٠٠٠٠ حصان من فصيلة ونوعية واحدة ولون واحد موحدة في السن والحجم . يقول السيد طلعت موسى باي رحل أعمال الثري في سرد ما بحوزته من المواشي والأغنام : إن المراعي الخاصة لأسرته أربعون ألفا من أجود الخيول

=١٩٥٠م وبموجب الاتفاق الذي تم بينهما بتاريخ ١٩٥٠/٤/١٩م من أكثر من ثمانية مناجم . وتقول الصين الوطنية إن أربعة منها غنية جدا . وقد أقامت الصين الشعبية في مكان ما فيما بين أوروبجى وقمول معملا لمعالجة اليورانيوم . وكانت لروسيا المساعدة العلمية حتى حينما تدهورت علاقة البلدين على يد عالمها الذرى البريطاني بورونو فنكورفو . وفي اليوم ١٩٦٤/١٠/١٦م فجرت الصين أول قنبلة ذرية لها في أراضي تركستان في منطقة (لوب نور) . ولها أكثر من ٣٠ تجارب ذرية وهيدروجينية حتى الآن . (تم نقلها بتصرف)

عام ١٩٥١م حيث غادر بلدته إلى تركيا . والآن ومنذ مدة وهو بين ظهرانينا في المملكة ، وهو الشريك المؤسس لمصنع الأمل للبلاستيك بجدة ويحمل الجنسية التركية . ويقول الأستاذ رحمة الله أحمد في مقاله المطول تحت عنوان (أسطورة الحكم الذاتي) ينشر في عدة حلقات في جريدة المدينة المنورة في شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٦هـ : إن بها من احتياطي البترول ما يبلغ نحو ١٦٠مليون طن ، ورصيدها من الفحم يصل إلى ٦٠٠مليون طن ، أما اليورانيوم في التركستان الشرقية فيعتبر من أجود أنواعها العام . وحسب اعتراف الصينيين أنفسهم في اليوبيل الفضي الذي سبق ذكره تحت عنوان (الأحوال العامة في سنكيانغ ذاتية الحكم) بأن ١٢% من مساحة المنطقة مشغولة بالزراعة ، فتكون أكثر من ١٩٠٠٠٠ كيلومترا مربعا من الأراضي تنتج محاصيل زراعية ، ومثلها في المساحة تنتج الأخشاب ، ومثلها في المساحة أيضا المراعي المعشوشبة وجبال مخضرة يافعة ترعى في ثناياها أكثر من ٧٠مليون ماشية ، وفي مقدمتها الخيول والإبل ذات سنامين والبقر . وأقل على كثرة مواشينا أن ولاية كاشغر كحكومة محلية تجبي كرسوم على الأغنام في محافظة واحدة وهي محافظة طاشقورغان ٣٠٠٠٠ شاة سنويا . (في ولاية كاشغر ثمانية محافظات) ومحافظة طاشقورغان هي المتاخمة لحدود باكستان . وصادف أن ذهب إلى هناك زائر من المملكة يعمل في اللحوم والأغنام الواردة من الخارج يعرض عليه والي كاشغر الكمية القريبة إلى باكستان ثلاثين ألف رأس بثمن بخس . ولكن الوالي والزائر اختلفا في قيمة الشحن هل تكون على حساب المشترى أو على البائع الوالي ممثلا الحكومة المحلية . وقدم الوالي لأداء فريضة الحج

وجرى بحث الموضوع من جديد مع أخينا الزائر في بيته . وأنا سألت الوالي عن مقدار الرسوم على المواشي ، فأجابني قائلا : إن رسوم الأغنام تختلف من حيث تغذيتها ، إذا كانت الأغنام سائبة في المراعى العامة رأس ونصف الرأس ، وأما الأغنام التي تربى في المناطق الزراعية فرأسان عن كل ٣٠٠ رأس غنم .

ونحن حينما نتكلم عن بعض معالم الحضارة في تركستان الشرقية لا نقصد بأي فضل علينا للصين الشعبية ، حيث إن هذه المعالم وجدت أولا من حكومة الصين المركزية دون أن تخسر مليما واحدا في هذه المشاريع ، بل أوجدتها لأنها تجلب المنافع والمكاسب الطائلة اقتصاديا وسياسيا . ثم إن تهجير ما يقارب من أربعين مليون صيني إلى المنطقة توفر في الداخل من الخدمات العامة والتموين والسكن . وبالتالي تسلم الصين من تلكم النفايات البشرية من الصعاليك وأصحاب السوابق واللصوص المجرمين السفلة ، وتزيد من فرصة العمل في داخل الصين في مقابل البطالة في صفوف الشعب التركستاني في وطنه . فهناك في منطقة تركستان الشرقية أكثر من ستين مصنعا نسبة العمالة التركستانية فيها تقل عن ٣% . وزد على ذلك سائر الحرف اليدوية والصناعات الخفيفة المحلية استولى عليها المستوطنون الصينيون بأقل أجر وأرخص السعر وأسرع إنجاز ، ولن يستطيع الشعب التركستاني مجاراة الصينيين فضلا عن منافستهم ، لأن معيشة الفرد التركستاني مكلفة بالنسبة للمستوطن الصيني الذي يفترش الأرض ويلتحف السماء موقتا، ثم سرعان ما يتطور حالته فتراه أصبح صاحب ورشة أو مؤسسة تجارية أو تقلد منصبا ويملك ضيعة وأسرة بعد أن خلف مكانه عشرات من

المستوطنين الصينيين في عمله السابق . حتى إن الأسرة الصينية تزاحمت في أرزاق الأرامل والأيتام من التركستانيين في تسويق الفراخ والبيض والحليب ومشتقاته وحبات الخضار والفلفل وحزمة البقدونس والكرات ، حيث تنتجها الصينيات في بيوتهن وفي البلكونات والأسطح وتحت الأسرة في المنازل . والخلاصة أن هذه المنشآت أقيمت بالغنى والثروة الوطنية وبسواعد رجالها المسخرة أياما وسنين وبدون أجر وبدون رعاية صحية تحت لهيب الشمس الحارقة وزمهرير الشتاء القارص . وأحيانا لا تصرف الحكومة الصينية الغذاء للعمال والعائلات من النساء ، وتقام سدود ترابية تعمل فيها النساء الشابات والعجائز بجانب الرجال .

تركستان الشرقية ليست منطقة الأقلية المسلمة في الصين

نحن كتركستانيين نتألم كثيرا حينما نسمع كلمة الأقلية بالنسبة لنا في وطننا الكبير البالغ مساحته نحو ١٨٢٨٤١٨ كيلومترا مربعا وتحتضن في الوقت الحاضر أكثر من خمسة وعشرين مليونا من المسلمين الأتراك في داخل حدودها المعلومة والمعلنة حتى من قبل الصين ذاتها وبتسميتها الجائرة بـ سنكيانغ (أي الأرض الجديدة) ذاتية الحكم . ونتألم أكثر عندما نذوب - والذوبان موت وعدم مؤدب- نذوب تحت كلمة مسلمي الصين حتى في المحافل الدولية وعلى صفحات الجرائد والكتب والمحاضرات حتى البحوث العلمية . ولماذا لا نقول الشعب التركستاني بدلا من كلمة الأقلية الإسلامية ، أو مسلمو تركستان بدلا من مسلمو الصين . وهناك تجمعات

إسلامية في أنحاء العالم ولبعضها كيان خاص وصفة إقليمية وسياسية مثـــل مسلمي كشمير ومسلمي تركستان الغربية مثلهم أذربيجانيون و (تتـــار) منطقة (أورال) وأتراك (ققفاسيا) وجمهورية (قرم) الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وكذلك منطقة (جنخاي) ، وأيالة (كانسو) وولاية (ننغشا) ذاتية الحكم في الصين الشعبية.[1] وإذا قالت الاتحاد السوفيتي : منطقة آســيا الوسطى بالنسبة لتركستان الغربية أو قالت الأقلية المسلمة ، ومثلها قـــالت الصين الوطنية والشيوعية : في مناطق المسلمين الأقلية أو قالت : مســلمو الصين ، فأخذناها وتلقيناها بدون تمحيص . وهل ما يقارب ثلــث تعداد لسلمين في العالم الموزع في ثلاث دول متقاربة في قارة آسيا فيمـــا بــين شرقها وغربها وجنوبها وشمالها يعتبر أقلية ؟ فهناك سبعين مليون مسلم أكــثر من ثلثها مسلمو تركستان الشرقية في الصين ، وأكثر مـــن ١١٠ مليــون نسمة في تسع جمهوريات إسلامية في الاتحـــاد الســـوفيتي ، وأكـــثر مـــن ١٢٠مليون نسمة في الهند . وقال فيها المحللون : الأقلية . فنقول : الأقليــة . ويقول: مسلمو الصين ومسلمو الهند ، فنكررها ونكتبها وننشرها هكـــذا وكأنها نصوص منقولة من كتب أنزلت من السماء . وأما استعمال كلمـــة الأقلية أو الأقلية الإسلامية في موسكو وبكين ودلهي ، فيخصـــها وحدهـــا

---

[1] ـــ قدم وفد تركستان الشرقية رفيع المستوى إلى المملكة العربية الســـعودية في شـــهر ديسمبر عام ١٩٨٥م برئاسة إسماعيل أحمد حاكم منطقة تركستان الشرقية بدعوة مـــن مقام رابطة العالم الإسلامي ، يتألف من اثنا عشر عضوا . وكانت حفاوة المملكة بـالوفد حفاوة بالغة ومؤثرة جدا . وبعد أداء مناسك العمرة قام الوفد بزيارة أهم معالم النهضـــة في المملكة واطلع على مشاريعها الطموحة .

دون غيرها . لأن المسلمين في المناطق الإسلامية التي وقعت تحت سلطانها أقل عددا بالنسبة لتعداد سكان هذه الدول ولهم منطقهم الخاصة . وفي نظرنا أن الأقلية المسلمة تنطبق على جماعات مسلمة متناثرة في أرض دولة غير إسلامية ولا يمتون لمنطقة معينة نشأة وانتماء وانتسابا يسندها التاريخ والوقائع .

وقضية الأقلية المسلمة في الدول الثلاثة آنفة الذكر يجب أن تبحث في مجالس رابطة العالم الإسلامي ، ويتخذ بشأنها القرارات الإيجابية ، ثم يعمم هذه القرارات على سائر المحافل والندوات الإسلامية والمنظمات ومجامع البحوث والجامعات ودور النشر والصحف واتحاد الإذاعات الإسلامية والنوادي الأدبية والثقافية في العالم العربي والإسلامي .

بينما تتوقع الصين منا أن نتقبل الأمر الواقع أو تتكون لدينا الشجاعة الكاملة لتقبل حكم الأغلبية الصينية الأجنبية . وهي عملية بسيطة جدا بأن يبرز الحكام الصينيون من وراء الكواليس إلى الواجهة بتنحية أي حاكم تركستاني بجرة قلم من كرسي رئاسته . ولعلى أكتفي بهذا القدر بالنسبة لكتابتي هذه المرة ، وقد حاولت وبقدر الإمكان أن آتي بمجمل وقائع الفترة الأخيرة ومن غير تحديد طبعا . ولو أن مجال الكتابة والبحث والنشر مجال واسع ومتشعب لا يمكن لمثلي احتواؤه بكل ملابساته وخلفياته . ووقائع الفترة الأخيرة أقصد وبالتحديد الفترة الممتدة من وفاة السلطان يعقوب بك عام ١٨٧٧م وحتى الآن . والفترة هذه عبارة عن قرن كامل وزيادة تخللتها أحداث عالمية مؤثرة جدا ، وأنها نقلة تاريخية بالنسبة للبشرية جمعاء ، مثل الحربين العالمية الأولى والثانية وما خلفتاه من سلب وإيجاب وصناعة أسلحة

الدمار والخراب ، وحاكمية النظام الشيوعي وأيدلوجيات مختلفة وهائلة على وجه كرتنا الأرضية . ونرى الآن أنها شاخت ، وأزيلت جدار برلين ، ولا يستبعد أن تتهدم حائط الصين إن شاء الله ، ونرى رؤوسا تنهض من تحت الأكوام وتتطلع إلى معالم محيطها التاريخي ، ونقول : لعل غدنا أفضل من يومنا ، وإن غدا لناظره قريب .

أوركاش وربيع بكين

ونحن لا نتعلق بالقشور وإن كادت أن تقصم ظهر البعير في شهر مايو عام ١٩٨٩م في بكين وقبيل صباح اليوم الرابع من حزيران . غير أن هذا الفتى الجبار تركستاني الأصل أبا عن جد وهو أوركاش نور محمد دولتي أحد أبناء المسلمين التركستانيين برز زعيما للمتظاهرين ورئيسا لاتحاد طلاب جامعات بكين العشر . وهو اتحاد مستقل وقد سبق أن اعترفت به حكومة بكين في مشكلة الطلاب بهدف توحيد جهودهم ونشاطهم في سبيل تحقيق مطالبهم الإصلاحية الواسعة في الصين .

إنه نادى بالإصلاح في الصين عموما وتكلم باسمها وباسم عشاق الحرية طلبة وكادحين . ونورد هنا ترجمة حياته بقلم الأستاذ رحمة الله عناية الله ، من حيث إن القنوات الإعلامية في العالم تكلمت عنه وكتبت الصحف والمجلات ، ولم تشر إلى كونه من أبناء تركستان الشرقية .

أوركاش نور محمد دولتي

في المظاهرات الطلابية التي اندلعت في ربيع بكين عام ١٩٨٩م واستمرت أكثر من شهر للمطالبة بالإصلاحات الديمقراطية وانتهت بالقمع العسكري وسقوط آلاف القتلى والجرحى من المواطنين الصينيين العزل ، برز اسم أوركاش Wuer kaixi من أبناء المسلمين في شمال غرب الصين (تركستان الشرقية) زعيما للمتظاهرين ورئيسا لاتحاد طلاب جامعات بكين العشر وهو اتحاد مستقل شكله الطلاب المتظاهرون بهدف توحيد جهودهم ونشاطهم في سبيل تحقيق مطالبهم الإصلاحية الواسعة النطاق ، والتي منها حق التظاهر وإقامة اتحادات حرة وحرية الصحافة والتعبير عن الرأي ، والإسراع في تطبيق إصلاحات ديمقراطية ، ومعاقبة المسؤولين الذين يثبت تورطهم في الفساد .

واسم هذا الزعيم الطلابي هو أوركاش نور محمد دولتي ، ولد من أبوين تركستانيين في مدينة (إيلي) بتركستان الشرقية (مقاطعة سنكيانغ) في١٩٦٨/٢/١٧م أثناء جنون الثورة الثقافية في عهد (ماو) في الصين الشعبية .

كان نور محمد دولتي والد أوركاش عضوا في الحزب الشيوعي وأمضى سنواته في ترجمة كتب ماركس ولينين و(ماو) الصينية إلى اللغة التركستانية ، وأثناء الثورة الثقافية عندما أجبر المثقفين الصينيين على ترك المدن إلى الأرياف ذهب والد أوركاش إلى الريف يعمل فلاحا . ولكن الإجهاد والتعرض لتقلبات الجو في الصحراء شلت ساقيه ، وقضى معظم

كان نور محمد دولتي والد أوركاش عضوا في الحزب الشيوعي وأمضى سنواته في ترجمة كتب ماركس ولينين و(ماو) الصينية إلى اللغة التركستانية ، وأثناء الثورة الثقافية عندما أجبر المثقفين الصينيين على ترك المدن إلى الأرياف ذهب والد أوركاش إلى الريف يعمل فلاحا . ولكن الإجهاد والتعرض لتقلبات الجو في الصحراء شلت ساقيه ، وقضى معظم حياته في بكين ولم يرجع إلى أورومجى عاصمة تركستان الشرقية إلا في عام ١٩٨٤م . وأما أوركاش الذي قضى طفولته في بكين فعاد إليها والتحق بالجامعة في عام ١٩٨٨م . وقد قال عنه صديق له لمراسل مجلة تايم : " يستطيع أن يوضح الفروق بين حياة الناس وحياة الزعماء . ومن أولئك الناس استخلص آرائه ". وقال زملاؤه : " إنه كان يرغب في دراسة الأدب الصيني ، ولكنه فضل التعليم لإحساسه بأن الأويغور في حاجة ماسة إلى المدرسين " .

وفي شهر يناير الماضي بدأت أفكاره تتبلور في نشاط عملي ، فقد كتب إلى صديقه كما يقول مراسل التايم : بأن التضخم هو سرقة البلاد ، وكان قلقا على أثر ذلك في العمال . وقد نمت نظرياته السياسية من خبراته الشخصية ، ولم تكن بتأثير غربي ، فهو لم يرحل إلى خارج الصين . ولكن قراءاته المكثفة ساعدته للاطلاع على كل أنواع المفاهيم الحديثة الصينية منها والأجنبية .

وخلال المظاهرات الطلابية ترأس أوركاش اتحاد الطلبة المستقل الذي استطاع أن يوحدهم بخطبه ويأسرهم ببرهانه . ولكن إضرابه عن الطعام كان أكبر خطر يواجهه ، حيث أصيب بداء المعدة في صغره . ولم يحتمل

الإضراب طويلا حيث نقل إلى المستشفي ، وجاءت والدته من تركستان الشرقية ترجوه أن تقلع عن الإضراب، ولكنه أصر واستمر وجلس أمام (لي بنغ) رئيس الوزراء الصيني يحاججه ، حتى قال عنه أحد المثقفين لمراسل مجلة تايم : كان يخاطب لي بنغ مخاطبة الند للند .

أصبح أوركاش معروفا خارج الصين من خلال الأحاديث التي كان يدلي بها لمحطات التلفزيون ووسائل الأعلام الغربية خلال احتلال الطلبة لميدان (تيان آن مين) في العاصمة الصينية بكين . أثناء عمليات القمع التي أنهت الاحتجاجات الطلابية المطالبة بالديمقراطية لم يعرف عنه شيء . ولكن فجأة ظهر في هونغ كونغ حيث بثت شبكة إن بي سى الأمريكية التلفزيونية مقابلة مع أوركاش نفسه قال فيها : إن حياة الذين نجوا من القمع الدامي لم تعد ملكهم . ثم انتقل إلى فرنسا مع زميل له اسمه (يان جيا جي) . وعقد أوركاش مؤتمرين صحفيين في باريس طالب فيهما الدول الغربية بفرض عقوبات ضد الصين .

وفي مدينة شيكاغو الأمريكية اجتمع أكثر من خمسمائة طالب وعالم صيني في يوم الأربعاء ١٩٨٩/٧/٣٠م وأعلن عن تشكيل جبهة الصين الديمقراطية برئاسة أوركاش نور محمد دولتي .



الفهرست



تركستان هي بلد من بلادالاسلام وشعب تركستان من شعوب الاسلام . وهم دخلوا الاسلام في القرن العاشر الميلادي . وهم يتمسكون بالاسلام والتقاليد الاسلامية . وعاش المسلمون هناك حرا ومستقلا حتى أوائل القرن العشرين الميلادي .

وفي نهاية عام ١٩٤٩ م استولى الصين الشيوعية على تركستان الشرقية ومنذ ذلك الحين كان المسلمون في بلدهم محكومين أسيرين ولايزال أحوال المسلمين مجهولا على العالم الاسلامي والعالم العربي .

ان قضية تركستان الشرقية ليست أصغر قضية من قضية فلسطين وكشمير وبلادالقفقاس الي حد كبير فهي تتعلق بالغاء هوية شعب واحلال شعب اخر محله . وسرقة اراضيه واطلاق اسم اخر علي وطنه وهي سنكيانج .

قام الصينييون بارهاب شعب تركستان الشرقية وتشتيته وتشجيع المواطنين على الهجرة الى تركستان .

قام الصينييون بمصادرة أراضي وممتلكات الاوقاف الاسلامية . وفرضوا على شعب تركستان نشر الافكار الشيوعية أثناء الفروض الدينية في المساجد .

ان الصينيين سيطروا على كل المناصب والوظائف المهمة وسخروا علي شعب تركستان للقيام بالاعمال الشاقة والحقيرة .

واجبار تطبيق سياسة تحديد النسل لاوجودلها في العالم . وهم يسمون هذه السياسة بسياسة الولد الواحد .

ان أبناء الشعب التركستاني محرومون من التعليم الاسلامي بل من التعليم الثقافي .

والماساة لاتزال ، كيف نخرج من هذالمأزق ؟

الناشر